

تقديم

خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

عبدالله بن عبدالعزيز الربيعة

تجربتي مع التوائم السيامية

العبيكان
Obeikan



المناصب الحالية:

وزير الصحة – المملكة العربية السعودية.

المناصب السابقة:

المدير العام التنفيذي للشؤون الصحية بالحرس الوطني.

مدير جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية.

نائب المدير العام التنفيذي للشؤون الصحية بالحرس الوطني.

رئيس أكاديمية مدينة الملك عبد العزيز الطبية للعلوم الصحية.

رئيس كلية التمريض والعلوم الطبية المساعدة.

المدير المشارك للمجلس التنفيذي الطبي، بمستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث.

كبير الأطباء بالنيابة، مستشفى الملك خالد الجامعي.

مدير برنامج تدريب الأطباء، قسم الجراحة، مستشفى الملك خالد الجامعي.

المناصب العلمية والأكاديمية:

استشاري جراحة الأطفال.

عضو لجنة إختيار جائزة الملك فيصل العالمية للطب.

أستاذ زائر للعديد من الجامعات والمعاهد العالمية.

المتحدث الرئيس للعديد من المؤتمرات والندوات العالمية.

إنشاء وتطوير العديد من وحدات وبرامج جراحة الأطفال.

عضو لجان امتحانات الشهادات العليا في تخصص الجراحة وجراحة الأطفال.

المجالس الوطنية:

عضو مجلس التعليم العالي.

عضو مجلس الخدمات الصحية.

عضو مجلس الضمان الصحي.

عضو مجلس أمناء جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية.

نائب رئيس مجلس جامعة الملك سعود بن عبدالعزيز للعلوم الصحية.

رئيس المجلس الإستشاري العالمي لجامعة الملك سعود بن عبدالعزيز للعلوم الصحية.

عضو مجلس إدارة المؤسسة العامة لمستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث سابقاً.

العضويات العلمية:

عضو كلية الجراحة الفرنسية.

عضو كلية الأطباء الجراحين الكندية.

عضو جمعية جراحة الأطفال الكندية.

عضو الرابطة العربية لجراحة الأطفال.

عضو إستشاري ومحرر للعديد من المجلات العلمية الطبية المتخصصة.



ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الربيعة، عبدالله بن عبدالعزيز

تجربتي مع التوائم السيامية/ عبدالله بن عبدالعزيز الربيعة

ط١.، الرياض، ١٤٢٨ هـ

٣٥٠ ص، ٢٢ X ٢٨ سم

ردمك: ٨-٢٢٣-٥-٩٩٦٠

١- التوائم الملتصقة - جراحة　　　أ- العنوان

ديوي ٩٨، ٦١٧　　　١٤٦٤ /١٤٢٨

رقم الإيداع : ١٤٦٤/ ١٢٨

ردمك: ٨-٢٢٣-٥-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م

الناشر

شركة العبيكان للأبحاث والتطوير

الرياض- شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤/ ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

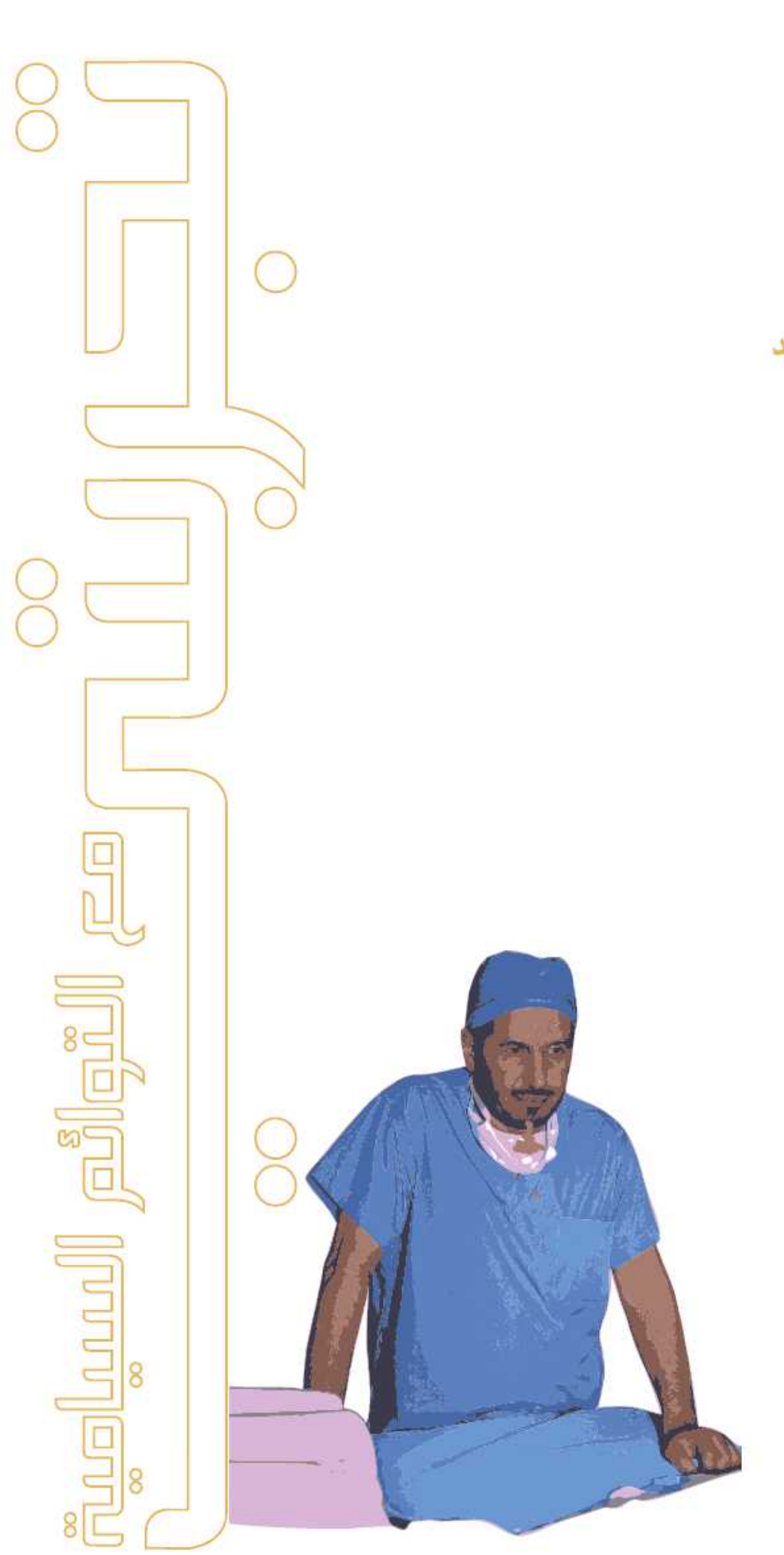
التوزيع

شركة مكتبة العبيكان

الرياض- العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨/ ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

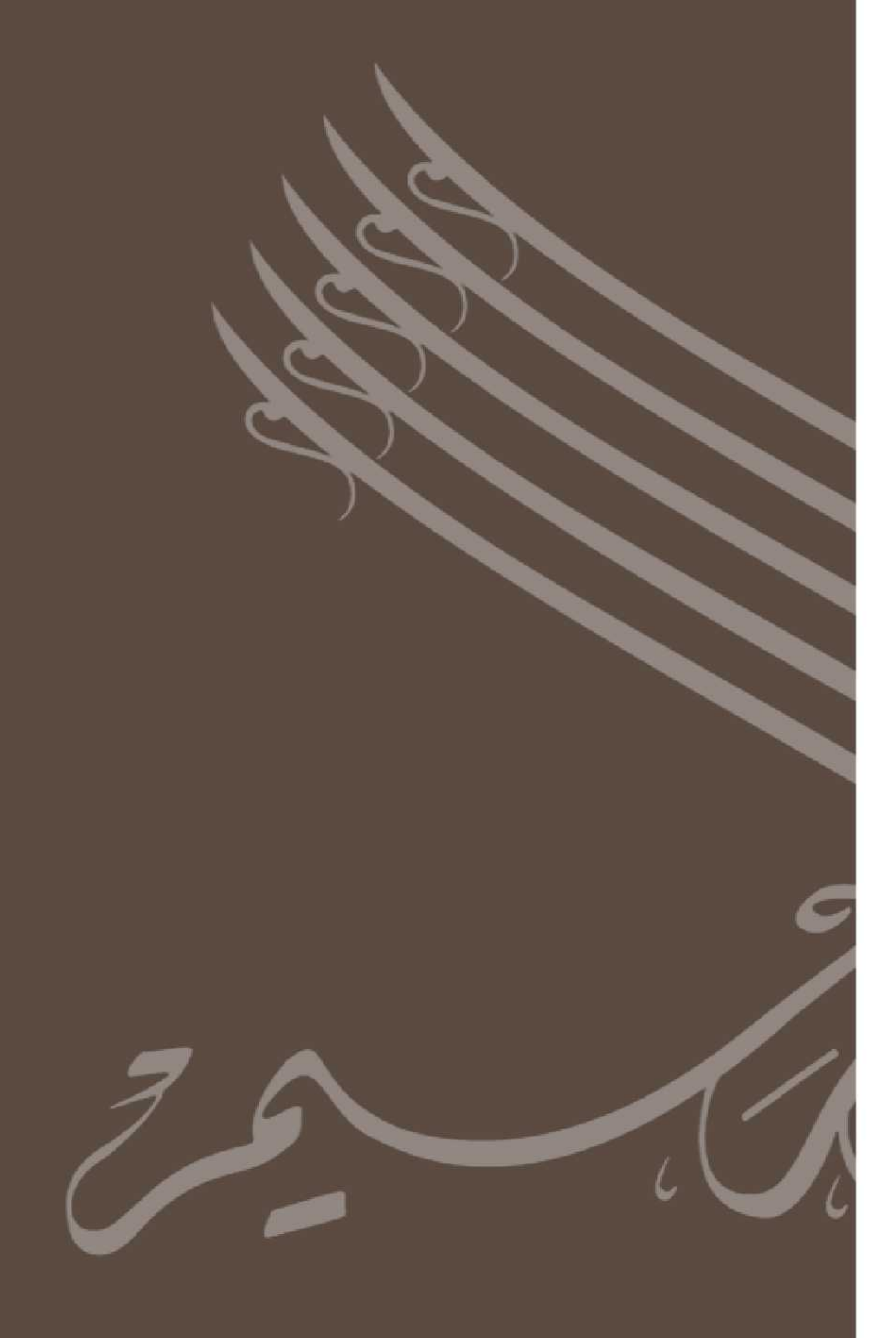


تقديم:

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

عبدالله بن عبدالعزيز الربيعة

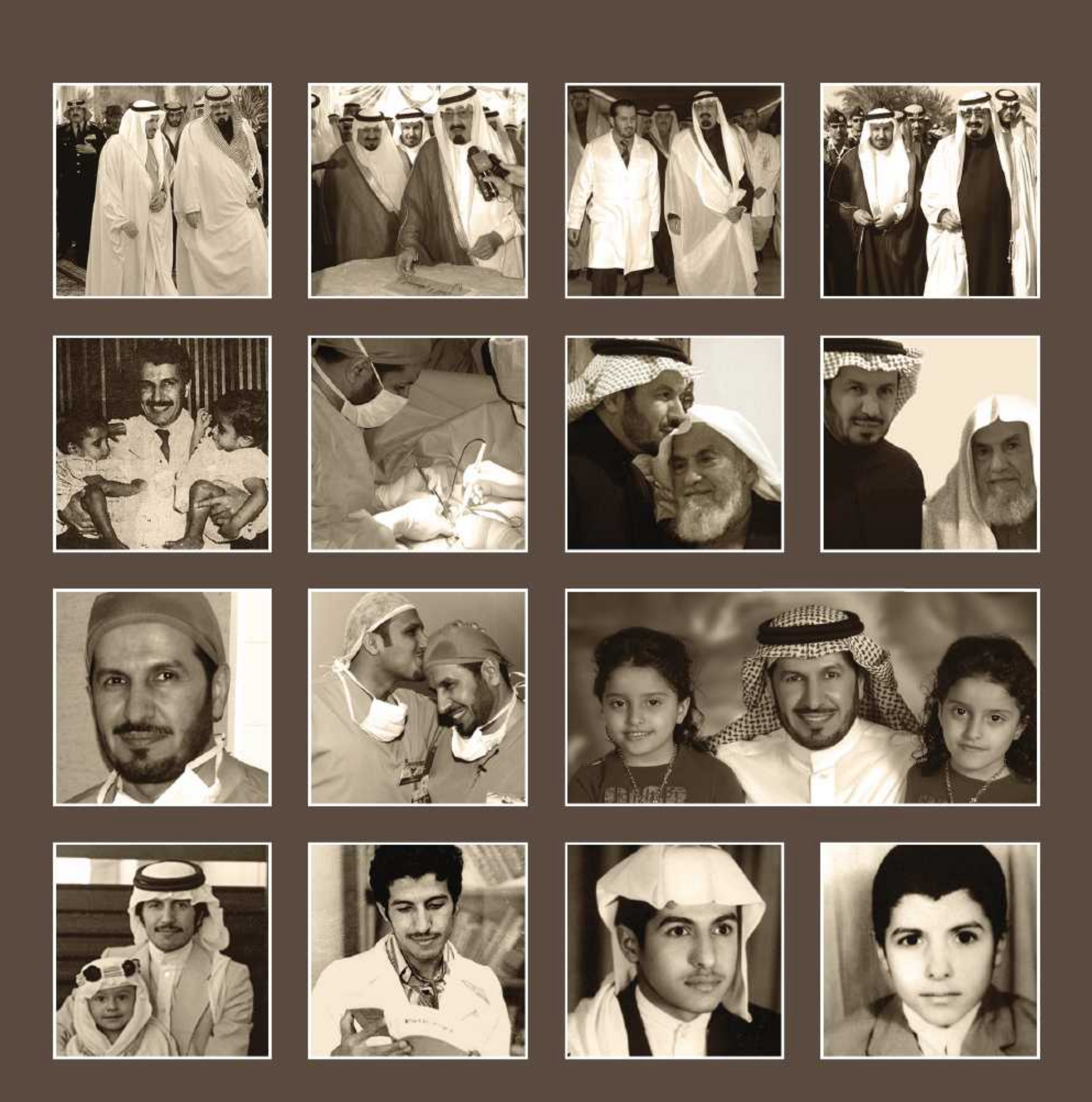








المحتويات:



إهـداء:

أهدي هذا العمل إلى:

- مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حفظه الله ورعاه.
- مقام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، حفظه الله ورعاه.
- وإلى والدي ومعلمي في الحياة متَّعه الله بالصحة والعافية.
- والدتي رحمها الله وأسكنها الفردوس الأعلى.
- زوجتي هدى التي آزرتني في مسيرتي العلمية والمهنية وضحَّت بوقتها وتحمَّلت بصبر مقتضيات ومتطلبات المهنة بما في ذلك إعداد هذا الكتاب.
- إلى من رضوا بنفس هنية انشغالي عنهم: ابني خالد، وبناتي: شذى وغادة وريم ونورة وسارة وهيفاء وهناء ومساهمتهم الفاعلة في هذ الكتاب.





تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي سخَّر لهذه البلاد الطاهرة أبناء مخلصين لدينهم ثم لوطنهم، عملوا بجدٍّ وتفانٍ لرفعة المملكة العربية السعودية والأمة العربية والإسلامية، وبرهنوا للعالم أجمع أننا شعب متمسكٌ بدينه ومحبٌّ للخير والعلم والسلام.

إننا إذ نفاخر بهذه الإنجازات وهي ولله الحمد كثيرة لنتذكَّر أن الرسالة المحمَّدية نبعت من هذه الأرض الطيبة، الأرض التي قدَّمت للعالم أكبر إنجاز حضاري على مرِّ التاريخ، وعليها أشرقت شمس التوحيد على يد مؤسس هذه البلاد المباركة الملك عبدالعزيز طيَّب الله ثراه، ولعل أبناء وبنات الوطن يستقون من ماضيهم ويعتبرون من حاضرهم دروسًا تعكس حقيقة المواطن السعودي الشريف.

إن هذا الكتاب يُوثِّق إنجازًا طبياً كبيرًا نعتزُّ به، كما نعتزُّ بإنجازات كثيرة في هذا الوطن الغالي، ويؤكِّد عملاً إنسانيًا تتشرَّف به المملكة العربية السعودية، ونسأل الله لمن قاموا بهذا العمل التوفيق والنجاح ولهم منا الشكر والثناء.

عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود



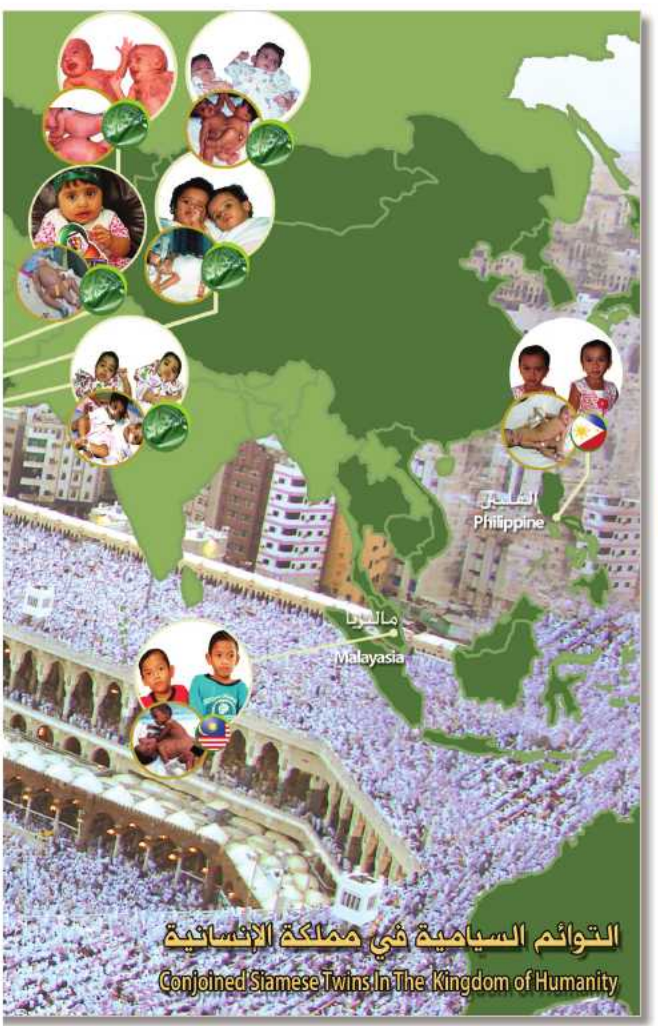
تمهيد:



التوائم الملتصقة أو (السيامية) معجزة حار بها العالم منذ مئات السنين، وتفاوتت ردود الأفعال إزاءها بين الأمم والشعوب، وتباينت المواقف والأحاسيس نحوها بين نفور وفضول، رفض وقبول، إشفاق وتشاؤم، لين وقسوة؛ بل وصل الأمر عند بعض المجتمعات إلى نبذ الظاهرة وتصنيفها نوعًا من أنواع الجنّ أو السحر كما حدث في أوروبا في القرون الوسطى.

وشكّلت هذه الظاهرة تحدياً كبيرًا للمهتمين بالطب والجراحة منذ قديم الزمان، وأقلقت ـ على ندرتها ـ ممارستهم المهنية، واستنفرت جهودهم ووسّعت دائرة محاولاتهم لإيجاد حلٍّ لهذا النوع من الاتصال والالتصاق الغريب بين المواليد، ومن ثمّ فقد تنوّعت طرق وأساليب تعاملهم مع الظاهرة، وتعدّدت أشكال العلاج عندهم بحسب موروثاتهم الثقافية والحضارية، فمنهم من عَمَد إلى جراحة بدائية على نمط القصابين في عمليات فصل التوائم، ومنهم من اجتهد في تطوير أسلوبه الجراحي.. ونتجتْ عن ذلك سلسلة من التجارب والخبرات الجراحية المختلفة التي تُوِّجَتْ في عصرنا الحاضر بمستويات متقدِّمة فتحتْ آفاقًا مهنية جديدة، وأشْرعتْ أبواب الآمال واسعة أمام الأطفال السياميين ليتأهلوا إلى حياة أفضل بإذن الله سبحانه وتعالى.

ولا بد من الإشارة في هذا المنحى إلى أن التاريخ الإسلامي لم يخْلُ من تجارب ومواقف مُشرِّفة في التعامل مع هذه الظاهرة، مواقف اقترنت بنظرة فاحصة ورؤية مُتمعِّنة مستهدفة الحفاظ على حياة المواليد، ومنطلقة من دوافع إيمانية خالصة وقاطعة بمبادئ هذا الدين الذي أعزَّ الله به الإنسان؛ هذا المخلوق الذي كرَّمه خالقُه عزَّ وجل وفضَّله على كثير من العالمين. واعتمادًا على هذا الإرث الثقافي وهذه القيم الإنسانية النبيلة؛ بذلت المملكة العربية السعودية جهودًا واسعة ومُقدَّرة في مجال الرعاية الطبية عمومًا؛ والعناية بهذه الظاهرة الخَلْقية الصعبة والمعقدة خصوصًا، والتي أضحت تحظى بنصيب وافر من اهتمام القيادة والجهات المختصَّة محلياً وعالمياً، ومن ثم فقد فُتح المجالُ أمام الأطفال المحتاجين ممن ينتمون لهذه الفئة من دول العالم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ودياناتهم.. وحقَّقتْ جراحات التوائم السيامية التي اتسمت بمهنية عالية نجاحًا مشهودًا وسمعة كبيرة على المستوى العالمي.





وبهذه الأريحية التي تتَّصف بها قيادتُنا الحكيمة؛ أصبح هذا الوطن أنموذجًا إنسانيًّا فريدًا تحكُم معاملاتِه وعلاقاتِه قيمُ التوادِد والتراحم والتقارب والتعاون والإخاء، وهي مناقب وخصال نابعة من أصل الإسلام، ومن عُمق هذا الدين الذي جعل من المملكة منارة شامخة تهِبُ الضياء والسِّلم والسَّلام للعالم، وأهَّلَها إلى أن تُجسِّد عن جدارة شعار: «السعودية مملكة الإنسانية».
ولم يأت كلُّ هذا من فراغ؛ بل ارتكز على لبِنات وأسسٍ لأعمال جليلة قدَّمتها المملكة للإنسانية وشهد بها القاصي والداني، ولا غرو أن تصبح بذلك مرجعًا عالمياً مرموقًا وخبرةً ثرةً في مجال جراحة التوائم السيامية، وأن تكون بحمد الله تربةً خصيبةً لإحدى أكبر الخبرات الدولية الطبية باعتراف الأوساط والمحافل العلمية العالمية.

وإحقاقًا للحق؛ تلزمنا الإشارة هنا إلى صاحب الفضل بعد الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين الشريفين عبدالله بن عبدالعزيز؛ فقد كان لدعمه ورعايته حفظه الله الدورُ الأساس والقِدْحُ المُعلَّى في رعاية هذه الخبرة الوليدة مما أهَّلها إلى تحقيق هذا التميُّز الوطني الرائد والفريد، إذ تبنَّى -أمدَّ الله - في عمره هذا المشروع وهو غَرْسةٌ طريَّة لم يشتد عودها بعد، وما فتئ يتابع مراحل نموه ونضجه عن قرب بصورة مباشرة ولصيقة تدفع وتُحفِّز على مزيد من الإتقان والتفاني، والحمد لله فقد عرفت أسرٌ عديدة من آسيا وأفريقيا وأوروبا مذاقَ ثمراته. وفي الوقت نفسه لم يكن وليُّ عهده الأمين صاحبُ السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظه الله بمنأى عن هذا الإنجاز الوطني؛ بل ظل يرفد ويدعم مسيرته، ويمنحه كثيرًا من وقته وجهده ورعايته حرصًا منه على تحقيق مزيد من التميُّز والبروز العلمي الذي يؤكِّد دور المملكة في كل المجالات؛ لاسيما الإنساني منها.



ولا بدَّ لنا من التنويه كذلك ببراعة ومهارة مجموعات منسجمة من جنود أوفياء سخَّروا علومهم ومعارفهم، ووظَّفوا كل طاقاتهم وأوقاتهم لوطنهم، ووهبوا له بتجرُّد ومشاعر صادقة جميع نجاحاتهم حتى وصل إلى العالمية علمًا وخبرة، وأعني زملائي وإخواني وأخواتي أعضاء الفريق الطبي والجراحي والكوادر المساندة.. فلهم من الجميع الشكر والعرفان.

وانطلاقًا من تجربتي في هذا المجال؛ رأيتُ أن من واجبي، ومن حقِّ الوطن عليَّ توثيق ما تحقَّق من نجاحات وإخراجَها بين دفَّتيْ كتاب أضعه بين يدي القارئ العربي؛ بل بين أيدي القراء كافة على اختلاف عقائدهم وثقافاتهم وأجناسهم وسحناتهم ومشاربهم، مؤكِّدًا في هذا الشأن على مقولة خادم الحرمين الشريفين عميقة الإشارة والدلالة: «إن هذا هو نجاح الأمة الإسلامية والعربية، ويُنسَب لهذه الأمة المؤمنة بدينها، والمحبة للسلم والسلام، والداعية إلى التآلف والتآخي والمحبة بين شعوب وأديان العالم أجمع»؛ محققين قول الله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس...**﴾ آل عمران آية (١١٠).

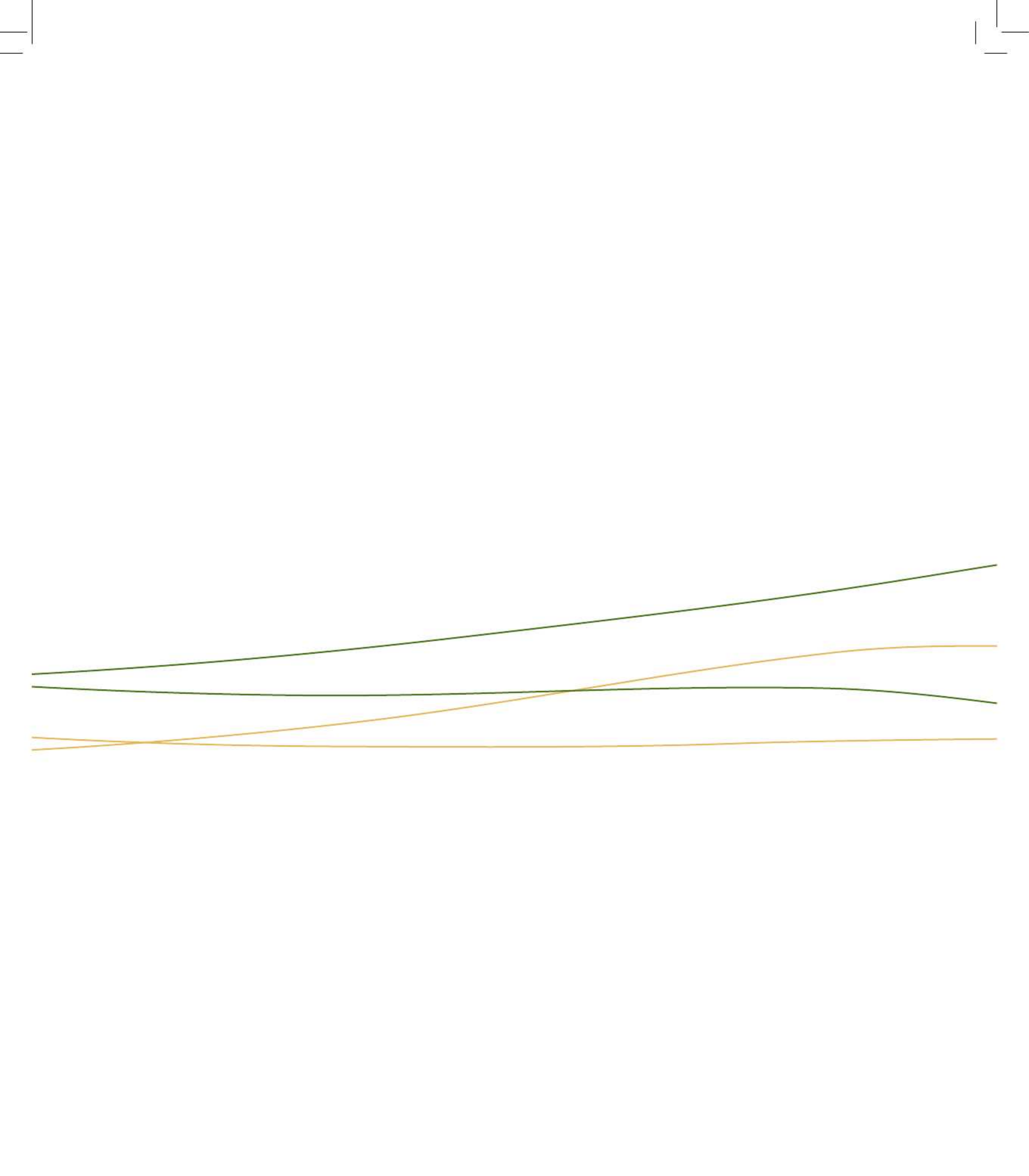
وأشكر الله عز وجل الذي ألزمني جانب التوفيق في هذا المضمار الطبي الجراحي المعقَّد، فمنه كنت استمد عزيمتي، وبعونه أشحذ إرادتي وهمَّتي، وما هممتُ بإجراء عملية إلا وقصدتُه في بيته المحرم في رحابه الطاهرة مكة المكرمة، ألجأ إليه ضارعًا مُخبتًا متوسِّلا، وأدعوه دعاء المنكسر أن يُسدِّد خطاي ويكتب النجاة والصحة والعافية للتوائم سلوة وراحة لقلوب آبائهم وأمهاتهم وذويهم حتى يتمتع فلذات أكبادهم وحبَّات قلوبهم بحياة طبيعية مثل أترابهم وأقرانهم.. حياة خالية من المنغصات والإعاقات، وبعيدة عن فضول الناس وتدخلاتهم.

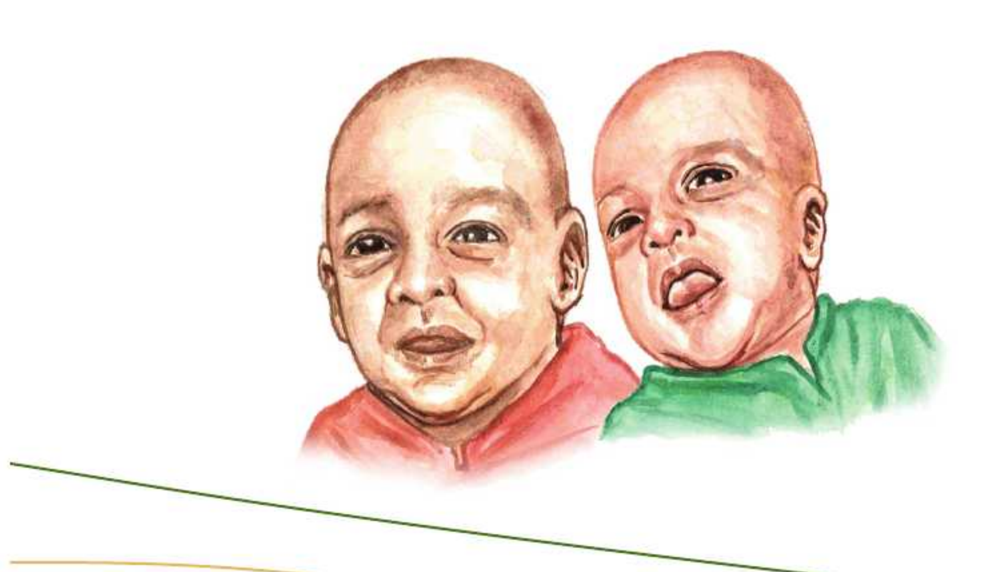
عبدالله بن عبدالعزيز الربيعة



الفصل الأول

التوائم التي فُصلت

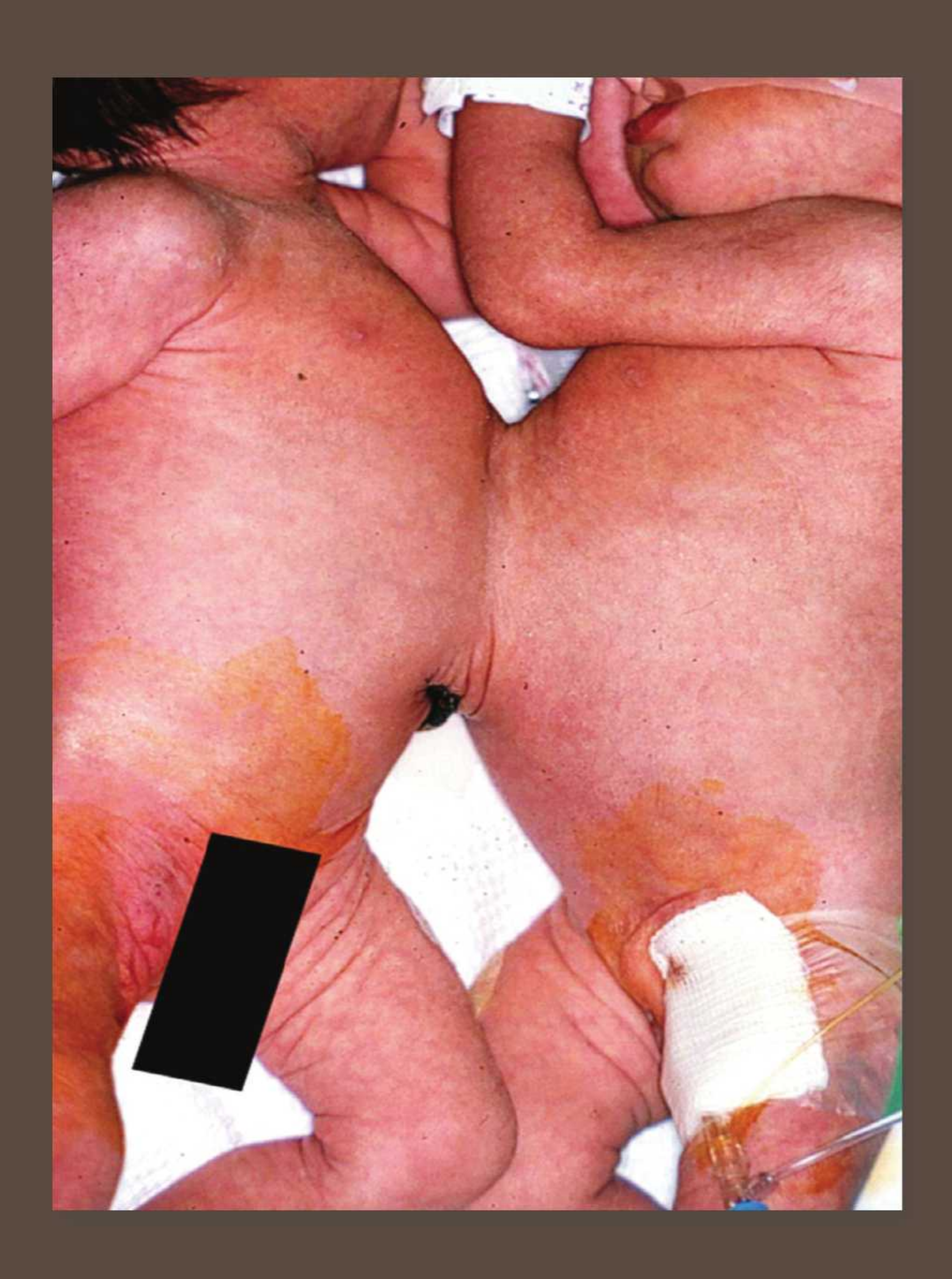




١

أول لبنة في البناء

جمادى الأولى ١٤١١هـ/ ديسمبر ١٩٩٠م



أول لبنة في البناء

جمادى الأولى ١٤١١هـ - ديسمبر ١٩٩٠م

باستثناء الأطفال والصغار، كان جميع أفراد أسرتي وأهلي وأقربائي مشدودين معي لتحقيق النجاح في أول تجربة لفصل توأم سيامي بالمملكة والوطن العربي، وهو توأم سعودي إناث. لم أكن مهمومًا بالعملية في ذاتها؛ لأن الحالة لم تكن معقَّدة كما أوضحت لي قراءتي للفحوصات والتحاليل؛ بل كنت واثقًا من قدرة الفريق الطبي على إثبات ذاتيته بوضع أول لبنة في أساسات الخبرة السعودية في هذا المجال الجديد، وكانت زوجتي هدى تتمتم بالدعاء عقب صلواتها وترفع أكف الضراعة بأن يكتب الله لي التوفيق في هذا المشوار.. أسفر صبح ذلك اليوم على درجة حرارة خفيفة تبعث الإشراق في النفس، فخرجتُ إلى المسجد ملبيًا نداء الله نشيطًا متوثِّبًا، ثم أشرقتْ شمسُه لتغمر الكون بضيائها وأشعتها المتكسِّرة، وتهبُ الإشراق لكل المبكرين إلى أعمالهم، ولكل العازمين على أن يهبوا - بتوفيق الله - الحياة لمرضاهم، ويرسموا الابتسامات على وجوه أسرهم، وأقصد الزملاء الأطباء والجراحين العاملين في مختلف المستشفيات والمراكز.

غادرتُ المنزل بهمَّة عالية وإرادة صادقة مصمِّمًا على كتابة أول سطر في أول صفحة من سِفْرٍ طبيٍّ وعلميٍّ سعوديٍّ، مستمدًا عزيمتي من ثقتي في الله جلَّ وعلا أولاً، ثم من حرص قيادة الوطن ومساندتها ومشاعرها الإنسانية العميقة ثانياً، ومستنفرًا همَّتي وطاقتي من تشجيع الأُسْرة والزملاء وجموع المصلين عُمَّار المسجد الذي نؤدي فيه جميع صلواتنا. تزامنت العملية مع آخر شهر من عام ١٩٩٠م الموافق لمنتصف عام ١٤١١هـ، فكان ذلك دافعًا لأن نُسجِّل للوطن فتحًا في آفاق جديدة مع بداية عقد جديد نُودِّع فيه القرن العشرين الميلادي ونستقبل الحادي والعشرين بإرهاصاته العلمية والطبية والمعلوماتية المتطورة والخارقة لحُجُب المستحيل..

دخلتُ مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض وأنا منشرح الصدر متبسِّمًا، وكانت هذه النفسية المرتاحة كفيلة بأن تضفي على كل فرد من أفراد الفريق الطبي نوعًا من الانبساط الذي أزال عنهم هاجس الترقُّب والتخوُّف، وزوَّدهم بوقود كاف من الثقة، وأشعل فتيلةَ الأمل في دواخلهم لإنجاح أولى تجاربهم في هذا المضمار. جلس أفراد الفريق حول مائدة التداول لمراجعة المعلومات المتعلقة بالفحوصات وحالة التوأم، ودرجة الاستعداد لإجراء العملية ونسبة نجاحها، تركت الفرصة للزملاء في البداية مستمعًا بعناية للتحليلات والآراء، ومحاولاً استنباط مشاعر القلق والتخوف التي قد تعكسها قسماتُ وجوههم وطريقة كلامهم، وبعد الاطِّلاع على تفاصيل الحالة اتفقنا جميعًا على أنها -لحسن- الحظ عادية وبسيطة أو خارج نطاق التعقيد والصعوبة؛ إذ اقتصر اشتراك التوأم السيامي على الجلد وجزء صغير من الكبد، ولذا اتخذنا قرارًا بإجراء عملية الفصل في الأسبوع الثاني من العمر.. نهضتُ فنهض الجميع معي متجهين صوب باب غرفة العمليات، وقبل أن ننقل خطواتنا داخلها التفتُّ إليهم وقلت: بسم الله، توكلنا على الله، اللهم كن معنا، وامنح الحياة للطفلتين.



أثناء العملية

توجس يصاحب البداية

غرفة العمليات جاهزة تمامًا من كل النواحي، أفراد الفريق خلية نحل، وإن كانت هناك علامات توجُّس تبدو على بعض الوجوه، أرجعتُ ذلك إلى المشاعر التي تصاحب الأطباء عادة عند مواجهة أول تجارب جراحية يخوضونها، لاسيما وأن عملية فصل توأم سيامي تعدُّ تجربة جديدة عليهم، تحدثتُ إليهم مؤكِّدًا على مهنيتهم العالية وقدرتهم على النجاح، ومستحثًّا على تحقيق التفوق، -كانت المسألة رغم ثقتي الكاملة وغير المحدودة في الطاقم الطبي- أشبه بتمارين الإحماء قبل ممارسة أي نشاط رياضي. بدأت العملية في صباح يوم الخميس ٢٥ جمادى الأولى ١٤١١هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٩٠م وأخذ كل مختص موقعه، وما أن أكمل فريق التخدير مهمته حتى بدأت المشارط والمقصات تعمل في مواقع الالتصاق وكأنها في ألفة وانسجام مع الجسدين الصغيرين، وظلت تتحرك بحذر وانتباه حسب خارطة المعلومات التي أمدتنا بها نتائج الفحوصات والتحليلات، حاولت أثناء العملية مؤانسة النفوس المتوجسة والمشفقة حتى ينساب عملها بالسهولة والسلاسة المطلوبة، وإن كنت أعلم أن والدي الطفلتين في الخارج قد يرون في ذلك مدعاة لتشتيت التركيز وإمكانية حدوث خطأ قد يُفقد بنتيهما حياتهما.. لم تستمر العملية أكثر من ثلاث ساعات أكملنا فيها عملية الفصل بنجاح حقيقي، تنهَّد الجميع من الأعماق علامة على الارتياح واكتمال المهمة على أحسن وجه بعناية الله سبحانه، وصفَّقت جدران المستشفى وأبوابها، وتجاوب معها الجمهور في كل مكان إيذانًا بارتياد آفاق جديدة في عالم الطب السعودي، وبدا واضحًا من تحركات والدة الطفلتين بين مرافقاتها أنها أكثر الناس سعادة بنجاح العملية، وتهلَّلت أسارير والدهما وانطلق لسانه يهمهم وكأنه عاجز عن التعبير عمًّا يجيش به قلبه في تلك اللحظة من مشاعر فياضة، ولم يملك إلا أن يرفع راحتيه بالدعاء لله جل وعلا، ثم بالشكر للفريق الطبي دون أن ينطق بكلمة واحدة ودموع الفرح تنساب على خدَّيه لتبلل الجزء الأعلى من ثوبه، إنها فعلاً لحظات تجيش فيها الأحاسيس، فما أصدق مشاعر الأب وأحناها وأعذبها على فلذة كبد وقطعة إنسان صغرى لا تعرف أي معنى للألم، ولا تدرك سببًا لتقاربها الجسدي الذي بلغ حدَّ الالتصاق.

بالطبع لا نملك جميعًا قدرة على قراءة المستقبل، فهذه قدرة إلهية تتجاوز عقولنا وعلومنا، وابتهلنا إلى الله جل وعلا بعد العملية مباشرة أن يمدَّ في عمر الأختين لتعيشا حياة حافلة بالعلم والمعرفة، ولتصبحا من الرموز التي تترك بصماتها في الحياة، ورجونا أن تكون مسيرتهما زاخرة بالفعل الطيب والعطاء والإنجاز تمامًا كما يحدثنا التاريخ عن بعض التوائم السيامية التي كان لها دور كبير في التاريخ البشري.

اختزال زمن الجراحة

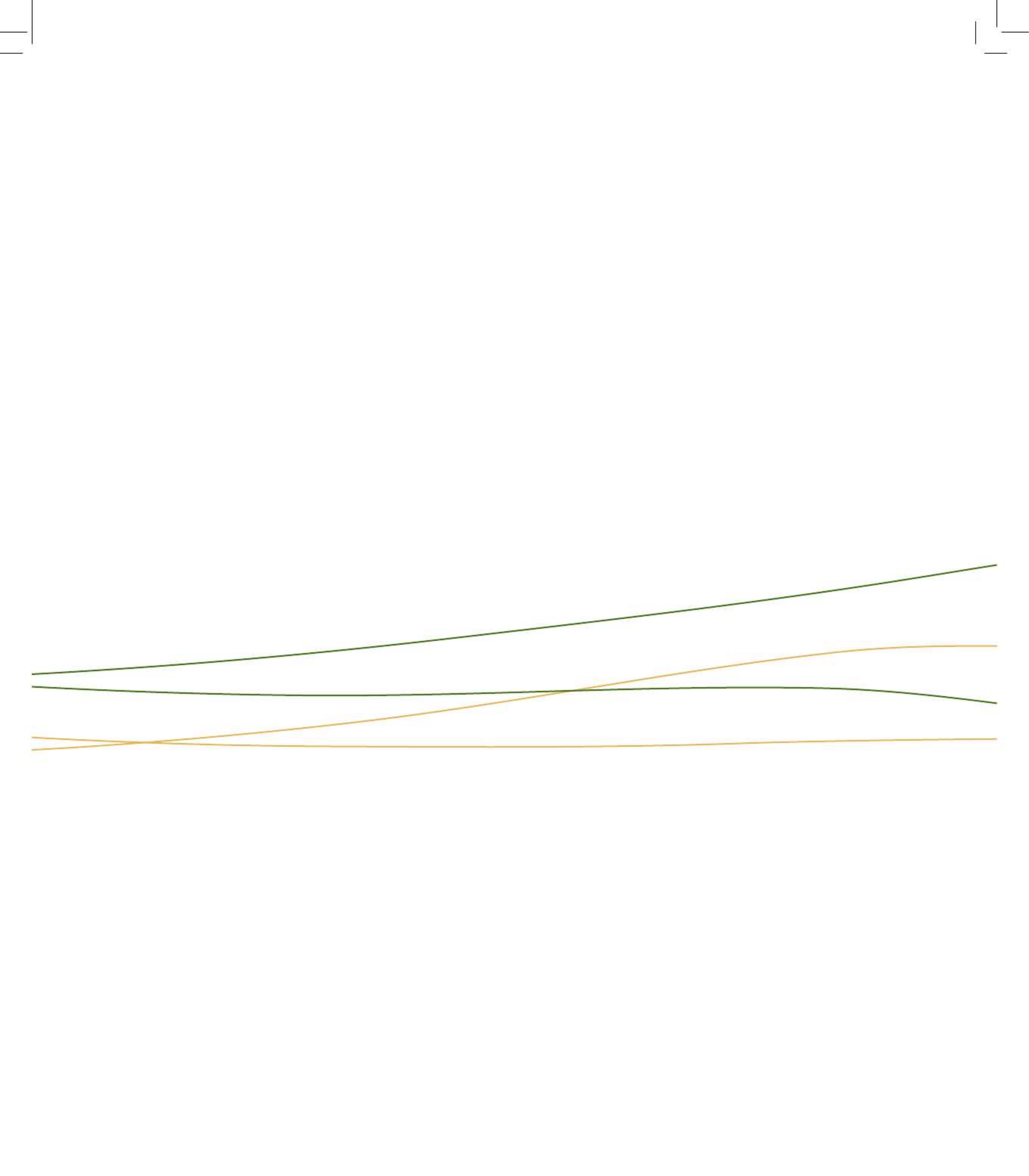
كانت تجربة فصل التوأم السيامي السعودي الأول عظيمة وفريدة ومحفوفة بمشاعر إنسانية عميقة ومتداعية، وظلت حواس جميع العاملين في القطاع الصحي مشدودة إلى غرفة العمليات، بينما يكاد قلبا الأبوين يخرجان من مكانيهما، ونبضاتهما تعلو وتتسارع كأنها تستحثنا على الإسراع، وتستعطفنا الرفق بالجسدين الرقيقين الشفيفين كجناحي فراش، وجميعنا أعضاء الفريق



التوأم بعد الفصل

الطبي كان يستشعر هذه المراقبة والترقُّب لإنقاذ الطفلتين وإيداع أول نجاح في سجلاَّت إنجازات الوطن التي ستكتب بأحرف من نور، ولذلك اختزلنا زمن الجراحة في ثلاث ساعات وكأننا نستعجل إضافة هذا الإنجاز إلى تاريخنا العربي والإسلامي المجيد الذي أهدى للإنسانية اكتشافات طبية مؤثرة.. انتهت العملية ونُقلت الطفلتان إلى غرفة العناية المركزية يتبعهما الأطباء المكلفون بالرعاية، هنأ بعضنا بعضًا، وعند الباب كان الأب يسابق الجميع ليصافحنا مطمئنًا على سلامة وصحة الصغيرتين.

وفي تلك اللحظة التفتَ أحدُ أعضاء الفريق وتساءل: أين وسائل إعلامنا المحلية والعربية من هذا الإنجاز؟! استغربنا السؤال في البداية؛ فاللحظات كانت مشحونة بوجدانيات ومشاعر متداخلة تتراجع معها فرص التفكير المتزن؛ ولكن بعد هنيهة اتَّضحت لنا رجاحة السؤال ومناسبة توقيته.. فعند باب الخروج من غرفة كانت مسرحًا لعمليات دقيقة وفريدة مثل هذه؛ عادة ما يصطف الصحفيون والإعلاميون الباحثون عن السبق الصحفي، المدركون لأبعاد الفعل إنسانياً ولأهميته وطنياً وإقليمياً ودولياً. مدَّ أحدهم لسانه وفتح راحتي يديه وقال متأثرًا ومستهجنًا إحجام الإعلام عن هذا الحدث المهم: من المؤسف أن يتخلَّفَ إعلامُنا العربي عن تجربة غير مسبوقة كهذه، لو كان الأمر عَرْضًا غنائياً أو كروياً لتسابقت الفضائيات والصحف وتدافعت عليه بأجهزة تسجيلها وعدسات كاميراتها وميكروفوناتها!! قال أحدهم ساخرًا: ربما لا علمَ للإعلام بالعملية وموعدها، وهذا حال (الإعلام الجالس) الذي تأتيه المعلومة في مكانه دون أن يسعى إليها.. غدًا يعلمون ويدركون أهمية هذه الخبرة للوطن ويكونون معنا بإذن الله. في غرفة العناية المركزة أقبل الأب على ابنتيه وانكب عليهما يقبِّلهما مقاومًا أوامر المنع من كادر التمريض والمتابعة، ولكن عاطفة الأبوة كانت أقوى من الاستجابة لمثل هذا الأمر... والحمد لله الذي استجاب لدعاء الجميع، فالبنتان ما زالتا تتمتعان الآن بصحة جيدة وقد بلغتا من العمر ١٨ عامًا.







أمل جديد

شعبان ١٤١٢هـ/ فبراير ١٩٩٢م



أمل جديد

شعبان ١٤١٢هـ - فبراير ١٩٩٢م

ما أعذب التعامل مع الأطفال، وما أجمل الحركة في بيئة يشكلونها بابتساماتهم الصافية، أو حتى بشقاوتهم وأنينهم وصراخهم، أو بنشاطهم الذي لا يفتر وإن كانوا على أسرَّة المرض. كنت أعمل بقسم جراحة الأطفال بمستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، هذا القسم المتخصص الذي يقتصر تعامله على المواليد والرُّضع ومراحل الطفولة الأخرى حتى سن الرابعة عشر، قسمٌ اكتسب فريقه الطبي عبر التدريب والممارسة قدرة على التعامل السلس والمرن مع هذه الفئات العمرية. واعتدنا فيه على استقبال حالات صعبة ومعقدة تحوَّل إلينا من كافة أنحاء المملكة والدول المجاورة. ولا شك أن التعامل مع الأطفال له جوانب تختلف كثيرًا عن غيرها لدى البالغين؛ فالوجوه بيضاء نقية، مكسوَّة بالبراءة والعفوية والبساطة، والألسنة لا تنطق إلا صدقًا، والأمانة سلوك فطري، وصفاء السريرة هو الملمح المُميَّز، ولذا فإن شكواهم عادة ما تكون نابعة من القلب وتعبيرًا عن معاناة حقيقية، فالأطفال لا يعرفون الكذب، ولا يراوغون ولا يبالغون في وصف ما يحسون به. وبسبب يفاعتهم وأجسادهم اللَّدنة تكون قابليتهم للمرض سريعة، ولكن في الوقت نفسه فإن استعدادهم الفطري للشفاء بإذن الله يختزل كثيرًا من فترات علاجهم إذا ما أحيطوا بالعناية اللازمة.

في غرف القسم وأروقته كان تعاملنا مع الأطفال يتسم دائمًا بالحب والحنان والملاطفة، نعاملهم باعتبارهم جزءاً منا، تمامًا مثل فلذات أكبادنا، ويبدأ تواصلنا معهم في السابعة صباحًا ويمتد حتى منتصف الليل وقد يتجاوز ذلك أحيانًا إلى الساعات الأولى من الصباح تبعًا لمتطلبات العمل المشحونة بالمفاجآت وعناصر التحدي، ولا عجب إذن أن تسود تحت مظلة هذا النوع من التعامل الإنساني روح الأسرة بين الأطفال وأقاربهم ومعالجيهم، وذلك لإدراكنا أن الطفل يجب أن يحس بالألفة، وأن يُحاط بعطف التعامل الأبوي، ويطوَّق بمشاعر الحنان مع إشاعة جو المرح والمداعبة المستمرة.. فهذه الروح تدفعه إلى قبول العلاج دون رفض أو تمنُّع أو صراخ.

في جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق ديسمبر من عام ١٩٩١م وردت إلى إدارة المستشفى تقارير طبية تخص طفلتين بريئتين من جمهورية السودان الشقيقة هما سماح وهبة، وانتهت هذه التقارير إلى مكتبي، شرعتُ في قراءتها عدَّة مرات بتأن وإتقان، ودرستُها بعناية دراسة وافية، كما استعرضتُ وطالعتُ بإمعان وتركيز الصورَ المرافقة، فاتَّضح لي وجود اتِّصال كبير بين الطفلتين. حالة نادرة وغريبة لم نتعامل مع مثلها من قبل في المملكة العربية السعودية، دفعني هذا إلى قراءة ومراجعة الأبحاث والخبرات العالمية في هذا المجال باستفاضة، وبعد عدة أيام من الدراسة المتواصلة ارتفعت مشاعري الإنسانية إلى ذروتها، وانبعث في داخلي نداء بضرورة محاولة مساعدة هذا التوأم مهما كانت صعوبة الحالة، أيقنتُ صواب قراري برغم ما انتابني حينها من قلق وخوف حين تصورت ما يمكن أن يواجه التوأم من مشكلات، ولذا كان ردِّي لإدارة المستشفى بضرورة حضور التوأم ودراسة حالته عن كثب كي يتسنى لنا معرفة مدى إمكانية مساعدته.





سماح وهبة عند وصولهما

التصاق معقد

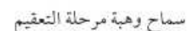
هاتان الطفلتان ولدتا بعملية قيصرية في أحد مستشفيات السودان، وفوجئ فريق الولادة بتوأم ملتصق التصاقًا معقدًا فحاروا وعقدتْ الدهشةُ ألسنتهم في تلك اللحظة، بينما تعرَّض الأبوان لصدمة كبيرة وقلق شديد؛ صدمةالمشكلة وصدمة القلق من عواقب الالتصاق. تغلَّب عمر والد التوأم على آثار الصدمة وزال عنه الشعور بالقلق، فهدأ وبدأ يفكر ويبحث عن حلٍّ في مستشفيات بلده دون جدوى؛ فالخبرة في هذا المجال غير متوافِّرة، والمستشفيات تفتقر إلى الأجهزة والمعدات اللازمة التي تمكنها من التعامل مع مثل هذه الحالات الصعبة، لم ييأس ولم يجلس حزينًا مستسلمًا؛ بل شحذ همَّته وتحرَّك في عدَّة اتجاهات، اتصل ببعض الدول العربية والمجاورة ولكن خاب أمله وحار في أمره، ثم أشرق في داخله شعاع من الأمل بأن أوروبا ربما تكون هي الملاذ. رمي بصره إلى المستشفيات الشهيرة ذات التقنية الرفيعة والتكاليف العالية في ألمانيا وبريطانيا، حاول الاتصال بها عبر جمعيات خيرية عديدة؛ ولكنه لم يوفق إلى حلٍّ. وقبل أن يتلبَّسه شعور بالإحباط؛ شاء الله أن يعود الأمل إلى قلبه حين هبَّ بعض أقربائه في المملكة العربية السعودية إلى مساعدته عن طريق الاتصال بمعالي الدكتور محمد عبده يماني الذي اطَّلع على التقارير ووعد برفعها إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله. وبالفعل وجَّه طيب الله ثراه بإحضار التوأم من السودان إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي. اكتملت دائرة الأمل في قلب عمر وزوجته حين علما بهذا التوجيه الكريم.

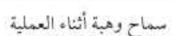
بعد أسابيع قليلة استقبلنا التوأم برفقة والديه في جناح جراحة الأطفال (أ ٢) بالدور الثاني من المستشفى واخترت له غرفة مجاورة لكوادر التمريض لمساعدتهم في سرعة الوصول إلى التوأم الذي بلغ عمره في ذلك الوقت ١٥ شهرًا.. وشرعنا على الفور في إجراء فحوصات كاملة وشاملة، وطلبت بعض الفحوصات الأساسية، ثم جلستُ مع والدي الطفلتين لسماع القصة منهما والتعرف على طبيعة تعاملهما معهما. أخبراني بكل صراحة وشفافية أنهم يعانيان مشكلة كبيرة في التعامل مع توأم ملتصق بالجسد، ويجدان صعوبة في حمله خاصة بعد أن وصل عمره إلى ١٤ شهرًا وازداد وزنه، وهذا عدا فضول أبناء المجتمع وأسئلتهم الكثيرة وتدخلهم في شؤون الأسرة؛ مما جعلها تلزم البيت اتقاءً لهذا الفضول. وبعد الإلمام بتفاصيل القصة أكدتُ لهما أن التوأم سيحظى بعناية كاملة من الفريق الطبي مع المحافظة على خصوصيته وسريته، ولذلك منعنا زيارته حفاظًا على مشاعرهما. ثم أطلعتهما على خطواتنا القادمة التي ستقترن بشفافية كاملة في التعامل بيننا وبينهم..

حالة فريدة

بدأت بتشكيل أول فريق طبي وجراحي للتعامل مع التوأم ضم الزملاء في التخصصات المختلفة، والتقيتُ بهم جميعًا في غرفة الاجتماعات بالجناح (أ٢) وشرحت لهم وضع التوأم، مع عرض لبعض الصور وما توصلتُ إليه من اطِّلاعي على الخبرات العالمية، ووزعتُ عليهم بعض الأبحاث، ثم تناقشنا وقررنا إجراء الفحوصات الأساسية، وأخرى بالأشعة العادية والأشعة الملونة للجهاز الهضمي وأشعة صوتية للقلب ومقطعية ومغناطيسية وغيرها من الأشعات والفحوصات الدقيقة. ثم طرح بعض الزملاء تساؤلاً حول إمكانية التضحية بتوأم على حساب الآخر؟ مُعلِّلاً وجهة نظره بأن إحداهما ذات جسد هزيل وتبدو ضعيفة




سماح وهبة مرحلة التعقيم


سماح وهبة أثناء العملية

مقارنة بأختها، بجانب وجود فراغ كبير في الجسد تصعب تغطيته!! غير أن هذا التساؤل المقبول من الناحية الطبية قد لا يجد له مخرجًا فقهيًا أو شرعيًا يجيزه. أخضعنا الموضوع لمناقشات مستفيضة في اجتماعات مطولة شابتها بعض الاختلافات بيننا، وكانت نبرة النقاش ترتفع أحيانًا وتحتد بين موافق ينطلق من وجهة نظر طبية محضة، ومعارض يُقدِّم الرأي الفقهي على الطبي، غير أن الغالبية كانت تعارض ذلك، وفي النهاية اقترحت عليهم الاستئناس بالرأي الشرعي والاتصال بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فربما يزودنا بحكم شرعي قاطع يكون فاصلاً في هذا الشأن. واتفق الجميع على تكليفي بهذه المهمة.. وعقب الاجتماع طلبنا الفحوصات التي اتفق عليها الزملاء. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن حالة التوأم كانت فريدة من نوعها، حَّركت في دواخلنا ـ كفريق طبي ـ نوازع إنسانية، وطرحت أمامنا تساؤلات واستفهامات طبية كان لا بد من الحصول على إجابات حاسمة عليها، ووضعتنا أمام تلك الملابسات الفقهية التي لزِمَنا بحثها. ولأول مرة تتحول مائدة طبية بحتة إلى قاعة مناقشات تسعى إلى استطلاع الرأي الفقهي والشرعي، وتحاول استدعاء البُعد الأخلاقي الإنساني الذي لا يفصم عرى الارتباط والتداخل بين مهنية الجراح وإنسانيته، كان الحوار ممتعًا وشائقاً بالفعل؛ وإن تصوَّر بعض الناس أن ثقافة الجراحين لا تتعدى دقة التشخيص وحركة الأنامل والمشارط والمقصات.. لقد استطاع الأطباء فعلاً ربط المهنة بالفقه، والاحتكام فيما يتعلق بمتطلباتها وضروراتها إلى الشرع، وحين يُقرِّر الفقة أو يُصدر الشرعُ حكمَه؛ يتوقف المشرطُ ويتحول المقصُّ آلة حروناً.

حوار مع الشيخ ابن باز

في اليوم التالي اتصلت عبر الهاتف بالشيخ ابن باز رحمه الله، ومن المعلوم أن هاتف سماحته مشغول طوال الوقت، يتلقى اتصالات من كافة أنحاء المملكة العربية السعودية وخارجها. وبعد عدة محاولات سنحت لي فرصة الحديث إليه، وكان وهو يحدثني لطيفًا سمحًا، ولما عرَّفته بنفسي؛ حيَّاني أطيب تحية ورحَّب بي ترحيبًا حارّاً ينمُّ عن أريحيته المعهودة ودار بيننا حوار ممتاز شرحتُ له خلاله المشكلة التي نحن بصددها، وعرَّفته بأبعادها، وكانت هذه أول حالة يسمع بها وتمثلت استفسارات فضيلته والاجابات عليها فيما يلي:

- **ما هي التوائم السيامية؟**

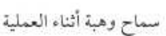
– إنها ظاهرة خِلْقية طبيعية نادرة الحدوث، وهي ناتجة عن بويضة ومشيمة واحدة، ويولد التوأم قبل اكتمال انفصاله، فيخرج الطفلان ملتصقين ومتشابهين ومتطابقين، ويطلق على الظاهرة مسمَّى (التوائم السيامية) نسبة لسيام الاسم القديم لتايلند، وهناك أنواع عديدة للالتصاق، فإما أن يكون في منطقة واحدة أو أكثر من الجسد أو الرأس.

- **وما رأي الفريق الطبي في الحالة الماثلة أمامه الآن؟ وما هو الراجح عند غالبيتهم؟**

– معظمهم لا يرون التضحية بتوأم على حساب الآخر طالما تتوافر أعضاء الحياة لدى كل منهما.

أظهرت هذه الأسئلة حرصا من سماحته على الإلمام بتفاصيل الظاهرة والرأي العلمي حولها وامكانية جراحتها وغير ذلك من المعلومات التي تُمكِّنه من بناء حكم فقهي سليم.




سماح وهبة أثناء العملية


هبة بعد العملية مباشرة

وبعد أن ألمَّ بكل التفاصيل شأنه شأن العلماء الذين يؤثرون الاستماع أكثر من الحديث طلب مني الاتصال بعد يومين ليجد متسعًا من الوقت لدراسة الحالة ومشاورة أهل الفقه، وبالطبع فإن الأناة والتريث والدراسة ومناقشة الفقهاء من أهم سمات العلماء، وهذا ما زاد من إعجابي بسماحته رحمه الله.

وبعد يومين اتصلت به؛ فأكدَّ لي بثقة العالم الفقيه أن الرأي الشرعي يتفق مع الرأي العلمي بضرورة المحافظة على حياة الإنسان وعدم التضحية بطفل على حساب الآخر، واتفاق رأي أهل الفقه مع رأي العلماء من أهل الطب يؤكد ألا تعارض بين الدين الإسلامي والعلم؛ بل على العكس فإن الفقه يؤيد العلمَ، وهناك تواصلٌ بين العلم والشرع.. أعربتُ لسماحته عن شكري وامتناني، فشكرني بدوره وهو يدعو للفريق الطبي بالتوفيق وللتوأم بالصحة والسلامة. وضعتُ سماعة الهاتف وخرجتُ بعد هذه المحادثة بانطباع عن أهمية التزام الفتوى بأسلوب المعاصرة، وأقصد رجوع الفقهاء إلى المختصين في مختلف فروع العلم والمعرفة حتى يخرج الحُكم سليمًا غير متعارض مع العلم أو الفقه، ومراعيًا لواقع العلم ومستجداته.. دعوتُ الزملاء لاجتماع عاجل وأطلعتهم على الرأي الشرعي ورأي الفقه كما أفاد به سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله، فاتفق الجميع على عدم التضحية بتوأم على حساب الآخر، وعلى ألا يكون الطبيب أو الجراح أداة للقتل؛ بل وسيلة للإبقاء على حياة الإنسان وكرامته بإذن الله.

دراسة الحالة

وبعد اكتمال الفحوصات عقدنا لقاءً آخر بمشاركة الزملاء من قسم الأشعة، وراجعنا ودرسنا بعناية طوال ساعتين الوضع السريري للتوأم والصور والفحوصات المخبرية وصور الأشعة، واتضح لنا وجود اتصال كبير بين التوأم يشمل الصدر والبطن والحوض مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحد لكل منهما وثالث مشترك ومشوه ولا يفيد أيًا من التوأمين. كما تبيَّن وجود اشتراك في الأعضاء الداخلية: الكبد والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة وفتحة الشرج والجهازين البولي والتناسلي السفليين. وبعد استعراض هذه الفحوصات ثار بيننا تساؤل آخر حول إمكانية الاستفادة من الطرف الثالث لأيٍّ منهما؟ فأشرت على الزملاء بوجوب اعتماد قرارنا على دراسة متأنية ومتعمقة مصحوبة بمراجعة مستوفية للأبحاث التي تناولت حالات شبيهة أو مماثلة، ثم معرفة ما اكتسبه المتخصصون من خبرة في هذا المجال على مستوى العالم، وفي ضوء هذه الدراسة والاطِّلاع على تجارب الآخرين؛ اتفقنا على الاستفادة من الطرف الثالث المشوه في تغطية الفراغ بالجلد بعد الفصل، وثبت لنا أن إمكانية الفصل واردة مع المحافظة بإذن الله على حياة البنتين. استغرقت دراسة الحالة وقتًا ليس بالقصير، وحدَّدنا أسبوعين للاجتماع التالي لتكتمل خلالهما مراجعة الأبحاث والخبرة العالمية كي يتسنى لنا اتخاذ القرار النهائي، وفي هذا الاجتماع ناقشنا كل تفاصيل الحالة من جديد، واستعرضنا الأبحاث العلمية العالمية، ووضعنا تصورًا نهائيًا لعملية الفصل التي حددنا لها يوم السبت ٤ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٨ / فبراير / ١٩٩٢م، على أن تسبقها بثلاثة أيام عملية تجريبية وهمية، أي في يوم الأربعاء ٥ فبراير ١٩٩٢م. وطلبتُ وضع خطة لتخصص كل فريق تتضمن متطلباته من أجهزة ومعدات، وبعد أسبوعين التقينا لمراجعة هذه الخطط، ثم جمعتُ كل تلك التفاصيل في خطة واحدة كاملة للعملية الجراحية.. وكنت حريصا على الالتقاء بوالدي التوأم عقب كل اجتماع لأشرح لهما



صورة الفريق الطبي



فرحة الخروج من المستشفى



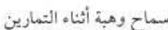
تفاصيل ما ناقشناه ولعرض ما توصلنا إليه من فحوصات، ولإطلاعهما على رأي الفريق الطبي والمضاعفات والصعوبات التي ستواجه التوأم، وأوضحت لهما في النهاية أن إمكانية الفصل واردة، غير أن نسبة خطورتها على التوأم تبلغ ٤٠٪ وربما تصل إلى الوفاة أو الإعاقة، وبعد التشاور معهما وافقا على إجراء العملية وكانت لديهما ثقة عالية في الفريق الطبي وفي نجاح العملية. وفي اليوم المحدد للعملية حضر كافة أعضاء الفريق الجراحي، وأطلعتُهم على الخطة الجراحية الكاملة التي وضعتها لتنفذ على عشر مراحل، وبناءً عليها توقعنا أن تستغرق مدة العملية عشرين ساعة كاملة. درسنا الخطة وأحضرنا التوأم وتأكدنا من جاهزية غرفة العمليات وجاهزية الفريق الجراحي، وحدَّدتُ أماكن الجراح. روجعت الخطة عدة مرات بحضور والد التوأم، شرحنا له التفاصيل بدقة، وفي النهاية ودعتُ الزملاء بابتسامة وطلبت منهم الخلود إلى الراحة والابتعاد عن السهر ومسبِّبات الإزعاج ليلة العملية، واتفقنا على الاجتماع في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي بغرفة العمليات.

بداية تحدٍ حقيقي

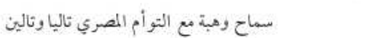
سماح وهبة شكلتا بداية التحدي الحقيقي للطب الجراحي السعودي لتجاوز تعقيدات الالتصاق، فالخبرة ما زالت في بداياتها كطفل لم يكمل عامه الأول ويحاول التفوق على نفسه ليقف على قدميه، بل ليمشي وينطلق خارج المساحة المحدودة التي يحبو داخلها.. التوأم قادم من خارج المملكة، من دولة عربية إفريقية شقيقة، إذن خبرتنا الآن تحت المجهر عربياً وإفريقياً، وهذا يعني قدرًا من التسامي والتجرُّد عن أي توجُّس أو إحساس باحتمالات الإخفاق أو الفشل، سمعة الجراحة السعودية على المحك عبر تجربتها الثانية بعد فصل التوأم السعودي الأول قبل ذلك بعام ونيف.. قَبِلْنا المهمة رغم صعوبتها ودرجة المخاطرة الكبيرة فيها، ولكن الدوافع الوطنية وتطور الإمكانات والتجهيزات الطبية في بلادنا، وما تتمتع به كوادرنا من مهنية عالية ومشاعر إنسانية دافقة؛ كانت كلها كفيلة بأن تُحفِّزنا مجتمعة، وتُضاعف إصرارَنا على تثبيت خطانا في هذا المجال العلمي الإنساني، وقبل كل ذلك كانت الاستعانة بالله ملاذنا ووقودنا، ومصباح الضياء في رحلة لقهر الصعاب وهزيمة التحديات.. لا مساومة في قدرتنا على إثبات ذاتيتنا وإضافة خبرة جديدة إلى سمعة الطب في بلادنا، هذه السمعة المجيدة التي بُنيت في فترة وجيزة لا تكاد تتعدى عقدين من الزمان، ورفعتنا إلى أعلى عتبات الريادة.

في ليلة العملية أخلص الجميع - والدي وزوجتي وابني وبناتي وأهلي - الدعاء إلى الله جل وعلا أن يوفقنا، كان الكل يفكر في هذه العملية ونتائجها، فشعرتُ وكأن جو العملية انتقل من المستشفى إلى المنزل، وأن هناك فريقًا طبياً آخر من الأهل يتابع هذه العملية.. تناولتُ عشاءً خفيفًا وحاولت الخلود إلى النوم، ولكن انتابني بعض الأرق، وشغلني التفكير في العملية وتفاصيلها قسطاً كبيرًا من الليل، وإزاء ذلك لم أجد بداً من تناول قرص دواء يساعدني على النوم، وبالفعل نمت حتى وقت صلاة الفجر، ثم ذهبت إلى المسجد وصليت ركعتين سألتُ الله بعدهما أن يعيننا في هذه التجربة، رجعتُ إلى المنزل وأخذت إفطارًا خفيفًا، ثم ودعتُ أسرتي واتجهت إلى المستشفى، كان منزلي قريبًا منه أو داخل رحابه، ولذلك انطلقتُ مشيًا على الأقدام مع أنفاس الصباح بخطوات بطيئة متئدة متأملاً لحظة شروق الشمس، وأربط إشراقها بإشراق الحياة في جسدي الصغيرتين إن





سماح وهبة أثناء التمارين



سماح وهبة مع التوأم المصري تاليا وتالين

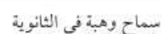
شاء الله تعالى، أوحى إليَّ الشروق بنجاح هذه العملية التي لم يفارقني التفكير فيها طوال الطريق، وربما لم أكن متنبهًا لمن قابلني أو حيَّاني. وصلت إلى باب غرفة العمليات والتقيت بالزملاء وجلسنا لإجراء مراجعة نهائية للخطة الجراحية، ولوضع اللمسات الأخيرة على بداية مهمة صعبة للغاية.

وبعد أن تهيأنا لإجراء الجراحة استدعيتُ والد التوأم (عمر) بغرض إطلاعه على ملابساتها وصعوبتها ونسبة نجاحها.. اضطرب قليلاً، وتفصَّد جبينه عرقًا رغم انخفاض درجة الحرارة في الغرفة المكيفة، وبلغ منه التأثر مبلغه، وقال بنبرة حزن وعيناه تبرقان بالأمل، وجوارحه متخاذلة وكأنها في حالة من الضراعة والخشوع: امضوا على بركة الله، وما شاء جل وعلا سيكون، وتابع: لقد تضاءل في نفوسنا الأمل ونحن ننتقل من مستشفى إلى آخر، وأرسلنا تقارير عن هذه الحالة إلى المملكة المتحدة وألمانيا.. ولكن حين جاءنا الردُّ سريعًا من المملكة العربية السعودية استبشرنا خيرًا، وسبقته مبشرات عن نجاح بدايتكم، والله سيكون معنا ومعكم، ونسأله جل وعلا لكم التوفيق والسداد. ثم خرج من الغرفة وخيِّل إليَّ أن السكينة تتنزَّل على قلبه العامر بالإيمان. شدَّت كلماته عزماتي، وزاد صبرُه من مقدار ثقتي في إمكانية نجاح العملية، وقلت في نفسي: سنزرع غرسة أخرى في تربة جراحات التوائم السيامية ببلادنا بإذن الله.

تصفيق حاد

في غرفة العمليات شرع أطباء التخدير في مهمتهم التي استغرقت ساعتين ونصف الساعة، أعقبها تعقيم التوأم وتغطيته ثم تحديد مكان الفصل، حملت المشرط وابتدرت العمل باسم الله في أول جرح بين الطفلتين بلغ طوله حوالي ٣٥ سم، ربما كانت هذه بداية حياة جديدة لهما بهذا المشرط، وبعدها بدأنا في فصل الأضلع السفلية وعظمة القص، لنكتشف بعد إكمالها اشتراكات داخلية في الكبد والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة، كانت الخطوة الأولى أو التحدي الأول هو فصل الكبد باستخدام أجهزة حديثة لمنع النزيف واستغرقت مدته زهاء الساعتين، ولحظة اكتماله علا تصفيق حاد من زملائي في غرفة العمليات باعتبار أنه يمثل أولى خطوات النجاح، وبعد ذلك بدأنا بفصل الأمعاء حيث كان هناك اشتراك كبير في الأمعاء الغليظة وكذلك في أوعية وشرايين أخرى صغيرة تطلبت متابعاتها ومعرفة بداياتها ونهاياتها وقتًا طويلاً، وبعد تحديد ذلك تمكنا من فصل الأمعاء الدقيقة والغليظة في ساعتين ونصف الساعة، وشكل ذلك نجاحًا آخر ولله الحمد، وبعد ذلك انتقلنا إلى فصل الجهاز السفلي للمثانة البولية بنجاح خلال ساعة ونصف الساعة، وتلا ذلك فصل الحوض من الأمام. ثم وجدنا أنفسنا أمام مرحلة حساسة ودقيقة تمثلت في قلب التوأم بجعل أعلاه أسفله وهي المرحلة التي يتطلب العمل فيها ضمان المحافظة على أجهزة وأنابيب التنفس الصناعي، وعلى تعقيم منطقة العمليات، ولكننا نجحنا في ذلك رغم قلقنا وخوفنا الشديد من المضاعفات. وبعد قلب التوأم أنجزنا مرحلة فصل العضلات والجلد للطرف الثالث المشوه وإزالة العظم والاستفادة من الجلد والعضلات في تغطية الفراغ بعد الفصل، وكانت المرحلة الأخيرة هي فصل العضلات والأضلع من الخلف، ولم تبق إلا خمس سنتمترات لفصل التوأم. كانت هذه المرحلة مشحونة بالمشاعر وبقدر كبير من التفاؤل، تجهز كل أعضاء الفريق الطبي في غرفة العمليات لتصوير هذه المرحلة بدقة، وبدأ




سماح وهبة في الثانوية


سماح وهبة مع الأسرة

العد التنازلي من العشرة إلى الصفر، ومع الرقم صفر اكتمل فصل جسد سماح عن هبة بتصفيق شديد وفرح عارم بعد أربع عشرة ساعة ونصف الساعة من الجراحة. ونُقلت الطفلتان إلى طاولتين متقابلتين، وتشكل من بيننا فريقان أحدهما للعمل على سماح والآخر على هبة، وخصصنا الساعات الأربعة التالية لإعادة تأهيل الأعضاء الداخلية، وإعادة وضعها وزرعها في المكان المناسب، ثم قمنا بتغطية البطن والحوض بما توفر من جلد وعضلات، ونجحنا في ذلك بتوفيق الله عز وجل.

إنجاز وطني

ثماني عشر ساعة ونصف الساعة والفريق يواصل عمله بروح عالية وعزائم صادقة، فقط كانت هناك لحظات قصيرة لراحة بعض الزملاء بغية أداء الصلوات ولاسترداد النشاط. اكتملت كل مراحل العملية.. نجحت، بدأت ملامح التجهُّم والجدِّية تزول والأسارير تنفرج، والابتسامات تجد طريقها إلى الشفاه، توفيق من الله وإضافة إنجاز وطني جديد في بناء الخبرة السعودية. أكملنا تغطية مكان العملية بالشاش المعقم، ثم اصطففنا لالتقاط صورة جماعية بابتسامات صافية رغم التعب والإرهاق والجهد والقلق لأنها سترمز وتوثِّق لهذا النجاح. وعند باب غرفة العمليات قابلني عمر والد التوأم واحتضنني بشدة وهو يقبلني ويشكر الفريق الطبي على هذا الجهد والنجاح، ورأيت أعين الوالدين تترقرقان بالدموع فرحاً وسعادة لبداية حياة جديدة لتوأمهما، نقلنا الطفلتين إلى العناية المركزة التي أدى فريقها المختص دورًا كبيرًا في المحافظة بعد الله على حياتهما، مكثت الطفلتان قرابة الشهر في العناية المركزة، ثم رفعت الأجهزة عنهما وبدأت تغذيتهما ورفع الأوردة، أو القساطر الوريدية. وبعد استقرار حالتهما وعودة الأعضاء إلى وظائفها الطبيعية نُقلتا إلى جناح الأطفال (أ ٢)، إلى غرفتهما الأولى التي دخلتاها في البداية، ثم خضعتا لعملية التأهيل التي استغرقت حوالي الشهرين غادرتا في نهايتها المستشفى، وقرر الفريق الطبي وإدارة المستشفى إقامة حفل مصغر لوداعهما لأنهما أصبحتا جزءًا من الجناح، وكان وداعًا حارًا، ورأيت في وجوه كادر التمريض ابتسامات مختلطة بدموع الفراق لابنتين من بناتهن، ومع هذا النجاح عاشت سماح وهبة حياة غير معقدة، وقرر والدهما العيش في المملكة العربية السعودية بعد أن وافق خادم الحرمين الشريفين على بقاء الأسرة حفاظًا على حياة الطفلتين وضمان سلامتهما وتأهيلهما، وبعد ستة اشهر أُخضعتا لتركيب طرف صناعي لكل منهما، ومكثت أتابع اتصالاتي معهما كل ستة أشهر اطمئنانًا على تقدُّم صحتيهما، وأصبحتا تسيران بطرف صناعي وآخر طبيعي دون عكازة، وكنت أتعامل معهما وكأنهما ابنتين من بناتي، وهما الآن تعيشان في مدينة المجمعة بمنطقة سدير، وتتعاملان مع المجتمع بشكل طبيعي، ووصلتا عند إعداد مادة هذا الكتاب إلى الصف الثالث الثانوي، وحسب علمي فإنهما متميزتان في دراستهما ومتفائلتان بالالتحاق بالدراسة الجامعية إن شاء الله.

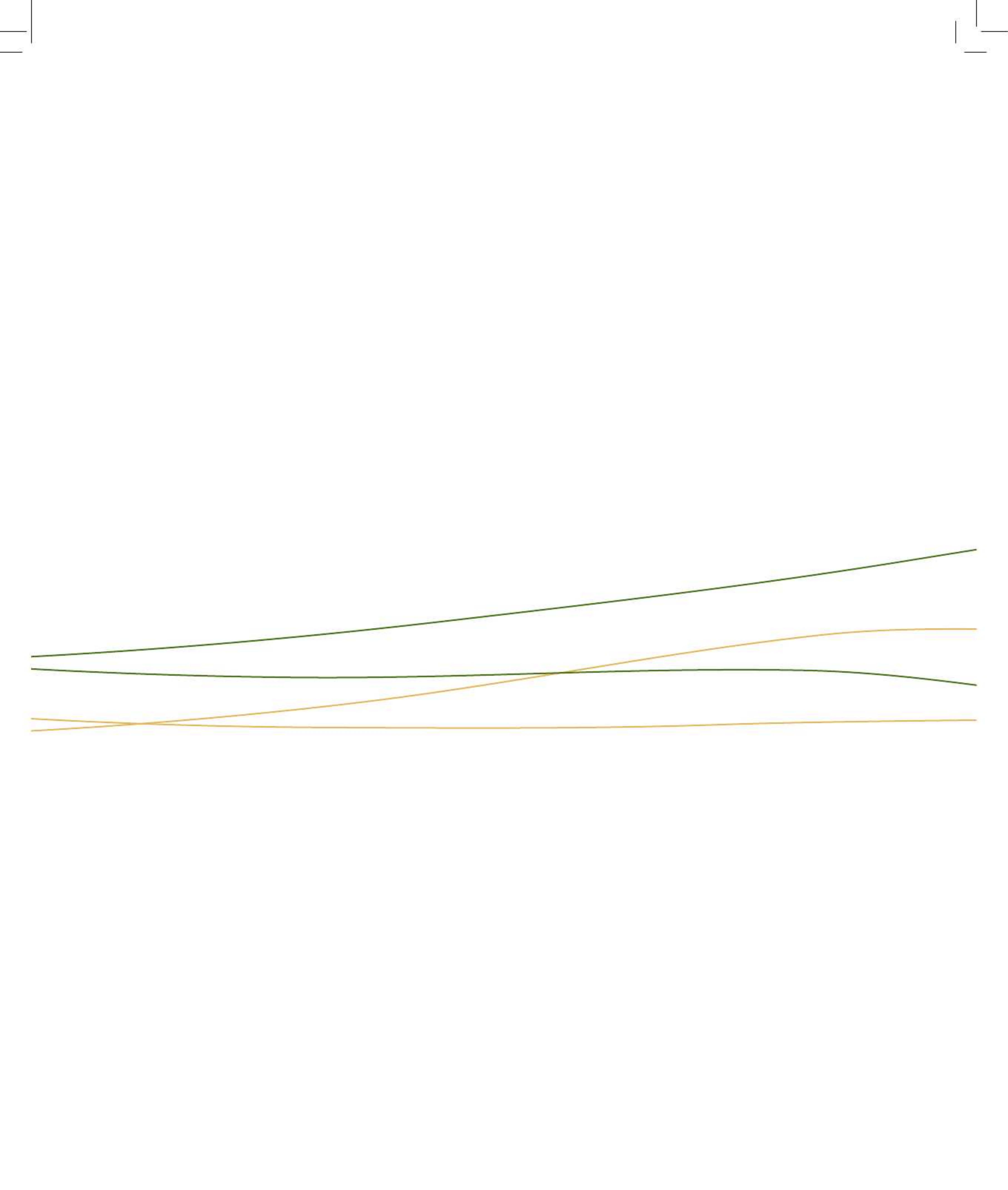
وهكذا كانت تجربتنا الثانية في جراحة التوائم السيامية بملابساتها وتبعاتها وتداعياتها واقتران الرأي الطبي بالفقهي فيها، وربما كانت هذه أول مرة يتوافقان فيها بصورة كاملة، وكان هذا التحدي الذي تجاوزناه بنجاح مُرتَكَزًا لاقتحام هذا المجال الغريب، ومنطلقًا لمزيد من النجاحات في التجارب اللاحقة التي أهَّلتنا لإثبات هويتنا العلمية والجراحية.



سماح وهبة بعد إثني عشر عاماً



سماح وهبة بعد ستة عشر عاماً





توأمي في بطني

١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م





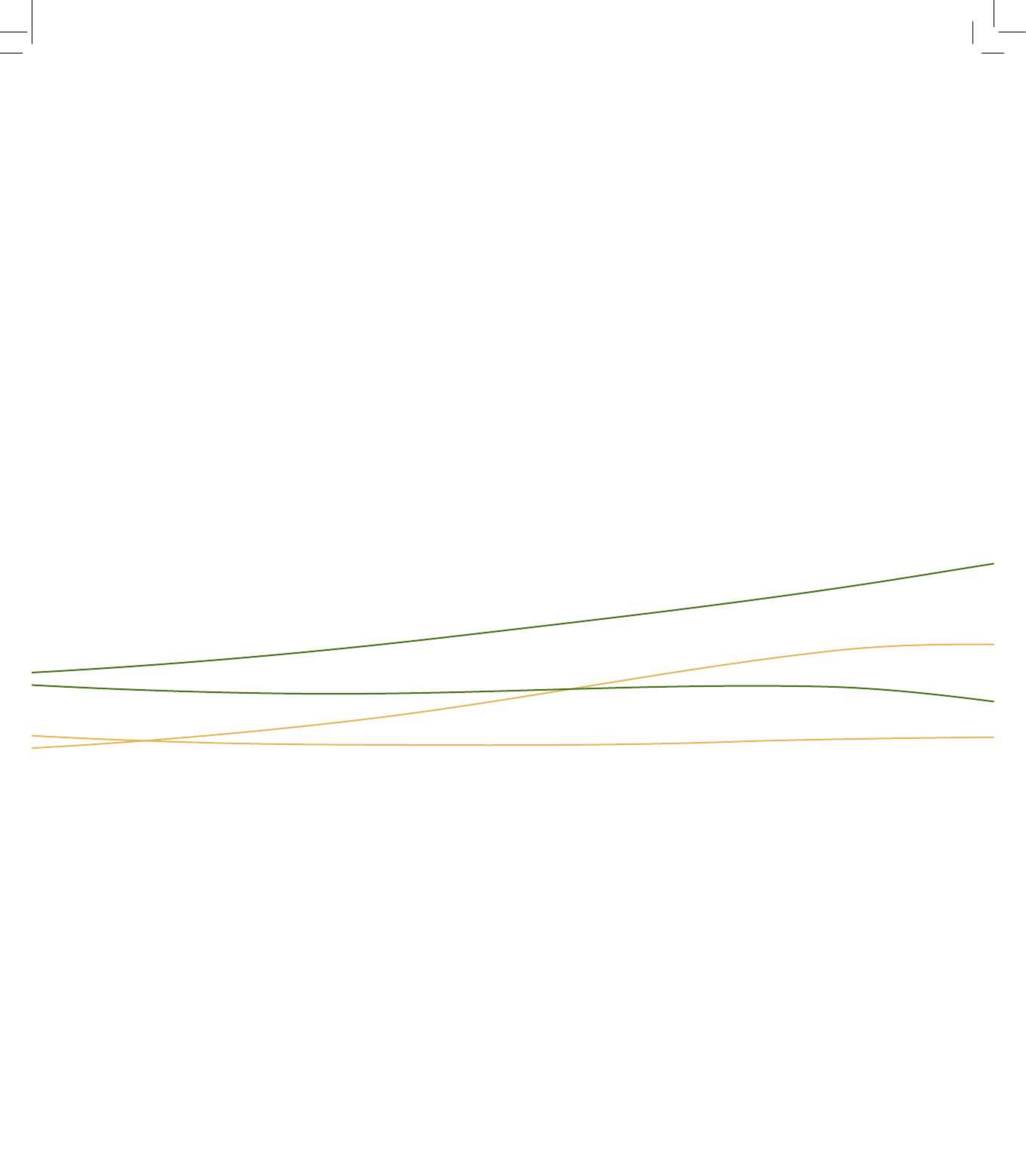
توأمي في بطني
١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

في تجربة حملها الثالث لم تحس تلك السيدة السعودية بشيء غريب أو خارج عن المألوف، فقد كان كل شيء يسير هيناً دون مشكلات تذكر، عدا أن حجم بطنها كان أكبر من المعتاد، ولم يكن ثمة ما يُقلق الأسرة ولا الأطباء الذين تولوا الإشراف على مراحل حملها ومتابعتها. وحين وصل الحمل إلى نهايته وبدأت تغشاها نوبات المخاض؛ لم يساورها قلق، ولم تُعرب عن أي شكوى سوى معاناتها من ألمٍ شديد ظل ملازمًا لها حتى لحظة الولادة.

خرج الجنين إلى الوجود؛ ولكنه كان طفلاً مختلفًا أدهش الأطباء، واستحوذت عليهم المفاجأة في حينها، وبعد برهة من الوقت؛ حملوه على عجل وهرعوا به لإنعاشه وفحصه دون علم أمه التي شغلتها آلام الوضع عن رؤية وليدها، وبعد أن خفَّت حدَّة الألم قليلاً انتبهت وبدأت تسأل عن المولود وجنسه ووزنه وصحته؟ فأخبرتها القابلة بأنها وضعت طفلاً وهو بخير إن شاء الله.

استقرَّت حالة المولود واتَّضح للأطباء أنه توأم طفيلي، أحدهما ذكر مكتمل الأعضاء والآخر غير مكتمل وملتصق بجدار البطن غير المكتمل أيضاً، وكان لا بدَّ من إخبار الأم بحقيقة مولودها، ولمَّا عرفت ذلك؛ أصيبت بصدمة لأنها كانت تتوقَّع طفلاً سليمًا معافى؛ إذ لم تُبيِّن متابعاتها العادية أثناء الحمل أو تكشف شيئًا غريبًا.. فما كان منها إلا أن استسلمت لنوبة بكاء طويلة، فواساها زوجها وبذل معها جهدًا كبيرًا من أجل تخفيف وقع هذه الفاجعة عليها.

نُقل التوأم إلينا، وبعد إجراء الفحوصات الطبية؛ اتَّضح أنه توأم طفيلي ملتصق بجدار البطن، ويتطلب ذلك إجراء عملية ليست معقَّدة لاستئصال التوأم غير المكتمل وإصلاح جدار البطن، وبالفعل خضع التوأم بعد أيام قليلة لجراحة متوسطة لم تستغرق وقتًا طويلاً، وتكلَّلت بنجاح ولله الحمد دون أي مضاعفات جراحية.





٤

أنا وإبنة عمي

ذو القعدة ١٤١٥هـ/ أبريل ١٩٩٥م



التوأم السعودي الثاني قبل العملية

أنا وابنة عمي

ذو القعدة ١٤١٥هـ - أبريل ١٩٩٥م

حزمة من الأحلام والأمنيات

عندما قرر الزواج لم يرْم بصرَهُ خارج نطاق العشيرة، اختار ابنة عمه لتكون له سكنًا ورفيقة درب في الحياة، صغيرا سنٍّ تزوَّجا لتوِّهما، وامتلأت ساحة بيت الأسرة الصغيرة بمشاعر المودة والرحمة، كانا متحابين تلتقي ميولهما، وتتَّحد رغباتهما وأمنياتهما، ويشتركان في أحلامهما التي رسماها لوحة على جدران البيت السعيد، وما برحا يتناجيان في رحلتهما عبر آفاق هذه الأحلام بأن يرزقهما الله طفلاً يغمر البيت فرحًا ومرحًا وحيوية، تصورا طفلهما القادم وقد بلغ عمره عامًا أو عامين وهما يلاعبانه ويمازحانه ويُقبِّلانه.. كانا يدركان أن براءة الأطفال وابتساماتهم الصافية العذبة عذوبة الماء الزلال ستجعل من المنزل نبعًا متدفقًا من السعادة.. أو هكذا تجلَّت لهما لوحة أحلامهما المعبِّرة.

بعد بضعة أسابيع لاحظ الزوج علامات إرهاق وتعب على زوجته، وشحوبًا يكسو وجهها؛ وإحساسًا بالفتور ينتابها بين حين وآخر، بل وتبدو كسولة في حركتها رغم ما عهده فيها من نشاط وحيوية طاغية، فنقل إليها هذه الملاحظات، فأخبرته بأن هذه العلامات مقترنة بنوبات غثيان وفقدان شهية مع رغبة شديدة في أصناف معينة من الطعام.. ورغم قلة خبرتهما إلا أنهما رجَّحا أنها مؤشرات على وجود حمل، إذن هذا هو (الوحم) المعروف بين النساء في أشهر الحمل الأولى، سرَتْ في دواخلهما مشاعر فرحة، تداعت الوجدانيات، واتسعت مساحة الحلم، ما أعذب ابتسامات الأطفال وضحكاتهم، بل إن صراخهم الذي يمنع النوم في جوف الليل له طعم خاص أيضاً..

أعراض حمل طبيعية جداً، لم يصاحبها أي عرض يختلف عن المعتاد أو المتعارف عليه؛ ولكن مع توالي الأيام وتتابع الأشهر بدأت الأعراض تختلف قليلاً، تكوَّر البطن وتضخَّم وازداد الثقل على الأم، تضاعف إحساسها بالتعب، تواصلت نوبات غثيانها مقترنة بنفور وفقدان شهية لكثير من الأطعمة، مع رغبة عارمة في الاسترخاء وعدم الحركة.. قلقت، همست لنفسها: ليست هذه أعراض الحمل التي تصفها قريباتُها وصديقاتُها المتزوجات!! دفعتها الهواجس إلى سؤال طبيبتها عن هذه الاختلافات غير المطمئنة، وما إذا كان حملُها غير طبيعي؟! لم تجد منها إجابة شافية؛ إذ لم تلاحظ هذه الطبيبة ولا زملاؤها علامات مقلقة حتى الشهر السابع من الحمل، وحتى لا تزداد هواجسها وتجتاحها الهموم والغموم؛ تقرر إخضاعها للتصوير بالأشعة الصوتية كي يستبين الأمر وتطمئن على حملها.. أوضحت نتائج الصور والفحوصات أنها تحمل توأماً، وعندما أخبرتها الطبيبة بذلك فرحت فرحًا شديدًا، تناست قلقها وانزعاجها وتصورت نفسها تناغي طفليها وتلاطفهما، هرعت إلى زوجها تنقل إليه هذه البشرى السارة.. غمرته الفرحة أيضاً، أطلقا لنفسيهما عنان الخيال وتمنيا أن يرزقهما الله ولدًا وبنتًا يضيئان جنبات البيت ببراءتهما ومرحهما وشقاوتهما المحببة، ومع هذا الخبر قاومت الأم مشكلات الحمل وغالبت أحاسيس التعب، تحمَّلت انتفاخ البطن وثقل وزن التوأم داخل الرحم.







التوأم في الشهر الثاني من العمر

تحديد مكان الفصل

حيرة على وجوه الأطباء

في الشهر الثامن وضمن الفحوصات الدورية العادية راود الطبيبة شكٌّ في إمكانية وجود التصاق للتوأم، فقرَّرت الاستنارة بآراء مختصين في مستشفى آخر، ازداد الشك لديها؛ ولكنها لم تجرؤ على إخبار الأم التي لم يغب عن فطنتها وملاحظتها حركة الأطباء وعلامات الحيرة البادية على وجوههم، أقلقها اهتمامهم بحالتها وأحاديثهم الهامسة وكثرة مداولاتهم والتشاور فيما بينهم. دفعها خوفها إلى طرح أسئلة كثيرة؛ بل اتخذت استفساراتها طابعًا دقيقًا، ولكنها لم تتلق أي إجابة مقنعة تشفي غليلها وتهدئ من روعها. وأخيرًا قررت الطبيبة تحويل الحالة إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث للاستنارة برأي المختصين، وبالفعل استقبل المستشفى هذه الزوجة في نهاية حملها حيث أجريت لها الأشعات والفحوصات اللازمة بواسطة فريق أطباء النساء والولادة، فتبيَّن لهم من نتائجها أنها تحمل توأماً ملتصقًا أو سيامياً.. وطُلبتُ حينها للاستشارة، فعقدتُ على الفور اجتماعًا مع أطباء القسم المعني وتشاورنا، وبعد دراسة الحالة والاطلاع على الفحوصات والأشعات، استقر رأينا على ضرورة إجراء عملية قيصرية عاجلة حفاظًا على سلامة الأم وتوأمها، لا سيما وأنها كانت تمثل المخرج الوحيد لولادة التوأم السعودي الثاني (سمر و سحر) الذي لم تكن حالته بأفضل من التوأم السوداني.

وبعد أن استوثقنا من الحالة التقينا بالزوجين لإبلاغهما بحقيقة الأمر، فوقع الخبر عليهما وقع الصاعقة، أحسا بصدمة كبيرة كادا يُصابان بدوار على إثرها، ساورهما قلق شديد، ودفعتهما الصدمة إلى عدم تصديق نتائج التشخيص بل والتشكيك في دقَّته. حاول الزوج وهو أسير لهذا التصور إقناع الأطباء بأن تشخيص الحالة ربما شابه بعض التداخل غير المقصود، أو أحاطه التباس جعله يخرج بنتيجة غير مضبوطة، وحاول التأكيد على أن هذه الفحوصات لا تُبرز واقع الحمل الحقيقي بصورة دقيقة، ولعل الفريق الطبي يعيد إجراءها مرة أخرى فربما يحصل على نتائج تؤكد أن التوأم غير ملتصق!! الأطباء عادة لا يتضايقون ولا يتذمَّرون من أسئلة ذوي المرضى واستفساراتهم التي تنمُّ عن قلق وخوف، فهم يتقبَّلونها بنفس راضية تقديرًا للحالة أو الصدمة التي يتعرض لها ذوي المرضى جراء نتائج الفحوصات والتحاليل. ونزولاً على رغبة الوالد، وإرضاء له، ولإزالة شكِّه؛ قرَّرنا إعادة الأشعة الصوتية التي أكَّدت لنا دقة التشخيص، واقتنعنا بأن ليس ثمة أي مجال للشك، تكرَّرت جلساتُنا مع الوالد ومناقشته، وبعد يومين اختفت الظلال السالبة عن عينيه وبدأ يتقبَّل حقيقة الأمر الواقع، وأتْبَع ذلك بسيلٍ من الأسئلة عن الأطفال السياميين والتصاق الأجنة محاولاً الإلمام بكل التفاصيل والتعرف على أبعاد المشكلة ومضاعفاتها، كما سأل عن نسبة بقاء التوأم على قيد الحياة وما إلى ذلك.

وبحكم التخصص فإننا نتفهَّم مثل هذه الأسئلة وندرك أبعاد علامات الاستفهام الحائرة التي ترتسم في أذهان الآباء والأمهات حول العيوب الخلقية التي يولد بها الأطفال، أو تحدث لهم في أولى مراحل حياتهم كالإعاقات الجسدية والعقلية وما يترتَّب عليها من مشكلات وتبعات داخل الأسرة أو المجتمع، وهذه العيوب عادة ما تسبِّب صدمات كبيرة؛ خاصة عندما يكون الزوجان في سنٍّ صغيرة، وقد يواجهان إزاءها بعض التحدِّي، وقد تُنكرها أو تستهجنها بعض الأسر، وربما يُشكِّك آخرون في واقع التشخيص ودقَّة نتائجه.. ونجد بعض الأسر تحاول أحيانًا نقل المشكلة إلى الأب والأم، مما قد يؤدي إلى خلافات، أو يحدث أثرًا سالبًا على



الطاقم الطبي في غرفة العمليات



أثناء العملية



صفاء الحياة الزوجية.. وفي حالتنا تلك؛ فقد شرحتُ لوالدي التوأم الملتصق ملابسات الحالة عدة مرات.. وبعد زوال أثر الصدمة عادا إلى طبيعتهما راضييْن بقضاء الله وقدره، ومُستسلميْن لمشيئته جل وعلا، وأعربا عن قبولهما لما كتبه لهما سبحانه وتعالى.. وبعد موافقتهما؛ تقرَّر إجراء العملية القيصرية في الأسبوع التالي.

حالة مختلفة

جُهزت غرفة العمليات وأجريت عملية الولادة بسلام، وكنت على أهبة الاستعداد لاستقبال التوأم الذي نُقل بعد الولادة مباشرة إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، وتوليتُ مع طبيب الأطفال عمليه فحصه بدقَّة، فكشفت لنا الأشعة الصوتية وجود اتصال كبير في منطقة الصدر والبطن والحوض مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحدة لكل توأم والثالث مشترك بينهما. ومما يجعل هذا التوأم مختلفًا عن غيره عدم وجود فتحة شرج، واستدعى ذلك إجراء عملية مستعجلة للتوأم خلال أول يومين في حياته لعمل فتحة براز مؤقتة كي لا يتعرض لانفجار في الأمعاء أو لمشكلات تعيق حياته. وكشف الفحص السريري أيضاً وجود مشكلات في القلب تتطلب إجراء أشعة وتشخيصًا دقيقًا. بعد ذلك طلبتُ الفحوصات الأساسية ثم شرعتُ في تشكيل الفريق الطبي والجراحي الذي سيتعامل مع هذه الحالة، وضم الفريق تخصصات: جراحة الأطفال والتخدير، والعناية المركزة، وجراحة المسالك البولية، وجراحة العظام، وجراحة التجميل، والتمريض، والتأهيل الطبي، والفنيين وممرضات غرفة العمليات، وفي أول اجتماع لنا شرحتُ لهم حالة التوأم ووضعه الصحي الحرج المتمثِّل في انسداد الأمعاء بسبب عدم تخلُّق فتحة الشرج، وبيَّنت لهم حاجته إلى إجراءات مستعجلة وتخطيط للمستقبل، وبعد دراسة الفحوصات الأولية اتضح لنا وجود اشتراك في الكبد والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة وانسداد فتحة الشرج كما أشرنا، مع اشتراك في المسالك البولية والجهاز التناسلي، إضافة إلى طرف سفلي واحد لكل توأم وثالث مشترك ومشوه وصغير لا يكفي لتغطية الفراغ في الجسد. وقادنا انسداد الأمعاء إلى اتخاذ قرار جماعي بضرورة إجراء عملية مستعجلة لعمل فتح في البطن وإيجاد فتحة مؤقتة للفضلات.

شرحت كل ذلك لوالد التوأم، وبعد اطِّلاعه على كل أبعاد المشكلة وتعقيداتها؛ سألني: لماذا لا تُجرى عملية الفصل متزامنة مع العملية المستعجلة وقاية للتوأم من الخضوع لعمليتين منفصلتين أو اكثر؟ وهو سؤال مقبول ومعقول بالطبع، فوجدتُ لزاما عليَّ أن أشرح له عدم إمكانية ذلك من الناحية الجراحية، لأن العملية المستعجلة محاطة بمشكلات كثيرة، ونسبة نجاحها ضئيلة جدًا؛ خصوصًا وأن عمر التوأم صغير وكذلك وزنه، ثم بيَّنتُ له المخاطر والمشكلات المصاحبة لذلك، ورغم هذا فقد ألَحَّ عليَّ كثيرًا في بحث ودراسة إمكانية الفصل متلازمة مع العملية المستعجلة، ولكن بعد استيعابه لما أبدينا له من المخاطر المصاحبة التي قد تودي بحياة التوأم. وتم الإتفاق مع الفريق الطبي على عملية فتح البطن وعملية الفتح الأخرى لتفريغ الأمعاء. وقد أُجريت العملية المستعجلة خلال ساعة واحدة، وعاد التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، حيث خضع لنظام تغذية عن طريق الفم والأنبوب. وعقب ذلك شرعنا في وضع خطة للمستقبل استُهلت باجتماع ناقشنا فيه هذه الحالة وتفاصيلها، وإمكانية الفصل، وقررنا إجراء فحوصات عديدة. ولكن كانت هناك قضية تشغلنا واستغرق نقاشها زمنًا طويلاً؛ وهي عدم




أثناء العملية



بعد العملية مباشرة

وجود جلد كاف لتغطية فراغ البطن، وخلصنا إلى اقتراح بتركيب بالونات تحت الجلد لتمديده على أن تنفخ يوميًا لعدة أسابيع لعل الجلدَ يرتخي ويساعد على الاستفادة منه في تغطية الفراغ المشار إليه بعد الفصل. اتفقنا على ذلك، ورأينا إجراء مزيد من الفحوصات، ثم النظر في إجراء العملية بعد عدة أسابيع .. وبالفعل اكتمل تركيب الممددات (البالونات) غير أن مواقعها في الجسد تعرضت لالتهابات أجبرتنا على إزالتها، وشكل ذلك تحدياً آخر لنا نظرًا لعدم وجود جلد وعضلات كافية، إضافة إلى المشكلات التي تواجه التوأم بسبب وجود عيوب خلقية في القلب وقصور في الأمعاء الغليظة..

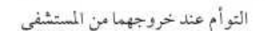
٦٠٪ نسبة النجاح

توالت اجتماعاتنا لمزيد من الدراسة للحالات والتي كشفت لنا إمكانية الفصل بنسبة نجاح لا تتعدى ٦٠٪، وأن التوأم يحتاج إلى عملية تأهيل وتغذية ليصل وزنهما سوياً إلى حوالي ٨ كيلوغرامات، استغرقت عمليتا التأهيل والتغذية حوالي خمسة أشهر، وهذه المدة لم تخل تمامًا من مشكلات والتهابات في المسالك البولية مما اضطرنا إلى استخدام بعض الأدوية والمضادات الحيوية لعلاج التوأم الذي عانى كذلك من مشكلات في الجهاز التنفسي والأمعاء، وبالطبع كان فريق العناية المركزة متميزًا في علاجها. وبما أن العناية كانت فائقة؛ فقد حالفنا التوفيق ولله الحمد للوصول بالتوأم إلى الوزن المناسب، وعلى إثر ذلك عقدنا اجتماعًا للتشاور حول إجراء العملية خلال أسبوعين، أي في يوم السبت ٢٢ ذو القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٩٥م رغم التحدي الذي أشرنا إليه بعدم وجود جلد وعضلات كافية، كما أثار أطباء التخدير مشكلة عيوب القلب التي تحتاج إلى دقة وعناية حتى لا يفقد التوأم حياته أثناء العملية الطويلة. أعددنا خطة جراحية محكمة مع التركيز على توفير الأجهزة والمعدات المطلوبة كافة بعد أن اكتسبنا خبرة من العمليات السابقة.. وقررنا تطبيق الخطة الجراحية على عشر مراحل، وتوقعنا أن تستغرق مدتها حوالي ثماني عشرة ساعة، واتفقنا كذلك على إجراء عملية وهمية تجريبية قبل العملية الأساسية بيومين أي بتاريخ ٢٠ذو القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٠أبريل١٩٩٥م.. وبدأناها في الساعة الرابعة عصرًا باسم الله، بحضور جميع أعضاء الفريق الجراحي وناقشنا الخطة الجراحية المكتوبة، وأحضرنا التوأم الإناث، وراجعنا مكان الفصل، وناقشنا مراحل التخدير، وعقب ذلك استدعينا والد التوأم وشرحنا له ماسبق بالتفصيل وحصلنا على موافقته.. كان قلقًا ومضطربًا، وهذه أحاسيس طبيعية تلازم أي والد أو أم لا سيما مع اقتراب موعد العملية، وقد حاول حجبها وإخفاءها بتقديم الشكر للفريق الجراحي وتجديد ثقته فيه، ثم أعلن موافقته على كافة الإجراءات وأتبعها بالتوقيع على إجراء العملية. حاولنا تخفيف الضغط عليه من خلال المداعبة، إذ قال له أحد أعضاء الفريق لماذا لا تشاركنا وتجري العملية بدلاً منا، فابتسم وردد: (فيكم الخير والبركة).

أحلام في المنام حول العملية

تقرر إجراء العملية في الساعة السابعة والنصف من صباح يوم السبت ٢٢ ذو القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٩٥م، وفي الليلة السابقة لها عاودني القلق، رغم أن جميع أفراد أسرتي كانت تغمرهم الثقة في إمكانية نجاحنا، أعدَّت لي زوجتي عشاءً خفيفًا





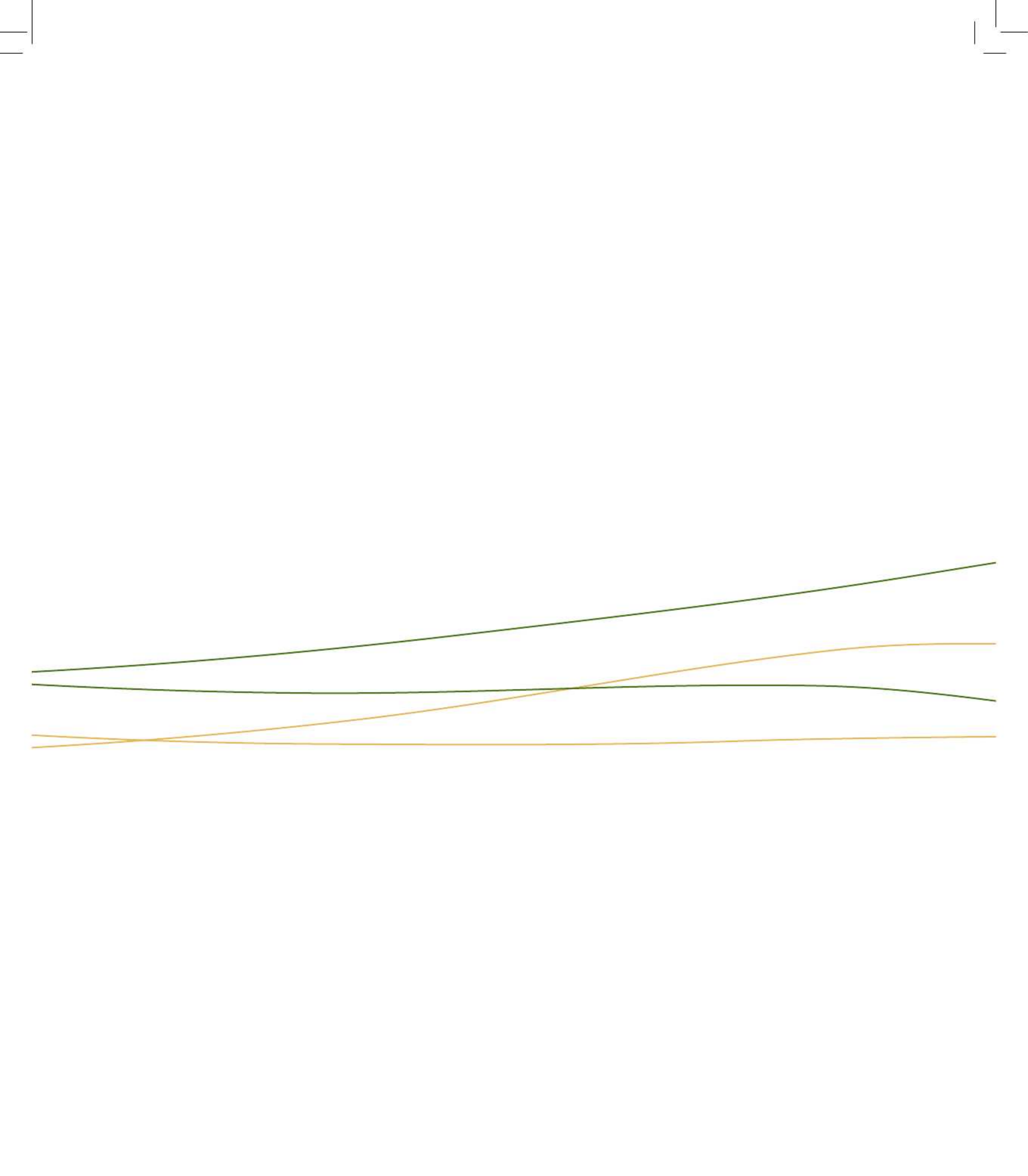
التوأم عند خروجهما من المستشفى



سمر وسحر مع التوأم السوداني سماح وهبة

تناولته في جلسة مع الأسرة، وتخللت جلستنا الأسرية تلك بعض الدعابات اللطيفة ونحن نتحدث عن العملية ومؤشرات نجاحها، واحتمالات مخاطر نتائجها، غادرت مجلس الأسرة إلى غرفة النوم لعل النعاس يُداعب أجفاني وأحظى بقسط من النوم؛ ولكنه استعصى عليَّ، وأبى، وتمنَّع؛ لأني كنت دائم التفكير في العملية باعتبارها من العمليات الكبيرة، وماجت مخيلتي بتفاصيلها حتى الدقيقة منها، وبالطبع كان هذا الانشغال سببًا في انتقال العملية إلى اللاشعور، إلى أحلامي في المنام التي صاحبتها حركة فعلية وكأني أجري العملية حيَّة وأتحدث إلى أعضاء الفريق الطبي، وكان هذا كفيلاً بإقلاق نوم زوجتي وإزعاجها. وبعد عراك مع النوم تمكَّنت من اقتناصه، فخلدتُ حتى أذان الفجر، ثم نهضتُ وتوضأت وصليت ركعتين اتجهت بعدهما إلى المسجد لأداء الفريضة، عدتُ إلى المنزل وتناولتُ إفطارًا خفيفًا ثم غادرته مع إشراقة الشمس مُتَّجهًا إلى المستشفى سيرًا على الأقدام، وطوال المشوار كنت أستعرض وأراجع مراحل العملية، وفي الساعة السابعة كنت عند باب غرفة العمليات حيث وجدت زملائي أعضاء فريق التخدير وكادر التمريض، ثم توالى وصول أعضاء الفريق الطبي إلى أن اكتمل عِقْدُنا داخل غرفة الأطباء بجناح العمليات. وفي الساعة السابعة والربع صباحاً نُقل التوأم إلى غرفة التجهيز، وعلى مدخلها استقبلتُ والدي التوأم واستطلعتهما للمرة الأخيرة مؤكدًا لهما استعدادنا لاستقبال أي ملحوظات أو استفسارات حول العملية التي ستبدأ مراحلها بعد لحظات، لم ينبسا بكلمة؛ بل تحدَّرت دموعهما غزيرة على محجريهما وهما يكفكفانها بصعوبة، وبعد حوالي دقائق خمس أكبًا على التوأم يبثانهما قبلات حارة ومتتابعة قبل نقلهما إلى غرفة العمليات.

بدأت مراحل العملية وفق الخطة الموضوعة بتخدير كل طفلة على حدة، وتلت ذلك مرحلة إدخال القساطر والتعقيم، وبعد نحو ثلاث ساعات شرعنا في العملية، فواجهتنا بعض المشكلات المتعلقة بتغطية فراغ الجلد ممَّا اضطرنا إلى شدِّه شدًا متوسطًا، مع استخدام بعض العضلات من الأطراف السفلية للغرض نفسه. واكتملت مراحل العملية بعد حوالي سبع ساعات ونصف الساعة بنجاح ولله الحمد، وبعد التقاط الصور الجماعية للفريق الجراحي، خرجنا لنجد الأب والأم عند باب غرفة العمليات يستقبلوننا بعناق حار وابتسامات، ولم يستطيعا مداراة دموعهما المنسكبة بغزارة، فاصطحبناهما مع بنتيهما إلى غرفة العناية المركزة حيث سيمكثان بها حوالي ستة أسابيع، واجهتنا أثناءها التهابات في الجرح بالصدر، وأمكن التغلب على هذه المصاعب بتوفيق الله سبحانه وتعالي وبخبرة الفريق الطبي إلى أن غادرتا العناية المركزة إلى جناح الأطفال (٢أ)، وبعد حوالي أربعة أشهر استقرت حالتهما فخرجتا من المستشفى بصحة وعافية ولله الحمد.





رأسان في جسد واحد

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م



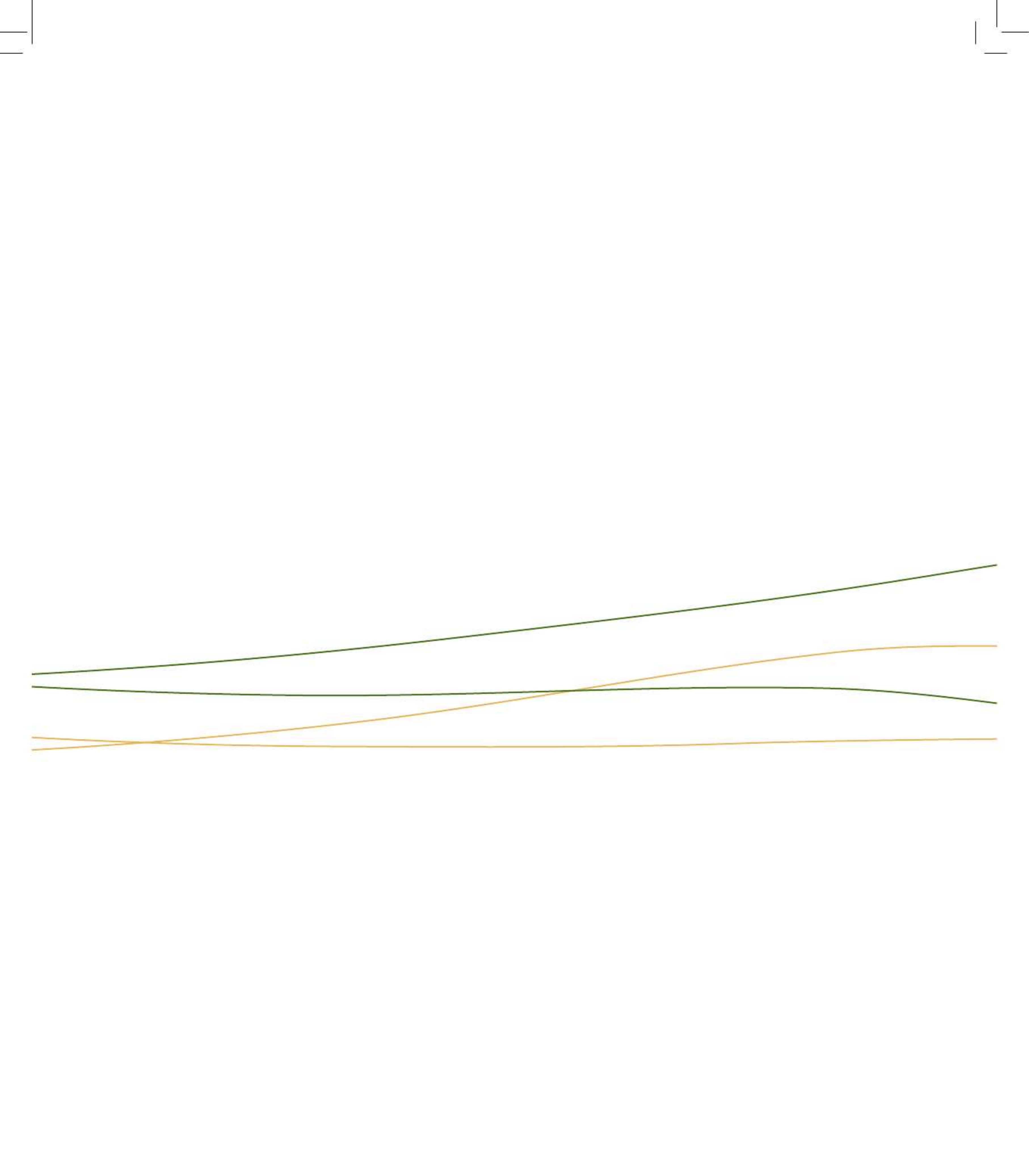


رأسان في جسد واحد
١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م

بدأت أحداث هذه القصة في مكة المكرمة حيث كانت المفاجأة الكبرى أثناء ولادة متعثرة فرضت على الفريق الطبي إجراء عملية قيصرية سريعة نتج عنها ما لم يتوقعه الجميع ، شعر الأطباء بصدمة لما رأوا طفلاً غريبًا بجسد واحد ورأسين ووجهين بحواسِّهما كافة.

أذهلت المفاجأة أعضاء الفريق الطبي، ربما لأنها الحالة الأولى التي يرونها طوال تجربتهم المهنية ولم يسمعوا بمثلها، كان هذا حال الأطباء بعد الولادة، فكيف بالوالدين المتلهفين إلى ولادة سعيدة ومولود يفرحهما.

وبعد أن أفاقت الأم واطمأن الأطباء على صحتها، بادروا إلى إحاطتها وزوجها بهذا الخبر المفاجئ، مما أدَّى إلى شحوب وجه الأب وبكاء الأم بصورة متصلة.. ومن حينها بدأ الفريق الطبي في البحث عن مركز له رصيد من الخبرة وقدرة على التعامل مع هذه الحالة النادرة جداً، وبالفعل تسنى لهم الاتصال بمدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض، وتشرَّفت الأسرة بتوجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (ولي العهد آنذاك) -حفظه الله- بقبول الحالة وسرعة نقلها عن طريق الإخلاء الطبي الجوي، وتشكَّل على الفور فريق طبي من جراحة الأعصاب وجراحة الأطفال والتخدير والتمريض وغيرهم من المختصين، وبعد دراسة مستفيضة للحالة؛ اتَّضح أنها نادرة جداً وصعبة جداً، والاشتراك يشمل أغشية وأوردة المخ، وأن نسبة نجاح العملية بسيطة ولكن لا بد من إجرائها.. وبالفعل أجريت العملية الجراحية، وتبيَّن أثناء العملية أن الفصل غير ممكن جراحياً، ولذا لم يعش التوأم حسب القرار الطبي الجماعي.







رحلة معاناة وألم

شعبان ١٤١٩هـ/ نوفمبر ١٩٩٨م



رحلة معاناة وألم

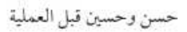
شعبان ١٤١٩هـ - نوفمبر ١٩٩٨م

طفل بدلاً من المشيمة

حياة هانئة وسعيدة عاشها عبد الله وزوجته في مدينة الليث التي تطل على البحر الأحمر بالجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية حيث كانا يعملان في سلك التعليم، والليث من المدن الصغيرة الجميلة التي تشتهر بثرواتها السمكية، لذلك فإن كثيرًا من سكانها يحترفون صيد الأسماك. كان عبد الله مدرسًا مؤمنًا برسالته التربوية والتعليمية، مجداً في عمله، مخلصًا لتلاميذه، متعاونًا مع زملائه، صادقًا مع إدارته، وبجانب كل ذلك كان محباً لزوجته ومتفانيًا في خدمة بيته. وتتركز آماله وطموحاته على تحقيق مساهمة فاعلة في بناء جيل واعد لخدمة وطنه ودينه. وكثيرًا ما ابتهل إلى الله وأخلص الدعاء إليه سبحانه وتعالى أن يمنحه ولدًا يحمل اسمه ويشكل امتدادًا له في المستقبل ولصيت أسرته كلها، حملت زوجته وفرح فرحًا شديدًا، ونقل البشرى لوالديه اللذيْن سرَّهما وأسعدهما الخبر، وكان يعدُّ الساعات بالليل والنهار ويستعجل الزمن للحظات الولادة، ويَشرُد أحيانًا مُحلِّقًا مع أحلامه متخيِّلاً الرضيع بين يديه يلاعبه ويناغيه، ملأت الفرحة جوانح الأم بطفلها القادم الذي سوف يضيف سعادة جديدة إلى سعادتها مع زوجها، لم تتضاءل مساحة هذه الأحاسيس مع مرور الأيام رغم مصاعب الحمل والوحم والتعب، وكلما ازداد فرحها ازداد ألمها معه. وفي المراحل الأخيرة من الحمل ارتفعت معاناتها بسبب افتقار المركز الطبي الذي تراجع فيه لإمكانات التشخيص الدقيق، وبالفعل كانت الأسابيع الخمسة الأخيرة من الحمل مؤلمة جدًا، وتشوبها نوبات من التعب والإرهاق الشديد مما اضطرها إلى البقاء في السرير معظم أوقاتها والخلود إلى الراحة، لم يبتعد عنها زوجها أو يتغافل عنها، بل ظل قريبًا منها يراعي مشاعرها ويُخفِّف عنها، لأنه كان متفهمًا لمثل هذه الأعراض وتبعاتها، واضطرتها مشكلات الحمل إلى الانقطاع عن عملها عدة أيام، لم يخطر ببالها على الإطلاق أن ترزق بتوأم، فضلاً عن أن يكون سيامياً. وبعد أن غشيتها نوبات المخاض، نقلها عبد الله إلى المستشفى الصغير بمدينة الليث، وظهرت عليها علامات ولادة طبيعية بإشراف إحدى الطبيبات، وبالفعل خرج الطفل الأول بعد مخاض مؤلم وكان ولدًا؛ إلا أن الدهشة الكبيرة التي ألجمت الفريق الطبي خروج رجل ثالثة بدلاً من المشيمة، مع وجود صعوبة في خروج بقية الجسم نظرًا لقلة الخبرة الطبية في هذا المستشفى، واصل الفريق الطبي عملية سحب الطفل متصورين أن هذه هي المشيمة، ومع استمرار السَّحب وازدياد قوته فوجئوا بعد هنيهة بخروج طفل آخر ملتصق مع تمزق في المجرى التناسلي، وبتعرض الأم لنزيف شديد، وازدادت دهشة الفريق الطبي، ووجد نفسه أمام أمرين كلاهما مرّ، أولهما العناية بتوأم في حالة حرجة، وثانيهما العناية بالأم التي سبب لها دفق النزيف هبوطاً في الضغط. صرخت الطبيبة وأطلقت صيحة استغاثة تستنفر بها أطباء الأطفال لمساعدتها، وبالفعل انضم إليها أحدهم وركز جهوده على الاهتمام بالتوأم؛ بينما انشغلت هي بتعويض الأم عمَّا فقدته من دم جراء النزيف قبل أن يستفحل وضعها وترتفع درجة الخطورة عليها.




حسن وحسين بعد الولادة


حسن وحسين قبل العملية

عبدالله أسير لقلق كبير

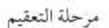
كل ذلك وعبد الله ينتظر في الخارج وأذنه على باب غرفة الولادة لالتقاط أولى صرخات وليده، ويترقَّب إطلالة الممرضة لتبشره وتهنئه، ولكن طال الوقوف وكاد الانتظار يقتله، هواجس وظنون سالبة تغالبه، نفسه تحدثه بتوقع الأسوأ، دبَّ القلق في جوانحه، وسرى في داخله إحساس رهيب بالخوف من القادم، وأصبح يسأل كل من تقع عليه عيناه من لابسي الزي الأبيض دون أن يتلقى أي إجابة. ثم لاحظ وجود حركة سريعة من وإلى غرفة الولادة، وأيادي تحمل كميات من قوارير الدم.. تمدد القلق في داخله وسيطر عليه تمامًا، توالت أسئلته وتتابعت؛ ولكن لا أحد يأبه له، الجميع مشغولون عنه بمشكلة أكبر!! خرج طبيب الأطفال فأسرع نحوه مستفهمًا، فطلب منه أن يستريح ويهدأ، ولكن لم يهدأ روعه ولم يسترح؛ بل تناثرت النداءات من فمه وهو يكاد يصرخ: أخبرني، أخبرني، أخبرني كيف حال زوجتي؟ فأجابه: إنها بخير إن شاء الله.. ثم أردف سؤاله بسؤال آخر: وماذا عن الحمل والولادة؟ فطلب منه الطبيب أن يرخي أعصابه ويستريح، غير أن هذا الطلب بدا له غريبًا وضاعف من ضربات قلبه، ورفع وتيرة حيرته وانزعاجه، ودون أن يشعر ذرفت عيناه دمعات حرَّى سالت على خديه لتبلل أعلى طرف ثوبه، ولمَّا أخبره الطبيب بأنه رزق بتوأم تخلَّلت دموعه ابتسامة ارتسمت على ثغره؛ غير أنها لم تتسع ولم يتعمَّق أثرها حين أكمل الطبيب بقية الجملة: ولكن للأسف فإن هذا التوأم سيامي!! لم يصب بالوجوم أو الدهشة لأول وهلة؛ لأنه كان يجهل معنى كلمة (سيامي)! فسأل الطبيب على الفور: ماذا تقصد بسيامي؟ فبيَّن له مدلول المفردة، وقال له إن التوأم ملتصق في الجسد! لم يصدق عبد الله رواية الطبيب لأنه لم يسمع بمثل ذلك من قبل، ولم تمر عليه حالة شبيهة لهذه حتى في قصص الخيال.. وبعد ذلك حاول الإلمام بتفاصيل الحالة واستيعاب مدلولاتها، فقال له الطبيب ستبدو لك الصورة جليَّة حين ترى الأطفال بعد قليل. ثم سأله عن زوجته فأكد له معاناتها من نزيف مستمر بسبب حجم التوأم ومشكلة الولادة، فاستبد به القلق، تبدَّد حلمه، الطفل الذي كان يترقَّبه وتتوق نفسه إليه ليملأ منزله سعادة؛ رزق به ملتصقًا مع أخ له!! لم يتمالك نفسه، وحين عجز عن السيطرة على عواطفه أجهش بالبكاء..

تداعيات وجدانية

كم هي صعبة وعصية دموع الرجال إلا في مثل هذه المواقف الوجدانية الشفيفة. تقاطرت دموعه بغزارة، حاول الطبيب التخفيف عنه، فقال له عبد الله: دعني.. فأنا مشدود الآن إلى زوجتي وأطفالي، وما أدري ما قد يحدث بعد الآن، فالطفلان يحتاجان بعد الله إلى عناية كبيرة، ودماء زوجتي تتدفق خارج جسدها وأخشى أن أفقدها وأنا لن أقوى على فراقها.. أرجوك، أرجوك أن تساعدها، وأن تطلب من جميع الأطباء بذل كل ما في وسعهم لإنقاذها وإنقاذ طفليَّ. وبعد نصف ساعة صحبه الطبيب ليرى توأمه، وما أن رآهما حتى استأنفت عيناه إدرار الدمع من جديد، موقف صعب وحالة صعبة، الأطفال تحت الأوكسجين والمراقبة الشديدة، فهناك التصاق في أسفل الجسد والبطن والحوض، وهناك طرف لكل طفل وطرف ثالث مشترك ومشوه، ظل عبد الله واجمًا وصامتًا للحظة، واكتفي بمسح الدموع من على جبينه، ثم جلس على أقرب مقعد له واضعًا رأسه بين يديه يستعرض ملابسات هذه المحنة، ويفكر في هذه المعضلة وكيفية حلِّها وتجاوزها. وقبل أن تلفُّه الأحزان بردائها الأسود؛ ألهمه




بداية التخدير



مرحلة التعقيم

إيمانه التحلّي بالصبر والثبات وعدم الجزع، والاستسلام لمشيئة الله جل وعلا، وفي تلك اللحظة غشيه إحساس بالطمأنينة، فكان الرضا بما أراد الله سبحانه وتعالى سلوته في ذلك الموقف المشحون بالانفعالات.. وقال لنفسه ربما كان هذا التوأم سببًا في سعادة آتيه لا يعلمها إلا الخالق تبارك وتعالى.

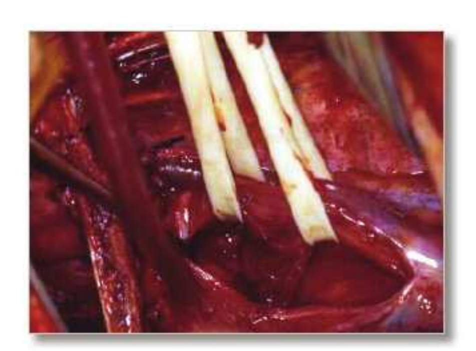
لا شك أن من الصعب على أي إنسان تخيُّل مثل هذا الموقف المؤلم وأبعاد المشكلة التي يعاني منها والد التوأم، مضت نصف ساعة وهو على تلك الحال من الألم والبكاء والتفكير، وبقي أسير موقف حائر ومربك، فالزوجة لم تبرح منطقة الخطورة وكذلك التوأم. ارتسمت مجموعة من علامات الاستفهام في مخيلته بينما كان خاطرُه موزعاً ومعلقاً بين الزوجة والطفلين: هل يبادر إلى إنقاذ ابنيه؟ أم يبقى مع زوجته حتى تجتاز الحالة التي تعاني منها الآن؟ وعندما نظر إلى عيني ابنيه (حسن وحسين) استجاشت في داخله عاطفة الأبوة لأول مرة تُحفِّزه على بذل أقصى ما في وسعه لإنقاذهما، ولذلك طلب أن يصاحبهما في سيارة الإسعاف التي ستنقلهما إلى أي مستشفى في مدينة أخرى يكون أكثر خبرة وإمكانات، وقبل أن يخرج استأذن لرؤية زوجته، وكان لقاؤهما حاراً ورقيقًا، دمعت عيناهما سوياً، وطمأنها بألا تخاف ولا تقلق طالما كانت القلوب عامرة باليقين ومستيقنة معيَّة الله جل وعلا.. وكان قلبُ الأم رغم معاناتها وحالتها الحرجة معلقًا بطفليهما، فألحَّت عليه بالرجاء أن يصحبهما في رحلتهما ولا ينشغل بها لأنها ستكون في حفظ الله جل وعلا، كما هي الآن محلَّ رعاية الأطباء وعنايتهم، آثرت ابنيها على نفسها غير آبهة بنزيف الدم الذي يُنهك قواها وجسدها.. فاضت دموعهما معًا وهو يودِّعها لصحبة التوأم.

هواجس في سيارة الإسعاف

تحدث عبد الله بلسانه عن رحلة (المعاناة والألم)، رواها بنفسه وبتفاصيلها كاملة، لم أقاطعه وهو مسترسل في قصته، وما كنت أملك غير ذلك، فقد كان يهمني كثيرًا الوقوف على الحقيقة منطلقة مباشرة من لسان صاحبها، فهذا بحكم المهنة مدخل مهم للتشخيص. أطرق قليلاً ثم صرف بصره عني وأرسله عبر النافذة وكأنه يستمد تفاصيل معاناة رحلته من الخارج، ثم تابع إكمال الوصف الدقيق لهذه الرحلة المضنية.... يقول عبد الله: اتخذت مقعدي في الإسعاف بصحبة ممرضة، والطفلان تحت الأوكسجين الخارجي، ولا يطرق سمعي طوال الرحلة سوى بكاء الطفلين الذي يشعرني بأنهما ما زالا على قيد الحياة، وصوت الأوكسجين الذي يطمأنني بأن الأسطوانة مازالت تؤدي مهمتها في تزويد التوأم بالأوكسجين، وكانت الممرضة تراقب هذه العملية وتهتم بالمغذي الذي أُودِع جسدهما عبر أحد أوردة كل منهما، لم تكن الرحلة سهلة في سيارة الإسعاف التي كانت تطوي الطريق بسرعة فائقة، ومع ذلك كنت أستزيد قائدها وأستحثه على مزيد من السرعة؛ إلا أنه كان مُقيَّدًا بحدٍّ نهائيّ ما كان من الممكن تجاوزه.. لم يغب حال زوجتي عن خاطري طوال الرحلة، وتراودني بين هنيهة وأخرى هواجس واستفسارات حول حالتها هل ازدادت سوءًا، أم خفت حدَّة معاناتها؟ وهل هي منشغلة بالتفكير في طفليها غير آبهة بوضعها الخطير؟ وتتابعت الهواجس.. من يعتني بالأبناء إذا قدَّر الله لها ما لا نرجوه؟ من يعوضني عمَّا كانت تحوطني به من حنان ومودة وسعادة؟ ومن أحاديث ومناجاة



مرحلة التخدير

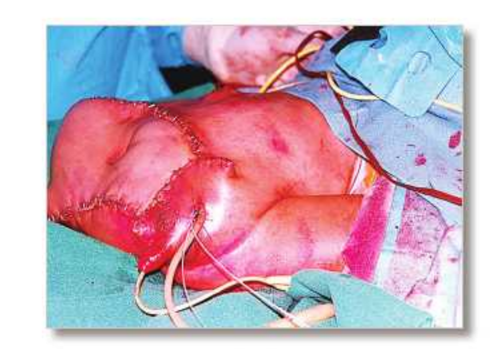

أثناء العملية

ومواساة عند الألم والمشقة؟ ثم عاد إليَّ التفكير في مستقبل ابنيَّ، وماذا يخبئ لهما الغد؟ وهل يكتب الله لهما الحياة، وإذا أمدَّ سبحانه وتعالى في عمريهما؛ هل تلازمهما إعاقة دائمة؟ وتتابعت الأسئلة الحائرة كدفق المطر، ولم يوقفها إلا انحدار الدموع التي تتدفق بعد كل لحظة وأخرى.

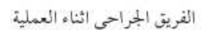
وصلنا إلى مدينة كبيرة، وطرقنا باب أول مستشفى، فلما اطَّلع الأطباءُ على الحالة أبدوا اعتذارهم بأن إمكانات المستشفى دون القدرة على استقبالها وعلاجها نظرًا لأنها صعبة ومعقدة وبالتالي لا يمكن تقديم الخدمة المبتغاة.. أفقدني ردُّهم الأمل، ولم أجد تعبيرًا عن استيائي وضيقي سوى مجاملتهم بعبارات شكر مقتضبة، ثم غادرنا إلى مستشفى آخر، وفي الطريق لاحظت ثمة قلق وشحوب على وجه الممرضة، فسألتها عن أسباب انزعاجها؟ فأجابت بعد تردد بأن أسطوانة الأوكسجين على وشك النفاد، ولا بد من الحصول على أخرى بديلة على عجل؛ وإلا فإن التوأم سيعاني بعض المشكلات التي قد تؤدي إلى الوفاة، تضاعف الهمُّ، وخاطبت قائد الإسعاف لمضاعفة السرعة وكأني في سباق مع الزمن، ظروف عصيبة ومواقف مريرة، فطفلاي الآن على حدٍّ فاصل بين الحياة والموت إن لم نصل إلى مستشفى يزودهما بالأوكسجين، وزوجتي تقاسي آلامًا مبرحة ولا أعلم ما يحلُّ بها الآن..!! عبرنا باب الطوارئ في مستشفى آخر أكبر؛ ولكن لم يكن الاستقبال بأفضل من سابقه، وكان الاعتذار والتبريرات نفسها وكأن أطفالنا من كوكب آخر، أو أشباحًا مخيفة ومرعبة لا يمكن التعامل معها!! توسَّلت إلى مسؤولي الطوارئ لتغيير أسطوانة الأوكسجين، تردّدوا كثيرًا مشيرين إلى أن نظام العهدة يتطلب توقيع المتعامل مع الأجهزة الطبية على إقرار بمسؤوليته عن إعادتها، وبعد محاولات مستمرة مع عدة أشخاص انبرى أحد أصحاب النخوة وأعلن تحمُّل مسؤولية ذلك، فوعدته بإرجاعها فور إعلان أي مستشفى عدم ممانعته في استقبال ابنيَّ. طرقتُ أبواب مستشفى ثالث في هذه المدينة ولكنه لم يكن بأفضل من سابقيه، غير أني صادفت ممرضة من جنسية غير عربية تتمتع بنخوة وهمَّة عالية فأرشدتني إلى مستشفى في مدينة أخرى قريبة قد يتوافر فيها حلٌّ لمشكلة الطفلين.. لم تكتف بذلك؛ بل اتصلت هاتفياً على الفور بأحد الأطباء هناك نشرح له الحالة وتطلب منه مساعدتنا.

أسئلة بلا إجابات

استقبلنا لحظة وصولنا إلى المستشفى المعني الطبيب الذي تحدثت إليه الممرضة، وأعرب عن موافقة المستشفى على التعامل مع الحالة مؤقتًا، استبشرت باستقبالنا في مستشفى بمكة المكرمة.. هذه المدينة الطاهرة، وغمرني الأمل بأنها ستكون بداية الخير لحسن وحسين. أخضع الطبيب التوأم إلى الفحص وهما داخل سيارة الإسعاف، ثم نقلهما في حضَّانة إلى قسم الحضانة بالمستشفى.. كنت مهمومًا لحظة استدارة سيارة الإسعاف استعدادًا للمغادرة وفيها أسطوانة الأوكسجين العهدة، فطلبت من قائدها أن يردَّها إلى أصحابها، ثم ودَّعته والممرضة المرافقة قبل أن ينطلقا في طريق عودتهما إلى مدينة الليث.. وما أن نُقل التوأم إلى قسم الحضانة حتى شعرتُ ببعض الراحة لأن العناية كانت أفضل والاهتمام أكبر.. ومن ثم بدأت أطرح على الطبيب مجموعة من الأسئلة؛ ولكن لم تكن لديه أي إجابات، فهو طبيب أطفال ولكنه غير مختص، وليس لديه علم بمثل هذه الحالات.. وبعد مدة ساعدني في الاطمئنان على صحة زوجتي بمستشفى مدينة الليث بعد أن تحدث إلى الأطباء هناك وأكدوا له استقرار الحالة بتوقف النزيف



إقفال الجرح



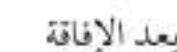
الفريق الجراحي اثناء العملية

وهي في العناية المركزة.. تنفَّستُ الصعداء واتجهت إلى مصلى المستشفى لأداء ركعتي شكر لله جل وعلا، ثم دعوتُه سبحانه وتعالى أن يفرج كربة حسن وحسين. تعاطف الطبيب مع الحالة وبدأ يبحث عن وسيلة لمساعدة الطفلين، قادته جهوده إلى الاتصال بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وتحدث مع الدكتور عبدالله الربيعة شارحًا ملابسات الحالة، فلما علم بتفاصيلها طلب منه إرسال تقارير وصور عنها، فأرسلت بالفعل على وجه السرعة.. وتوِّجت هذه الرحلة بعد مدة وجيزة بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي كان وليًّا للعهد آنذاك بنقل التوأم بطائرة الإخلاء الطبي إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية حيث الإمكانات والخبرة الطبية اللازمة والقادرة على التعامل مع هذه الحالة. وقع هذا الخبر على نفسي بردًا وسلامًا، إنها بشرى عظيمة حمدت الله سبحانه وتعالى عليها، واغرورقت عيناي بدموع الفرح، ثم شكرتُ الله عز وجل على كرمه ومنِّه، وسألتُه ثوابَ كلٍّ من ساعدني في هذا المشوار المحفوف بالقلق والخوف والهمِّ، وأخلصت الدعاء لخادم الحرمين الشريفين على هذه اللفتة الإنسانية الكريمة وعلى اهتمامه بالطفلين. وبعد ذلك نُقل التوأم بواسطة طائرة الإخلاء الطبي، وفي اليوم التالي استقبلنا بالمطار فريق طبيٌّ من مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض بسيارة إسعاف مجهزة بالكامل نقلتنا إلى المستشفى، وكانت تلك بداية مرحلة جديدة.. إلى هنا تكتمل قصة الأخ عبد الله كما رواها بلسانه، لم أملَّ إسهابه فيها بكل تفاصيلها وتفريعاتها؛ بل أنصتُّ إليه بكل حواسي، فأنا طبيب يدرك أهمية معرفة الحالة وتاريخها وتداعياتها وانعكاساتها..

التوأم حسين.. حالة حرجة

حرصتُ على استقبال التوأم بقسم العناية المركزة للأطفال الخُدَّج، وتمثلت أولى خطواتي في فحصه فحصًا دقيقًا بالاشتراك مع أحد الاستشاريين، وأتبعنا ذلك بعمل بعض الفحوصات الأساسية.. ومع اكتمال الفحوصات صحبتُ والد التوأم إلى غرفة مستقلة حيث تحدثنا إليه وأطلعناه على نتائج الفحوصات التي أكدت أن حسن وحسين طفلان سياميان ملتصقان في منطقة البطن والحوض، مع وجود طرف سفلي واحد لكل منهما، وطرف ثالث مشترك بينهما، وأن حالة حسين حرجة نظرًا لمعاناته من مشكلات في القلب سنعمل على تشخيصها، وذلك بالإضافة إلى انسداد في فتحة الشرج تتطلب تدخُّلاً جراحياً، ثم أخبرته بأننا نحتاج إلى فحوصات طبية أخرى مستعجلة وربما يستدعي الأمر إجراء جراحة لفك انسداد الأمعاء بسبب عدم تخلُّق فتحة الشرج، كما تتطلب مشكلات القلب لدى حسين تشخيصًا دقيقًا لتحديد وضع كل منهما. كان عبد الله متفهمًا وموقنًا بما يشاء الله، فقال يخاطبنا متوكلاً عليه سبحانه وتعالى إن الطفلين من أبنائكم وأنتم أهلهم فافعلوا ما ترونه مناسبًا لحياتهما.. ثم سألته عن زوجته فأخبرني بوضعها، فبادرت إلى الاتصال بالمستشفى المعني ليتيح له فرصة الحديث معها، وبالفعل تحدث إليها واطمأن على استقرار حالتها، وإمكانية مغادرتها لغرفة العناية المركزة وللمستشفى خلال يوم أو يومين، دمعت عيناه من الفرح، وشكر الله سبحانه وتعالى ثم استأذننا في استعجال توقيعه على العملية المستعجلة حتى يتمكن من السفر لإحضار زوجته إلى الرياض، وافقت على ذلك وطلبت منه العودة بسرعة حتى نتمكن من إطلاعه على نتائج الفحوصات، ومن ثم فقد تولى قسم الخدمة الاجتماعية وعلاقات المرضى مساعدته فيما يتعلق بتسهيل إجراءات رحلته.




بعد الإفاقة


حسين

كانت كل تلك الخدمات من الواجبات التي وُجِّه بها المستشفى للتعامل مع الحالة، وفي اليوم التالي مباشرة لاستقبال التوأم عمدنا إلى تشكيل الفريق الطبي لدراسة الحالة ولمراجعة الفحوصات السريعة التي أجريت، وضم الفريق أطباء من العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة والتخدير وجراحة الأطفال وجراحة المسالك البولية والتجميل والعظام والتمريض وفنيي التخدير والتمريض من غرفة العمليات. ووضح للاجتماع الذي عقده الفريق أن التوأم مشترك في أسفل البطن والحوض، ولكل منهما طرف سفلي واحد، ويشتركان في طرف ثالث مشوه إضافة إلى انسداد في فتحة الشرج، وكشفت الفحوصات الداخلية وجود اشتراك بسيط في الكبد، واشتراك في الأمعاء الغليظة والجهازين التناسلي والبولي، ومن النتائج التي أقلقت الفريق الطبي كثيرًا معاناة التوأم حسين من مشكلة كبيرة في القلب تتمثل في وجود عيوب خلقية صعبة جداً تعيق الحياة وقد تتطلب زراعة قلب كي يعيش مستقبلاً، وخلصت مناقشاتنا إلى ضرورة إجراء عملية مستعجلة لعمل فتحة شرج مؤقتة كي يتمكن الطفلان من تناول الطعام مما يساعدهما في زيادة وزنهما لتحمل العملية الأساسية. بعد تجهيز التوأم في اليوم التالي نُقلا إلى غرفة العمليات، وأجريت لهما عملية فتحة مؤقتة لتصريف الفضلات في جدار البطن استغرقت مدتها ساعة واحدة، وحدِّدت هذه العملية بالاتفاق حتى لا تؤثر على العملية المستقبلية، وبعدها نقلا إلى غرفة العناية المركزة لحديثي الولادة لمتابعة حالتهما. اجتمع الفريق الطبي مرة أخرى بمشاركة الزملاء من قسم القلب للأطفال وتناقش الجميع طويلاً حول وضع قلب حسين وعدم قدرته على تحمل العملية بوضعه الحالي، وبناءً على ذلك اقترح بعض أطباء القلب إجراء عملية إسعافية لتوصيل الشريان الرئوي لحسين بالشريان المتجه إلى اليد اليسرى لكي يخفف الضغط على القلب، ويخفف كذلك مشكلة نقص الأوكسجين لديه. كما تناقشنا حول سلامة وأمن عملية الفصل، فذهب بعضنا إلى عدم إجراء عملية الفصل مستقبلاً، بينما رأى آخرون ضرورة إجرائها لإنقاذ التوأم لأنهما لن يستطيعا الحياة مع وجود مشكلات كبيرة في قلب حسين، ثم استقر الرأي على إجراء عملية تحويل للدم الرئوي لحسين على أن يعقب ذلك اجتماع آخر إذا تحقق النجاح للعملية.

يبكيان وأنا أشرح

وصل عبد الله مع زوجته، واستقبلتُهما في مكتبي وشرحتُ لهما المصاعب التي يعاني منها حسين، وتعقيدات الاتصال، ثم أطلعتُهما على مجمل ما توصل إليه الفريق الطبي، وبينما أنا مستمر في الشرح لم تستطع الأم مقاومة دموعها المنهمرة بغزارة والتي أثارت بدورها دموع الزوج. بذلت جهدي في تقليل حدة القلق والخوف لديهما، فطلبا مني مضاعفة الجهد من أجل إنقاذ حياة التوأم، وأطلعتهما على مشكلة قلب حسين التي ربما تعيق حياته، وأخبرتهما بما ذهب إليه أطباء القلب من أنه ربما يحتاج إلى زراعة قلب وهذه غير واردة في التوائم السيامية، وأعلمتهما بأن هناك عملية تخفيفية أو تلطيفية ستجرى خلال الأسبوعين القادمين، فأعلنا موافقتهما عليها. وقبل أن يغادرا مكتبي طلبت من قسم علاقات المرضى والخدمة الاجتماعية تأمين سكن لهما وتوفير ما يحتاجان إليه. وبعد أسبوعين أجرى الفريق الجراحي عملية تحويل لدم رئوي ومساره عبر توصيلة مؤقتة استغرقت مدتها حوالي الساعة ونصف الساعة ونجحت بحمد الله في تخفيف مشكلات الهبوط الكبير في القلب لدى حسين، ومن ثم



حسن

الفريق الجراحي

فقد استقرت حالة التوأم إلى حد ما، وبدأ فريق الأطفال في الاهتمام بالتغذية لمقابلة ضرورات رفع الوزن إلى ما يقارب ثمانية كيلوجرامات أو تسعة بما يمكِّن من إجراء العملية. أجرى الفريق الطبي عدة اجتماعات لاتخاذ قرار بشأن إمكانية الفصل، وبعد عدة أشهر تحقق الوزن المطلوب لعملية الفصل، وفي الاجتماع السادس اتفق أعضاء الفريق على أن إمكانية الفصل واردة، وأن نسبة الخطر فيها قد تصل إلى ٥٠٪ تقريبًا مع وجود مخاطر على حسين بالذات لأنه قد لا يستطيع تحمل عملية الفصل، وبعد نقاش طويل استقر الرأي على إجراء العملية على الأقل من أجل إنقاذ حياة حسن.. شرحنا كل هذه الملابسات إلى والدي التوأم بوضوح، فوافقا على ذلك رغم مرارة القرار وصعوبته عليهما؛ إذ ليس أمامها سوى ذلك.

قرر الفريق الطبي إجراء العملية يوم السبت ١ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٩٨م، وكان من المتوقع أن تستغرق زهاء عشرين ساعة على أن تسبقها عملية تجريبية وهمية قبل هذا الموعد بيومين بحضور والد التوأم، وتقرر لها الساعة الرابعة من بعد عصر يوم ١٩نوفمبر١٩٩٨م، ونقل التوأم إلى غرفة العمليات وكانت خطة العملية جاهزة ومكتملة لديَّ واشتملت على ثماني مراحل، وعكفنا على مراجعتها والتأكد من كل احتياجات الفريق الطبي، فأصبح كل شيء جاهزًا تمامًا، وتأكدنا أن مراحل العملية ستكتمل جميعها وفق ما هو مخطط لها، ثم دُعي والد التوأم إلى غرفة العمليات واطمأن على جاهزيتها. وقبل أن ينصرف أعضاء الفريق الطبي ذكَّرتهم على سبيل الدعابة بأهمية تجنُّب تناول الدسم من الأطعمة، مع الابتعاد عن الإرهاق والخلود إلى النوم المبكر وذلك بهدف رفع درجة استعدادهم للعملية. وكان موعدنا للقاء الأخير هو الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الحادي والعشرين من نوفمبر قبل موعد بدء العملية.

أسرتي تشدُّ عضدي

وكالعادة فإن الليلة التي تسبق يوم العملية تُعد من الليالي التي أحسب لها ألف حساب كثيرًا، وقبل الموعد بيوم زرت خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز إبان ولايته للعهد، وشرحت له تفاصيل العملية رغم أنه كان متابعًا لكل هذه التفاصيل وعلى علم بكل ملابسات الحالة؛ إلا أنني أطلعته على ما يقلق الفريق الطبي، فقال لي بالحرف الواحد (إنكم عملتم ما عليكم واجتهدتم، ويجب عليكم أن تولوهما عناية تامة، ولن يخيب الله سبحانه وتعالى رجاءكم، واتَّكلوا على الله وسوف يوفقكم بإذنه تعالى) كان هذا الحديث مشجعًا لي وحافزًا لي على بذل كل ما بوسعي من أجل إنقاذ هذين الطفلين البريئين. وفي ذات الليلة، وبعد عشاء خفيف، ومؤازرة من زوجتي وابني خالد وبناتي شذى وغادة وريم ونورة وسارة اتجهت إلى السرير بعد أن تناولت قرصًا دوائيًّا ساعدني على النوم، استيقظت قبل الفجر بنصف ساعة، فصليت ركعات دعوت الله فيها أن يوفقني في إكمال كل مراحل العملية بنجاح، وبعد صلاة الفجر تناولت إفطارًا خفيفًا ثم اتجهت بسيارتي مع إشراقة الشمس إلى المستشفى الذي يقع بمنأى عن موقع بيتي، ويستغرق قطع المسافة إليه حوالي ٢٠ دقيقة، كان الشروق أمامي مباشرة وأنا ألاحظ الشمس تعلو قليلاً في الأفق، وكلما ازداد ضياؤها ارتفعت نبرات صوتي بالدعاء إلى الله بالتوفيق، فكان ذلك الإشراق الباهر يملأ جوانحي بالأمل والبشرى، ويقوي دوافعي إلى النجاح، وكنت أشاهد من بعيد مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، هذه







حسن وحسين بعد العملية

حسن مع بقية التوائم

المدينة التي كان موقعها صحراء قاحلة تحولت إلى مدينة شامخة عامرة؛ بل إلى أحد المراكز والمراجع الطبية المرموقة في المنطقة يشار إليها بالبنان، وكما كان نجاح هذه المدينة ؛ فإننا نستوثق معيَّة الله لنا وتوفيقه في خطوتنا القادمة لرفعة سمعة وطننا الحبيب. وصلت إلى المستشفى في الساعة السابعة صباحًا حيث سبقني زملائي أعضاء فريق التخدير، وبعد ربع ساعة أحضرنا التوأم، ثم وصل بقية أعضاء الفريق من التخصصات الأخرى، وكان والدا التوأم برفقته، وفي غرفة تجهيز العمليات تحدثت مع عبد الله، فطلب مني الاهتمام فيهما قائلاً هما طفلاك وأنت مكاني في درجة الاهتمام بهما، تأثرت بكلامه، أما هو وزوجته فقد اكتفيا بإرسال دموعهما وهما ينحنيان على توأمهما حضنًا وتقبيلاً، وتوقفا عند باب غرفة العمليات.

توقف لمدة نصف ساعة

استغرقت عملية التخدير ثلاث ساعات، تلتها مرحلة التعقيم، ثم مرحلة المشرط التي بدأتها بفتح الجلد باسم الله وعلى بركة الله مستذكرًا توجيه الملك عبد الله حفظه الله(ولي العهد آنذاك) وهو يشد عزيمتي قبل العملية، ثم توالت المراحل الثماني، وبعد سبع ساعات واجهتْ حسين بعض المشكلات في نبضه، وانخفض ضغطه قليلاً، وبدأت أنظر بقلق إلى فريق التخدير الذي طلب منا التوقف قليلاً أثناء العملية لإعطاء أدوية تساعد القلب على الضخ أكثر، وبعد توقف لمدة نصف ساعة استأنفنا العمل مرة أخرى، وبعد أربع عشرة ساعة ونصف الساعة حالفنا التوفيق في إكمال فصل التوأم بموقف مؤثر في النفس حيث كان العد التنازلي من خمسة إلى صفر، فكان التصفيق والفرحة تطغى على كل الوجوه لأن الهاجس المخيف كان فقدان التوأم حسين، إلا أن الله سبحانه وتعالى وفقنا بأن يظل حسين على قيد الحياة، استغرقت بقية المراحل أربع ساعات، واكتملت جميعها ولله الحمد بعد ثماني عشرة ساعة ونصف الساعة، واختتمت بإقفال الجراح وتغطيتها ونقل حسن وحسين بعد التقاط الصور التذكارية إلى غرفة العناية المركزة، وعند باب غرفة العمليات أقبل عليَّ عبد الله والد التوأم يعانقني عناقًا حاراً اختلطت فيه دموعه بعبارات الشكر والدعاء، فلم أستطع أن أتمالك نفسي أو أمنع دموعي من أن تنساب على خدي لتشاركه فرحته العارمة، وتقاسمه إحساسه في ذلك الموقف المؤثر، ولاحظت أن والدة التوأم تسكب أيضاً دمعها وهي ترى طفليها في سريرين منفصلين. ومن المواقف التي لا يمكن إغفال ذكرها أو نسيانها ذلك الاتصال التي تلقيته من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) قبل مغادرتي لغرفة العمليات ليطمئن على حالة التوأم، وليهنئ الفريق الطبي على نجاح العملية، والتي طلب فيه مني نقل التهنئة إلى والديِّ التوأم. نُقل الطفلان إلى غرفة العناية المركزة حيث مكثا فيها ما يقارب الشهرين لأن حالة حسين كانت لا تزال مضطربة، وتطلبت قدرًا كبيرًا من عناية أطباء العناية المركزة وأطباء القلب، ذلك أن وضع القلب لديه لم يكن مستقراً مما استدعى تزويده ببعض من الأدوية التي تساعده على تخطي هذه المرحلة الحرجة، علاوة على المتابعة الدقيقة إلى أن استقرت حالتهما معًا وعادت وظائف اعضاؤها إلى طبيعتها، واستطاعا تناول الطعام بشكل طبيعي، ثم نقلا إلى جناح الأطفال رقم (٧) الذي عُرف بجناح التوائم السيامية، وبعد شهرين من عملية التأهيل كان القرار بإخراجهما من المستشفى، فطلب خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) لقاءهما مع والديهما؛ فنقلا إلى مكتبه حفظه

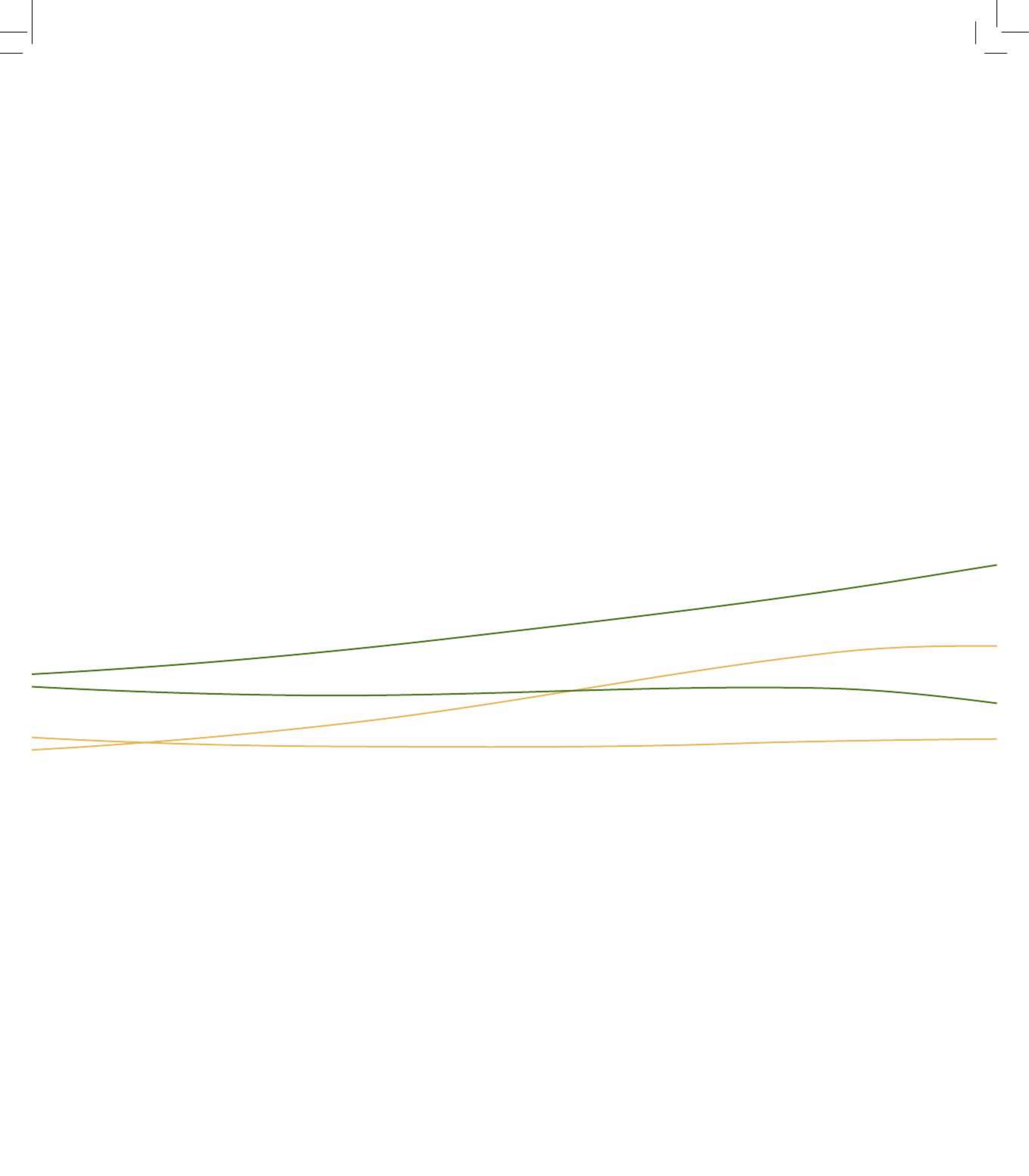


حسن مع بقية التوائم في (اليوم المفتوح للتوائم)

الله بالحرس الو طني، فاستقبلهما استقبالاً أبويًّا كريمًا وهنأهما على نجاح العملية، كما التقى بالفريق الطبي وهنأه أيضاً على هذا النجاح الكبير. وبعد شهر من مغادرة المستشفى أعيد التوأم حسين مرة أخرى نظرًا لوجود ضمور كبير في الجهة اليسرى للقلب وهبوط حادٍّ فيه، واختلال في مخارج شرايينه، مع فتحات كبيرة بين البطينين والأذينين، وكان ضغط القلب ضعيفًا جدًا.. فمكث في المستشفى قرابة الشهرين، ورأى الأطباء أن حالته لا تسمح بالخروج ما لم تُجر له عملية زراعة قلب. وإزاء ذلك أخبر أطباء القلب والده بعدم إمكانية ذلك، وأن فرصة بقائه على قيد الحياة ضئيلة جداً. وبعد ستة أشهر أصيب حسين بالتهاب حاد في الرئة وهبوط حاد في القلب أدى إلى وفاته مما سبب ألمًا كبيرًا لوالديه، ولكن هذه النهاية كانت متوقعة منذ البداية. أما التوأم حسن فقد عاش حياة سعيدة، وهو الآن بالمدرسة ومن المتميزين في دراسته، وحسب إفادة والديه فإنه أصبح سباحًا ماهرًا ومنافسًا أساسياً في سباقات السباحة. وعندما بلغ عمره عشر سنوات أُتيحت له فرصه لقاء خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في مزرعته وهنأه بهذا العمر المديد، وألقى حسن قصيدة مؤثرة في حضرته حفظه الله.



حسن في صورة حديثة له







حالة نادرة

ذو القعدة ١٤٢٢هـ/ يناير ٢٠٠٢م



حالة نادرة

ذو القعدة ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م

خارج توقعات الأطباء!!

من الطبيعي أن يرزق المرء توأماً، أو ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة توائم؛ غير أن الحالة التي سنتحدث عنها تعدُّ نادرة جداً، ليس فقط على مستوى خبرة مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني؛ وإنما على مستوى المؤسسات المتخصصة في العالم، وهي حالة تخص أسرة بسيطة من جمهورية السودان الشقيقة. فقد كان الأستاذ هاشم يضرع إلى الله عز وجل أن يرزقه طفلاً يضفي على حياة الأسرة سعادة ويغمر ساحة البيت فرحًا ومرحًا ومحبة، وبالفعل شعرت الزوجة بأعراض الحمل وأخبرت زوجها ففرح واستبشر.. وأخذا يتبادلان التوقعات حول نوعية المولود القادم، ذكر هو أم أنثى؟ أريده ولدًا، لا.. أتمنى أن تكون زهرة حلوة.. سلسلة طويلة من أسماء البنات والأولاد مُدَّخرة لاختيار أحدها بعد الولادة، كان الحمل طبيعاً عدا أن حجم الرحم كان أكبر، وعناء الأم أكثر، وشكواها متكررة من كثرة (الحوامض) وفقدان الشهية وعزوفها عن بعض الأطعمة والمشروبات، وعدا ذلك فلا شيء آخر كان يزعجها، وعند متوسط أشهر الحمل أخبر الطبيب الأم أنها تحمل توأماً، ففرح الأب فرحًا شديدًا وكانت سعادته كبيرة، طفلان في حمل واحد، يالها من سعادة!! وتساءل الزوجان ما إذا كان التوأم ولدين أم بنتين؟ أم من الجنسين معًا ذكر وأنثى؟ استيقن الزوج أن هبة الله أيّاً كانت تحظى بالقبول والرضا، فهو جل وعلا يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، وتركز جهده في مضاعفة الاهتمام بزوجته حفاظًا على صحتها وصحة أطفالها.. ومع اقتراب نهاية الحمل أجرت الطبيبة المشرفة أشعة صوتية للأم بيَّنت نتائجها أنها تحمل ثلاثة توائم، دهشت الأم ونقلت الخبر إلى زوجها مشيرة إلى أن الحالة تبدو صعبة جداً، وفي ضوء ذلك استغرق الأب في التفكير حول كيفية التعامل مع ثلاثة أطفال من حيث الاستعداد والتجهيز والتغذية والرعاية والعناية وما إلى ذلك، رأى نفسه ينوء بحمل كبير يفوق طاقته، فكيف يوفق بين سعيه في طلب العيش ومساعدة زوجته في رعاية التوائم الثلاثة.

دخلت الأسرة في حيرة كبيرة حين علمت أن الولادة تستلزم إجراء عملية قيصرية نظرًا لنوع الحمل وصعوبته، وبالفعل نقلت الأم إلى مستشفى الولادة والأطفال بجدة حيث أجريت لها هذه العملية، وكم كانت دهشة الأطباء والأم كبيرة حين وجدوا أنفسهم أمام حالة نادرة جداً على مستوى العالم، وهي حالة لم يتوقعها الأهل ولا الأطباء ولا حتى المختصون.. إذ خرجت طفلة أنثى مكتملة وسليمة، والطفلتان الأخريان ملتصقتين، لقد كان الحمل ثلاثيًّا لإناث، إحداهن طبيعية والاثنتان ملتصقتان في منطقة البطن وأسفل الصدر، نُقل التوأم إلى غرفة الإنعاش ليتم التعامل معه من حيث العناية والرعاية والتغذية، بدأت الطفلة المنفصلة عن التوأم تتعامل طبيعاً، أما التوأم الملتصق فكان يحتاج إلى بعض الأوكسجين والعناية المكثفة.



نجلاء ونسيبة قبل العملية مع التوأم الثالث فاطمة



بعد الفصل مباشرة

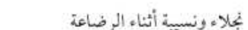
أسئلة هستيرية

كان الأب في الخارج ينتظر على أحر من الجمر ويفكر في أطفاله الثلاثة، وفي كيفية مساعدة زوجته على رعايتهم والعناية بهم؛ لا سيما أن وضعه المالي لا يساعده على الاستعانة بخادمة أو ممرضة، وبينما هو غارق في تفكيره ومستسلم لخياله؛ خرجت إليه الطبيبة فتلقاها هاشًا باشًا تحركه لهفة المشفق وعاطفة الأبوة، فأخبرته بانتهاء العملية وتبشره بسلامة زوجته، فسألها عن الأطفال؟ فطمأنته أنهم بخير إن شاء الله، فتساءل ما إذا كانوا ذكورًا أو إناثًا؟ فأجابت: رزقك الله ثلاث بنات ولكن... فقاطعها متسائلاً: ولكن ماذا؟! وبدأ يطرح أسئلة بصورة هستيرية: هل مات أحدهم؟ هل ماتوا جميعًا؟ هل لديهم مشكلات وصعوبات خلقية؟ هل هم معوقون؟ ذكرت له الطبيبة بأن اثنتين منهما ملتصقتان، أي سياميتان! لم يستوعب الزوج معنى المفردة، ولم يسمع بمثل هذه الحالة من قبل في حياته، ولم يقرأ عنها، فشرحت له الطبيبة وضع توائمه، فَغَرَ فاه واعتراه الذهول لحظة سماعه للخبر، كاد يستسلم لحيرته، ولكنه انتبه بعد فترة وأخذ يسأل عن الحالة؟ وماهية الالتصاق؟ وعن معنى كلمة سيامي؟ فأعلمته بأن ابنتيه ملتصقتان في منطقة الصدر والبطن، ويتطلب ذلك رعاية خاصة وخبرة كبيرة للتعامل مع مثل هذه الحالات. ثم أكدَّت له أن مثل هذه الحالة نادرة جدًا. عاد إلى الإغراق في التفكير، وأخذ يحدث نفسه ويناجي ربه ودموعه تسيل على خديه: ويدعوه بإخلاص ليعينه على تجاوز هذه المعضلة، ويقول بخشوع: رزقتني يا ربي وأنا راض وقانع بما رزقت، فأضرع إليك يا إلهي أن تفرج كربتي وتزيل همي وغمي، وأسألك أن تساعدني لأصبح قادرًا على مساعدة بناتي.. ناجى ربه مناجاة الضعيف المنكسر، ودعاه دعوة المضطر الذي يرجو عونه جل وعلا، دعوة صادقة نابعة من القلب، استمر هاشم في البكاء، انكسار حقيقي أن يبكي الرجل، فدموع الرجال عزيزة، ولكن كيف لا يبكي من يناجي ربه ضارعًا خائفًا منكسرًا، لا يلام هاشم على دموعه المنسكبة بحرارة، ولا على حديثه مع نفسه؛ لأن المصاب جلل والمشكلة كبيرة. وبعد أن تحرر من هواجسه ذهب إلى زوجته؛ فوجدها غارقة في دموعها، بكى معها ولكنه تمالك نفسه، وحاول التخفيف عنها بتذكيرها بأن الله لا يغفل عن عبده المسكين، وأن نعمه علينا كثيرة وكبيرة، ويجب علينا الرضا التام بما اختاره لنا، فمشيئته غالبة وله في خلقه شؤون، ويجب أن تمتلئ قلوبنا بالإيمان والتفاؤل والأمل فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا، فسبحانه وتعالى هو الخالق والرازق.. سُرِيَ عنها قليلاً، وما أن شعر بعلامات الرضا على وجهها حتى استأذنها في أن يذهب للبحث عن وسيلة للمساعدة على حلِّ هذه المشكلة.

موافقة خلال نصف ساعة

غادر هاشم غرفة الولادة، و قابله لحظة خروجه أحد الأطباء فواساه وتحدث إليه وأخبره بأن مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض من المراكز المشهورة التي لديها خبرة في مثل هذه الحالات، وأعرب له في الوقت نفسه عن استعداده لمساعدته بالاتصال بأحد الأطباء المختصين، وبالفعل تلقيتُ اتصالاً في مكتبي من هذا الطبيب، فأطلعني على الحالة وبيَّن ملابساتها، وظروف الأسرة المعنية، ثم زودني برقم هاتف جوال فاتصلت فكان على الطرف الآخر رجل يتحدث لهجة سودانية، بدا مضطربًا





نجلاء ونسيبة أثناء الرضاعة



نجلاء ونسيبة بعد العملية

ومرتبكًا وهو يحدثني ويتوسَّل إلي أن أساعده لأن أوضاعه المادية تجعله عاجزًا عن فعل أي شيء، أخبرته أن في إمكانه أن يرفع برقية إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وليكن واثقًا بأنه حفظه الله لن يرد طلبه ولن يخيب رجاءه. وبعد إرسال البرقية كانت المفاجأة كبيرة جداً بالقدر الذي تجاوز توقعات الأستاذ هاشم وقدرته على التصديق، فقد جاءته الموافقة بعد نصف ساعة فقط، مقرونة بتوجيه لنقل التوأم إلى هذه المدينة الطبية العامرة والعناية به.. كان يتوقع أن تطول فترة انتظار الموافقة أسابيع أو أشهرًا أو ربما سنة كاملة، لم يدر بخلده على الإطلاق أن يأتيه الفرج خلال هذه المدة الوجيزة التي لا تتجاوز ثلاثين دقيقة، هذا فوق الخيال.. كُلِّفت أنا شخصياً بإبلاغه بالموافقة، وفعلاً اتصلت به، فظن في البداية أنني أود استطلاعه عن الحالة وتزويدي بمعلومات إضافية، ففاجأته بأن الملك عبدالله (ولي العهد) يقرئك السلام، ويقول إن توأمك في عناية الله سبحانه وتعالى، ثم عناية مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وقد وجَّه يحفظه الله بنقل التوأم إلى هذه المدينة بأسرع وقت، بكى كثيرًا وكنت أسمع نشيجه وتنهداته عبر الهاتف، وغلبه البكاء فلم يستطع الرد عليَّ إلا بكلمتين: جزاكم الله خيرًا وأنقل شكري إلى خادم الحرمين الشريفين (ولي العهد آنذاك) حفظه الله. وبعد أن ودعته شرعنا على الفور في عمل الترتيبات اللازمة لنقل التوأم.

دخل هاشم مسرعًا على زوجته وابتسامة عريضة وسعيدة ترتسم على وجهه، وهو يصيح: البشرى، البشرى ولي العهد الأمير عبد الله بن عبدالعزيز وجَّه بنقل ابنتينا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض المتخصصة في علاج مثل هذه الحالات، تملَّكت الأم فرحة عارمة، وذرفت دموعها وهي تمسك بيد زوجها تقبلها وتحمد الله تعالى على هذه النعمة وتثني عليه، وتدعو لولي العهد. قال لها هاشم إن الله سبحانه وتعالي وعد من رفع إليه أكف الضراعة بالاستجابة لدعائه؛ لا سيما وهو قريب منَّا، وقد دعوته دعاء المنكسر الخاشع أن يفرج همَّ الطفلتين، وها هو يستجيب جل في علاه. اكتملت كل ترتيبات النقل، وخلال أربعة أيام نُقل الوالدان والتوائم الثلاثة فاطمة الطفلة السليمة، ونسيبة ونجلاء السياميتان. وصلت الأسرة إلى مطار الملك خالد بالرياض وكان في استقبالها فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم مباشرة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية، واستقبلتُ التوأم في غرفة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، وأخضع التوأم على الفور إلى بعض الفحوصات الدقيقة والشاملة بمشاركة أحد الزملاء من استشاريي العناية المركزة، ثم طلبنا بعض الفحوصات الأساسية، كما فحصنا الطفلة فاطمة فتبين لنا أنها سليمة جداً ولا تحتاج إلى دخول المستشفى، وبعد ذلك تحدثنا مع والدي التوأم وأطلعناهما بالتفصيل على وضع التوأم، وأخبرناهما بأن هذه الحالات تدخل ضمن ما يسمى بالتوائم السيامية، وهي نادرة، وحالة توأمهما نادرة بصورة أكبر وغريبة على المستوى العالمي، أوضحت لهما أن هناك التصاقاً في منطقة الصدر والبطن، وطمأنتهما بأن إمكانية المساعدة كبيرة بعون الله عز وجل؛ غير أننا نحتاج إلى بعض الوقت لإجراء فحوصات إضافية حتى نتمكن من إيضاح الحالة وشرح تعقيداتها لكما. كان هاشم كما سبق أن ذكرت رجلاً مؤمنًا بالله، فبعد أن أكملت حديثي، تمتم بعبارات كثيرة يشكر فيها الله جل وعلا ويحمده، ثم أتبعها بالشكر على المساعدة التي حصل عليها بشكل سريع، ثم عبَّر عن ثقته الكاملة بالأطباء والمستشفى، وأكد لنا أنه هو وزوجته يقبلان عن رضا تام كل ما يصدر من قرارات عن الفريق الطبي، وهما ينتظران قرارهم النهائي.



نجلاء ونسيبة بعد العملية مع التوأم الثالث



الفريق الطبي لعملية نجلاء ونسيبة

نسبة نجاح عالية

وبعد ذلك بدأت في تشكيل الفريق الطبي والجراحي لمتابعة التوأم وقررنا الاجتماع في اليوم التالي لوضع الخطة الأولية، وبالفعل اجتمع الفريق الذي ضم متخصصين في: جراحة الأطفال، التخدير، العناية المركزة لحديثي الولادة، جراحة التجميل، الأطفال، التمريض، التأهيل، قلب الأطفال، الفنيين. وفي هذا الاجتماع شرحت لزملائي وضع التوأم وعرضت عليهم بعض الصور الخاصة بحالته وبيَّنت لهم وجود اشتراك في أسفل الصدر والبطن، وأن الفحوصات الأولية كشفت عن وجود مشكلة في القلب لدى التوأم، ولذلك قررنا إجراء فحوصات دقيقة للقلب، وصور أشعة للبطن، وأخرى مقطعية وأشعات ملونة للأمعاء، ثم تولى زملائي في العناية المركزة رعاية حالة التوأم عند دخوله إلى العناية المركزة وكذلك الفحوصات التي أجريت حتى ذلك الوقت، واتفقنا على الاجتماع مرة أخرى بعد مرور أسبوعين.

عقدنا الاجتماع في الوقت الذي سبق أن حدَّدناه، وحضره الزملاء من قسم الأشعة الذين قدموا عرضًا وشرحًا لنتائج الفحوصات، كما شرح الزملاء من قسم القلب النتائج التي توصلوا إليها من خلال فحص القلب.. وأظهرت هذه الفحوصات عيوباً خلقية في القلب لدى التوأم، ووجود ثقب بين البطينين، مع اشتراك في أغشية القلب، وفي الكبد، واشتباه بوجود اشتراك في الأمعاء.. وخلصت المناقشات إلى إمكانية الفصل بنسبة نجاح تصل إلى ٨٠٪ إن شاء الله، وقررنا الانتظار إلى أن يصل وزن التوأم إلى ثمانية كيلوجرامات، وتطلَّب ذلك وضع نظام غذائي للتوأم، وتولى المختصون بقسم تغذية الأطفال مسؤولية ذلك، فتجاوبت الطفلتان بصورة سريعة جداً مع برنامج التغذية المحدد، وخلال أربعة أشهر من ولادتهما وصلتا إلى الوزن المطلوب، إذ بلغ الوزن مجتمعًا ثمانية كيلوجرام ونصف، وعلى إثر ذلك عقد الفريق الطبي اجتماعه الأخير واستعرض وضع التوأم وجميع الفحوصات التي أجريت له، والتي في ضوئها تقرر إجراء عملية الفصل في الاثنين ٧ ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٢١يناير ٢٠٠٢م على أن تسبقها بيومين عملية تجريبية وهمية بحضور والد التوأم، فاستدعيته وشرحت له كل نتائج الفحوصات والتقارير بالتفصيل، فوافق على إجراء العملية، وأعلن قبوله لكل ما تتمخض عنه من نتائج. وفي الساعة الثالثة والنصف من عصر يوم ١٩يناير٢٠٠٢م أُحضر التوأم إلى غرفة العمليات لإجراء العملية الوهمية التجريبية. وبعدها وضعت خطة جراحية لعملية الفصل مجزأة على سبع مراحل تكتمل جميعها حسب المتوقع في عشر ساعات، راجعنا هذه الخطة وتأكدنا من جاهزيتها وكذلك اكتمال الفحوصات وجاهزية غرفة العمليات والأجهزة. وبالفعل نجحت العملية الوهمية، وتلاها التجهيز لعملية الفصل الأساسية. شرحت كل مراحلها لوالد التوأم الذي أعرب عن تفاؤله وثقته في أعضاء الفريق الطبي.

وفي اليوم التالي ذهبت إلىخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وشرحت له تفاصيل الحالة وما توصلنا إليه، فبارك خطواتنا ودعا لنا بالتوفيق بمشيئة الله، وذكرنا بالتوكل عليه جل وعلا في كل مراحل العملية.



نجلاء ونسيبة وفاطمة مع الجد والخال



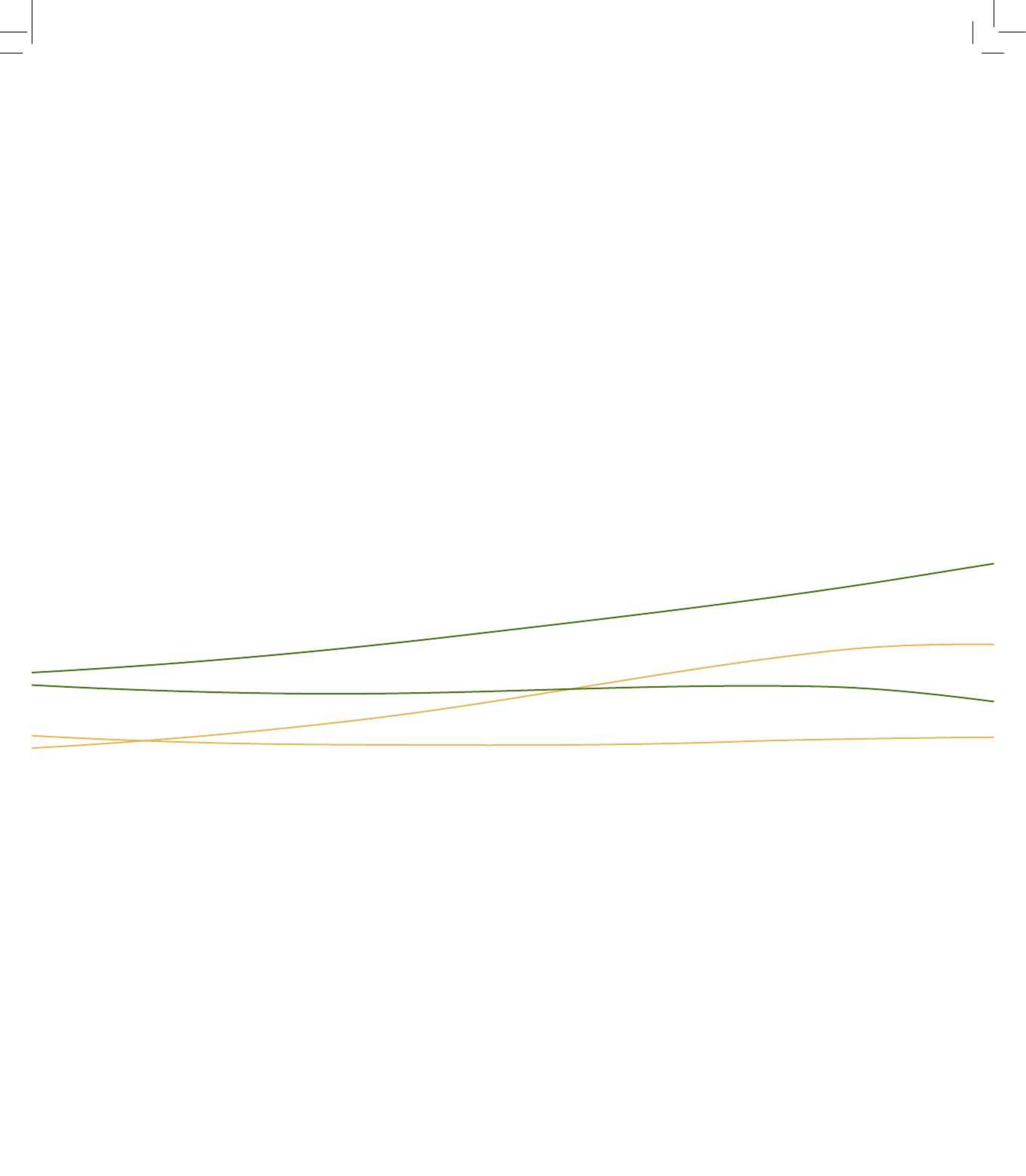
نجلاء ونسيبة مع أختهما التوأم فاطمة



عملية على الإنترنت

في الساعة السابعة من صباح يوم ٢١ يناير من عام ٢٠٠٢م توجهت إلى المستشفى حيث التقيت بالزملاء أعضاء الفريق الطبي، وبعد ربع ساعة نقل التوأم إلى غرفة العمليات وكان والداهما برفقتهما حتى مدخل الغرفة، وطلبت من الأستاذ هاشم أن يطرح ما لديه من أسئلة واستفسارات؛ إلا أنه اكتفى بالتعبير عن ثقته في الأطباء، ووافق على كل مجريات العملية، ثم ودع هو وزوجته طفلتيهما بالدموع والقبلات. الجديد في هذه العملية عن سابقتها أننا قمنا بنقلها على شبكة الإنترنت لإطلاع المختصين عليها، وكان هناك تواصل بيننا وبين والدي التوأم في غرفة العمليات لإتاحة الفرصة لطرح أي أسئلة تطرأ لهما عن حالة طفليهما أولاً بأول.

وحسب الخطة كان التخدير هو البداية وتلاه التعقيم ثم بدأنا العملية بعد تغطية التوأم بقص الجلد، وباسم الله تعالى بدأت أولى مراحل العملية بعد فتح البطن والصدر بفصل قلبي الطفلتين عن بعضهما، وتم فتح الأغشية وإبعاد قلب نجلاء عن قلب نسيبة وإقفال أغشية القلب، وأثناء ذلك طرح والد التوأم بعض الأسئلة والاستفسارات، وشاركه بعض الإعلاميين في طرح الأسئلة، فتولينا الرد عليهم ونحن نواصل عملنا الجراحي، وكانت هذه أول مرة تشهد تعاملاً حياً مع والدي توأم سيامي والتواصل مع الإعلاميين من داخل غرفة العمليات. وبعد ذلك تمكنا من فصل الكبد، وكان هاشم وزوجته يسألان بعض الأسئلة ويتابعان العملية عن طريق شبكة التلفزيون الداخلية، تلا ذلك فصل العضلات وأغشية الأضلع وعظمة القص، واكتمل الفصل بعد حوالي عشر ساعات، ونُقلتا إلى طاولتين مستقلتين، ولزمتنا ساعة أخرى إضافية لإقفال البطن والصدر، واكتملت العملية بنجاح في اثنتي عشرة ساعة، وبعد إقفال الجراح وتغطية الجلد اصطففنا لالتقاط صورة جماعية توثيقًا للخبرة، وعلت الابتسامات على الوجوه علامة على النجاح بفضل الله وتوفيقه. وبعد مغادرة غرفة العمليات التقيت السيد هاشم الذي تهيأ لاستقبالي عند الباب، فاحتضنني ولسان حاله يلهج بالثناء لله سبحانه وتعالى ثم بالشكر لأعضاء الفريق الطبي؛ بينما سارعت زوجته ودموع الفرح تسبقها إلى ابنتيها لرؤيتهما وهما في طريقهما إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث مكثتا عشرة أيام إلى أن شُفيت الجراح وعادت الأعضاء الحيوية إلى وضعها الطبيعي، وبدأت الطفلتان تتناولان الطعام، ونقلتا بعد ذلك إلى جناح الأطفال استعدادًا لعملية التأهيل التي استغرقت أربعة أسابيع غادرتا بعدها المستشفى بصحة كاملة وأصبحتا تتابعان العلاج خارجياً، وبعد سنة تقريبًا أدخلت نسيبة إلى المستشفى لإجراء عملية إصلاح لثقب القلب التي اكتملت بنجاح. وبعد أن وصل عمر التوأم إلى ست سنوات عادتا من السودان إلى المملكة العربية السعودية بدعوة كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي استقبلهما في مزرعته، وسلَّم على التوائم الثلاثة، وهنأ والديهما وأخذ حفظه الله صورة جماعية معهم.







تحدٍ آخر.. !!

رجب ١٤٢٣هـ/ سبتمبر ٢٠٠٢م





خادم الحرمين الشريفين يصافح التوأم الماليزي ويستقبل الفريق الطبي

تحدٍ آخر.. !!

رجب ١٤٢٣هـ - سبتمبر ٢٠٠٢م

نقطة تحول ونقلة نوعية

لم يكن التوأم الماليزي (أحمد ومحمد) مجرد توأم سيامي فحسب؛ بل نقطة تحول ونقلة نوعية في جراحات التوائم في المملكة العربية السعودية، فقد شكل هذا التوأم تحدياً كبيرًا لخبرتنا في هذا المجال؛ لأن المهمة كانت ضخمة باعتبار أن هذه الحالة هي الأولى من خارج العالم العربي، والنجاح في جراحتها يحقق بُعدًا إسلاميًا وأسيوياً وربما عالمياً، وقبول الحالة يضعنا أمام تحد حقيقي، ذلك أن هذا التوأم يختلف عن بقية التوائم الأخرى التي تعاملنا معها.

بدأت القصة مع ولادة التوأم أحمد ومحمد في إحدى قرى ماليزيا ذلك البلد الإسلامي الذي يقع في أقصى شرق آسيا، ولدا لأسرة فقيرة وبسيطة جداً لا حول لها ولا قوة، ولا تملك إلا اليقين في الله سبحانه وتعالى الذي لا يُخيِّب رجاء من لجأ إليه وتوكَّل عليه حق التوكُّل. جاء التوأم إلى الوجود بعد عملية قيصرية صعبة عانت منها الأم وكانت صدمة كبيرة للأسرة التي تعوزها إمكانات الحياة اليومية فضلاً عن أن تكون قادرة على التعامل مع توأم سيامي ملتصق التصاقًا كبيرًا جداً، وبعد زوال آثار الصدمة بحث الأب عن إمكانية تساعده على فصل ابنيه وفك الالتصاق والالتحام بينهما حتى تقرَّ عين الأسرة وترتاح من فضول جميع أهل القرية وأسئلتهم، تنقل بين المستشفيات حتى وصل مع طفليه بمساعدة الأهل والأقرباء والأصدقاء إلى أحد المستشفيات الكبيرة في عاصمة بلاده حيث أجريت لهما فحوصات عديدة وكثيرة، وعندما وصل عمرهما إلى حوالي العام ونصف العام خضعا لمحاولة جراحية للفصل إلا أنها لم تكتمل نظرًا لصعوبة الحالة وتعقيداتها مما أجبر الفريق الطبي على التوقف وإغلاق الجراح، فشعرت أسرة الطفلين بخيبة أمل كبيرة، وكاد يلفها اليأس والقنوط بعد أن أشرق الأمل في جوانحها بتجاوز هذه المشكلة، وبعد أن غمرتها الفرحة بما توافر لها من مساعدات مؤهلة إلى نهاية سعيدة تفصل أحمد ومحمد عن بعضهما. صُدم والدا الطفل وانفجرا في نوبة بكاء محمومة عندما أخبرهما الطبيب بأن المشكلة كبيرة ومعقدة، وأن الاتصال يشمل منطقة الصدر والبطن والحوض، وبالتالي فإن إمكانات المستشفى ليست في المستوى الذي يقود إلى إكمال العملية، وأن الاستمرار في إجرائها يشكل خطرًا على حياة التوأم، تصورا هذا التقرير الطبي جدارًا أسود ينتصب أمامهما، وعليهما أن يذعنا للأمر الواقع، ويتقبلا الوضع ويتعاملا مع توأمهما الملتصق طوال حياته، وتصورا صعوبة هذا التعامل مستقبلاً مع تواضع حالتهما المادية والمعيشية. بعد هذه الجراحة غير المكتملة عادا إلى بيتهما الصغير المتواضع الذي يتكون من غرفة واحدة وصالة صغيرة. ومع مرور الأيام نما الطفلان على وضعهما، والأب لا يكف عن الدعاء والابتهال إلى الله، وحين بلغا حوالي الخامسة من العمر ارتفع وزنهما سوياً إلى ما يقارب خمس عشرة كيلوجرامًا، ولذلك تعذَّر حملهما وأصبح في غاية الصعوبة والإجهاد، إضافة إلى أن فضول المجتمع لا يسمح بخروجهما من المنزل، وكان همَّ الأسرة يزداد وحيرتها تتسع كلما كبر الطفلان، وكان الوالدان يفكران في كيفية التعامل معهما عندما يبلغان سن الدراسة؟ كيف يدرسان وهما ملتصقان؟ وكيف يتجنبان أعين الفضوليين؟ ويتفاديان سخرية الساخرين؟ أسئلة كثيرة ليس لها إجابة إلا الدموع والتعلُّق بحبل الله والصبر والدعاء إلى أن يأذن جل وعلا في التغلب على هذه المعضلة.



أحمد ومحمد بعد الوصول





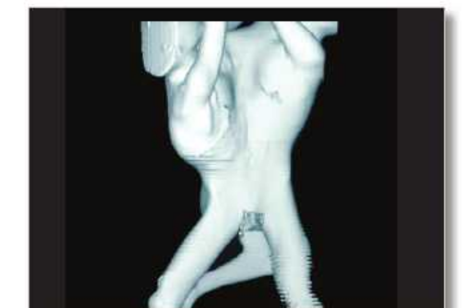
تحديد مكان الجرح

خيبة أمل في بريطانيا

وفي سن الخامسة والنصف، ومع استمرار الدعاء والتضرع استقبلت قريتهم جمعية خيرية بريطانية، وأعلنت هذه الجمعية عن إمكانية المساعدة على حل مشكلة التوأم؛ ومدَّت يد العون إلى هذه الأسرة البسيطة، وبعد التشاور بين الأب والأم قررا عدم إضاعة أي فرصة تلوح في الأفق، وتأهبت الأسرة بالفعل للسفر إلى بريطانيا بمساعدة هذه الجمعية. الأبوان لا يتكلمان اللغة الإنجليزية، ولا يعرفان سوى الماليزية، وهذا الحاجز اللغوي يجعل من الصعب عليهما التعامل حتى في المدن الكبيرة ببلدهما فكيف ببريطانيا التي لا يعرفان عنها غير اسمها، وبعد اكتمال ترتيبات السفر للأسرة صدر جواز واحد للتوأم، وبالفعل سافرت الأسرة إلى بريطانيا، وطوال الرحلة كان الأبوان يدعوان ودموعهما تنسكب على خدودهما.. وفي عاصمة الضباب لندن كان الجو باردًا والسماء ملبدة بالغيوم والأمطار، وتحملا هذا الجو الغائم والأمطار الغزيرة من أجل توأمهما. وبعد أن وصلا إلى المستشفى أشرق الأمل من جديد في دواخل الأب عبد الرحيم، وكان يسيطر عليه اعتقاد جازم بأن بريطانيا هي نهاية المطاف وفقًا لسمعتها الكبيرة بوصفها معقلاً للعلم والمعرفة والجراحات الطبية المعقدة؛ خاصة بالنسبة لمثل هذه الحالات.. شكر الله على هذه الفرصة التي كان ينتظرها على أحر من الجمر؛ ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فبعد اكتمال الفحوصات اصطدمت الأسرة بصعوبة تحقيق حلمها حين أعلن المستشفى عدم موافقته على إجراء العملية بسبب وجود مشكلات كبيرة تعيقها.. كما أصيبت الجمعية الخيرية أيضاً بخيبة أمل مماثلة لما أصاب الأسرة، وأحس عبد الرحيم بأن جميع الأبواب موصدة أمامه، ولا نهاية لهذه الجدران السميكة العالية التي تفصله عن تحقيق حلمه، ثم همس لنفسه، ماذا بعد بريطانيا، إذا استحال الأمر في لندن التي يقصدها أصحاب الأمراض المستعصية من جميع أنحاء العالم للعلاج؛ فلا أمل في غيرها على الإطلاق، يبدو أن هذه هي نهاية المطاف. وبينما كان الزوجان في خضم هذه الصدمة الكبيرة تحوطهما أمواج الكآبة، وتعلوهما سحائب الغم؛ علم أحد الإعلاميين العاملين في قناة (mbc) العربية بهذه الحالة، وهي قناة لها اهتمامات بمثل هذه الحالات، فبادر إلى تضمين نشرة الأخبار قصة إخبارية عن مشكلة التوأم السيامي الماليزي أحمد ومحمد ومعاناة أسرته بين ماليزيا وبريطانيا، كان مجرد خبر ضمن مجموعة كبيرة من الأخبار في نشرة يومية عادية، من يسمع هذا الخبر؟ من ينتبه له وسط هذا الكم من الأخبار؟ ولكن العالم لا يخلو من العظماء وأصحاب القلوب الإنسانية الرحيمة الذين يهتمون بقضاء حوائج الناس.

الخبرة السعودية في خدمة التوأم الماليزي

بتوفيق الله، وعلى غير ما توقعت الأسرة كان هناك رجل ذو قلب كبير يتابع الحالات الإنسانية ، ودائم الوقوف على أحوال الحالات الإنسانية التي تحتاج إلى المساعدة في جميع أنحاء العالم.. إنه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) ، سمع حفظه الله هذه القصة المؤثرة، وكان يعلم مدى خبرة بلاده في هذا المضمار، ويثق ثقة تامة في الكفاءات الوطنية، ويعلم أن الوطن يزخر بقدرات تستطيع قبول التحديات، فما كان منه بعد سماع الخبر إلا أن اتصل بي مستفسرًا عن حال التوأم، فأجبته أننا نحتاج إلى بعض الوقت للتعرف على الحالة والإلمام بتفاصيلها وملابساتها، بعد ذلك يمكننا تزويده




صورة بالأشعة



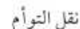
صورة الهيكل العظمي

بالمعلومات الكافية عنها، ونجيبه على ما طرحه من أسئلة دقيقة، فوجهني حفظه الله بأن أسعى إلى الحصول على المعلومات بأسرع ما يمكن، وبالفعل تمكنت خلال يومين من الحصول على التقارير المطلوبة من القناة المعنية، واتصلت كذلك بأسرة التوأم في بريطانيا، ثم درست مع زملائي كافة التقارير المتعلقة بالحالة، وفي ضوئها أبلغت خادم الحرمين الشريفين أن إمكانية المساعدة واردة، وهذا يقتضي نقلهم إلى المملكة ودراسة الحالة عن قرب، فأصدر حفظه الله على وجه السرعة توجيهًا بقبول الحالة، وأُبلغت قناة (mbc) بذلك والتي بدورها أبلغت الأسرة بالموافقة الكريمة، فرحت الأسرة فرحًا شديدًا، وقال الأب لم أكن أعلم أن المملكة العربية السعودية لديها خبرة في هذا المجال، وكنت أعتقد أن بريطانيا هي الملاذ الأخير فيما يتعلق بالجراحات الطبية، ونهاية المطاف في الطب للعالم، وإذا لم نوفق فيها فلا حيلة لنا ولا جهة نلتجئ إليها بعد ذلك. وأردف قائلاً سعدت حين علمت أن بلدًا إسلامياً؛ بل منبع الإسلام والحضارة وقبلة المسلمين سوف يحتضن أحمداً ومحمدًا، وأني سأصل بلاد الحرمين الشريفين وأعيش بين أهلي وإخواني المسلمين. لم يطل المطاف بهذه الأسرة بعد أن تكفل خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله بكافة مصاريف وتكاليف السفر والنقل إلى المملكة العربية السعودية، وحين وصلوا إلى الرياض كان في استقبالهم بالمطار فريق طبي وسيارة إسعاف مجهزة نقلتهم إلى المستشفى حيث كنت في استقبالهم عند المدخل الرئيسي، وبعد التحية والسلام عليهم اصطحبتهم إلى جناح الأطفال رقم (٧) حيث خصصت للتوأم غرفة قريبة من مركز التمريض، وبعد ذلك أخضعته لفحص دقيق بمشاركة زملائي في قسم الأطفال. وفور انتهاء الفحوصات والإطلاع على بعض التقارير الأساسية؛ جلست مع الأب والأم و شرحت لهما بمساعدة مترجمة تفاصيل الحالة، ومن حسن الحظ فإن المستشفى يضم ممرضات من ماليزيا مما سهل عملية التخاطب كثيرًا، وأخبرتهما بتعقيدات الحالة؛ إذ يوجد اشتراك في منطقة الصدر والبطن والحوض، مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحدة لكل منهما والثالث مشترك بينهما، ولذا فأننا نحتاج إلى بعض الوقت لإجراء مزيد من الفحوصات، ويتطلب الأمر من أسبوعين إلى ثلاثة وبعدها يمكننا اتخاذ القرار المناسب في هذا الشأن.

خلافات وشجار بين التوأم

وفي هذه الأثناء تمَّ تشكيل الفريق الطبي الذي ضم تخصصات: جراحة الأطفال، تخدير الأطفال، أمراض الأطفال، جراحة التجميل، جراحة العظام، جراحة المسالك البولية، إضافة إلى كوادر التمريض والطب النفسي والتأهيل علاوة على تخصصات أخرى للعناية بالتوأم، ولذلك تجاوز عدد أعضاء الفريق الطبي ثمانين شخصًا بين رجل وامرأة نظرًا لحجم الحالة وصعوباتها وتعقيداتها وما تشكله من تحدٍّ كبير لمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وعقدنا أول اجتماع بعد وصول التوأم بيومين استعرضنا خلاله صور التوأم، وتولى الزملاء في قسم الأطفال تقديم شرح متكامل للحالة، وعكفنا بعد ذلك على مراجعة الفحوصات الأساسية، وطلبنا فحوصات إضافية أخرى عديدة شملت أشعة مقطعية ومغناطيسية وملونة وعادية بجانب فحوصات عديدة للمسالك البولية والجهاز الهضمي، واستكمل قسم الأشعة جميع هذه الفحوصات خلال عشرة أيام.





نقل التوأم



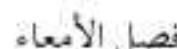
أثناء العملية

وعقدنا اجتماعًا آخر ناقشنا خلاله هذه الفحوصات والأشعة بتفاصيلها التي كشفت لنا وجود اشتراك في أواسط الصدر والبطن مكتملاً والحوض، ولكل توأم طرف سفلي واحد وطرف ثالث مشترك ومشوه، كما يوجد اشتراك في أضلع الصدر من الأمام والخلف، واشتراك في كل من الكبد والأمعاء والمسالك البولية والجهاز التناسلي فضلاً عن تليُّف كبير في البطن نتج عن محاولة إجراء العملية الأولى في ماليزيا. شكلت كل هذه التعقيدات تحدياً كبيرًا للأطباء والجراحين. وطلب الزملاء في المسالك البولية وجراحة التجميل بعض الفحوصات الإضافية التي أجريت سريعًا، ثم اجتمعنا بعد أسبوع من ذلك لمراجعة الفحوصات التي تمخضت في اتفاق الجميع على إمكانية الفصل بنسبة نجاح تصل إلى ٦٥٪، وبرزت أثناء ذلك تساؤلات حول مدى الحاجة إلى ممددات للجلد لتغطية الفراغ؟ أم يكتفي الفريق بالجلد الموجود؟ ولكن صرف النظر عنها بسبب ما ينتج عنها من مشكلات وما تتطلبه من عمليات إضافية للتوأم، والاكتفاء بالطرف السفلي الثالث لتغطية البطن. وينبغي الإشارة هنا إلى أن حالة التوأم أحمد كانت أصعب من محمد لأن جسمه كان هزيلاً، ويحتاج إلى عناية أكثر من أخيه. منشأ الغرابة في هذه الحالة يكمن في عمر التوأم الذي بلغ خمس سنوات ونصف السنة، وكثيرًا ما تنشب بينهما خلافات عديدة تتطور إلى شجار يتحول أحيانًا إلى ضرب بالأيدي، وتفاديًا لهذه الخلافات طلبنا من فريق الطب النفسي التعامل مع التوأم؛ خصوصًا وأننا كنا نتوقع وجود صدمة نفسية بعد الفصل نظرًا لأنهما كانا ملتصقين طوال فترة الحمل ولمدة خمس سنوات ونصف السنة بعد الولادة.

حضور إعلامي كثيف

وأخيرًا اتفقنا على إجراء عملية الفصل وحددنا يوم الثلاثاء ١٠ رجب ١٤٢٣هـ الموافق ١٧سبتمبر٢٠٠٢م، وكنا نتوقع أن تستغرق مدتها قرابة اثنتين وعشرين ساعة لعلمنا بصعوبتها وما تمثله من تحدٍّ كبير لنا. مشكلات كثيرة واجهت الفريق الطبي، بجانب عوامل أخرى أقلقته كالعملية السابقة التي لم يكتب لها النجاح في ماليزيا، وسفر التوأم إلى بريطانيا ثم عودته إلى المملكة العربية السعودية، وفوق هذا فقد كان الإعلام الماليزي والبريطاني يتابع هذه الحالة عن كثب، وصحب التوأم فريق إعلامي بريطاني من قناة (سكاي) ومن قنوات أخرى من ماليزيا، جاؤوا لمتابعة سير العملية، والتحقق من مدى إمكانية نجاح الخبرة السعودية في إجرائها. كان الاعتقاد أن الخبرة السعودية لن تستطيع التعامل مع حالة معقدة كهذه طالما عجزت عنها الخبرة البريطانية. أسئلة كثيرة دارت في أذهان أعضاء الفريق الطبي، ولكن هذا الفريق كان طموحًا ومتطلعًا إلى مواجهة التحديات مهما كانت صعوباتها وتعقيداتها، ويضع سمعة الوطن وسمعة الأمة العربية والإسلامية نصب عينيه. قررنا كذلك إجراء عملية وهمية تجريبية قبل العملية الأساسية بيومين أي في يوم ١٥سبتمبر٢٠٠٢م. وعقب هذا الاجتماع شرحت لوالدي التوأم بالتفصيل كل ما يتعلق بالعملية وصعوباتها المحتملة، وطرحا بعد ذلك أسئلة كثيرة تبينت من خلالها الخوف الشديد الذي يتملك قلب عبد الرحيم لأنه تعرض للصدمة مرتين ويخشى أن يتعرض لثالثة، وعبَّر عن ذلك بصراحة، فطمأنته بأننا نعتمد على الله سبحانه وتعالى ولن يُخيِّب رجاءنا بمشيئته جل وعلا، ومن ثم وافق على قبول قرار الفريق الطبي رغم أنني قرأت في عينيه الخوف والقلق وربما عدم الثقة؛ نظرًا لأنه واجه مثل ذلك في الماضي وهو معذور في إحساسه هذا. وفي اليوم التالي ذهبت إلى مقام خادم الحرمين الشريفين (ولي العهد





فصل الأمعاء



لقطة بعد الفصل مباشرة ويوضح حجم العملية

آنذاك) وأبلغته بالتفاصيل وشرحت صعوبة الحالة ومدى خطورتها، ونقلت له خلاصه ما توصل إليه الفريق الطبي، وكان حفظه الله متفائلاً دائمًا، وثقته في الله سبحانه وتعالى كبيرة، وأوصاني كعادته بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه. كانت هذه الكلمات دافعًا للسير قدماً، وحافزًا على الإصرار وشحذ الهمم من أجل إنجاح هذه المهمة بتوفيق الله جل وعلا.

في الساعة الرابعة والنصف من عصر يوم ١٥سبتمبر٢٠٠٢م عقدنا اجتماعًا في غرفة العمليات، وكان هناك حضورٌ إعلاميٌّ ملحوظ على غير العادة لمتابعة العملية الوهمية التجريبية، وحاولت القنوات الماليزية والغربية التأكد من مدى جاهزية غرفة العمليات. وأحضر التوأم برفقة والديهما، ثم أدخلا إلى غرفة العمليات لإجراء العملية التي سبق أن وضعت لها خطة متكاملة تتضمن عشر مراحل، ثم راجعنا تجهيز غرفة العمليات وكل ما تحتاجه التخصصات المختلفة من أجهزة، كما راجعنا الخطة مرتين وشرحناها لوالدي التوأم، وأتحنا للأب فرصة طرح أسئلة على أعضاء الفريق الجراحي؛ ولكنه اكتفى بالإعراب عن أمله في الله وعن ثقته في الفريق الطبي، وكنا نعلم أنه متردد ويخفي داخله أشياء كثيرة.. وبدورهم أثار الإعلاميون أسئلة كثيرة مغلَّفة بعلامات استفهام عديدة. وبعد انتهاء العملية الوهمية لاحظنا أن مذيعة قناة سكاي وفريقها التصويري يوجهون عدسات كاميراتهم نحو مسجد المستشفى لتصويره، حاولت الشرطة إعاقتهم ومنعهم عن ذلك، غير أنني وجهت الشرطة بالسماح لهم، ثم سألت المذيعة:

— ما جدوى تصوير المسجد؟

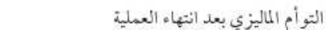
ـ أجابت: أود تصوير المسجد؛ لأن نجاحكم في هذه العملية دليل قوي سوف يؤكد للعالم أجمع أن هذا المسجد لا يصدر إرهابيين؛ بل يصدر علماء يخدمون الإنسانية. وبعد ذلك تابعت إكمال مهمتها التصويرية دون إعاقة.

لم أحظ بقسط وافر من الراحة طوال الأيام التي سبقت العملية، وانتابني إحساس بالقلق لقناعتي بأن وضع التوأم حرج، والتحدي كبير، والمسؤولية التي حملني إياها خادم الحرمين (ولي العهدسابقاً) ضخمة، كما أن وجود الإعلام الداخلي والخارجي؛ وخاصة متابعة قناة (سكاي) التي يشاهدها الملايين على امتداد العالم كله، والمقابلات الكثيرة التي أجريت، كل ذلك كان كافيًا ليدفعنا ويحفزنا إلى رسم صورة مشرقة ومشرفة للمملكة العربية السعودية؛ خصوصًا أن هذه العملية تُجرى بعد عدة أشهر من أحداث الحادي والعشرين من سبتمبر التي صورت الإسلام والمسلمين بصورة سوداء قاتمة هما منها براء، وكان لا بد من تعديل الصورة من جديد لنبيِّن للعالم أن الإسلام دين محبة ومودة وإخاء وعطاء.

أحمد يطلب رؤية السكين

حاولت في اليوم السابق للعملية الخروج مع أفراد أسرتي في نزهة قصيرة، محاولاً عزل مخيلتي عن جو العملية أو التفكير فيها؛ إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل. وبعد تناول عشاء خفيف لم استطع النوم فاستعنت عليه بأقراص مساعدة، وبالفعل تمكنت من النوم لساعات قليلة ثم نهضت قبيل الفجر وصليت ركعات ابتهلت فيها إلى الله أن يوفقنا في تجاوز هذا التحدي، وبعد أن أديت صلاة الفجر اتجهت بسيارتي إلى المستشفى مع إشراقة الشمس على الطريق السريع الذي لم يكن مكتظًا





التوأم الماليزي بعد انتهاء العملية



الفريق الطبي لعملية أحمد ومحمد

بحركة السيارات في تلك الساعة المبكرة، وكلما ارتفعت الشمس من خلف الجبال التي تغطي منطقة خشم العان أخاطب نفسي بالقول لعل هذا الإشراق يكون إشراق نجاح إن شاء الله، دخلت المستشفى والتقيت بزملائي في غرفة العمليات في الساعة السابعة والربع صباحًا، وفي غرفة ما قبل العمليات التقيت كذلك بوالد التوأم فانطلق يسأل عن مدة العملية وطولها وعن تفاصيل التخدير، وما يمكن أن ينتج عن العملية من مضاعفات، ورغم أن أسئلته كانت مقلقة إلا أني أجبته عليها بمنتهى الهدوء حتى لا أثير شكه وانزعاجه، وعادة ما تكون الأسئلة التي تطرح قبل العملية مقلقة كثيرًا بالنسبة لأي جراح في بعض الأحيان.. كان الإعلام يتابع تحركاتنا خطوة بخطوة تسجيلاً وتصويرًا. ثم ودع الوالدان طفليها بالقبلات والدموع، وفي هذه اللحظة سألني الطفل أحمد صاحب الجسد الناحل والذكاء الملحوظ سؤالاً صعبًا هو: هل يمكنني رؤية السكين التي ستستخدمها في فصلنا؟ أثر هذا السؤال في نفسي كثيرًا وكادت تطفر من عيني دمعة، لكنني قاومتها وأجبته بأننا لا نستخدم سكينًا وإنما مشرطًا صغيرًا، وأنك لن تحس بأي ألم لأنك ستكون تحت التخدير الكامل، فسألني مستوثقًا: أمتأكد أنت من ذلك؟ وأنني سأنام وأصحو منفصلاً عن أخي؟ قلت له: إن شاء الله. ثم نظر إليَّ نظرة حادة قرأتُ فيها بعض الشك وعدم تصديق ما قلته له. لزمتُ الصمتَ بعد ذلك، وآليتُ على نفسي ألا أتكلم خوفًا من أن تفضحني مشاعري، ثم دخلت مع الأطفال إلى غرفة العمليات بعد توديع والديهما.

شائعة تسري داخل المستشفى

في غرفة العمليات بدأت أولى المراحل بالتخدير واستغرقت مدتها ما يقارب الساعتين ونصف الساعة، وأعقبت ذلك مرحلة التعقيم التي استغرقت وقتًا طويلاً؛ لأن مواقع الاشتراك كما ذكرت كانت كبيرة، ثم أجرى الزملاء من قسم المسالك عملية منظار لمنطقة المسالك البولية، وبعد تغطية التوأم شرعت مع الزملاء في جراحة التجميل بفتح الجلد بعد التأكد من أن التوأم تحت التخدير الكامل، وبدأنا بسم الله وعلى بركة الله في فتح الجراح التي سبق أن فتحت. كانت العملية صعبة بسبب وجود التصاقات كبيرة في البطن استغرق فكها ثلاث ساعات، وكانت ناتجة عن العملية السابقة التي أُجريت في ماليزيا، ثم أكملنا عملية فصل عظام الصدر من الأمام وفصل الكبد، وبعد مرور ست ساعات واجه التوأم أحمد مشكلة كبيرة إذ بدأ ضغطه يقل بينما تزداد نبضات قلبه، وحرارته ترتفع، فطلب مني طبيب التخدير التوقف.. كانت وسائل الإعلام تتابع تفاصيل عملنا بدقة، مع وجود اتصال مباشر بيني وبين والدي التوأم في غرفة العمليات، وكانت العملية منقولة على شبكة الإنترنت. وبناءً على طلب التخدير قمنا بتغطية الجراح، وتساءل الكل: ماذا حدث؟ ووجد مروجو الشائعات مادة خصبة مع هذا التوقف، وانطلقت شائعة في المستشفى بأن التوأم فقد حياته، وسادت حالة من القلق، فما كان مني إلا أن اتصلت بوالد التوأم عبر المايكرفون وطمأنته بأن المسألة لا تعدو أن تكون مجرد ارتفاع في الضغط والوضع غير مقلق البتة، فقط يلزمنا بعض الوقت لخفضه وتعديله وعليه ألا ينزعج، وحاولت كذلك شرح هذه المشكلة لوسائل الإعلام؛ ولكن من يصدق الفريق الطبي خصوصًا أن مساحة الشكوك متسعة في دوائر الإعلام الغربية عن قدرة العالم العربي والإسلامي في كل المجالات لاسيما الطبي منها. ولا أخفى أن نبضات قلبي أخذت في الارتفاع، وظهرت سمات القلق واضحة على وجوه أعضاء الفريق الطبي، وكان يلزمني والحالة هذه أن أبادر



لمسة حنان

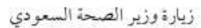


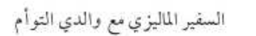
أحمد ومحمد بالزي السعودي

إلى طمأنتهم وإزالة مشاعر القلق لديهم؛ برغم أن حالي لم يكن بأفضل منهم.. وكان الجميع يراقبون نبض وضغط التوأم تحت العملية؛ ولكن لا أحد فكَّر أو طاف بخاطره قياس نبض وضغط الأطباء والجراحين داخل غرفة العمليات، ولو فعل أحد ذلك لتبيَّن له أن وضعنا الصحي حينها لا يقل صعوبة عن التوأم بسبب موجة القلق الكبيرة التي اجتاحتنا، استمر توقفنا لمدة ساعة ونصف الساعة تقريبًا، وتطلب الأمر أن يباشر فريق التخدير عملية تزويد التوأم بجرعات عديدة من الأدوية بجانب المضادات الحيوية والسوائل إلى أن تعدَّل الوضع واستقرت حالة أحمد، وكنت أفكر أثناء ذلك في السؤال الذي طرحه أحمد ونحن في طريقنا إلى غرفة العمليات، وتساءلت ما إذا كان هناك رابط بين سؤاله والحالة النفسية التي أمر بها الآن، وقلت لنفسي إنه ربما كان يقرأ المجهول، وكدت أصدق ما سبق أن قرأت في ملامحه من شكوك، ولكن كان فضل الله سبحانه وتعالى علينا كبيرًا إذ استقرت الحالة، ورفعنا الغطاء عن الجراح، وواصلنا إكمال مراحل العملية، وتمكنا من فصل الأمعاء والمسالك البولية والجهاز التناسلي الذي واجهتنا فيه مشكلة كبيرة تمثلت في أنه جهاز واحد فلمن يُعطى أو يخصص!! وكان لا بد من متابعة الشرايين بدقة، ولما كانت هناك خصيتان فقد خصصنا واحدة لكل منهما، وخصصنا محمد بالعضو التناسلي نظرًا لأن الشرايين آتية من جسده؛ بينما خُصص العضو الضامر لأحمد. ثم تمكنا بعد ذلك من فصل الحوض وفصل الطرف الثالث برفع العظام واستخدام العضلات والجلد لتغطية الفراغ بعد الفصل. وكانت المرحلة التالية في قلب التوأم، وإكمال عمليات الفصل من الخلف، ولم يتبق من الجلد سوى خمس سنتمترات لفصل أحمد عن محمد بعد مرور ما يقارب العشرين ساعة من العمل الجاد المتواصل دون توقف.. وفي هذه اللحظة وفي ظل متابعة وسائل الإعلام وتغطياتها بدأنا جميعًا في العد التنازلي، وبعد إكمال عملية الفصل الكامل علا التصفيق في غرفة العمليات وكذلك سمعنا من خلال مكبر الصوت تصفيقًا حاداً في الخارج وهتاف والدي التوأم. كانت لحظة حساسة وسعيدة في الوقت نفسه، لم يصدق عبد الرحيم والد التوأم وزوجته عينيهما وهما يريان طفليهما منفصلين عن بعضهما في طاولتين مختلفتين، وغشيتهما لهنيهة حالة من الوجوم وكأنهما في حلم لا في واقع ماثل أمامها.. وفي النهاية أكملنا عملية تغطية الجراح، ونقل كل منهما على طاولة مستقلة لأول مرة في حياتهما، وشكلنا فريقين جراحيين يختص أحدهما بأحمد والآخر بمحمد لإكمال تغطية الجراح وإعادة تركيب الأعضاء، واستغرق ذلك حوالي ثلاث ساعات ونصف الساعة.

وبعد عمل جاد ومتواصل ودؤوب وضغط نفسي كبير طوال ما يقارب أربع وعشرين ساعة اكتملت كل مراحل العملية بإغلاق الجراح، وفي هذه الأثناء اتصل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) ليطمئن على وضع التوأم، فأخبرته بنتيجة العملية ونجاحها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم وجهني بأن أنقل التهنئة إلى الفريق الطبي كل على حدة، وأن أهنئ كذلك والدي التوأم.. ثم وقفنا جميعًا لالتقاط صورة جماعية توثيقية تعلو وجوهنا ابتسامات النجاح والفرح رغم ما نعانيه من آثار التعب والإرهاق والإجهاد؛ لأن نجاحنا نجاح للأمة العربية والإسلامية. مثَّلت هذه العملية نقلة كبيرة؛ لأن ما لم يتحقق في ماليزيا وبريطانيا تحقق في بلاد الحرمين الشريفين منبع حضارة الإسلام ونور الهداية للعالم.




زيارة وزير الصحة السعودي


السفير الماليزي مع والدي التوأم

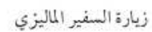
أبعدوني حتى لا نلتصق ثانية

على باب غرفة العمليات كانت وسائل الإعلام المحلي والماليزي والبريطاني تشكل حضورًا واضحًا، ولكن سبقهم جميعًا والدا التوأم، إذ أحاطني عبد الرحيم بذراعيه وعانقني بحرارة شديدة بينما كانت دموعه تنساب على رقبتي، وكان يتمتم بكلمات كثيرة باللغة الماليزية، ولذلك لم أدرك حجم تداعيات وجدانه ومدى تعبيره عن إحساسه وفرحه، ولكن من الواضح أنها تعبيرات عن شكر وامتنان، بينما احتضنت زوجته سرير محمد الذي خرج أولاً من غرفة العمليات وهي تبكي باستمرار، ثم تحولت إلى سرير أحمد ولم تستطع مقاومة دموع الفرح، شبكت يدي مع يد عبد الرحيم في طريقنا إلى غرفة العناية المركزة تصحبنا وسائل الإعلام والصحفيون.. وكان والدا التوأم يواصلان الحديث والتعبير عن شكرهما لخادم الحرمين (ولي العهد آنذاك)ولكل أعضاء الفريق الطبي، ويحمدان الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق وعلى تحقيق حلم كان عزيزًا وبعيد المنال.. وفي العناية المركزة بدأت مرحلة جديدة في حياة التوأم، وهي مرحلة صعبة وحاسمة لأن العناية بالتوأم تحتاج إلى تركيز وعناية وخبرة كبيرة من الفريق الطبي، ولكن أمكن التعامل معها بعناية كاملة ودقة كبيرة، واستغرقت إفاقتهما حوالي ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع، وبعدها عادت الوظائف الحيوية إلى طبيعتها. وعندما صحا أحمد من المخدر وأفاق بعد عدة أيام من العملية كان أول سؤال له عن أخيه محمد، ولم يصدق أنه في سرير مختلف، وتأثر نفسيًا، وكان هذا متوقعًا وفق ما يسمى بصدمة الفصل، عقب ذلك عمدنا إلى تقريب سريريهما، فمدَّ كل منهما يده للآخر وقبلها، ثم شبكاهما مع بعضهما بشدة.. كانت هذه اللحظات مؤثرة في نفوسنا إلى حدٍّ كبير.. وفي هذه الأثناء طلبنا فريق الطب النفسي ليتولى التعامل معهما، فقرر المختصون تقريب سريريهما ولصقهما مع بعضهما حتى يتحدثا إلى بعضهما كلما استيقظا من نومهما. وبعد ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع غادرا غرفة العناية المركزة في طريقهما إلى جناح الأطفال ليباشر فريق التأهيل مهماته لتأهيلهما، وكانت عملية التأهيل في الجناح رقم (٧)، وهكذا عادا إلى نفس الغرفة الواقعة بالقرب من مركز التمريض. وطوال فترة بقائهما بالجناح كانا فرحين ومحبوبين من الجميع، وظل أحمد يردد ببراءة الأطفال وعفويتهم: أبعدوني عن أخي محمد حتى لا نلتصق مرة أخرى.. وبالطبع لا يلامان من خوف عودة الالتصاق بينهما لأن معاناة الالتصاق قاسية والحركة صعبة وفضول المجتمع أصعب. وبالفعل نجحت عملية التأهيل خلال شهرين ونصف الشهر، وخلال شهر آخر تم تركيب الطرف السفلي الصناعي، وبعد اكتمال هذه المرحلة تقرر خروجهما من المستشفى، وبعد الخروج استقبلهما خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) في منزله بصحبة والديهما، ورحب بالتوأم ترحيبًا حارًا وقبلهما ثم هنأ الأبوين بنجاح العملية وقدَّم للطفلين هدايا تذكرهما بهذا الموقف والتقط معهم صورة جماعية، كما استقبل أعضاء الفريق الطبي وهنأهم على هذا النجاح ثم توسَّطهم لالتقاط صورة جماعية معهما، وكان ذلك موقفًا إنسانيًا ذو مشاعر جياشة سيبقى في الذاكرة طوال الحياة.



زيارة ممثل الأمم المتحدة

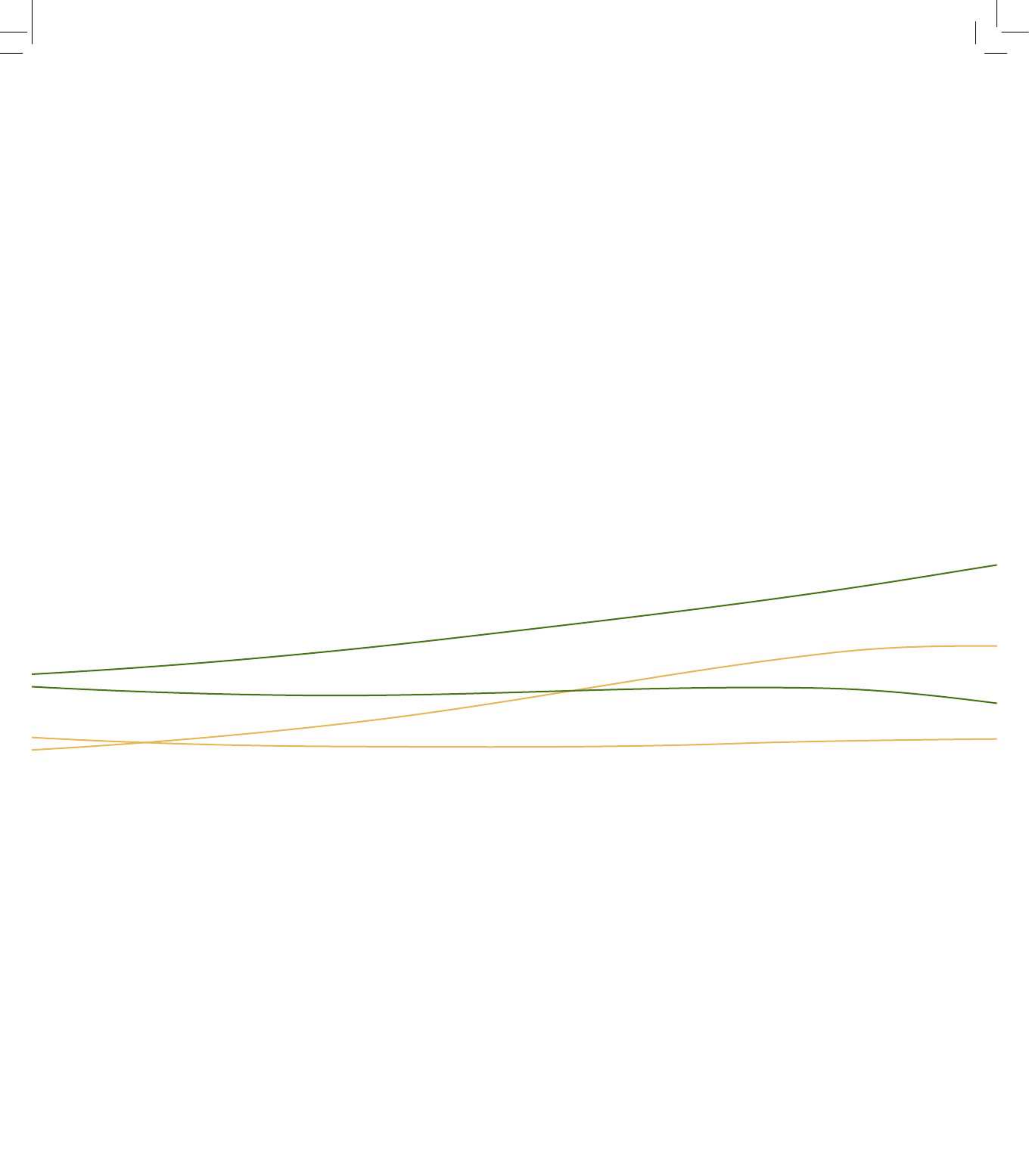




زيارة السفير الماليزي

عاد التوأم إلى ماليزيا، وبلغ سن العاشرة في هذا العام الذي نُوثِّق فيه عبر هذا الكتاب الخبرة والتجربة السعوديتين في مجال جراحة الأطفال السياميين، وهما الآن في المدرسة ومن المتميزين بين أقرانهما على مقاعد الدراسة، وفي هذا السن عادا مرة أخرى إلى المملكة العربية السعودية واستقبلهما خادم الحرمين الشريفين في مزرعته واطمأن على صحتهما، والتقطت لهما معه يحفظه الله صورة تذكارية.

زيارة رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد للتوأم الماليزي







من أرض الكنانة إلى عاصمة الانسانية

شعبان ١٤٢٤هـ/ أكتوبر ٢٠٠٣م



من أرض الكنانة إلى عاصمة الإنسانية

شعبان ١٤٢٤ هـ - أكتوبر ٢٠٠٣م

حماته تواسيه وتخفف عنه

لم يدر بخلد السيد أحمد وزوجته اللذين يعيشان في مدينة القاهرة أن يرزقا بتوأم؛ بل كان حلمهما وأملهما أن يرزقا بطفل يضيف على حياتهما الزوجية طعمًا من السعادة ينعش بيتهما ببراءته وابتساماته العذبة، ولو علما بالتوأم لتضاعفت سعادتهما. كانت الزوجة (ريما) تأمل في أن يرزقها الله بطفلة تداعبها وتسلِّيها أثناء سفر زوجها الذي يعمل خارج مصر، وبالفعل حملت وظهرت عليها علامات الحمل وبدأت آثاره من وحم وتعب وإرهاق تزداد عليها، وكانت تتابع مراحل حملها مع طبيبة مختصة لم يتبين لها أثناء الحمل وجود توأم، كانت الأم دائمة القلق، وتثور علامات الاستفهام في ذهنها عن موعد الولادة، متى وأين؟ وكان حديثها مع زوجها يتركز على اختيار الاسم المناسب، وهي لا تعلم ما بداخل رحمها، وفي نهاية أشهر الحمل قرر الأطباء إجراء عملية قيصرية نظرًا لتعسر إمكانية الولادة بصورة طبيعية، وبالفعل أجريت العملية في أحد المستشفيات بينما كان الزوج يجلس خارج غرفة الولادة متلهفاً للخبر السار بمقدم مولوده البكر، وبعد ساعات من الانتظار خرج الطبيب ليخبره بولادة توأم، فرح أحمد واستبشر، غير أن الطبيب أردف هذه البشرى بكلمة: لكن.. والتي أكملها بعبارة: المولود توأم ملتصق!! كانت هذه المعلومة مثل وقع الصاعقة عليه، وتساءل ماذا تعني بتوأم ملتصق؟ شرح له الطبيب معنى الالتصاق وتفاصيل التوأم وأخبره أنهما بنتان ملتصقتان في منطقة الصدر والبطن، وجم أحمد ولم ينبس بكلمة؛ بل ظل ساهمًا شارد الذهن لا يعي ما يتحدث به الطبيب.. واستحوذ عليه التفكير في الغد، وفي كيفية إطلاع زوجته على هذا الخبر المزعج بعد إفاقتها من المخدر. وكانت بصحبة أحمد والدة الزوجة التي أرسلت دموعها غزيرة حين طرق أذنيها خبر التصاق حفيدتيها، ومع ذلك جلست بجواره تحاول التخفيف عنه، ولكن دموعهما المنهمرة لم تتح لهما مجالاً لصفاء الذهن والتفكير السليم. وبعد فترة صمت طويلة ممتدة تحركت شفتا الجدة بالحمد لله والشكر له على عطائه، وخاطبت زوج ابنتها تذكره بأن لكل كربة مخرجًا، وتدعوه إلى التماسك حتى يدخل إلى زوجته رابط الجأش، وقلبه ممتلئ بالثقة وبالرجاء في الله سبحانه وتعالى. وما أن أفاقت ريما حتى أبصرت زوجها ووالدتها أمامها يهنئانها بالسلامة، فكان أول سؤال طرحته عليهما: ولد أم بنت؟ تلعثم احمد وانعقد لسانه، وتولت والدتها إخبارها بأنها وضعت توأماً بنتين، ففرحت فرحًا شديداً وحمدت الله على هذه الهبة العظيمة، وقالت علينا الآن اختيار اسمين لهما، وسردت قائمة من الأسماء المرشحة لاختيار اثنين من بينهما؛ إلا أن زوجها قاطعها بأن التوأم لديه مشكلة بسيطة، علت الدهشة وجهها وصرخت متسائلة: ما هي المشكلة؟! أخبرني، أفدني؟ ومع استفهاماتها المتلاحقة لم يتمالك أحمد نفسه فبكى أمامها، أوشك هذا الموقف أن يدفعها إلى انهيار كامل، وكانت تتلهف بشدة إلى إجابة شافية تزيل حيرتها، أمسكت والدتها بيدها بحنان، ثم أخبرتها أن التوأم ملتصق.. فصاحت تنادي الممرضة وتسألها ما معنى ملتصق؟ فبينت لها أن جسدهما ملتصق من الأمام، ومثل هذه المشكلة نادرة جداً، لم تشبع هذه الإجابة نهمها بشكل يحقق اطمئنانها على بنتيها،

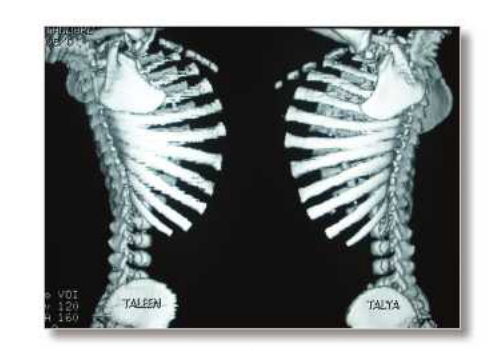


تاليا وتالين عند الوصول

فانهارت وازدادت حدة انفعالاتها وصراخها، فطلبت الممرضة من والدتها وزوجها مغادرة الغرفة ريثما تهدأ وترتاح وتستقر حالتها النفسية، ثم أعطتها جرعة من الأقراص المهدئة لتحقيق ذلك.

ربما تستغيث بأبيها!!

أفاقت الزوجة من نومها بعد عدة ساعات، وعلى الفور طلبت استدعاء الطبيب المناوب ولكنه ضاعف من همِّها وغمِّها حين لم تجد عنده إجابة شافية ومقنعة؛ ولم تصدق ما ذكره لها من أن هذا الالتصاق يعدُّ أحد العيوب الخلقية، وقد تنفصل البنتان عن بعضهما ذاتياً دون جراحة، وتيَّقنت بأنه يحاول تهدئتها وطمأنتها تخفيفًا لما أصابها من صدمه وقلق وانزعاج، ثم طلبت استدعاء طبيب آخر قال لها بدوره إن مثل هذه الحالة نادرة وتحتاج إلى مركز متخصص للتعامل معها. نسيت ريما قائمة الأسماء التي أعدتها، ولم تعد تفكر في اختيار اسمين من بينها لطفلتيها، ثم نادت على زوجها وأمها وما أن رأتهما حتى انفجرت باكية بكاء مريرًا، بذلت أمها جهدًا كبيرًا في تهدئتها وإعادتها إلى حالتها الطبيعية، وخاطبتها تذكرها بضرورة الاعتماد الكامل على الله جل وعلا وتفويض الأمر إليه، وأن لكل مصيبة مخرجًا ولكل همٍّ فرجًا، وأنه سبحانه وتعالى سيوفقنا في حل مشكلة التوأم، ولذا يجب أن تتفقي مع زوجك على اسميهما لكي يتمكن من تسجيلهما واستخراج وثائق الولادة. خرجت الجدة وبدأ أحمد يخفف عن زوجته أثر الصدمة، ثم شرعا في اختيار اسمين لهما، وأخيرًا استقر اختيار ريما على اسمي (تاليا وتالين). وبعد ذلك بدأت رحلة البحث عن حل للتوأم، وتمثلت أولى الخطوات في اتصال ريما بأبيها الذي يعمل في المملكة العربية السعودية وأخبرته بولادتها بتوأم ملتصق، تحدثت إليه والعبرة تكاد تخنقها وتمنعها عن الكلام، تأثر والدها كثيرًا وشاركها بكاءها وانفعالاتها، ثم طمأنها وطلب منها ألا تقلق أو تنزعج، ووعدها بأن يسعى ويبذل جهدًا كبيرًا في إيجاد حلٍّ لهذه المشكلة؛ لا سيما وأنه سبق أن سمع عن مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض وخبرتها في مجال الأطفال السيامية، وعن عمليات الفصل التي أجريت فيها، ولذلك طلب على عجل تزويده بالتقارير اللازمة عن الولادة والتوأم من المستشفى الذي استقبل الحالة بالقاهرة وأشرف على عملية الولادة القيصرية. وبمجرد أن تسلم التقارير المطلوبة أجرى عدة اتصالات بالمستشفى، كان آخرها الاتصال على مكتبي طالبًا الموافقة على مقابلتي. وبعد حصول عبد الكريم والد الزوجة وجدِ التوأم على الموافقة جاء إلى مكتبي في أحد أيام الشتاء الباردة، وطلب لقائي منفردًا، لا أعرف الرجل ولم يسبق أن تعرفت عليه. أذنت له بالدخول فلما رآني حياني بحرارة، وقال قصدتك طالبًا المساعدة في مشكلة ابنتي التي رزقت بتوأم إناث ملتصق في أحد مستشفيات القاهرة، ثم عرض مجموعة التقارير المتعلقة بالحالة، فطلبت منه التريث حتى أتمكن من الاطلاع على التقارير ومراجعتها، وبعد قراءتها كاملة أوضحت له أن هذه الحالة هي حالة توأم سيامي، وإمكانية مساعدة تاليا وتالين ممكنة في هذه المدينة والخبرة متوافرة؛ ولكنني سأعرض الأمر على خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) للحصول على توجيه باستقبال التوأم. طلبت منه تزويدي برقم هاتفه ووعدته بالاتصال به في وقت قريب إن شاء الله، وفي مساء اليوم نفسه استقبلني خادم الحرمين (ولي العهد آنذاك)، فأوضحت له الحالة واطلع حفظه الله على صور التوائم، ثم وجه على الفور بإحضار التوأم وإحاطته بكامل الرعاية







صورة الهيكل العظمي

منطقة الإتصال

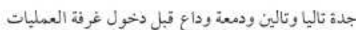
وتقديم العلاج المناسب له، وبعد خروجي من القصر مباشرة اتصلت بجد التوأم ونقلت له الخبر السار بالموافقة الكريمة، فحمد الله كثيرًا وقال سوف اتصل الآن بابنتي وزوجها لأنقل لهما هذه البشرى السعيدة، وطلبت منه التوجه إلى قسم العلاقات العامة ليشرع في التنسيق مع أسرة التوأم حول إجراءات انتقالها من مصر إلى المملكة العربية السعودية حسب توجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك).

مشكلة في قلب تالين

بعد أسبوعين وصلت الأسرة إلى مطار الملك خالد الدولي بالرياض وكان في استقبالها فريق طبي وسيارة إسعاف، ثم نقلت مباشرة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني وكنت في استقبالها، وعلى الفور نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧) الذي اشتهر بالتعامل مع الحالات السيامية، وخصصت الغرفة رقم (٧) أيضاً لاستقبال هذه الحالات، ومن ثم أجرينا فحصًا كاملاً للتوأم، وطلبنا بعض الفحوصات الأولية، وبعد استكمالها قابلتُ والدي التوأم وجدَّهم وجدَّتهم وأوضحت لهم أن حالة تاليا وتالين ليست معقدة، وإمكانية الفصل واردة، ولكن هناك فقط مشكلة في قلب تالين أظهرها الفحص الأولي مما يستدعي إجراء فحوصات إضافية، وقد نحتاج كذلك إلى بعض الوقت لإجراء مزيد من الفحوصات.

ضم الفريق الطبي الذي تشكَّل للتعامل مع هذه الحالة: قسم الأطفال، جراحة الأطفال، العناية المركزة للأطفال، التخدير، التجميل، التمريض والفنيين المختصين وممرضات غرفة العمليات والتأهيل الطبي، وعقدنا أول اجتماع لنا بعد وصول التوأم بيومين شرحت فيه لأعضاء الفريق حالة التوأم وعرضت عليهم بعض الصور المتعلقة بها ونتائج الفحوصات الأولية، وبعد استعراض كل ذلك اتضح وجود اشتراك في منطقة أسفل الصدر والبطن، كما أوضح فحص القلب وجود عيوب خلقية في قلب تالين وهي عبارة عن ثقب بين البطينين مع هبوط بسيط في القلب. طلبنا بعض الفحوصات الدقيقة واتفقنا على الاجتماع بعد أسبوع. وفي الاجتماع الثاني استعرضنا بمشاركة الزملاء في قسم الأشعة الفحوصات والأشعة التي أجريت بناء على طلبنا، ثم راجعنا حالة التوأم بتفصيل، وتبيَّن لنا بعد المراجعة وجود اشتراك في أغشية القلب والكبد واشتراك آخر بسيط في الأمعاء، واتفق كافة أعضاء الفريق على إمكانية الفصل بنسبة نجاح تربو على ٨٠٪ بمشيئة الله، وفي ضوء كل ذلك قررنا إجراء عملية الفصل بعد أسبوعين من ذلك، وحدد لها يوم السبت ٧ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ٤ إكتوبر ٢٠٠٣م على أن تسبقها بيومين عملية تجريبية وهمية، أي في يوم الأربعاء ١ إكتوبر٢٠٠٣م، وصل وزن التوأم مجتمعًا إلى الوزن المثالي وهو حوالي ٩ كيلوجرامات. وفي الساعة الرابعة من عصر يوم العملية الوهمية حضر الفريق الجراحي في غرفة العمليات وأعددنا خطة جراحية مكتوبة كاملة وشاملة لكل تفاصيل العملية تجري على سبع مراحل، وراجعنا كل هذه المراحل وتأكدنا من جاهزية غرفة العمليات، واتفقنا على اللقاء في الساعة السابعة من صباح يوم العملية الأساسية، لنبدأ عملنا في السابعة والنصف. شرحنا تفاصيل الحالة لوالدي التوأم وكانا على قناعة تامة بكل المجريات، واتفقنا على اللقاء معهما مرة أخرى قبل العملية بنصف ساعة. وفي اليوم السابق لموعد العملية اتصلت بخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وشرحت له تفاصيل





جدة تاليا وتالين ودمعة وداع قبل دخول غرفة العمليات



عملية فصل الكبد

الحالة، وأكدت له إمكانية نجاح العملية، وأنها ستُجرى في الغد إن شاء الله، وكعادته حفظه الله أوصاني وزملائي بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه في كل خطواتنا وأن نطمئن بأن النجاح سيكون حليفنا بمشيئته جل وعلا، ثم دعا لنا بالتوفيق، فودعته عبر الهاتف بكل شكر وتقدير.

نقل حي على الهواء

وفي ليلة العملية ذهبت إلى النوم مبكرًا كالعادة وصحوت مبكرًا، ووصلت إلى المستشفى في الساعة السابعة صباحًا، والتقيت بزملائي ثم بوالدي التوأم مع توأمهما بغرفة التجهيز قبل العملية بربع ساعة كي أتيح لهما فرصة طرح أي سؤال يخطر ببالهما في تلك اللحظة، وليطلبا أي معلومات قد يحتاجان إليها.. وأخبرت جميع أفراد الأسرة الأب والأم ووالدها ووالدتها بأن العملية ستكون منقولة لأول مرة حيَّة على الهواء عن طريق التلفزيون لأن الإعلام بدأ يهتم بمثل هذه الحالات بعد أن أصبحت تمثل واجهة للعالم العربي والإسلامي، وطلبت منهم الحضور في قاعة الاجتماعات حتى تتسنى لهم مشاهدة العملية مباشرة والاتصال للحصول على أي معلومات مني أو من زملائي مباشرة. حانت مني التفاتة إلى أعين والد التوأم ووالدته فرأيت الدموع تنحدر منها بغزارة، وانهمرت القبلات من أفراد الأسرة على البنتين، وهما بدورهما ودعتاهم برفع الأيدي والتلويح بها.

دخلنا غرفة العمليات في الساعة السابعة والنصف صباحًا، وشرع فريق التخدير فورًا في مهماته، وتلا ذلك عمليات التعقيم حسب الخطة.. وبعدها مباشرة بدأنا عملية الفتح باسم الله وعلى بركة الله تعالى، وتمثلت المرحلة التالية في فتح عظام وعضلات الصدر وعظمة القص، ثم وجدنا اتصالاً في أغشية القلب وتمكنا من فصلها، وإبعاد قلب تالية عن قلب تالين، وإقفال الأغشية مرة أخرى، وبعدها تم فصل الكبد وفصل الاتصال البسيط في الأمعاء، وأخيرًا بدأ العد التنازلي لإكمال عملية الفصل وشارك فيه البث الحي عن طريق التلفاز، واكتملت كل مراحل العملية كما خطط لها بفصل الطفلتين عن بعضهما وكانت الفرحة عارمة مصحوبة بتصفيق حار شاركنا فيه والدا التوأم، ولأول مرة انتقلت تاليا إلى سرير منفصل عن تالين في غرفة العمليات، وأعقب ذلك تغطية الفراغ بعد الفصل، واستغرقت مدة العملية حوالي تسع ساعات. ونقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث قابلنا جميع أفراد الأسرة عند باب العمليات وكان العناق حاراً، ودموع الفرح تنساب على الخدود، وصحبوا جميعهم التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث مكثتا لمدة أسبوع نُقلتا في نهايته إلى جناح الأطفال رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل التي استغرقت مدتها حوالي ٤ أسابيع، ثم خرجتا من المستشفى لتتلقاهما أياد عطوفة وحنونة إذ طلب خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) استقبال التوأم وأسرته في مكتبه الخاص بالحرس الوطني، وبالفعل انتقلت كامل الأسرة بصحبة الفريق الطبي إلى مكتبه حفظه الله حيث استقبل التوأم استقبالاً حاراً، وهنأ الأسرة على نجاح فصل الطفلتين وشفائهما، كما هنأ الفريق الطبي على نجاحه وتوفيقه، والتقطت له يحفظه الله صورة تذكارية مع التوأم والأطباء، وقدم هدايا للأطفال، ثم قلد الأطباء أوسمة تقديرًا لجهودهم، وكان هذا هو الدعم الإنساني الكبير من هذا الإنسان الكريم



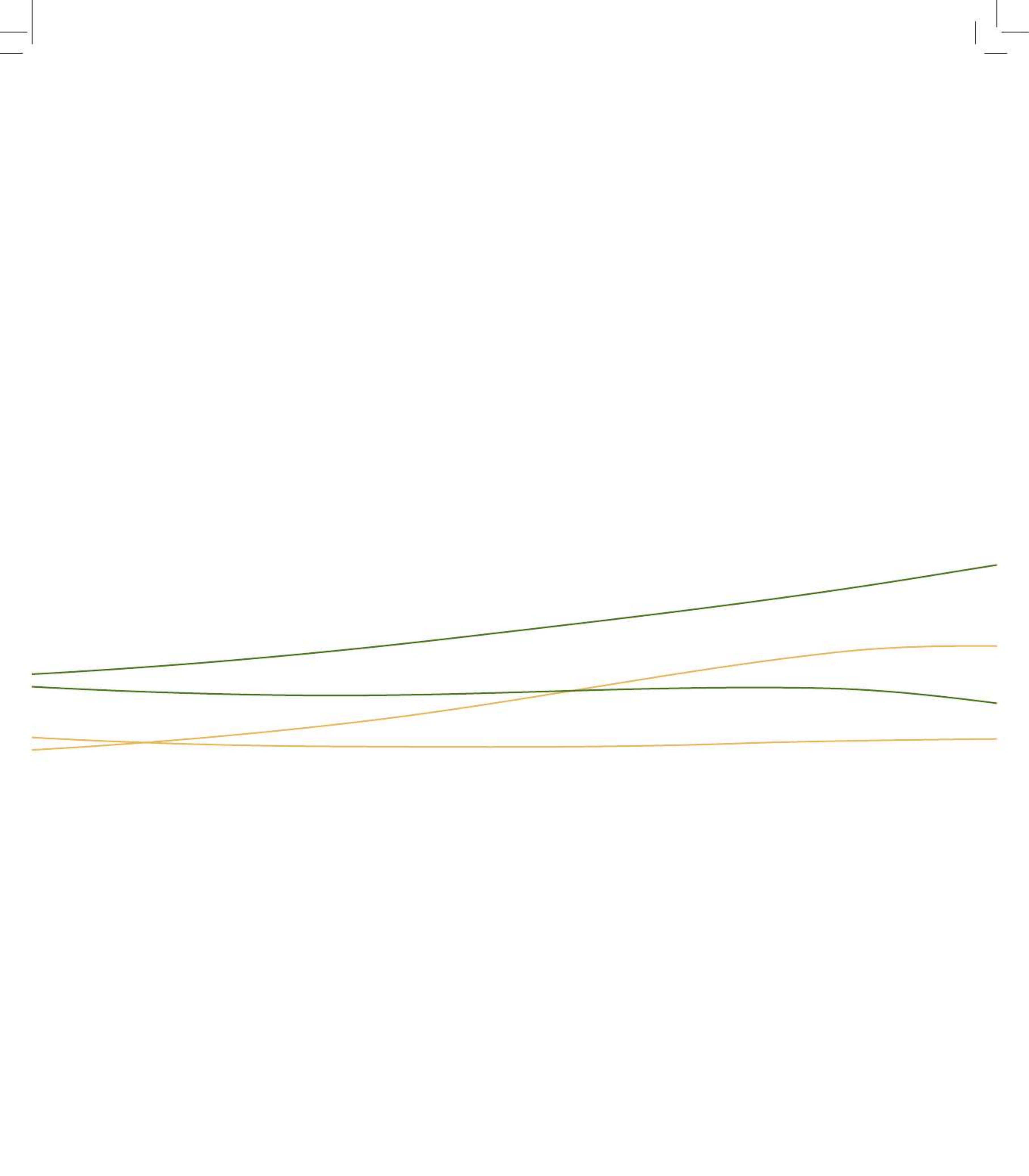



الفريق الطبي

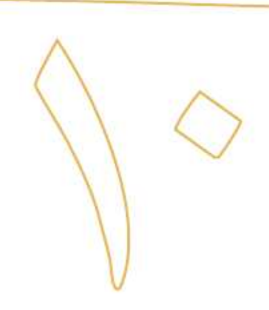
زيارة معالي الدكتور عصمت عبدالمجيد

للفريق وللأطفال. بعد ذلك غادر التوائم إلى جمهورية مصر العربية، ثم عاد التوأم بعد عام إلى الرياض للمتابعة، وأجريت عملية تصحيح لقلب تالين نجحت نجاحًا باهرًا ولله الحمد والمنَّة ثم عادتا إلى بلديهما. وعندما بلغ عمرهما الخامسة عادتا مرة أخرى إلى الرياض للفحص والمتابعة، واتضح أنهما في حالة صحية جيدة، واستقبلهما خادم الحرمين الشريفين في مزرعته مع بقية التوائم في حشد رائع وبهيج والتقطت له صورة جماعية مع كل التوائم ووالديهم.

تاليا وتالين عند الخروج من المستشفى







بُعد عالمي

محرم ١٤٢٥هـ/ مارس ٢٠٠٤م



بُعد عالمي

محرم ١٤٢٥هـ - مارس ٢٠٠٤م

السعودية على ألسنة الملايين

تمامًا كما أعطى التوأم الماليزي بُعدًا إسلامياً لهذه الخبرة العالمية الإنسانية؛ ها نحن نستقبل توأماً من أقصى شرق آسيا، من دولة الفلبين ليوفِّر بُعدًا عالمياً وزخماً إعلامياً دولياً جعل أسم المملكة العربية السعودية أهزوجة لطيفة على ألسنة مئات الملايين من البشر، حمدنا الله سبحانه على تنامي هذه الخبرة وبلوغها إلى العالمية، الخبرة السعودية التي عزَّزت قيم الدين الإسلامي، وأكدت رحابة مبادئه ومفاهيمه وإنسانيته التي تسع كل الشعوب، وأعطت أنموذجاً حياً ومتميزًا على سماحته مع مختلف أهل الديانات والمذاهب والمشارب، فالوطن الذي أعطانا ورعانا وأهَّلنا؛ لجدير ببلوغ هذه الشهرة الطبية العالية. أسرة التوأم الفلبيني تعتنق الديانة المسيحية، وقد شملتها أريحية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وأظهرت هذه الموافقة بُعد النظرة والحكمة في قراره حفظه الله، فقد نقلت وسائل الإعلام الفلبينية أن الديانة الإسلامية بدأت تلامس قلوب كثير من غير معتنقيها في الفلبين، ذلك أن الدين الذي لا يُفرِّق بين بني البشر، ويملك الاستعداد لاستيعاب كل جراحات الإنسان؛ لا شك أنه دينٌ عالمي.

كانت هذه الأسرة فقيرة تعيش على الكفاف في قلب قرية تبعُد عن العاصمة مانيلا مسافة ليست بالقليلة، وكانت تتأهب وتستعد لاستقبال طفل جديد رغم العَوز والفقر الشديدين الذين يجوسان داخل منزلها الصغير الذي لا تزيد مكوناته عن غرفة واحدة وصالة صغيرة، منزل يكشف مظهرًا واضحًا من التواضع والبساطة. فالأب يعمل بأجر زهيد لا يكاد يكفي قوته لأيام قليلة، وليس له أي دخل آخر يعينه على مؤونة عيشة. ما كان الأبوان يدريان ما يخبئه لهما القدر، وفي نهاية مراحل الحمل جاءهما الخبر بأن الزوجة تحمل توأماً.. فقرٌ مدقعٌ وإمكانات محدودة، وظروف مالية صعبة لا تؤهلهما لاستقبال طفل واحد فضلاً عن توأم، ومما زاد الأمر سوءًا أن ولادة التوأم تتطلب إجراء عملية قيصرية بسبب تعسُّر الولادة العادية، ازداد الهمُّ على والد التوأم الذي اضطر إلى استدانة مبالغ كبيرة لمقابلة تكاليف العملية القيصرية، شعر أن العبء النفسي والمالي يزداد ثقلاً وصعوبة. ذهب إلى المستشفى، وظل ينتظر لحظة الولادة وهو شارد ساهم يتوزع تفكيره بين المخاطر التي تتهدد حياة زوجته وطفليه، والديون التي أرهقت كاهله ولا يدري كيف السبيل إلى سدادها!! وتجول في خاطره أحيانًا أسئلة كثيرة حول التوأم القادم، كيف يتمكن من رعايته وهو يكدح ويتعب طوال يومه من أجل لقمة العيش؟ أين الإمكانات التي تساعده في تحقيق متطلباته من تغذية ومأكل وملبس ومشرب؟ كيف تتعامل الأم مع التوأم؟ ومن أين له الوقت لمساعدتها؟ هل يقوى على رعايتهما حتى يكبرا؟ وإن مرض أحدهما أو كلاهما فمن أين له بمصروفات العلاج؟ مشكلات كثيرة في انتظاره. دارت في مخيلته وزادت حيرته وهمومه!! وبينما كان في غمرة شروده وتفكيره؛ انتبه على صوت الطبيب وهو يخبره باكتمال عملية الولادة، وقبل أن ترتسم الابتسامة على وجهه؛ أردف الطبيب بأن التوأم ملتصق (سيامي)، لم يستوعب معنى كلمة (سيامي)، وما أن شرح له الطبيب معنى المفردة حتى شعر وكأن صاعقة تضربه فوقع على الأرض كالمغشي عليه، تأثر وبكى كثيرًا، حاول أن يتمالك نفسه ولكن الصدمة كانت كبيرة



آن وماي قبل العملية



صورة لحوض آن وماي

وآثارها عميقة، وأدرك أن هذه الحالة غير عادية وصعبة ومعقدة، ويتطلب علاجها تكاليف باهظة، ولا بد من البحث عن دولة أو مراكز متخصصة تتوافر فيها الخبرة الكافية لعلاج مثل هذه الحالات، اتصالات وسفر وتكاليف إقامة وفحوصات وعلاج.. عبء لا يقوى عليه جسده الناحل ودخله المتواضع، وإذا عجز عن علاج طفلتيه؛ فهل تستطيع الأسرة التعامل مع الحالة؟ وهل تتحمَّل تطفل الفضوليين من أهل القرية؟

استجابة غير متوقعة

نهض الأب من على الأرض وقصد غرفة زوجته مهمومًا تزلزل المحنة كيانه، ولما التقت أعينهما انفجرا باكيين بكاءً مريرًا كاد يمزق أضلعهما، حاولت الزوجة رغم انكسارها التخفيف عن زوجها إلا أن عواطفها وأشجانها غلبتها؛ فاكتفت بإرسال الدموع تجري على خديها. وبعد أيام خفَّت حدة الهموم، وتضاءلت آثار الصدمة، وبدأ التفكير في البحث عن حل لهذه المشكلة، المشوار طويل وصعب، وعدم توافر المعلومات وعدم معرفة الجهة التي يمكنها معالجة هذه المشكلة شكلا عائقين أساسيين أمام تحرك الأب الذي أحس أن الدنيا تدور به وتسْوَدُّ أكثر فأكثر أمام ناظريه، لا حيلة ولا سند، أقرباؤه في قريته لا يملكون غير نظرات الإشفاق، مساعداتهم لا تتعدى عبارات المواساة، أحسَّ وهو يتمعَّن في عيون أهل قريته متوّسلاً ومستعطفًا أن معظمهم لا يلتفتون إليه ولا يأبهون لحالته، ويمضون وكأن الأمر لا يعنيهم. بعضهم فضوليون، وآخرون يصرفون وجوههم بعيدًا ويتأفَّفون، أكد له بعض أصدقائه أن مثل هذه الحالة يمكن علاجها خارج الفلبين.. تأوَّه وزفَرَ بعمق والحزن يكاد يفطر قلبه ويزلزل كيانه، تحدَّرت دمعات حرَّى على وجنتيه وهو يتساءل؛ ما السبيل إلى تجاوز هذه المحنة؟ أنا عاجز عن التحرك داخل بلدي؛ فكيف بي خارجها..؟! تملَّكته الأحزان والآلام، ترك نفسه فريسة للهموم تطحنه طحن الرَّحى؛ وبينما هو في هذه الحالة الكئيبة التي تعطَّل فيها تفكيره وخارت قواه، وأصبح كالمشلول؛ نصحه أحد جيرانه بعدم الاستسلام للكآبة واليأس، واقترح عليه مخاطبة فرع إحدى الجمعيات البريطانية الخيرية العاملة في مانيلا لعله يجد عندها مخرجًا يفتح له أبواب الأمل، حزم أمره واستعان بالمصروفات التي استدانها من أحد أقربائه في السفر إلى العاصمة حيث الجمعية المشار إليها، وبواسطتها بعث رسالة استغاثة عبر وسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية، كانت رسالة استعطاف واسترحام للعالم، كان يحلم ويتطلع إلى إحدى الدول الغربية الغنية التي تتوفر فيها الإمكانات الطبية والتقنية، والقادرة على التعامل مع هذه الحالة؛ ولكن خاب أمله حين لم تتجاوب أي دولة غربية مع استغاثته التي أطلقها..ولم يكن يتصور،بل لم يدر بخلده أن تصل هذه الرسالة إلى رجل بر رحيم، والد وإنسان عظيم في بلاد الحرمين الشريفين، إلى الملك عبدالله (ولي العهد آنذاك)، وبينما كان ينتظر ويؤمِّل في أن تتكرَّم دولة غربية باستقبال طفلتيه؛ لامست الرسالة قلب الإنسان والوالد العطوف الملك عبد الله، فما أن اطَّلع حفظه الله عليها حتى أصدر على الفور توجيهًا بنقل التوأم وأسرته إلى الرياض وعلاجه على نفقته يحفظه الله بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض. سمع الأب الفقير والأم المسكينة بالخبر ففرحا فرحًا شديدًا وتأثرا كثيرًا لأنهما ما كانا يتصوران أن تأتيهما الاستغاثة من دولة مسلمة؛ ولم تسعفهما تجربتهما المحدودة في أن يجدا المساعدة من قائد مسلم؛ بل كانا يتوقعانها من دولة غربية، أو أن تتحمَّل حكومة بلدهما



فصل الجهاز البولي



الفريق الطبي لعملية آن وماي

تكاليف العلاج. ولكن أتاهما المخرج من القائد الإنسان الملك عبد الله (ولي العهد آنذاك).. وأدركا أن هذا عطاء إنساني يفوق تصوراتهما، ويتجاوز اعتقاداتهما التي تحصر أعمال الخير في المنظمات الخيرية الغربية، كانت المفاجأة كبيرة لم تحتملها عواطفهما؛ فانهمرت دموعهما من شدة الفرح.

استبدَّت الحيرة بوالد التوأم؛ هل يسافر مع زوجته أم يبقى؟ فقره يتحكَّم في قراره، فإن غلبته عاطفة الأبوة وسافر مع أسرته؛ سيخسر وظيفته ويصبح عاطلاً عن العمل، وإن آثر البقاء فلن يقوى على تحمل هموم الابتعاد عن أسرته وهي في شدتها ومحنتها وحاجتها إليه، القرار صعب؛ غير أن مرارة العيش أشد قسوة وألمًا، وأجبرته صعوبة الحياة إلى قبول أخف الأمْرَيْن: البقاء رغم ما يمكن أن يعانيه من هواجس وخوف وقلق. طلب من شقيقة زوجته مرافقتها بدلاً منه، وهكذا كان القرار.

آن وماي في الرياض

وصل التوأم إلى أرض السلام بلاد الإنسانية ومنها إلى مدينة الرياض، وكانت الأم الضعيفة حائرة وقلقة ومتهيبة من وجودها في دولة تجهل لغتها وعاداتها، ولكن كان همُّها مركزًا على توأمها وإمكانية علاجه، ومما خفف عليها وأزال هواجسها وأبعد عنها الخوف وجود الفريق الطبي وإحدى الممرضات الفليبينيات في استقبالها بالمطار، ونقل التوأم بمرافقة الأم وأختها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني حيث كنت في استقبالهم مع زملائي عند مدخل المستشفى، ثم نقلنا الطفلتين إلى الغرفة رقم (٧) في جناح الأطفال رقم (٧) وأخضعناهما إلى فحص دقيق تضمن بعض الفحوصات الأولية، وبعد ذلك تحدثت مع والدتهما وشرحت لها عن طريق مترجمة تفاصيل الحالة، وأخبرتها باشتراك الطفلتين في البطن والحوض، وأن الحالة معقدة وتستدعي إجراء مزيد من الفحوصات الدقيقة كي نخرج بقرار إيجابي، وبيَّنت لها أن هذه الفحوصات ضرورية رغم تفاؤلنا بنجاح فصل التوأم. وبعد ذلك شكلت الفريق الطبي الذي ضم حوالي ستين شخصًا من التخصصات المعنية، واجتمعنا بعد وصول التوأم بيومين، وواصلنا دراسة الحالة، واستعرضنا الصور الخاصة بها، وطلبنا إجراء فحوصات شاملة ودقيقة، ثم قررنا عقد اجتماع آخر بعد أسبوعين، وبالفعل أجريت الفحوصات المطلوبة التي شملت أشعة مقطعية ومغناطيسية وأشعة ملونة للجهاز البولي والتناسلي والجهاز الهضمي. وعقب إكمال الفحوصات اللازمة ترأست اجتماعًا استعرضنا فيه حالة التوأم، ثم عرض الزملاء في قسم الأشعة تفاصيل الحالة واتضح لنا وجود اشتراك -كما ذكرت- في البطن والحوض، علاوة على اشتراك في الجهاز الهضمي والأمعاء الغليظة وفتحة الشرج، واشتراك في الجهاز التناسلي والجهاز البولي. كما اتضح لنا أن هذه الحالة تتسم بالغرابة والندرة حتى على مستوى العالم؛ فقد كان للطفلة (آن) عيب خِلْقي عبارة عن تكيُّس بالفص الأوسط للرئة من الجهة اليُمنى مما شكل معضلة كبيرة للفريق الطبي؛ بل ويمكن أن يُعدَّ تهديدًا لعملية الفصل؛ ولكن بعد مناقشات طويلة بين الفريق الجراحي وفريق التخدير، ثارت تساؤلات: هل نجري عملية لاستئصال ذلك الفص لأنه يؤثر على التنفس، ثم نجرى عملية الفصل بعد أسبوع من ذلك؟ أو ندمج العمليتين معًا؟ وبعد دراسة علمية مستفيضة للحالة؛ قررنا جميعًا دمج العمليتين، أي إجراء عملية استئصال ذلك الفص المعيب بالرئة، ثم الاستمرار في عملية الفصل تحت تأثير نفس المخدر حفاظًا على حياة التوأم، لقد كانت تلك حالة



دموع لاتجف قبل العملية



زيارة وزير الصحة الأمريكي للتوأم الفلبيني



نادرة، وربما كانت الأولى من نوعها على هذا المستوى، ولكن قرارنا كان صائبًا بالفعل. اتفق الفريق الطبي على إجراء العملية يوم السبت ٢٩ محرم ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠ مارس ٢٠٠٤م بعد أن وصل التوأم إلى الوزن المثالي وتهيأت الظروف المناسبة، على أن تسبقها بيومين عملية تجريبية وهمية. توليت شرح هذه التفاصيل لوالدة التوأم التي أعربت عن تفاؤلها، وابتسمت وفرحت وتلهفت إلى فصل ابنتيها (آن وماي)، وأتحنا لها مع أختها حضور العملية التجريبية الوهمية، ووافقت على إجراء العملية.. ثم راجعنا خطوات العملية التي كانت تتكون من عشر مراحل وفق التصور الذي حددناه مسبقًا، واتفقنا على اللقاء في اليوم المحدد للعملية.

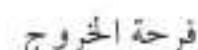
إنجاز علمي جديد

شكلت هذه العملية نقلة وبُعدًا عالمياً، فقد صحبها اهتمام واضح من وسائل الإعلام. وبعد العملية التجريبية الوهمية ذهبت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وشرحت له تفاصيل العملية، وكعادته حفظه الله يحرص على رفع درجة الثقة لدى أعضاء الفريق الطبي، فأمرنا بالاعتماد على الله، وأن نكون متفائلين، ثم استأذنته في الذهاب إلى مكة لأداء العمرة، وأنا أسأل الله التوفيق، وبالفعل اصطحبت زوجتي إلى مكة يوم الخميس حيث أدَّينا مناسك العمرة، ودعونا الله كثيرًا أن يوفقنا في هذه العملية وغيرها خدمة لبلدنا المملكة العربية السعودية وللأمة العربية والإسلامية، ولنُبين للعالم أجمع الوجه الصحيح لسماحة الدين الإسلامي. غادرت مكة المكرمة بعد صلاة الجمعة، وفي المساء خلدت إلى الراحة مبكرًا واستيقظت مع أذان الفجر، وبعد أداء الصلاة تناولت إفطارًا خفيفًا ثم توجهت إلى المستشفى والتقيت مع أطباء قسم التخدير في الساعة السابعة صباحًا، وبعد اكتمال بقية الزملاء عقدنا اجتماعًا في الساعة السابعة والربع، وفي هذه الأثناء تم إحضار التوأم إلى غرفة العمليات بصحبة الأم وأختها، وقدمت لهما شرحًا عن تفاصيل العملية مرة أخرى، ثم أقبلت الأم تقبِّل طفلتيها وعيناها تدمعان بغزارة، فاحتضنتها بعض الممرضات الفلبينيات واصطحبنها إلى غرفة الاجتماعات حيث تعرض العملية على شبكة التليفزيون الداخلية. بدأت العملية بالتخدير ثم عملنا على فتح صدر التوأم (آن) واستأصلنا الفص المُتكيِّس خلال ما يقارب الساعة ونصف الساعة، وتمثلت المرحلة التالية في تعقيم التوأم وإجراء منظار للمسالك البولية، وبعد تغطية التوأم بدأت العملية بقص الجلد بين الطفلتين وأكملنا مراحل العملية جميعها دون أن تواجه الفريق الطبي أي صعوبات، واستغرقت مدة العملية حوالي ثماني عشرة ساعة ونصف.. ونجح الفريق الطبي في هذه العملية المعقدة مسجِّلاً إنجازًا علمياً جديدًا للوطن وللعالم العربي والإسلامي، وفي النهاية وقفنا لالتقاط صورة جماعية توثيقية.. واستقبلتْ والدة التوأم طفلتيها عند باب غرفة العمليات في طريقهما إلى العناية المركزة بدموع الفرح والقبلات، وكانت وسائل الإعلام حاضرة تصوِّر وتسجِّل المشهد، وتستطلع انطباعات الفريق الطبي، وتتعرف على مشاعر الأم في تلك اللحظات المشحونة بالعواطف والوجدانيات.. شاركت أسرتي في هذه العملية بإرسال كعكة خاصة للفريق الطبي تهنئه بنجاح العملية. وكعادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) اتصل بالفريق الطبي مهنئًا بهذا النجاح الكبير الذي تحقق بعون الله وتوفيقه، كما استقبل





زيارة صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله



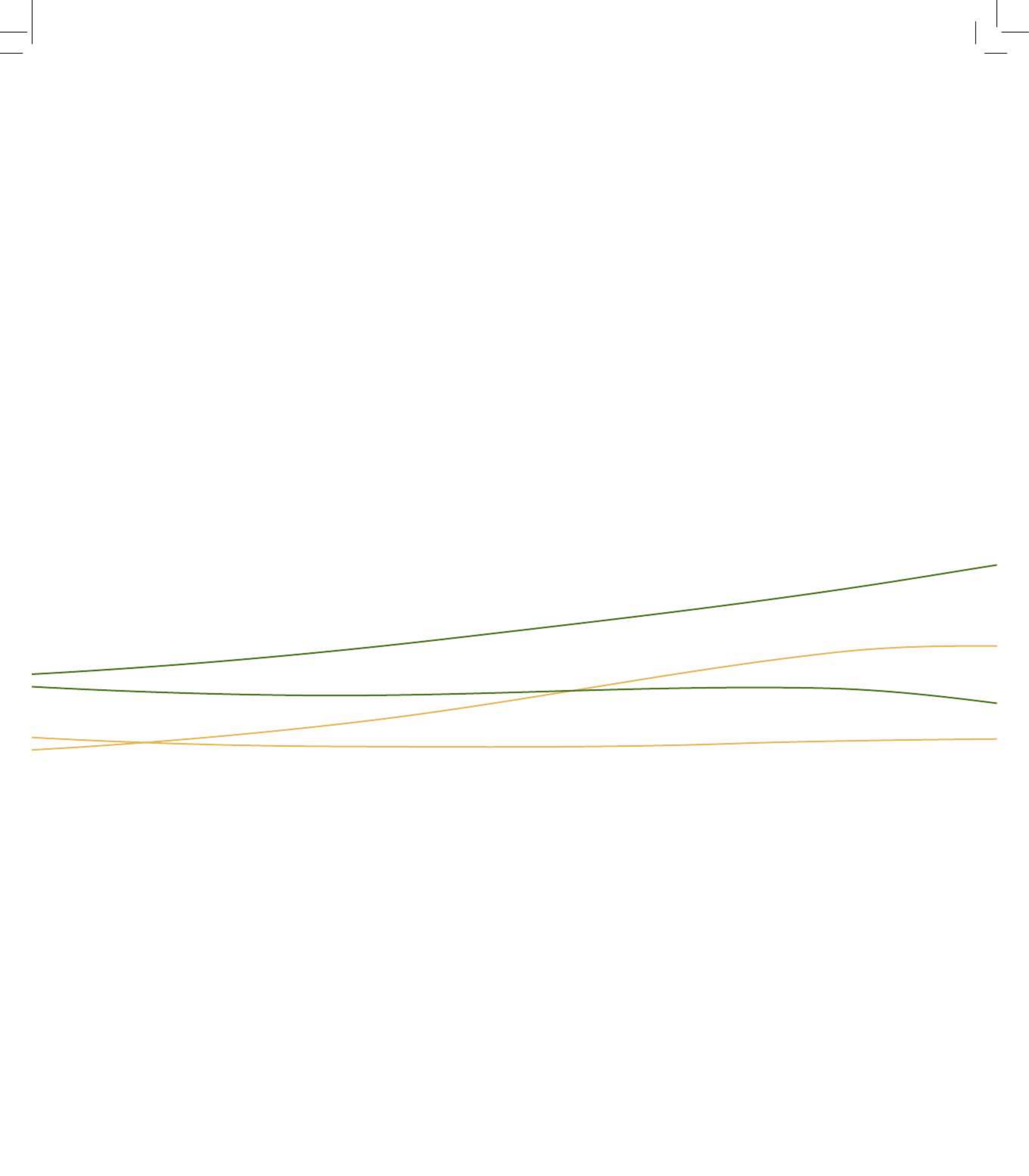
فرحة الخروج

الفريق تهنئة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، ونقلت هذه التهاني إلى والدة التوأم أيضاً. مكث التوأم في العناية المركزة حوالي عشرة أيام ثم نقل إلى جناح الأطفال حيث بدأت عملية التأهيل التي استمرت لمدة خمسة أسابيع تخللتها مفاجأة سارة للفريق الطبي تمثلت في زيارة خادم الحرمين الشريفين للطفلتين للاطمئنان على صحتهما، وكان يسأل أعضاء الفريق الطبي عن حالتهما ووضعهما مما أكد إنسانية هذا الرجل، ومدى حبه للأطفال. غادرت الطفلتان إلى الفلبين وعندما بلغ عمرهما الرابعة عادتا إلى المملكة العربية السعودية للمتابعة، ولا زال وضعهما مطمئنًا ولله الحمد، كما استقبلتا بعد ذلك مع بقية التوائم في مزرعة خادم الحرمين الشريفين...

وهكذا شكّلت هذه التجربة الناجحة تجسيدًا صادقًا لسماحة الدين الإسلامي الذي لا يفرق بين جنس أو شكل أو لون أو طبقة أو مذهب.. هذا الدين الذي يعطف على الإنسان أيّاً كان وأينما وُجد.



آن وماي بعد ثلاث سنوات مع والدتهم وخالتهم





١١

أطباء بولندا يشكِّكون!!

ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م





أطباء بولندا يشكِّكون!!

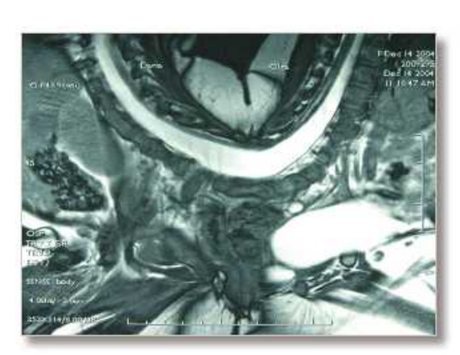
ذو القعدة ١٤٢٥هـ - يناير ٢٠٠٥م

وافد غريب في ضيافة كراكوف

(كراكوف) بلدة صغيرة في بولندا لا يتجاوز عدد سكانها عشرة آلاف نسمة، لم تسمع في تاريخها العريق باسم (التوائم السيامية)، ولا تعلم شيئًا عن التصاق الأجنة، حياة سكانها هادئة وادعة دومًا، من بينهم سيدة تنتمي إلى أسرة فقيرة، شعرت هذه السيدة خلال الأشهر الأولى من زواجها بأعراض الحمل، وكان الحمل بالنسبة لها تجربة جديدة تعايشها لأول مرة، حلمت بأن ترزق بطفل يملأ حياتها ويسلِّيها ويُسعد أسرتها البسيطة، وتصورت نفسها تناغيه وتمازحه وتلاعبه.. ومع تقدم أشهر الحمل، وعند أواسطه ظهرت عليها بوادر غريبة غير تلك التي عرفتها من قريباتها وصديقاتها المتزوجات، أحست أن أعراضه مختلفة، ومشكلاته في ازدياد، ارتفاع في الضغط، ضخامة في حجم البطن، ولذلك سارعت إلى إجراء فحوصات في أحد المستشفيات الصغيرة اثارت تلك الفحوصات الشك في أنها تحمل توأماً من الإناث، قلقت، وداخلها همٌّ حول كيفية التعامل مع طفلتين رضيعتين في وقت واحد، وكيف توفق بين رعايتهما واحتياجاتهما والتزاماتها الأسرية الأخرى، استمرت في مراجعاتها للمستشفى، وأحست الطبيبة أن هذا الحمل غير واضح، وتنامى لديها نوع من الشك بأن في الأمر شيئاً غير عادي، كأن تكون في التوأم عيوب خلقية، ودفعها هذا الشك إلى أن تطلب من هذه السيدة مراجعة مركز متخصص لتشخيص الحالة في مدينة (يانكوفو) القريبة من كراكوف، وبالفعل أُخضعت السيدة لفحوصات وصور عديدة تبيَّن على ضوئها حملها بتوأم سيامي. صُعقت الأم وهالها الخبر وبكت كثيرًا كما لم تبك من قبل، ودفعها الخوف والقلق إلى طرح مجموعة من الأسئلة والاستفهامات على المختصين، أين مكان الالتصاق؟ ما هو حجمه؟ التصاق كامل أم جزئي؟ هل سيعيش التوأم أم لا؟ ولكنها لم تتلق أي إجابة شافية من الأطباء المشرفين عليها. وإزاء هذه الحقيقة تحرَّك تفكيرها للبحث لإيجاد مخرج، وماذا تفعل إذا لم يتيسر لها وجود حل لهذه المشكلة؟ علمت أن التعامل مع حالات التوائم الملتصقة قاصر على مراكز متخصصة لها خبرات وتجارب في هذا المجال، ويحتاج إلى أموال طائلة ونفقات عالية، وقد يتطلب الأمر السفر إلى خارج البلاد وما يصحب ذلك من تكاليف تفوق طاقة الأسرة وقدرتها المالية، أحست أن عبئًا ثقيلاً يجثم على صدرها. ولما حان وقت الولادة اتجهت إلى المستشفى، باشر الأطباء المختصون حالتها، أجروا لها عملية قيصرية، وبعد الولادة أخبرها الأطباء أن القادم توأم من الإناث ملتصق في منطقة الورك والحوض، وأفزعوها وأقلقوا مضجعها حين أكدوا لها أن عملية فصل التوأم معقدة وشديدة الصعوبة، ولا تُجرى إلا في المراكز المتخصصة. لم يغمض لها جفن منذ أن شُفيت من جراح العملية القيصرية، وانشغلت بالتوأم، وسيطر عليها التفكير في وسيلة تعينها على البحث عن ملاذ. أدخل هذا الوافد الجديد والغريب الأم في حيرة كبيرة ممتدة،، ظروف الأسرة في غاية التواضع ولا تتيح إلا حداً أدنى من العناية بنفسها؛ فكيف بتوأم سيامي يقتضي رعاية خاصة وعناية طبية فائقة، ومراجعة لمراكز طبية متخصصة، ومبالغ طائلة للسفر، واحتياجات أخرى مرئية وغير مرئية لا قِبَل لها بها. حملٌ ثقيل جَثَمَ على كاهلها كاد يُسلمها إلى الهلاك. وما أن بدأت الأسرة في التردُّد المتكرِّر على عدة مراكز طبية في بولندا؛ حتى ازدادت معاناتها وأضحت أكثر حدة وقسوة، مراجعات مخيبة



أولغا وداريا عند وصولهما



صور للإلتصاق في العمود الفقري



وقاتلة للآمال، فما الأمر؟ أجمع الأطباء على صعوبة الحالة وتعذُّر إجراء أي نوع من العمليات لعلاجها!! وأكد لها الأطباء ان نسبة نجاح فصل طفلتيها ضئيلة جداً، ومثل هذه العمليات لا تجرى إلا في مركز متخصص بالولايات المتحدة الأمريكية.. يأس يتراكم على يأس، وهَمٌّ يزول بمثله كالشوك يُنزع بالإبر.

تطلع إلى أمريكا وإغاثة من السعودية

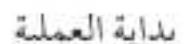
إذن لابد للأسرة والحالة هذه من أن ترمي بصرها خارج حدود بلدها لعلها تحظى باستجابة إنسانية، أو تحنو عليها أياد كريمة، تطلَّعت العيون وهفت القلوب إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يعيش أحد أقربائها هناك، اتصل شقيق الأم به ليشاركهم البحث عن مساعدة في منظمة تطوعية أو هيئة خيرية، ثم نصحها بأن تودع صيحة استغاثة على شبكة الإنترنت لعل وعسى أن تطرق آذان العالم أجمع.. فآمال المحتاج لا تخبو وإن شابتها بعض مشاعر اليأس.. وبالفعل وضعت الأم استغاثتها على الشبكة شارحة حالتها بكل تفاصيلها، بينما أجرى قريبها اتصالات متعددة ببعض المراكز الأمريكية المتخصصة، ولكن لم تفلح اتصالاته ولم تحظ بأي استجابة، فاتسعت مساحة خيبة الأمل في قلب الأم، وخفتت جذوة طموحاتها.. وفي غمرة استسلامها لهذه الحالة اليائسة؛ لم تكن تدري أنها ستجد من يساعدها. وذات يوم، وبينما كانت جالسة على شرفة منزلها غارقة في التفكير، ودموعها منسكبة على خديها؛ سمعت رنين هاتفها فهرعت إليه، فكان على الطرف الآخر قريبها الذي يعيش في أمريكا ليخبرها بأن الاستجابة جاءتها من دولة لم يسبق أن خطرت على بالها طوال حياتها على الإطلاق، من المملكة العربية السعودية.

نعم، لقد وصلت صيحة الإغاثة إلى القائد الإنسان، الملك عبدالله (ولي العهد آنذاك)؛ فلم يتردَّد في إغاثة هذه الأسرة، إذ وجَّه حفظه الله بسرعة نقلهم من بولندا بلد العراقة والتاريخ إلى المملكة العربية السعودية مهد الديانة الإسلامية التي غمرت العالم بالنور والضياء، وأشاعت قيم المحبة والسماحة والإخاء.. كانت هذه الدوافع إنسانية بحتة تُبيِّن مدى كرم وعطف هذا الإنسان، وتستبطن نهجًا دعوياً وإعلامياً ووطنياً بعيد المرامي والأهداف وبالغ الدلالة.

تلقت الأسرة البولندية هذه الدعوة والمبادرة الكريمة عن طريق سفارة المملكة العربية السعودية بوارسو، لم تستوعب الخبر، تفاجأت، ذُهلت وكادت تصاب بالدوار، تساءلت: أيعقل أن يأتي التجاوب من بلد خارج منظومة العالم الغربي؟ لم يكن ذلك واردًا حتى في الخيال، فالعالم الغربي في عُرف أهله هو وحده المعنيُّ بصيانة مشاعر الإنسان، ووحده الذي يُجسِّد القيم الإنسانية نهجًا وسلوكًا، ثم أن العلم والطب والجراحة وتقنياتها وأجهزتها جميعها صناعات غربية لم تستوردها دول المشرق العربي والعالم النامي حتى الآن!! لم يخطر ببال الأسرة أن تكون للمملكة العربية السعودية ريادة في مجال جراحة فصل التوائم السيامية، وكانت دهشتها أعظم حين تبيَّنت وعرفت سرعة التجاوب، وأن الملك عبد الله تكفَّل بكل تكاليف السفر والإقامة والعلاج. ورغم ابتسامة الفرح التي أطلت على وجه الأم؛ إلا أنها بكت وذرفت الدمع غزيرًا، وتساءلت، وتساءل معها أفراد هذه الأسرة البسيطة: كيف يهتم رئيس دولة كبرى، وملك المملكة العربية السعودية بأسرة بسيطة تعيش في أواسط بولندا تلك الدولة التي لا تنتمي إلى نفس الديانة، ولا تتكلم نفس اللغة، وليست لها علاقات قوية مع دولته؟! وربما تزامنت هذه المبادرة مع هجمة يشنها




عند التخدير



بداية العملية

الإعلام الغربي على المملكة العربية السعودية، وعلى العالم العربي والإسلامي، ولكن مبادئ المسلمين وقيمهم قائمة على التسامح والعفو، وتدعو إلى الحوار بالتي هي أحسن، وجميع المبادرات التي تخرج عن العالم الإسلامي تستهدف الخير والمنفعة، وتدعو إلى المحبة والتعاون بين بني البشر، ذلك أن الإسلام دين عالمي يخاطب جميع شعوب الأرض.. ولا شك أن في هذا الموقف الإنساني العظيم مدعاة لتغيير المفاهيم، ولإعادة النظر في التصورات والقناعات المبنية على معلومات أو عرف متوارث!!

تردد في قبول الدعوة

بلغت الفرحة مداها في قلب الأم، وطغت على محياها سمات السعادة؛ ولكن مع ذلك فهناك ثمة مشاعر خوف وقلق غامضة تكتنفها، خوفٌ من غربة، ومن اختلاف لغة وتباين عادات وتقاليد، وعلاوة على كل ذلك الحيرة التي كادت تُضعف فرحتها وتدفعها إلى التردد في قبول الدعوة بسبب الشكوك التي أثارها الإعلام الغربي حول الخبرة السعودية في فصل التوائم السيامية.. ولكن رغم ذلك شرعت الأسرة في الاستعداد للسفر والتأهب لمغادرة بولندا، وتوجهت الأم إلى المستشفيات التي تعاملت مع حالتها للحصول على التقارير والمعلومات المطلوبة؛ ولكن الأطباء البولنديين حاولوا تثبيطها، وأطلقوا ألسنتهم بالتطاول والتشكيك في كفاءة الطب والجراحة السعودية، واجتهدوا في نفي إمكانية نجاح مثل هذه العمليات في المملكة العربية السعودية أو في أي دولة غير غربية، بل ذهب بعضهم إلى استحالة إمكانية فصل التوأم (داريا وأولغا)!! إلا أن وسائل الإعلام البولندية والغربية تناقلت الخبر بتركيز شديد حتى أصبح أمر السفر محور الأخبار في نشرات الفضائيات، والعناوين الرئيسية التي ظهرت بالبنط العريض في الصفحات الأولى للصحف البولندية وبعض الدول الغربية، واستمرت تتناوله بالتحليل والتقييم اعتمادًا على البُعد الإنساني والقيمي الذي أظهرته المبادرة السعودية الكريمة.

أكملت سفارة المملكة العربية السعودية كل الترتيبات اللازمة لنقل التوأم من مدينة كراكوف إلى العاصمة وارسو، ثم إلى الرياض مباشرة. وصلت الأم وتوأمها وطبيبة بولندية متدربة لمساعدتها في الترجمة إلى مطار الملك خالد حيث كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وكنت في استقبالهم عند مدخل المستشفى بحضور بعض وسائل الإعلام المحلية والخارجية، كما حضر لاستقبالهم سفير بولندا بالمملكة العربية السعودية، ثم نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧) والغرفة رقم (٧)، وباشرت على الفور مع زملائي إجراء فحوصات دقيقة للتوأم، ثم طلبنا بعض الفحوصات الأولية، وبعد استكمالها جلستُ مع والدة التوأم ومعي أحد زملائي وبينتُ لها بواسطة الطبيبة المرافقة أن الطفلتين ملتصقتين في آخر العمود أو الحبل الشوكي والحوض والورك، وتتطلب الحالة إجراء مزيد من الفحوصات الدقيقة التي قد تستغرق عدة أسابيع نستطيع بعدها اتخاذ قرارنا النهائي بالفصل. وبعد ذلك تشكَّل فريق طبي وجراحي بلغ عدد أعضائه خمسة وستين عضواً بين رجل وامرأة لمتابعة حالة التوأم، وكان يضم تخصصات: جراحة الأطفال، الأطفال، تخدير الأطفال، جراحة العظام، جراحة الأعصاب، المسالك البولية، التمريض، تخصصات العناية المركزة وغيرها من التخصصات المساندة والتأهيل.



أولغا وداريا أثناء العملية





فصل الجسد أثناء العملية

شلل في انتظار التوأم..!!

وفي اليوم التالي ترأستُ اجتماعًا راجعنا خلاله حالة التوأم، ورأينا إجراء فحوصات متعددة ودقيقة وصور أشعة مقطعية، وأشعة مغناطيسية، وقياس قوة العضلات والأعصاب، وأشعة ملونة للأمعاء والمسالك البولية، وبعد عشرة أيام التقينا مرة أخرى في غرفة الاجتماعات بجوار مكتبي، وخضعت الحالة لنقاش مكثف تبيَّن بعده وجود اشتراك في مؤخرة الحبل الشوكي مع تداخل في الأعصاب بين الطفلتين، واشتراك في الأمعاء الغليظة وفتحة الشرج والتصاق وتقارب في الجهاز التناسلي، واشتراك في عظمة الحوض والورك. كانت هذه الحالة معقدة، وتركز نقاشنا حول مشكلة التوأم من ناحية الأعصاب، وبشكل أكبر حول مخاطر فصل مؤخرة العمود الفقري والحبل الشوكي نظرًا للقلق الكبير الذي كان يعترينا من إمكانية حدوث شلل للتوأم بسبب التداخل الكبير فيها. وبعد ذلك اتفق الجميع على إمكانية فصل التوأم بنسبة نجاح قد تصل إلى ٧٠٪ مع احتمال حدوث ضعف أو شلل في الأطراف السفلية وعدم تحكم في فتحة الشرج، وإثر هذه المعلومات جلست مع والدة التوأم والطبيبة المرافقة وشرحت لها تفاصيل الحالة بدقة، وإمكانية النجاح ودرجة المخاوف.. وبعد كل ذلك اقتنعت ووافقت على إجراء العملية وقلبها يكاد ينخلع من مكانه شفقة وخوفًا على حياة صغيرتيها؛ ولكن لابد مما ليس منه بد، فنسبة النجاح كبيرة ولا تستدعي هذا القدر من الخوف والوجل والقلق. وفي هذه الأثناء ومن باب المصادفة صرح أحد الأطباء البولنديين بأن التوأم سيصاب بالشلل!! وتناقلت وسائل الإعلام البولندية هذا التصريح، وبالطبع شكل ذلك صدمة للفريق الطبي الذي يتطلع إلى التشجيع وإلى شحنه بالثقة بدلاً من محاولات الإحباط والتثبيط التي ستنعكس سلبًا على الأم وتجعلها تشكك في قدرات الفريق؛ ولكنها لم تعبأ بهذا التشكيك، وأعربت عن ثقتها في الفريق بموافقتها الكاملة على إجراء العملية.

قرر الفريق إجراء العملية يوم الأثنين٢٢ ذو القعدة ١٤٢٥هـ الموافق٣ يناير٢٠٠٥م، وخطط إلى استكمال جميع مراحلها في مدة تستغرق حوالي ثماني عشرة ساعة، واتفقنا على أن تسبقها عملية تجريبية وهمية يوم ١ يناير٢٠٠٥م، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن وسائل الإعلام المحلية والعربية أبدت اهتمامًا شديدًا بالعملية لأنها أول حالة من دولة غربية تقصد الاستفادة من الخبرة السعودية، كما اهتمت بها وسائل الإعلام الغربية التي لم تكف عن التشكيك في قدرة المملكة العربية السعودية. وبعد ذلك ذهبت لمقابلة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وشرحت له تفاصيل هذه الحالة، وما يصاحبها من ضغط وتشكيك إعلامي غربي، فطمأنني كعادته وأن الله سبحانه وتعالى سيوفق الفريق الطبي مادام معتمدًا عليه، ثم استأذنته في الذهاب لأداء العمرة بصحبة زوجتي، وبالفعل توجهت إلى مكة المكرمة قبل موعد العملية بيومين، وأدَّيتُ مناسك العمرة ليلة العملية وابتهلت إلى الله جل وعلا أن يوفقنا، وأن يحقق بهذا التوفيق رفعة للإسلام والمسلمين، ويجعل منه خطوة في طريق الأمة العربية والإسلامية الساعية إلى استعادة مكانتها الحضارية، وأن يكون نجاحنا بمثابة ردٍّ على كل من يقدح في قدرات العالم العربي والإسلامي ويشكك فيها، أو في أن الإسلام دين سلام ومحبة وإخاء. غادرت الرحاب الطاهرة بعد صلاة الجمعة، وما أن وصلت الرياض حتى قصدت المستشفى للاطمئنان على التوأم، وتأكدت من الاستعدادات والترتيبات لإجراء العملية التي اتخذنا لها شعارًا



حوار الأم والسفير عن العملية



صورة الفريق الطبي للتوأم البولندي



يمثل الإسلام والمحبة والإخاء هو: (السعودية مملكة الإنسانية) نظرًا لما تحمله مبادرة الملك عبد الله من معان إنسانية وما تمثله من دلالات للسلم والسلام.

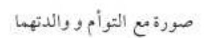
قلق ليلة العملية

لا أخفي أنني كنت قلقًا ليلة العملية، فاستعنت على النوم بتناول قرص دوائي، واستيقظت قبيل الفجر، وبعد الصلاة سألت الله التوفيق، ثم عدت إلى البيت وتناولت إفطارًا خفيفًا مع زوجتي وابني خالد وبناتي شذى وغادة وريم ونورة وسارة وهيفاء وهناء، وكانت هذه الجلسة الأسرية اللطيفة في الصباح الباكر شارحة للصدر؛ إذ التفَّ الجميع حولي يشجعونني، ويضرعون إلى الله أن تكتمل جميع مراحل العملية بنجاح تام. اتجهت إلى المستشفى ولم يفارقني التفكير في العملية طوال الطريق لأن نجاحها يُعدُّ نصرًا للخبرات والقدرات المسلمة. وصلت المستشفى في الساعة السابعة صباحًا، واكتمل عقد الزملاء جميعهم، وفي الساعة السابعة والربع وصل التوأم إلى باب غرفة العمليات، وقبل أن تودعه الأم نظرت إليَّ نظرة عميقة مشفوعة بنوبة من البكاء، ثم مسحت دموعها حين طلبتُ منها طرح أي سؤال يعنُّ لها حول العملية، لم تنطق واكتفت بإرسال مزيد من الدموع ثم انكبت على ابنتيها تقبلهما بحرارة. وفي غرفة العمليات بدأت المرحلة الأولى بالتخدير، ثم التعقيم وتغطية التوأم لنشرع في عملية الجراح باسم الله وبالتوكل عليه، وكانت العملية منقولة على التلفاز وشبكة الإنترنت، وكان هناك تواصل مع والدة التوأم والإعلاميين حياً على الهواء في غرفة الاجتماعات، وبدأت العملية بفتح البطن ومنطقة الحوض، وبعد كل ساعة أو ساعتين نتواصل مع الإعلاميين أثناء العملية، وتتابعت مراحل الجراحة حسب الخطة المعدة سلفًا، وبعد خمس عشرة ساعة ونصف الساعة فصلت داريا عن أولغا بفرحة كبيرة وعارمة وتصفيق حاد في غرفة العمليات وقاعة الاجتماعات. واكتملت مراحل العملية بإعادة تأهيل الأعضاء وإقفال الجراح واستغرقت كل مراحلها ١٨ ساعة ونصف الساعة متواصلة، وتلا ذلك التقاط صورة توثيقية تذكارية للفريق الطبي، ثم خرجنا بصحبة التوأم، وكانت الأم أول المستقبلين بجانب فريق من الإعلاميين. وقبل خروجنا من غرفة العمليات اتصل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) و صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظهما الله لتهنئة الفريق الطبي وأسرة التوأم بهذا النجاح الباهر الذي تحقق في المملكة العربية السعودية والذي يُحسب أيضاً للإسلام والمسلمين. نقلنا الطفلتين إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث مكثتا حوالي ١٢ يومًا، وبعد يومين أفاقتا من البنج وكانت صحوتهما تامة، وفي اليوم الثالث وبعد رفع الأجهزة تشرف التوأم بزيارة كريمة من ولي العهد الأمين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز مع تواجد إعلامي غربي وعربي ومحلي، وتزامنت هذه الزيارة مع بداية أول رضعة للتوأم بعد هذه العملية المعقدة. وتلخَّص تصريحه حفظه الله لوسائل الإعلام في أن المملكة العربية السعودية تُسخِّر إمكاناتها لخدمة الإسلام والمسلمين. وبعد أسبوعين نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧) والغرفة رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل. وعلى عكس ما توقع الأطباء البولنديون نجحت العملية نجاحًا باهرًا ولم يصب التوأم بشلل ولله الحمد، وبعد اكتمال عملية التأهيل خلال





التوأم مع رئيس بولندا السابق (ليخ فاليسا)



صورة مع التوأم و والدتهما

شهرين غادرت الطفلتان المستشفى عائدتين إلى بلدهما بصحة وعافية حيث استقبلتهما وسائل الإعلام البولندية التي كتبت كثيرًا عن هذا النجاح الذي يمثل نجاحًا للإسلام والمسلمين. وبعد العملية بعامين عاد التوأم إلى المملكة العربية السعودية لإجراء الفحوصات والاطمئنان عليهما، وتبيَّن أن حالتهما ممتازة، واعتادتا على المشي والركض دون أي مشكلات مما يؤكد سلامتهما وعدم وجود أي إعاقة لديهما، ثم استقبلهما الملك عبد الله في مزرعته والتقط معهما صورة تذكارية توثيقية.

أبلغ رد على المشككين

وكما ذكرنا فقد تابع العالم أجمع وبترقب شديد مراحل هذه العملية عبر وسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية.. وكانت وقائع هذا النقل الحي أفضل ردٍّ على المشككين، وأبلغ دليل على قدرة هذا الوطن وتطور خبرته في مثل هذه الجراحات النادرة، وعكس ذلك صورة زاهية عن المملكة العربية السعودية والعالم الإسلامي لدى الملايين ببولندا وأوروبا، وأحدث قدرًا كبيرًا من التغيير في الذهنية الغربية تجلَّى بوضوح في ارتفاع أصوات عديدة تنادي بعدم التحامل على الدول الإسلامية، وتقول إذا كان هذا ما يفعله المسلمون تجاهنا؛ فلا شك أن إعلامنا متحامل وغير منصف، وربطهم بالإرهاب فرية وبهتان، وأنهم محبون للسلام وأهل مبادرات وكرم. كما أقيمت احتفالات كثيرة للثناء على الملك عبد الله والإشادة بخدماته الإنسانية الجليلة وتكريمه بالعديد من الأوسمة، وأنشئت مراكز باسمه حفظه الله.

وإزاء هذا النجاح أصبح الملايين من البولنديين يتحدثون عن المملكة العربية السعودية في المناسبات والمنتديات ويكتبون عنها في صحفهم باعتبارها تمثل وجهًا مشرقًا للإسلام؛ بل تولَّدت لدى كثير منهم الرغبة في دراسة الإسلام والتعرف على مبادئه وقيمه وتعاليمه وخطابه وإمكانية استيعابه للآخر.. وفتح ذلك آفاقًا جديدة للعلاقات السياسية والتجارية والثقافية والتعليمية اكتمل بناؤها وتشكَّلت أطرها أثناء زيارة خادم الحرمين الشريفين إلى بولندا في شهر يونيو ٢٠٠٧م.



حنان الأم





التوأم البولندي ولحظة مرح



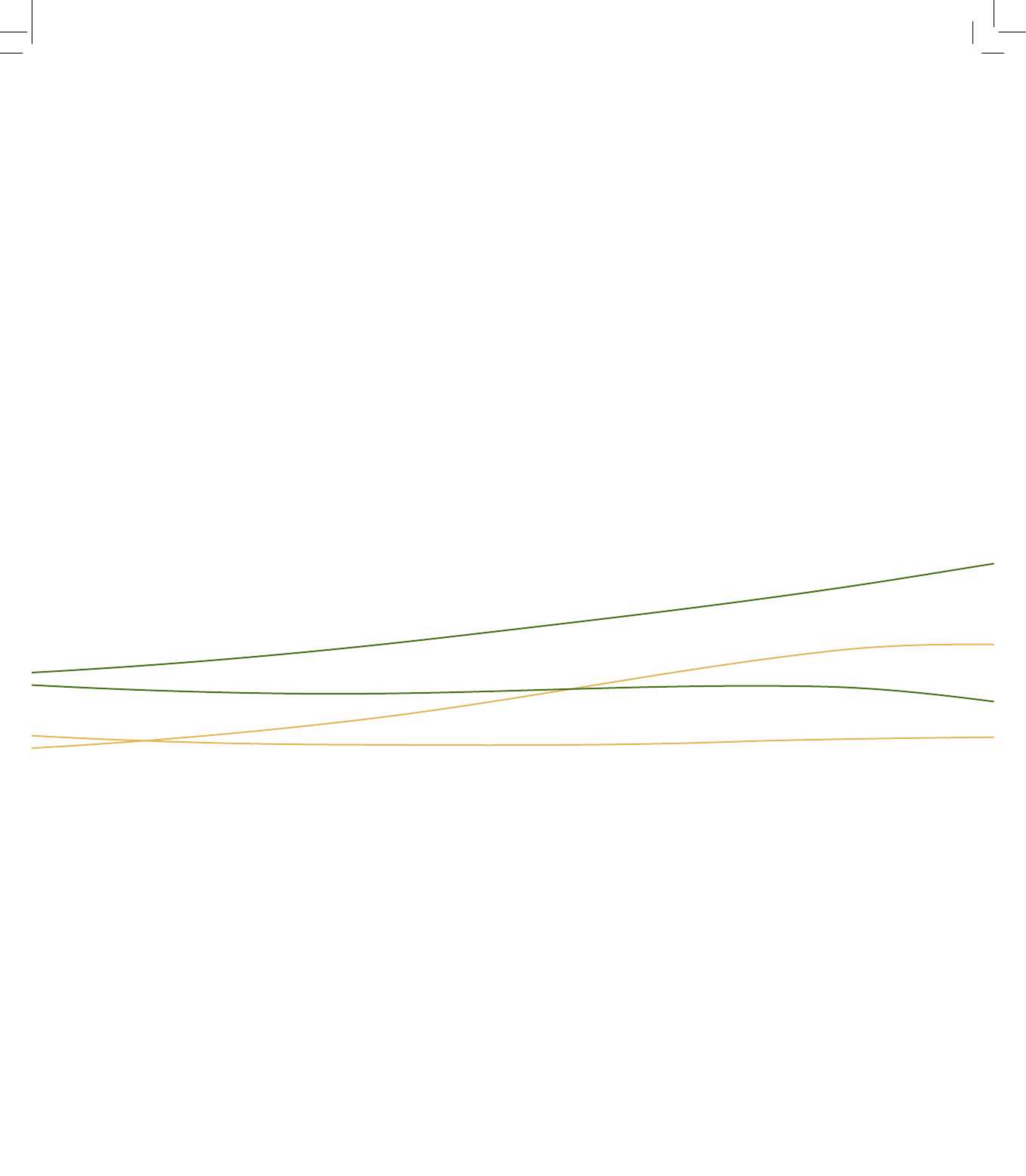


كلمة في احتفال سفارة بولندا بالمملكة

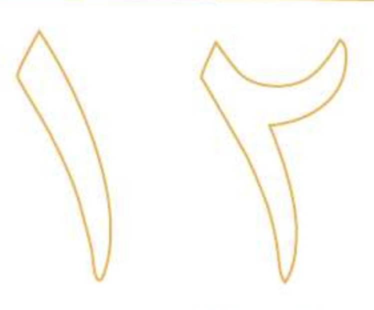




صورة مع أولغا وداريا مع والدتهما







مفاجأة أثناء العملية

ربيع الثاني ١٤٢٥هـ/ يونيو ٢٠٠٥م




EXIT

مفاجأة أثناء العملية

ربيع الثاني ١٤٢٥هـ - يونيو ٢٠٠٥م

حمل وتكاليف علاجية باهظة

قدم من جمهورية مصر العربية إلى المملكة العربية السعودية طلبًا للعيش، عمل في متجر صغير مندوبًا للمبيعات، حرص على ادِّخار كل ما يكسبه لمقابلة مصروفات أسرته البسيطة التي تعيش في وطنها، ظل يكد ويتعب ويعمل ليل نهار من أجل تهيئة مسكن لإحضار زوجته التي تاقت نفسه إلى استقدامها لتعيش معه في المدينة التي يعمل بها؛ لا سيما وأنه يعود بعد العمل مجهدًا ومنهكًا، كانت إمكاناته محدودة، ويبذل جهدًا كبيرًا في خدمة المتجر لمساعدة مالكه الذي كان كريمًا وعطوفًا ونبيلاً معه، وبالفعل ساعده صاحب المتجر في مهمته، وقدمت الزوجة، وفرح كثيرًا بالتئام شمل الأسرة في المسكن الصغير الذي استأجره بأحد الأحياء القريبة من مكان عمله. وبعد الاستقرار حلم الزوجان بأن يرزقا طفلاً يؤنسهما ويملأ منزلهما فرحًا ومرحًا. وشاء الله أن تحمل الزوجة، وكان الحمل في بدايته طبيعاً، ولكن ما لبثت الزوجة مع تقدم أشهر الحمل أن شعرت بمشكلات مصاحبة له، وبأعراض غير تلك التي عرفتها من محيطها، بدأت تشعر بنوبات متتابعة من التعب والإرهاق، لاحظت الارتفاع المستمر في حجم البطن حتى الأشهر الأخيرة. وأثناء الفحص تبيَّن أنها حامل بتوأم ففرح الزوجان فرحًا شديدًا بالطفلين القادمين وهما يأملان أن يغيرا نمط حياتهما ويضفيان روح البهجة والسعادة في مساحة غرف بيتهما الصغير، ولكن تولدت لدى الطبيبة بعض الشكوك في نوعية الحمل فطلبت إجراء فحوصات إضافية أكثر دقة، وكشفت الفحوصات التي اكتملت خلال أسبوعين أن الأم حامل بتوأم سيامي، ولا بد من جراحة قيصرية عند الولادة. ثم أخبرت الطبيبة الزوج وزوجته بأن هذا النوع من الحمل يُصنَّف ضمن الحالات الصعبة جداً التي يتطلب علاجها مصروفات عالية وتكاليف باهظة، ويحتاج إلى مركز متخصص بتقنيات رفيعة وخبرة كبيرة. انشغل الأب بالمشكلة وأخذ يبحث ويستفسر هنا وهناك عن مكان يمكن أن تتيسر فيه المساعدة لزوجته وطفلتيه، وأثمر هذا البحث عن معلومات قدمها له أحد أصدقائه حول مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض باعتبارها مكان الخبرة العربية والعالمية في هذا النوع من الجراحات. وعلى عجل اتصل بمكتبي، وحددت له موعدًا لزيارتي، وفي المقابلة أطلعني على التقارير الخاصة بزوجته، فطلبت منه العودة بعد يومين ريثما أحصل على موافقة لعلاج التوأم، وبالفعل ذهبت في اليوم التالي إلى خادم الحرمين الشريفين وأطلعته على تفاصيل الحالة وصعوبتها بالنسبة للأسرة المعنية القادمة من جمهورية مصر العربية الشقيقة، وقبل إكمال بقية حديثي وجَّه حفظه الله بإدخال الزوجة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض لإجراء عملية الولادة، ثم التعامل مع حالة توأمها الملتصق على أن يتحمل حفظه الله تكاليف العلاج كافة. وبعد أسبوع أُدخلت المرأة إلى المستشفى، وعلى الفور تشكَّل فريق من طب النساء والولادة الذي تولى إخضاع الحالة لفحوصات دقيقة كشفت نتائجها عن وجود اشتراك كبير واتصال بين التوأم في منطقة أسفل الصدر والبطن وبداية الحوض، ثم التقيت بوالدي التوأم وأخبرتهما بأن هناك اشتراكًا كبيرًا واضحًا ومؤكدًا، مع شك في وجود مشكلات في القلب بين التوأم، وطلبت منهما ألا ينزعجا طالما أن إمكانية المساعدة متاحة بصورة كبيرة، وأن يستيقنا أن الأمل في الله سبحانه وتعالى متحقق بإذنه جل وعلا، ظهرت





آلاء وولاء عند وصولهما

الفريق الطبي يقوم بفحص القلبين للتوأم

عليهما علامات القلق والحيرة والخوف وأنا أتحدث إليهما، لم تتمالك الأم نفسها فبكت، وحاولت مسح دموعها عدة مرات، ثم قالت سيفرج الله كربتنا إن شاء الله، أما الزوج فقد أظهر قدرة وجَلدًا في السيطرة على أعصابه، وأعرب عن ثقته الكبيرة في الفريق الطبي، وقال إن من يعتمد على الله ويتوكَّل عليه؛ فلن يُخيِّبَ رجاءه بمشيئته جلَّ وعلا.

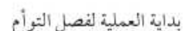
هبوط في قلب التوأم

وبعد عشرة أيام من ذلك اللقاء أجرينا العملية القيصرية، ونُقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة لحديثي الولادة حيث خضع لعمليات الإنعاش والتقويم. وتلا ذلك تشكيل فريق طبي من تخصصات: أمراض الأطفال، جراحة الأطفال، التخدير، التجميل، القلب، التمريض والفنيين والتأهيل وغيرها من التخصصات الأخرى المساندة. أما الأم فقد غشيتها موجة من الكآبة بعد الولادة؛ خصوصًا عندما رأت ابنتيها وتأثرت تأثرًا شديدًا؛ ولكنها عادت إلى طبيعتها بمساندة زوجها وهدأ روعها إلى أن شفيت وغادرت المستشفى وهي في صحة وعافية. وقرر الزوجان بعد مشاورات ومداولات عديدة تسمية الطفلتين (آلاء وولاء). عقد الفريق اجتماعًا اتفق فيه على إجراء فحوصات دقيقة للقلب والبطن والجهاز الهضمي والجهاز البولي والتناسلي وأشعة مقطعية وأخرى مغناطيسية وغيرها من الفحوصات. ثم أخضعنا التوأم لنظام تغذية لزيادة وزنه إلى مستوى مناسب، كما شكلنا فريقًا من اختصاصيات التغذية لمتابعة الطفلتين يومًا بيوم ضمانًا لحصولهما على سعرات حرارية كافية للنمو، وكان وزنهما عند الولادة ثلاثة كيلو و٩٠٠ جرام ويتطلب تأهيلهما للعملية ارتفاع الوزن إلى ٨ كيلوجرامات. وبعد أسبوعين من الفحوصات الدقيقة ترأست اجتماعًا للفريق الطبي حددنا فيه المشكلات التي تواجه التوأم، وشارك في الاجتماع أطباء القلب وأطباء الأشعة، وأوضحت الفحوصات وجود عيوب خلقية كبيرة في القلب لدى التوأم أدَّت إلى هبوط بالقلب واستدعت استخدام أدوية منشطة لمنع هذا الهبوط، واتضح أيضاً وجود فتحات في البطينين والأذينين وضمور في عضلات القلب خصوصًا للطفلة ولاء، وتناقشنا كثيرًا عن مشكلات القلب ومدى تأثر التوأم من إجراء العملية، وكان النقاش حول مدى الإسراع في إجراء العملية لمنع هبوط القلب، أو تجرى عملية قلب تصحيحية ثم تعقبها عملية الفصل، ورأينا أيضاً الاستمرار في متابعة التوأم لمعرفة مدى تجاوبه لأدوية القلب ثم اتخاذ القرار المناسب بعد ذلك. لم يكن النقاش سهلاً ولا القرار يسيرًا نظرًا لبروز اختلافات في الرأي، وأخيرًا اتفقنا بالإجماع على مراقبة التوأم لمعرفة مدى تجاوبه مع الأدوية. كما أوضحت الفحوصات وجود اشتراك في الكبد واشتباه اشتراك في الأمعاء، وفي أغشية القلب وعظام الصدر وعظمة القص. وكانت المشكلة الرئيسة للتوأم هي مشكلة القلب.

وبناءً على المناقشات المستفيضة ونتائج الفحوصات بدأ الفريق الطبي لأمراض القلب في استخدام أدوية منشطة للقلب مع التركيز على مراقبة التوأم مراقبة دقيقة ولصيقة، ومتابعة مشكلات القلب ومدى التجاوب مع العلاج، مع ملاحظة تدرج الوزن بصورة يومية، وكان التجاوب يتفاوت ويختلف بين يوم وآخر، تحسُّنٌ طورًا واضطراب في طور لاحق. وكان رأينا موزَّعًا بين قرار إجراء عملية للقلب أو الانتظار. اجتمعنا مرة أخرى وتناقشنا طويلاً حول مدى إمكانية الفصل، أو إجراء عملية القلب، فرجَّح الجميع قرار الاستمرار في الأدوية المنشطة بعد تعديل الجرعات، مع المراقبة الدقيقة التي أظهرت بعد حين وجود تجاوب بطيء



مرحلة التعقيم



بداية العملية لفصل التوأم

وتحسُّن في الوزن إلى أن وصل إلى المعدل المناسب والمطلوب بعد ثلاثة أشهر من ولادتهما وهو حوالي ثمانية كيلوجرامات. عقد الفريق الطبي اجتماعًا ناقش فيه مدى إمكانية الفصل شارك فيه أطباء القلب والأطفال والعناية المركزة والتخدير وجراحة الأطفال والتجميل والتمريض وفنِّيو غرفة العمليات وغيرهم من أطباء التخصصات المساندة، ورأوا جميعًا أن من الأفضل استعجال عملية الفصل ثم متابعة التوأم بعد ذلك، وإرجاء العملية التصحيحية للقلب إلى وقت لاحق.

أطباء التخدير قلقون؟

تقرر أن يكون يوم السبت ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الموافق ٤ يونيو ٢٠٠٥م، موعدًا للعملية على أن تسبقه عملية وهمية تجريبية في الساعة الرابعة من عصر يوم الأربعاء ١ يونيو ٢٠٠٥م. كان أعضاء الفريق الطبي قلقين وخاصة أطباء التخدير نظرًا للمشكلات التي تعترض القلب، ومدى تحمل التوأم لعملية من المتوقع أن تستغرق مدتها حوالي ١٢ساعة متواصلة. وفي اليوم المحدد للعملية التجريبية الوهمية اجتمع أعضاء الفريق بغرفة العمليات، وتمت مراجعة الخطة الجراحية المكتوبة والمجزأة على ثماني مراحل بدقة، وبعد أن تأكدنا من كافة التجهيزات التي يحتاج إليها الفريق الطبي قررنا إجراء العملية، ثم شرحنا مدى خطورتها لوالدي التوأم وأوضحنا لهما أن نسبة الخطر تصل إلى ٤٠٪ بسبب مشكلات القلب، فلم يترددا في الموافقة توكُّلاً على الله سبحانه وتعالى ورجاءً كاملاً في عونه وتوفيقه.

وبعد هذا تشرفت في نفس اليوم بزيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في مزرعته، وبعد التحية والسلام أجلسني إلى جواره، فأخبرته باتفاقنا على إجراء العملية، وأوضحت له ما يعانيه التوأم من مشكلات في القلب ومدى خطورتها. وكعادته في صدق إيمانه وثقته الكاملة بربِّه؛ أمرني بالاعتماد على الله واستحضار معيَّته جل وعلا في مشوارنا ولن يُخيِّب جهدنا.. وفي نهاية الزيارة استأذنته في التوجُّه إلى الرحاب الطاهرة لأداء العمرة، وفي يوم الخميس اصطحبت زوجتي إلى مكة المكرمة، وبعد أداء المناسك ابتهلنا إلى الله عز وجل والتضرع إليه أن يُلزمنا جانب التوفيق، وأن يكتب للتوأم الشفاء والصحة والعافية. غادرت بيت الله الحرام بعد صلاة الجمعة عائدًا إلى الرياض، وبعد وصولي مباشرة قمت بزيارة للتوأم من أجل التأكد من جاهزيته وجاهزية غرفة العمليات. ثم توجهت إلى البيت وتناولت عشاء خفيفًا بين أفراد أسرتي، ثم خلدت إلى النوم لأستيقظ في الصباح الباكر قبيل أذان الفجر، وبعد الصلاة أعدَّت لي زوجتي إفطارًا خفيفًا تناولته وأنا منشغل البال والخاطر بالعملية وملابساتها نظرًا لما يكتنفها من مخاطر بسبب مشكلات قلب التوأم. وفي الطريق إلى المستشفى لاحظ السائق استغراقي الكامل في التفكير وما أتمتم به من عبارات، وظل صامتًا طوال المشوار كعادته عندما يراني في مثل هذه الحالة التي تسبق العمليات الحرجة. دخلت المستشفى واتجهت مباشرة إلى غرفة التجهيز، وهناك التقيت بزملائي، واستقبلت التوأم ووالديه، ولاحظت أن الأم تتجه إلى ابنتيها تلثم أيديهما بحرارة وعيناها ممتلئتان بالدموع، وهي لا تلام على ذلك طالما أن العملية كبيرة ومعقدة ودرجة مخاطرها كبيرة، بينما أظهر الأب قدرًا من التماسك ورباطة الجأش، ولكن ما أن دفعنا التوأم نحو باب غرفة العمليات حتى ارتوى خداه بدموعه المنسكبة بغزارة دون أن يتفوَّه بكلمة واحدة، فطلبت من الزملاء





آلاء وولاء أثناء العملية



الفريق الطبي المشارك في عملية فصل التوأم آلا وولاء

في العلاقات العامة وعلاقات المرضى والخدمة الاجتماعية اصطحابه إلى الصالة العامة حيث يمكنه متابعة العملية والحديث معنا عن طريق الجهاز الصوتي المباشر بغرفة العمليات.

أعصاب مشدودة

استهل فريق التخدير أولى مراحل العملية بحذر شديد لمراقبة مشكلات القلب، وبعد التخدير وتوصيل جهاز التنفس الصناعي طوال ساعتين، انتقل بعدها أطباء التخدير إلى العمل في إدخال قساطر لمراقبة ضغط الأوردة المركزية، وكذلك إدخال قساطر أخرى في الشرايين لمراقبة ضغط الدم والتأكد من استقرار التوأم ومتابعته أولاً بأول. استغرقت هذه المرحلة حوالي ساعتين ونصف الساعة، تلتها عملية تعقيم التوأم من الأمام والخلف، ثم استخدام أغطية معقمة لتغطيته، وأعقب ذلك تعقيم الفريق الطبي الأول الذي يبدأ العملية، وبدأت أنا وزملائي من جراحة التجميل بتحديد منطقة الفصل، تناولت مشرطي الصغير بعد التأكد من أطباء التخدير أن التوأم في حالة مستقرة، وبضغط خفيف على الجلد حرّكته باسم الله وبعونه وهو ينساب رويدًا رويدًا بين جسدي آلاء وولاء على مسافة ١٥ سم، وبعد ذلك تناولت جهاز الكي الكهربائي الذي تشابه مقدمته رأس الدبوس لمنع النزيف بإذن الله، واستخدمته لقص الأغشية تحت الجلد إلى أن وصلت إلى عظمة القص والأضلع ففصلتها بالكي الكهربائي والمشرط الصغير، فانفتح الصدر إثر ذلك ليوضح وجود اشتراك في أغشية القلب، ونظرًا لرقة غشاء القلب فلا بد من فتحه بدقة وحرص وعناية، وتمكنا بالفعل من ذلك بمشاركة زملائي من جراحة القلب، وبنهاية هذه الخطوة اكتمل إبعاد قلب آلاء عن ولاء رغم أن أعصابنا كانت مشدودة وكنا قلقين خوفًا من أن يتأثر قلبا الطفلتين، وظللنا نراقب جهاز الضغط، ونتحدث إلى الزملاء في قسم التخدير، ولكن والحمد لله فقد مرّت هذه المرحلة بسلام. وأعقب ذلك رتق أغشية قلبي التوأم بصورة منفصلة، وهذه أول مرة ينفصل فيها القلبان بسلام وأمان، وشكلت هذه أولى مراحل الفصل تحدثنا بعدها إلى والد التوأم، وبعد ذلك غادرنا الزملاء من جراحة القلب وجراحة التجميل، وبقي في مشاركتي الزملاء من جراحة الأطفال وتابعنا فتح البطن وأغشيتها كاملة لنجد اشتراكًا في الكبد. وكانت تنتظرنا مفاجأة كبيرة جداً تمثلت في اشتراك كامل في الإثنا عشر، وكذلك بداية الأمعاء الدقيقة لمسافة حوالي ٤٠ سم.. اشتراك في الأمعاء والتصاق في الشرايين، واشتراك في البنكرياس وفي قنوات المرارة.. وبهذا الاشتراك المتعدِّد تدخل هذه الحالة ضمن تصنيف الحالات النادرة جداً على مستوى العالم. لم تساعدنا أجهزة التشخيص في البداية على اكتشاف هذا الاشتراك نظرًا لصعوبة تحديد مكانه، انتظرنا قليلاً ريثما نتيح لأنفسنا فرصة للتفكير في كيفية تجاوز هذه المعضلة المفاجئة، ثم اتخذنا قرارًا بفصل البنكرياس والقنوات بعد فصل الكبد.

مرحلة حساسة وحرجة

استخدمنا لفصل الكبد مشرط الأشعة الصوتية والكي بالليزر والكي الكهربائي مع استخدام الدبابيس لرتق الشرايين والأوردة والقنوات، وكانت هذه مرحلة حساسة وحرجة تطلبت درجة عالية من الدقة. أكملنا فصل الكبد بسلام خلال ساعتين دون أن يصاحب ذلك حدوث نزيف كبير ولله الحمد، ويُعدّ فصل الكبد والقلبين دون نقل دم للتوأم، وبنزيف لا يتعدى سنتمترات مكعبة قليلة إنجازًا كبيرًا في حدِّ ذاته. وفي هذا تأكيد واضح على أن الفريق الطبي اكتسب خبرة كبيرة



عناق حار بعد اكتمال العملية





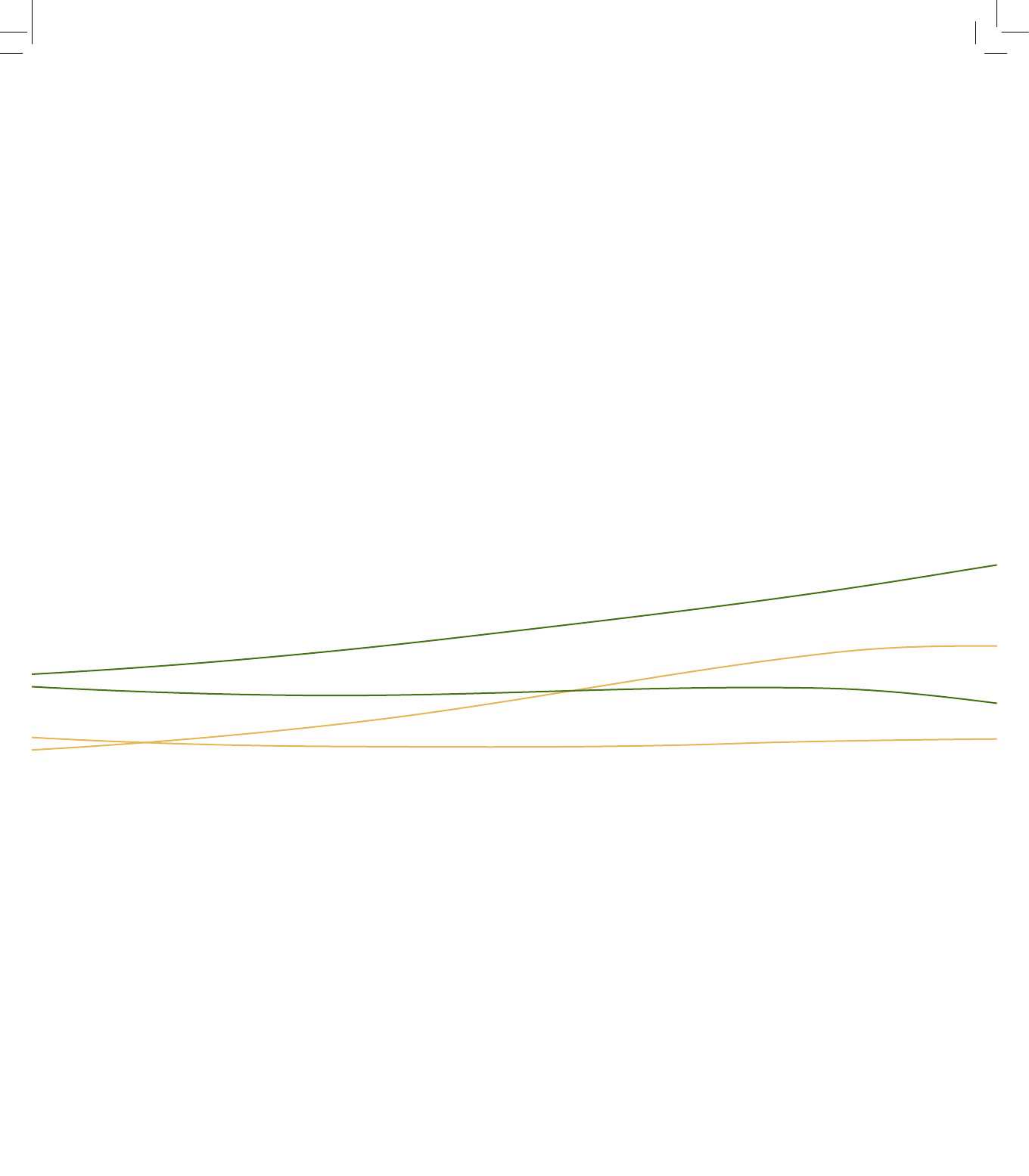
التوأم مع والديهما والسفير المصري

بتوفيق الله. بعد ذلك فصلنا البنكرياس والإثنا عشر وهي أيضاً من المراحل الدقيقة والحساسة واستغرقت مدتها ثلاث ساعات إضافية لم تكن مضمنة في خطة العملية، وتطلب العمل في فصل القنوات حرصًا ودقة متناهية. وانتقلنا إلى المرحلة التالية التي تمثلت في فصل الأضلع وأغشية البطن وجلد البطن من الخلف. وبعد ١١ ساعة من بداية العملية كانت المرحلة الحاسمة لفصل آلاء عن ولاء التي تابعها الأبوان عن طريق الشبكة الصوتية الداخلية، وكذلك بعض الزملاء الأطباء ومجموعة من الإعلاميين بغرفة العمليات.. وفي النهاية بدأ العد التنازلي ليكتمل مع الصفر فصل جسدي الطفلتين عن بعضهما بنجاح كبير دون أي مشكلات لهما أو نزيف يتطلب نقل دم إضافي. نُقلتْ الطفلتان إلى طاولتين مستقلتين عن بعضهما لأول مرة، ثم انقسم الفريق الجراحي إلى فريقين ليتولى كل منهما العناية بإحدى الطفلتين. ووظِّفتْ الساعات المتبقية من مراحل الخطة في إعادة تركيب الأمعاء وقنوات الكبد وقنوات البنكرياس. وهكذا مع نهاية ١٥ ساعة من العمل المتواصل اكتمل فصل التوأم، وأعقب ذلك تغطية الجراح ونقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة، وعلى بابها أسرع إليَّ والد التوأم ليحتضنني ويقبلني تعبيرًا عن فرحته العارمة، ولسانه يلهج بشكر الله وحمده. أما الأم فقد اتجهت إلى سرير طفلتيهما تحتضنهما وتقول هذه أول مرة أراهما في سريرين منفصلين، ثم تبعتهما إلى غرفة العناية المركزة حيث مكثتا مدة أسبوعين تحت أجهزة التنفس الصناعي. ثم رفعت هذه الأجهزة مع استقرار الحالة بعد أربعة أيام وتلا ذلك إدخال الطعام. وفي اليوم الخامس بعد نجاح العملية تشرف التوأم بزيارة أبويَّة كريمة من خادم الحرمين الشريفين جسَّدت لفتة إنسانية قبَّل خلالها الطفلتين، وهنأ والديهما على هذا النجاح. ولم يغب الإعلام العربي والغربي عن هذه اللحظات، وأجرت وسائل الإعلام المصرية لقاءً مع خادم الحرمين الشريفين أكد فيه أمدَّ الله في عمره أن هذا العمل واجب تمليه مصلحة الأمة العربية والإسلامية، وبهذه المواقف والمبادرات يثبت الملك عبد الله أنه ملك للإنسانية.

غادرت الطفلتان العناية المركزة إلى جناح الأطفال حيث مكثتا حوالي الشهرين، وفي نهايتهما غادرتا المستشفى بصحة وعافية، واستمرت متابعتهما في العيادة الخارجية للمستشفى. وبعد عام أجريت لهما عمليات قلب بنجاح دون مشكلات، وبعد إجراء العملية بعامين زارتا خادم الحرمين الشريفين في مزرعته، واطمأن عليهما والتقط صورة تذكارية معهما ووالديهما.



قبلة من جسد واحد





١٣

حجر الأساس والتوأم المغربي

صفر ١٤٢٧هـ/ مارس ٢٠٠٦م



حجر الأساس والتوأم المغربي

صفر ١٤٢٧هـ - مارس ٢٠٠٦م

وضعت زوجتك توأماً.. ولكن!!

في قرية مغربية صغيرة تتوسط منطقة زراعية بين العاصمة الرباط والدار البيضاء تعيش أسرة فقيرة جداً على فلاحة قطعة زراعية محدودة المساحة، وتقع القرية بمنأى عن المستشفيات ومراكز الخدمات الصحية، سكن الأسرة متواضع كغيرة من مساكن صغار الفلاحين، وهو يتكون من غرفتين مسقوفتين بمواد محلية بسيطة ودورة مياه بلدية، وتستعين الأسرة على متطلبات حياتها بتربية الدواجن داخل باحة البيت للاستفادة من لحومها وبيع منتجاتها من البيض وصغار الكتاكيت، ويكدُّ الأب ويكدح طوال نهاره في مزرعته الصغيرة التي تدر عليه دخلاً لا يكاد يكفيه مؤونة شهره، كما تدأب الأم في خدمة زوجها وأطفالها، وليس للأسرة ما تدَّخره لغدها.

شاء الله أن تحس الأم بأعراض حملها الرابع الذي كان طبيعياً في بداياته، ولم تلحظ أي أعراض مغايرة لما اعتادته من قبل، ولكن بعد مرور عدة أسابيع تأكَّد لها أن الأعراض تختلف عن سابقاتها، بدأ بطنها يكبر تدريجياً على غير العادة، وحسب عرف القرية وواقعها وموقعها النائي عن المراكز الحضرية، وتعذُّر وسائل النقل؛ لم تعتد النساء الحوامل على مراجعة المستشفيات، وهكذا كانت هذه الأم. ولكن مع تقدم أشهر الحمل، واختلاف الأعراض التي أقلقتها، وشعورها بالتعب والإرهاق مع أقل مجهود؛ طلبت من زوجها إجراء فحوصات، غير أنه كان يكتفي بطمأنتها باستمرار، لإدراكه أن إمكاناته محدودة ولا تسمح له برحلة إلى الدار البيضاء أو الرباط. وبما أن جبلَّة المرأة وفطرتها التي فطرها الله عليها دليلُها، فإن استنتاجاتها في أمور النساء لا تخيب، ومن ثم فقد لازم الأم شعور بالخوف من أعراض حمل تختلف كثيرًا عن سابقاتها، كان حدسها يدفعها إلى تغليب اعتقادها والجزم بأنها حامل بتوأم أو ثلاث، فحجم بطنها أكبر بكثير مما اعتادته، ولذلك أشركت والديها وجيرانها وصديقاتها في همومها وهواجسها لعلها تحظى لديهم بما يطمئنها، تتابعت عليها نوبات التعب والإرهاق وتزايد إحساسها بثقل ما تحمله في رحمها، ولازمتها حالة من الكسل والخمول، وميل شديد إلى الراحة والاسترخاء؛ غير أن ضرورات الحياة اليومية، وإدارة الشؤون المنزلية المنوطة بها، ومتطلبات رعاية أبنائها، والظروف الصعبة التي يعيشونها؛ كلها كانت كفيلة بإجبارها على الحركة، ومقاومة كل الأعراض، والقيام بواجباتها على أكمل وجه. وفي المراحل الأخيرة من الحمل أدرك الأبوان أن مخاطر الحمل تزداد، ولا يمكن إجراء الولادة بصورة طبيعية على يد قابلة القرية كما هي العادة في الحمل الطبيعي، لجأ رب الأسرة إلى جيرانه طلبًا للعون والمساعدة؛ خاصة ملاك السيارات لعل أحدهم يتكرَّم بنقله إلى المدينة المجاورة، وبالفعل نُقلت الأم بعد أن اقترب مخاضها. وبمجرد دخولها إلى المستشفى أجريت لها فحوصات عاجلة أكدت للأطباء أن الولادة تتطلب عملية قيصرية عاجلة، وبالفعل أُدخلت مباشرة إلى غرفة العمليات بينما بقي الزوج في الخارج قلقًا ومهمومًا ومتلهفاً لخروج الأطباء أو الممرضات. ولكن تأخَّر الخبر وطالت فترة العملية وهو ينتظر على أحر من الجمر، وما برح يزرع الممر أمام غرفة العمليات جيئة وذهابًا، وما أن أطل الطبيب الذي باشر عملية الولادة حتى أقبل عليه وسمات الانزعاج بادية على وجهه، أخبره الطبيب باكتمال عملية الولادة وسلامة زوجته، أحس



إلهام وحفصة عند وصولهما

والد إلهام وحفصة ونظرة الوداع قبل العملية

لحظتها بالسعادة واستبشر وتبدلت علامات القلق على وجهه وتحولت إلى فرح، وطفق يسأل الطبيب ما إذا كان التوأم ذكورًا أم إناثًا؟ فأجابه الطبيب بأنه لا يعلم، استغرب الأب ودهش وعاودته مشاعر الحيرة والقلق، وأمسك بيد الطبيب وتشبث بها وهو يستفهم بنبرة الأب المشفق: كيف لا تعلم وأنت خارج لتوِّك من غرفة العمليات؟ استجمع الطبيب جأشه وأخبره بأنها ولدت بنتين؛ ولكن..!! ثم صمت الطبيب برهة ولم يكمل!! فاستعجله الأب والحيرة تكاد تحجب بصره: ولكن ماذا ياهذا؟ لم يكن أمام الطبيب من بد في إظهار الحقيقة مهما كان وقع الخبر وتأثيراته، فقال: إنهما ملتصقتان!! فتساءل الأب بعفوية أهل الريف: لماذا لا تبعدان عن بعضهما؟ فأوضح له الطبيب بأن هذا عيب خلقي أي أنهما توأم سيامي، فتابع الأب بسليقته وبساطته: ماذا تعني بتوأم سيامي؟ الرجل لا يعرف معنى للمفردة كأهل قريته الذين لا يزيد عددهم عن ٢٠٠ شخص، ولادة التوائم عندهم نادرة جدًا فكيف بتوأم سيامي!!

بكاء ومناجاة

أصيب الأب بصدمة كبيرة بعد أن تبيَّن طبيعة الحالة وصعوبتها، وارتجف بعد أن ألمَّ بتفاصيلها وبتعذُّر علاجها، فما كان منه إلا أن أمسك رأسه بكلتا يديه وضغط به على الجدار؛ ولكنه استعاد رشده واستجمع جأشه وأخذ يسترجع ويستغفر الله جل وعلا ويسأله الثبات على الإيمان وكان يتمتم ويقول: يا إلهي ماذا أفعل، رب أعني على حل هذه المشكلة فأنت تعلم بحالي ولا معين إلا أنت.. بكي وهو يناجي ربه وهو يستعرض شريط ظروفه وواقع الأسرة المرير.. كفكف دموعه ثم سأل الطبيب: وماذا أعمل إزاء هذا التوأم؟ أكد له الطبيب أن المسألة ليست سهلة، وأن الحالة صعبة جداً ويتطلب علاجها مراكز متخصصة وتكاليف مالية عالية، لأن مثل هذه المراكز لا توجد في المغرب، بل محصورة في عدد من الدول الغربية.. أظلمت الدنيا أمامه، لم يحدث أن سافر إلى إحدى المدن الكبرى في بلاده، ولم ير حتى العاصمة طوال حياته، فكيف يسافر إلى أمريكا أو أي دولة أوروبية؟ إنها محنة حقيقية لا يقوى عليها تكوينه القروي. وبعد أن هدأ روعه قليلاً قصد غرفة زوجته ووجدها قد أفاقت لتوها من المخدر، فما أن رأته حتى بادرته بالسؤال: ماذا رزقنا الله جل وعلا؟ ذكورًا أم إناثًا؟ أم ولدًا وبنتًا؟ أجابها مطمئنًا بأنه توأم من الإناث، علت الابتسامة شفتيها وفرحت ثم حمدت الله وشكرته على هذه النعمة، ولكنها لاحظت وجومه والدموع المنحدرة على عينيه فاعتراها إحساس بالقلق، فسألته ماذا بك؟ هل ولدتا ميتتين، هل فقدت إحداهما حياتها؟ وخشية على مضاعفة قلقها؛ لجأ إلى تبسيط الأمر، فقال: إنهما بخير ولكن لديهما مشكلة بسيطة!! لم يطاوعها إحساسها بقبول هذا التبسيط فأمسكت يد زوجها بقوة تشده إليها وهي تحاول استخراج الحقيقة من بين شفتيه متناسية جراحها وتأثيرات العملية.. وسألته: أخبرني ماذا حل بابنتيَّ؟ فقال لها إن المشكلة بسيطة ولا ترقى إلى درجة انزعاجك هذا، وعليك أن ترتاحي حتى تلتئم جراحك.. إزاء هذا الوضع المبهم أصرت على رؤية توأمها، ولَّما تيقن إصرارها وخوفه من مغادرة سريرها وهي على تلك الحالة؛ وجد نفسه مضطرًا إلى إخبارها بحقيقة الأمر، وشرح لها تفاصيل الحالة وما تطلبه من إمكانات لعلاجها في الخارج، شهقت وبكت كما لم تبك من قبل حتى خاف عليها، ثم تساءلت: ماذا نعمل وكيف نعمل؟ أود أن أرى بنتيَّ، ونزولاً على إلحاحها طلب من الطبيب نقلها لرؤية توأمها، رافق زوجته



صور من العملية

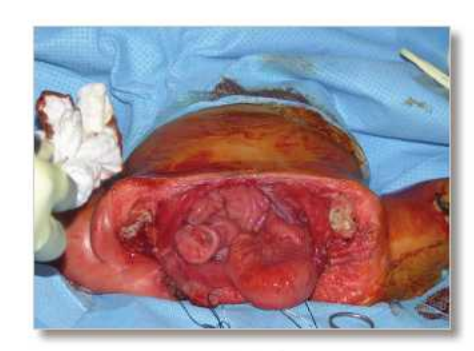


انتهاء الفصل قبل نقلهما

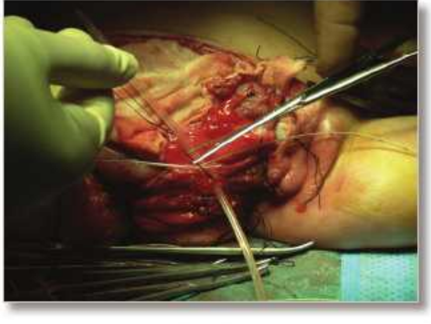
إلى غرفة العناية المركزة، ولما وقع بصرهما عليهما انتحبا وذرفا دموعًا غزيرة كادت تبلل غطاء الطفلتين وهما يقبلانهما لو لا أن طلبت منها الممرضة الابتعاد ومغادرة الغرفة.

بشرى عبر تلفاز الجيران

بدأ الأب رحلة البحث إلى المجهول رغم جهله بأولى خطوات هذه الرحلة المضنية، ولا يعرف إلى أين يتجه به المركب!! سأل الأقارب والجيران والأصدقاء، ومعارف الجيران بالمدن وفي الخارج كمن يحاول البحث عن إبرة في كثبان ممتدة من الرمال، وبعد يومين طلب منه الطبيب اختيار اسمين لابنتيه لتسجيلهما وتوثيق الولادة واستخراج الشهادات، فاتفق مع زوجته على تسميتهما حفصة وإلهام، وبعد أسابيع من الولادة، وبينما كانت همومه تتزايد وتكاد تأكله كالنار المحرقة، ذكر له أحد أهل الخير أنه سمع ذات مرة في التلفزيون أن علاج مثل هذه الحالات متاح في المملكة العربية السعودية التي تملك خبرة في هذا المجال، أعاد الاتصال مع المعارف والأصدقاء لعلهم يدلونه على وسيلة تحقق له الاتصال مع الجهات المعنية هناك، فنصحوه برفع استغاثة إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله.. وتلقى حفظه الله رسالة الاستغاثة هذه أثناء حفل أقيم بمناسبة وضع أحجار الأساس لسبعة مشاريع حيوية بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بجدة، وبينما كان حفظه الله في طريقه إلى موقع الاحتفال (لوضع حجر الأساس) سمع هذه الاستغاثة، ولما وصل إلى الموقع وقبل بداية مراسم الحفل وبداية البرنامج أبلغني بتوجيهه الكريم لقبول هذه الحالة مباشرة ضمن كلمتي التي ألقيها ضمن فعاليات الحفل الذي كانت تنقله الفضائيات حياً على الهواء كي تصل إلى مسامع والدي التوأم، وكانت كلمتي في البداية بعد قراءة القرآن الكريم، وفي نهايتها أعلنت توجيه خادم الحرمين الشريفين بسرعة نقل التوأم من مسقط رأسه في المغرب الشقيق. كان الأب يتابع فعاليات الحفل في منزل أحد جيرانه لأنه لا يملك أي جهاز من أجهزة استقبال البث الهوائي حتى الراديو يخلو منه البيت. وبينما كان الجميع يتابعون نشرة الأخبار جاءتهم البشرى بتوجيه خادم الحرمين الشريفين ملك الإنسانية، فأقبل عليه الجيران يهنئونه بهذه اللفتة الكريمة بينما كان هو يبكي ويشهق من شدة الفرح، فخرج يركض من بيت الجيران في الطريق إلى منزله وإحساس طاغ بالفرح يكاد يدفعه إلى الطيران والتحليق، حيث وجد زوجته وسط جميع أفراد الأسرة وأبلغهم بهذه المكرمة السارة، فانطلقت ألسنتهم تلهج بالدعاء والثناء لله سبحانه وتعالى. وبدأت الهموم والغموم التي وقعا أسيرين لهما زمنًا طويلاً في الانفراج ولله الحمد والمنة.



لحظة الفصل



إغلاق الجرح والتجميل



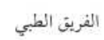
حفصة تبتعد عن إلهام

وبسرعة اتصلت سفارة المملكة العربية السعودية في المغرب بالأسرة، وبدأت معها ترتيبات نقلها من قريتها إلى الدار البيضاء ومنها إلى الرياض حيث كان في استقبالها بمطار الملك خالد الدولي فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم جميعًا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، استقبلتُ التوأم مع زملائي على بوابة المستشفى ونقلناهما إلى الغرفة رقم (٧) بجناح الأطفال (٧)، وأجريت على الفور الفحوصات الطبية اللازمة، وتلا ذلك تشكيل فريق طبي متخصص لدراسة الحالة ضم جراحة الأطفال، أمراض الأطفال، التخدير، العظام، جراحة المسالك البولية، القلب، التجميل، التأهيل، التمريض والفنيين علاوة على التخصصات الأخرى المساندة. اجتمع الفريق وقرر إجراء فحوصات عديدة ومتخصصة خلال أسبوعين، ثم عقد اجتماعًا آخر بعدها استعرض فيه كل تفاصيل الحالة، فتبين له وجود اشتراك في منطقة البطن والحوض مع وجود أطراف سفلية سليمة لكل منهما، واشتراك في الجهاز الهضمي وبالذات في الأمعاء الغليظة والجهازين التناسلي والبولي وفي أسفل العمود الفقري، ولذلك أشركنا فريق جراحة الأعصاب. وعلى إثر ذلك قرر الفريق إجراء مزيد من الفحوصات الأخرى الدقيقة للعمود الفقري. وبعد أن وصل التوأم إلى الوزن المناسب اجتمعنا وقررنا إمكانية فصل التوأم بنسبة نجاح تصل إلى ٧٠٪ وحددنا يوم السبت ٤ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٤ مارس ٢٠٠٦م لإجرائها، وسبقتها بيومين عملية وهمية تجريبية راجعنا فيها الخطوات العشر للعملية، وتأكدنا من جاهزية العملية. وكعادتنا قبل كل عملية شرحنا تفاصيلها لوالدي التوأم؛ فأعلنا موافقتهما على كافة مجرياتها، وأعربا عن قناعتهما بقرار الفريق وثقتهما فيه. وفي اليوم المحدد للعملية اكتمل حضور كل أعضاء الفريق الطبي في الساعة السابعة صباحًا، وألقى والدا التوأم تحية وداع مقرونة بكثير من القبلات على ابنتيهما قبل إدخالهما إلى غرفة العمليات، وبدأت مراحل العملية في الساعة السابعة والنصف بالتخدير تلتها عملية منظار للمسالك البولية ثم مرحلة التعقيم وتغطية التوأم، وبعد ثلاث ساعات بدأت العملية الكبرى باسم الله واعتمادًا عليه، ثم تتابعت المراحل واحدة تلو الأخرى إلى أن توجت بفصل حفصة عن إلهام ولله الحمد بمتابعة والد التوأم الذي كان يتواصل معنا عن طريق المايكروفون وشبكة التلفزيون الداخلية واعتراه إحساس طاغ بالفرح عندما شاهد لحظة فصل الجسدين الصغيرين عن بعضهما بعد حوالي ١٥ ساعة من العمل المتواصل، ثم قسمنا الفريق الطبي إلى فريقين لاستكمال بقية العملية التي استغرقت ١٨ ساعة متواصلة واصطففنا في نهاية العملية لأخذ الصورة التوثيقية التذكارية، وعند خروجنا من باب العملية عانقني والد التوأم وهو يبكي من شدة الفرح، كما فرحت زوجته وهي تتجه إلى ابنتيها. نقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة حيث مكثتا حوالي ثلاثة أسابيع أفاقتا بعدها تمامًا وعادتا إلى وضعهما الطبيعي، وبعد ذلك نقلتا إلى جناح الأطفال رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل، وبعد ثلاثة أشهر غادرتا المستشفى إلى مسقط رأسهما في المغرب الشقيق لتعودا بعد هذه العملية إلى المملكة العربية السعودية لمتابعة الفحوصات الدورية التي أوضحت أنهما بخير وصحة، جيدة.



عناق حار





الفريق الطبي



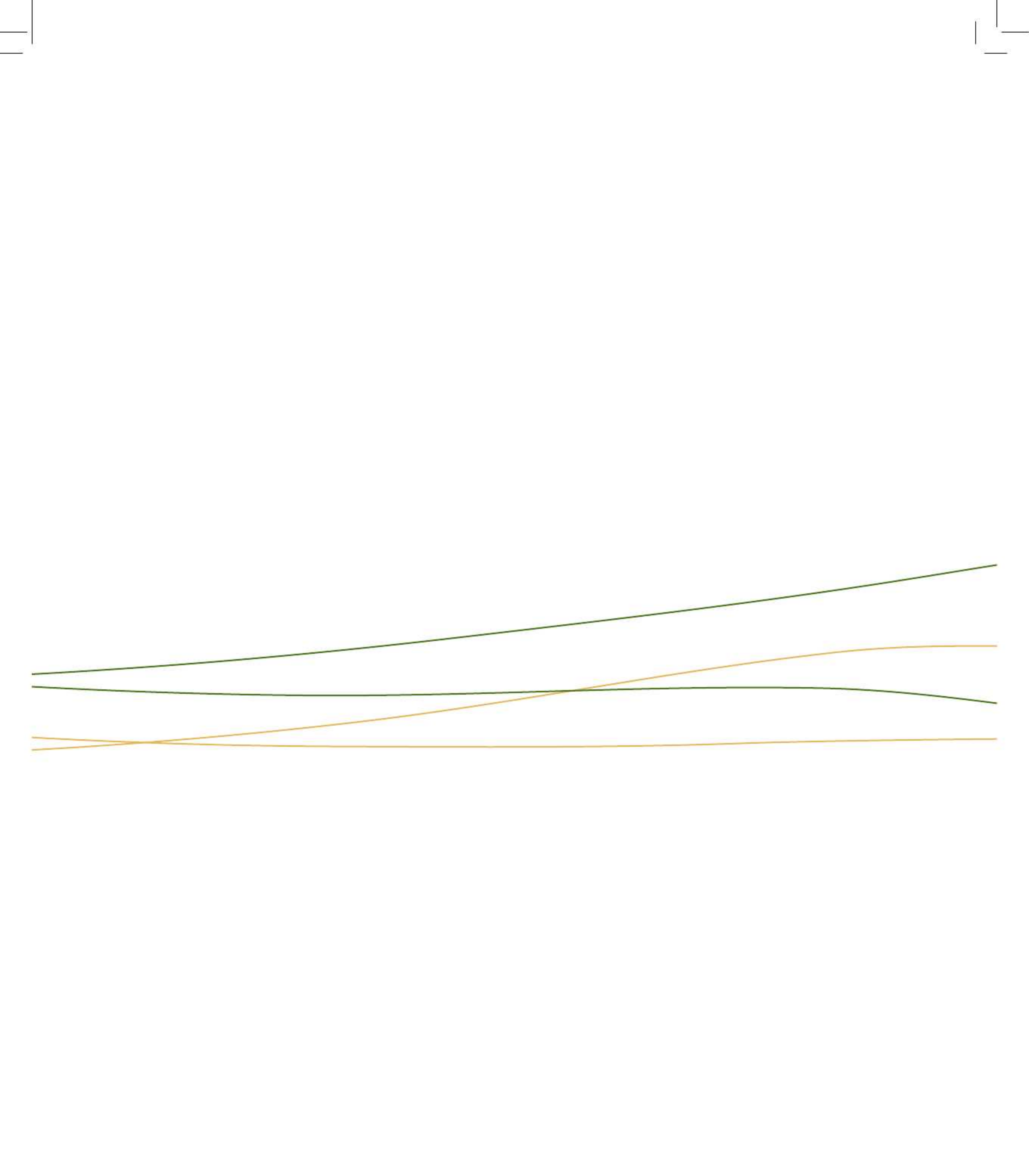
إلهام وحفصة بعد العملية



إلهام



حفصة





١٤

توأم بين الحرب والفقر

ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ ديسمبر ٢٠٠٦م



زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم



زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم العراقي

توأم بين الحرب والفقر

ذو القعدة ١٤٢٧- ديسمبر ٢٠٠٦م

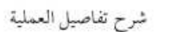
حمل تحت الرصاص ودوي المدافع

أبوان صغيران، وفقرٌ يكاد يطفئ البريق في الأحداق، وحرب ضروس تدور في شوارع وطرقات وأحياء مختلف مدن العراق لاسيما العاصمة بغداد التي تمزقها تفاعلات تلك الحرب، يقع منزل الأسرة في منطقة النجف التي لا تبعد كثيرًا عن بغداد، كانت المنطقة وادعة قبل أن يمزق دويُّ المدافع والراجمات وأزيز المجنزرات وأصوات الطائرات المقاتلة سكونها وهدوءها ويمنع النوم عن عيون بنيها..

في هذه الضاحية وفي خضم هذه الأوضاع الحربية الصعبة القاتمة أحست الزوجة بأعراض حمل جديد، وكان هذا الحمل بداية رحلة يجهلان مجراها ومرساها.. بدأ الحمل في ظروف أمنية ملتهبة، و قتال لا يهدأ أبداً، هدمٌ وقتلٌ وحرق ونهب، وسياراتٌ مُفخَّخة وهجماتٌ انتحارية، واقع مرعب من يصبح فيه لا يُمسي، ومن ينام لا يأمن أن يصحو.. داخل نفق هذه المخاوف والمآسي، وقلة الموارد وصعوبة العيش تتابعت أشهر الحمل، والأم تجهل ما يتحرك في طيَّات رحمها، كانت تأمل مع زوجها أن يرزقهما الله بمولود أو مولودة تضفي على حياتهما المحفوفة بالمخاطر سعادة ولو اسمية، وتداعب فراغ الأم وتنسيها بعض مآسي الحرب وويلاتها؛ ولكن مشيئة الله جل وعلا أرادت غير ذلك، فكان حمل الأم مختلفًا وآلامه أشد، وثقله أكبر، بطنها يتكوَّر وينتفخ يومًا بعد يوم بصورة لم تعهدها من قبل، إحساس بالتعب لا يفارقها، ولكن لم يكن أمامها سوى اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى مع الأخذ بالوسائل، فقصدت مستشفى القرية المتواضع الذي لم يضف جديدًا إلى ما كانت تعلمه؛ بل كان تشخيصهم مجرد توقعات لا تستند إلى أدلة تشخيصية ملموسة، شكَّ كادر التمريض في وجود توأم، وغلَّب بعضهم احتمال طفل واحد، بينما رجَّح آخرون وجود سوائل زائدة في الرحم أدت إلى انتفاخ البطن، ولم تكن زيارتها لهذا المستشفى ذات جدوى؛ بل ضاعفت همومها وقلقها. مرَّت الأيام والليالي بين ظلمات وألمٍ وخوفٍ وجوع حتى اقترب موعد الولادة، ولمَّا جاءها المخاض نقلها زوجها إلى ذلك المستشفى المتهالك ذي الإمكانات الفقيرة، فقرر أطباؤه إجراء عملية قيصرية لها، فكانت ولادتها مختلفة ومتعسِّرة وغير طبيعية. توالت الساعات الطوال والأب صغير السنِّ ينتظر خارج غرفة الولادة على أحر من الجمر، متلهفاً لسماع خبر يسعده ويُنزل الطمأنينة والسكينة على قلبه، ولما طال انتظاره شعر بالقلق والحيرة والارتباك إلى أن أطلت الممرضة فانطلق نحوها يرقُب شفتيها لعلهما تتحركان بالبشرى، وعوضًا عن ذلك قذفت إليه بالخبر الذي صدمه وزلزل كيانه، أخبرته بأنه رُزق توأماً؛ ولكنه ليس كمثل بقية التوائم العاديين، إنه توأم ملتصق بوزن أقل من الطبيعي. خرج هذا التوأم في ظروف أشدُّ حلكة وظلامًا، فلا إمكانات متوفرة، ولا وسائل أمان أو أجهزة لعلاج مثل هذه الحالات، علاوة على ما يعانيه المستشفى وغيره من ندرة واضحة في أدوات التعقيم، بل ولا وجود لأي ملمح للرحمة أو الاكتراث بمثل هذه الحالة في ظل الظروف القاسية التي تئن من وطأتها بلاد الرافدين. في هذا الجو المشحون بالموت لا تستطعم الأسر مذاقًا لحلوى، ولا تحسُّ بأوراق تتنفس من حولها، أو بورود تتفتَّق أو أزهار تتفتَّح معلنة ميلاد حياة جديدة، ولا تتوقع هدنة تتيح للنفس لحظة اطمئنان وادعة تتأمَّل فيها مقاومة الطبيعة من حولها لجور



فاطمة والزهراء عند وصولهما



شرح تفاصيل العملية

الإنسان وإفساده للحياة وتدميره لمقوماتها.. كل شيء ذابل وبلا نكهة؛ وجوه البشر، أوراق الشجر، ألوان الزهر، رذاذ المطر وحتى صلابة الحجر.. لا شيء يُبهج القلوب ويُضحك الوجوه. تلقَّى الأبُ المسكين خبر التوأم السيامي بمشاعر الخوف ودموع الحزن، ذُهل وتملَّكته الحيرة، وبقي أسيرًا لآثار الصدمة فترة طويلة، وبكي بكاءً مريرًا، وأحس وكأن عينيه تذرفان دمًا لا دموعًا. جلس يقاوم هذه الأحزان والآلام بعد أن استعاد قليلاً من رباطة جأشه، رفع كفَّيه يدعو الله سبحانه وتعالى أن يُفرِّج كربته.. هدأت نفسه قليلاً وإن ظل وجهه مكسوًّا بمسحة من الكآبة، وعاوده القلق والهمُّ حين نقل خطواته في الاتجاه إلى غرفة زوجته، كيف يخبرها وهي ما زالت تحت تأثير جراح الولادة القيصرية وآلامها؟ وكيف يكون وقع هذا الخبر عليها؟

إبتسامة لم تكتمل

بعد أن أفاقت الأم من آثار المخدر؛ تاقت نفسها إلى معرفة جنس مولودها: ولدٌ هو أم بنت؟ وما أن أبصرت زوجها يدخل عليها في غرفتها حتى بادرته بالسؤال: ما عساي أنجبت؟ صمت برهة واستعصت عليه الإجابة، انعقد لسانه لأول وهله، ثم تمالك نفسه وأجابها وهو يتمتم حزينًا مرتبكًا: لقد رزقنا الله طفلتين، علت شفتاها ابتسامة عريضة أنستها آلام الولادة، غير أن هذه الابتسامة غارت على فمها حين أكمل زوجها عبارته: ولكنهما غير سليمتين!! فصرخت متسائلة: ما ذا تقصد؟ ما بالهما؟ هل هما على قيد الحياة؟ فأكد لها أنهما بخير ولكنهما تحت العناية المركزة، وهي عناية ليس لها من مدلولاتها إلا اسمها، فهي تفتقر إلى أساسيات وضروريات الأجهزة والمعدات. ثم ذكر لها أن الطفلتين ملتصقتان، لم تستوعب معنى الاصطلاح؛ وحين تبيَّن لها معناه لم تتمالك نفسها، وزفرت زفرة حارة وذرفت دموعًا مريرة كأنها مختلطة بقطرات دم ساخن، انكمشت في فراشها وتكوَّمت على نفسها تبكي بحرقة، اجتهد زوجها في مواساتها والتخفيف عنها وهو يمسح دموعها ويدعوها إلى الاسترجاع والصبر. جلس بجانبها وقد تجسَّمتْ أمامهما المصيبةُ كجبل شاهق،.. حارا في الأمر، تواردت في مخيلتهما أسئلة كثيرة يجهلان الإجابة عنها، ولا يدريان من يملك مفاتيح حلٍّ هذه النازلة.. وحُقَّ لهما أن يحارا ويكتئبا؛ فهما يدركان أن حال المستشفى الصغير المتواضع ليس بأحسن من حال أسرتهما، إذ لم يسبق لطاقمه الطبي أن واجه مثل هذه الحالة الغريبة، وتنقصه الخبرة اللازمة، إضافة إلى أن المستشفى نفسه يعاني فقرًا شديدًا في المعامل والمختبرات والأجهزة والتقنيات الحديثة! وفي هذه الأثناء زاراهما والدا الأم ليشاركاهما فرحة المولود الجديد، ولكنهما عندما وقفا على المشهد وتبيَّنا ملامح الحزن والكآبة على الزوجين؛ انتابهما الشك، ولما علما الخبر كان وقعه عليهما كالصاعقة. وبعد أيام من الهمِّ والحزن والتفكير والقلق بدأ الزوجان رحلة البحث عن حلٍّ تدفعهما عاطفة الأبوة والأمومة المتدفقة، ولم يكن أمامهما سوى إيجاد مخرج لمساعدة طفلتيهما رغم الظروف الكالحة التي يعيشها العراق، انطلقا في مسعاهما متوكلين على الله تعالى الذي يُفرِّج همَّ المهمومين ويُنفِّس كرب المكروبين، ويفتح أبوابه لكل المحتاجين.

خفتت آثار الصدمة، وتضاءلت مشاعر الحزن والأسى، وانقطعت نظرة الفضولي القريب والبعيد؛ وظلت الأسرة تترقَّب متطوعًا لتقديم المساعدة أو اقتراح حلٍّ مناسب، قادها النصح والمشورة إلى وسائل الإعلام العراقية والعربية التي تجاوبت مع الحالة، وتناقلت الخبر، وأطلقت صيحة استغاثة باسمها، سمعت الدول المجاورة هذه الصيحة، وسمعها العالم أجمع؛ ولكن هل



وداع والد التوأم فاطمة والزهراء قبل العملية

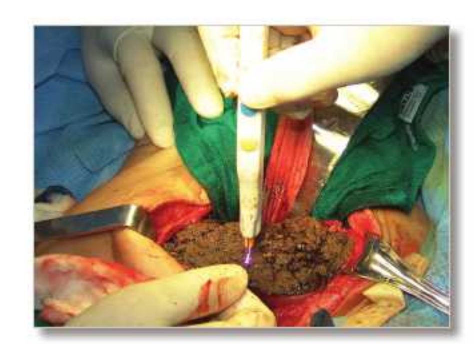


أثناء العملية

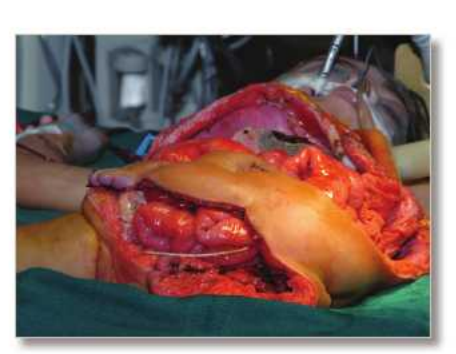
من مجيب؟ توقَّع والدا التوأم وذوو النوايا الحسنة أن تكون الدول الغربية ذات التواجد الكثيف في العراق، وصاحبة الإمكانات التقنية والخبرات الطبية المتطورة أن تكون أول وأسرع المستجيبين، ولكن اصطدمت الاستغاثة بآذان صمَّاء.

الإخلاء الطبي السعودي في مطار بغداد

وفي ماليزيا حيث كان خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في رحلة رسمية إلى هناك، ورغم البرنامج الرسمي المزدحم؛ سمع حفظه الله صيحة الاستغاثة هذه، وعلم بالظروف الصعبة التي تعيشها الأسرة، فما كان منه إلا أن وجَّه على الفور بإرسال طائرة الإخلاء الطبي إلى بغداد لنقل التوأم إلى الرياض رغم الحظر الجوي وما يمكن أن يكتنف هذه الرحلة من مخاطر.. تلقت الأم الضعيفة هذا الخبر فبكت بكاءً شديدًا، بكاء اختلف كثيرًا عن سابقه؛ فقد كان مبعثه الإحساس العارم بالفرح والسعادة، ولم تستطع كتمان أو مقاومة دموعها، وشاركها زوجها هذه الانفعالات، ومكثا ينتظران بلهفة وصول طائرة الإخلاء، التي يستلزم دخولها إلى الأجواء العراقية إذناً من القوات الأجنبية المنتشرة في كل شبر من العراق، فهي الوحيدة التي تملك بمفردها حق اتخاذ القرار بينما تفتقده الجهات الرسمية هناك حينها. وبعد محاولات عديدة حصل قائد الطائرة على الإذن المطلوب وهبط بها في مطار بغداد رغم أصوات المدافع والرصاص الذي يتساقط كزخَّات المطر، وبالفعل نُقل التوأم ووالداهما والطبيب المشرف عليهما إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض. كانت الحالة الصحية للتوأم (فاطمة والزهراء) حرجة جداً تطلبت تدخلاً طبياً وهما على متن الطائرة، وفي المطار كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم إلى المستشفى، وأُدخل التوأم حالاً إلى وحدة العناية المركزة للأطفال حيث كنت مع زملائي في استقبالهما بحضور بعض وسائل الإعلام المحلية والعربية والعالمية، وشرعنا على الفور في تقييم الحالة التي كانت صعبة جداً، وكان وزنهما معًا لا يتجاوز ثلاثة كيلوجرامات، ويعانيان التهابات مفرطة في الجهازين البولي والتنفسي، مع وجود بكتيريا وفطريات في جسدهما، وتطلَّب ذلك متابعة دقيقة وعناية فائقة حفاظًا على حياتهما. ثم بدأتْ بعد ذلك مرحلة الفحوصات الطبية وتشكيل الفريق الطبي الذي بلغ عدد أعضائه حوالي ٧٥ شخصًا يمثلون كافة التخصصات، وتركزت جهودهم على العناية بالتوأم ومساعدته تجاوبًا مع توجيه خادم الحرمين الشريفين. عقد الفريق الطبي أول اجتماع له بعد وصول التوأم بثلاثة أيام استعرضنا فيه الحالة الطبية للتوأم، واطَّلعنا على بعض الصور الخاصة به، وأجرينا بالإضافة إلى ذلك فحوصات أخرى عديدة كشفت لنا وجود اشتراك في الصدر والبطن والحوض وطرف سفلي لكل منهما وثالث صغير ومشوَّه لا يخص أيّاً منهما. ورأينا بناءً على ذلك ضرورة التركيز على حياة التوأم وتغذيته. استغرقت مدة العناية بالتوأم حوالي أربعة أشهر حظيا فيها بمتابعة دقيقة ساعة بساعة إلى أن تجاوز وزنهما سويّاً عشرة كيلو غرامات، وعقدنا بعد ذلك عدة اجتماعات لاستعراض نتائج ما أُجريَ من فحوصات دقيقة كشفت وجود اشتراك في الكبد والأمعاء الدقيقة والغليظة، واشتراك في الجهازين التناسلي والبولي، ونظرًا لوجود الطرف الثالث المشوه فقد تناقشنا طويلاً حول ضرورة إجراء عملية لتمديد الجلد وإرخائه حتى نتمكن من تغطية الفراغ بعد الفصل؛ لأن الاتصال كبير والحالة حرجة، واتفقنا عليها جميعًا في النهاية باستخدام بالونات تحت الجلد لتمديده عبر عدة مراحل تستغرق مدتها أربعة أسابيع،



فصل الكبد





بعد الإنتهاء من فصل التوأم

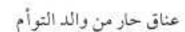
وتولَّى أطباء التجميل هذه المهمة، وواصلوا نفخ البالونات كل يومين أو ثلاثة إلى أن وصلت إلى الحد الأقصى. وبعد ذلك قررنا إجراء عملية الفصل يوم السبت ١١ذو القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢ ديسمبر٢٠٠٦م، واتفقنا في اجتماعنا الأخير على تجزئة العملية على ١٠ مراحل، وتوقعنا لإكمالها وإنجازها كاملة ٢٠ ساعة متواصلة، وكالعادة أجرينا عملية وهمية تجريبية قبل هذا الموعد بثلاثة أيام راجعنا خلالها أجهزة العمليات مع التأكد من جاهزية الفريق الطبي، كما راجعنا الخطة المكتوبة واتفقنا على مراحلها كافة، ثم شرحنا كل هذه التفاصيل لوالد التوأم، وأخبرناه بإمكانية إجراء العملية بنسبة نجاح لا تتجاوز ٦٠٪ نظرًا لما يعانيه التوأم من مشكلات والتهابات فضلاً عن حجم الاتصال الكبير. وبعد أن أحاط بكل المراحل وافق على إجراء العملية متقبِّلاً كل ما يمكن أن ينتج عنها.

اهتمام إعلامي غربي

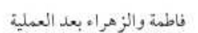
ذهبت إثر ذلك إلى خادم الحرمين الشريفين في مزرعته وشرحت له تفاصيل الحالة وملابساتها ونسبة نجاحها، فبارك خطواتنا ونصحنا بالاستعانة بالله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه في كل مراحل العملية، ثم استأذنته في السفر إلى مكة المكرمة لأداء العمرة حيث اتجهت إلى الله عز وجل بخالص الدعاء أن يوفقنا ويكتب للتوأم الشفاء والعافية، وأن ييسر للفريق الطبي طريق النجاح خدمة للإسلام والمسلمين. وبمجرد عودتي إلى الرياض ذهبت إلى المستشفى للتأكد من جاهزية العملية. وكان هناك اهتمام كبير ومتابعة مباشرة من الإعلام الغربي لهذا التوأم الذي نُقل من قلب بغداد حيث تتواجد القوات الغربية كافة، أقلقت هذه المتابعة الإعلامية اللصيقة الفريق الطبي، وشكَّلت عنصر تحدٍّ لي ولزملائي مما ضاعف إصرارنا على النجاح بإذن الله تعالى.

كان نومي قلقًا ليلة العملية، فصحوت مبكرًا وأديت صلاة الفجر ثم توجهت إلى المستشفى والتقيت بالزملاء وتحدثت إلى والدي التوأم اللذين كانت أعصابهما متوترة ومشدودة، ويبكيان لحظة وداعهما لطفلتيهما. بدأت العملية في الساعة السابعة والنصف صباحًا وكانت منقولة على شبكة الإنترنت مع نقل حي بواسطة العديد من الفضائيات، واستُهلت أولى مراحلها بالتخدير فالتعقيم، ثم حملت المشرط الصغير وشرعت في فصل الجلد بين التوأم باسم الله وعلى بركة الله، وبعد إكمال فصل أضلع الصدر وأغشية القلب المشتركة وإبعاد قلب فاطمة عن قلب الزهراء، واصلنا عملنا في رتق الأغشية من جديد، لننتقل بعدها إلى مرحلة فتح البطن وفصل الكبد. وفي هذه الأثناء تلقينا اتصالاً مباشرًا من فضائيات غربية شهيرة مثل (CNN) و (BBC) تستطلعان عن مدى تجاوب فاطمة والزهراء ونسبة نجاح العملية، وكنا نرد على استفساراتهم وأسئلتهم بكل ثقة واطمئنان دون التوقف عن مهماتنا الجراحية مستهدفين من ذلك إبراز صورة مشرقة لأبناء الأمة العربية والإسلامية، وأخذها بأسباب العلوم والمعارف والتقنيات، وبلوغ درجة عالية من الخبرة على المستوى العالمي، واكتملت هذه المرحلة وما أعقبها من مراحل أخرى لفصل الأمعاء والمسالك البولية والأجهزة التناسلية والطرف الثالث المشوه وتجزئة الجلد والعضلات بين الطفلتين وفصل الحوض. وبعد حوالي ١٥ ساعة ونصف الساعة اكتمل تمامًا فصل فاطمة عن توأمتها الزهراء بفرحة غامرة





عناق حار من والد التوأم



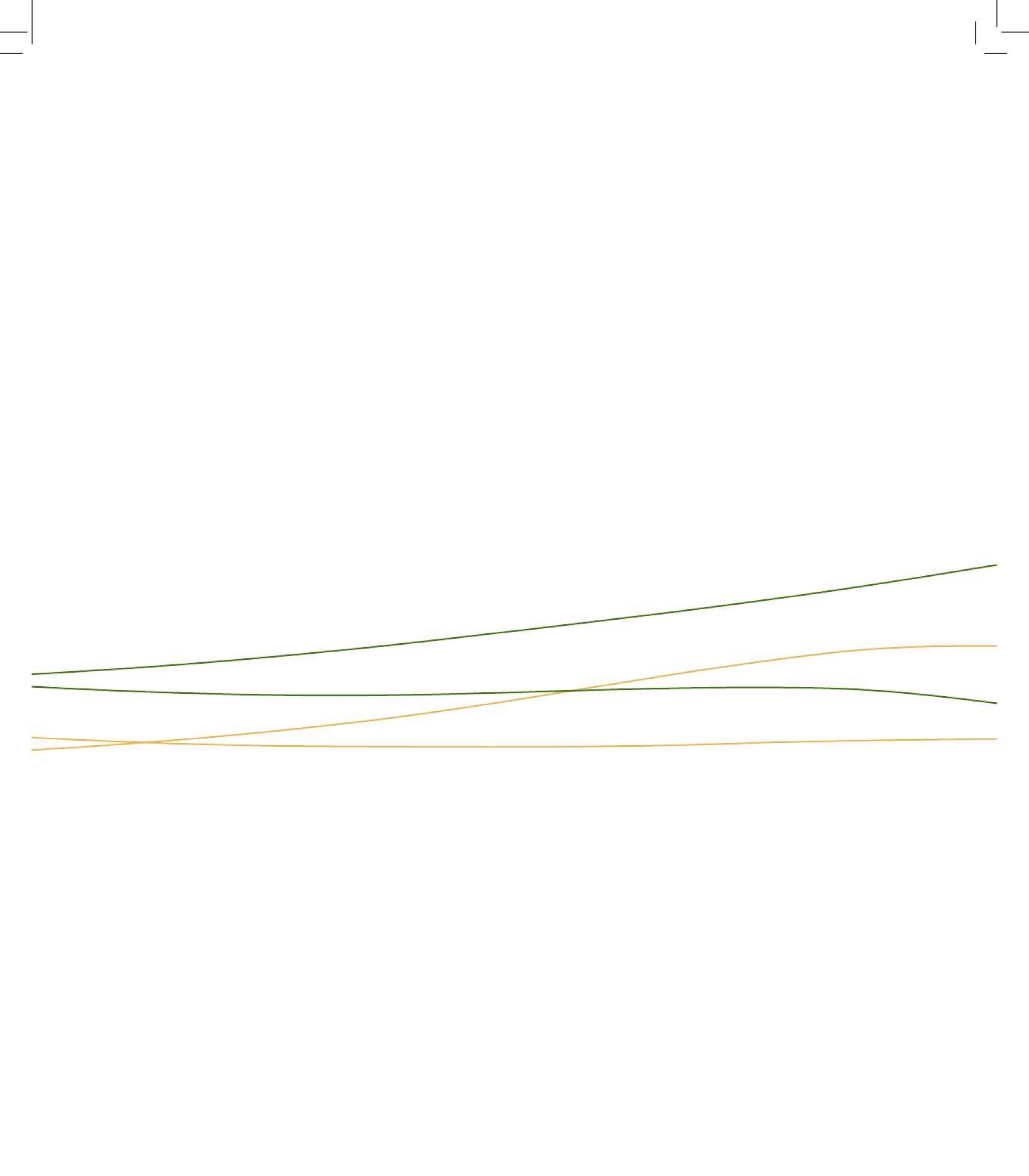
فاطمة والزهراء بعد العملية

من أعضاء الفريق ووالدي التوأم، وارتفعت موجة من التصفيق حين نقلت فاطمة إلى سرير منفصل عن شقيقتها الزهراء. واستغرقت إعادة عملية تأهيل الأعضاء وتغطية الجراح ساعتين ونصف الساعة تقريبًا.. وبذلك يكتمل نسيج هذه القصة الطويلة الصعبة والمعقدة للتوأم القادم من العراق، وتصل جميع فصولها ومشاهدها إلى نهايتها خلال ١٨ ساعة ولله الحمد. ثم نُقلتا مستقلتين عن بعضهما إلى غرفة العناية المركزة، وكان والدهما (حيدر) على باب غرفة العمليات يعانقني ويعانق أعضاء الفريق كلاً على حدة ويدعو لهم بالتوفيق الدائم والنجاح المستمر، بينما كانت زوجته تبكي وهي تلمس يد فاطمة مرة وتقبِّلها ثم تنتقل إلى الزهراء لتفعل الشيء نفسه. مكثت الطفلتان حوالي خمسة أسابيع في العناية المركزة وأسبوعين في جناح الأطفال. وبعد أن أفاقتا من المخدر زارهما القائد الإنسان والوالد العظيم الملك عبد الله في العناية المركزة زيارة أبوية حانية وقبَّلهما، وهنأ والديهما على شفائهما، وطلب منهما البقاء في بلدهما المملكة العربية السعودية إلى أن تتماثل الطفلتان إلى الشفاء الكامل بإذن الله تعالى؛ بل عرض عليهما إحضار من يحتاجان إليه من أقاربهما لمساعدتهما إذا لزم الأمر، ونصحهما بعدم الاستعجال لأن ظروف العراق لا تسمح بمتابعة علاج مثل هؤلاء الأطفال الأبرياء.

وبعد حوالي ثلاثة أشهر من إجراء العملية وبعد أن تحقق للطفلتين الشفاء الكامل استأذن والدهما في العودة إلى العراق وأصر على ذلك رغم محاولة الفريق إقناعه بالعدول عن قراره والبقاء في الرياض لوقت أطول، ولكنه فضَّل العودة نظرًا لظروفه الشخصية. وفي يوم السبت ٤ ربيع الثاني ١٤٢٨ الموافق ٢١ إبريل ٢٠٠٧م غادر التوأم العراقي (فاطمة والزهراء) المملكة العربية السعودية بصحبة والديهما متوجهين إلى الجمهورية العراقية الشقيقة بعد اكتمال فترة علاجهما التي استمرت اكثر من سنة وشهرين.. وهكذا اكتملت هذه القصة التي بدأت فصولها في العراق وانتهت في الرياض.



فاطمة والزهراء بعد العملية







شوفوبو وفنبوم تهديان بلدتهما للإسلام

ربيع الأول ١٤٢٨هـ/ أبريل ٢٠٠٧م



زيارة خادم الحرمين الشريفين



لحظة وصول التوأم

شوفوبو وفنبوم يهديان بلدتهما للإسلام

ربيع الأول ١٤٢٨هـ - أبريل ٢٠٠٧م

العاشر توأم سيامي

في قرية صغيرة تبعد حوالي خمس ساعات بالسيارة عن العاصمة الكاميرونية بانجي تعيش أسرة متوسطة الحال، ومثل جميع سكان القرية تكدح هذه الأسرة طوال ساعات نهارها في زراعة بعض المحاصيل تحت ظروف مناخية صعبة يضربها الجفاف حين يستعصي الخريف وتشح الأمطار، ويقتصر إنتاجها على مؤونة عيشها اليومي، الفقر سمة غالبة على أهل القرية، مساكنهم عبارة عن أكواخ جدرانها من فروع الأشجار الجافة، وأسقفها مخروطية منسوجة بالقش أو ببعض الأعشاب الطويلة رقيقة السيقان كتلك التي تشتهر بها البيئات الفقيرة. رب الأسرة نصراني ينوء بحمل ثقيل، لم يكمل تعليمه؛ بل ترك مقاعد الدراسة رغم تفوقه ليتفرغ إلى إعالة أسرته الكبيرة، هجرها مضطرًا وفي نفسه حسرة، زهد في العمل الوظيفي لأن عائده لا يكفيه مؤونة أيام، وآثر العمل في مزرعة الأسرة.. كان يعول ١٣ فردًا (والداه وزوجته وأطفاله التسعة)، ينهض مبكرًا في الصباح ويعود مجهدًا في المساء، لم يكن يهدأ له بال ولا يقرُّ له جفن حتى تسخو الأرض وتجود بما يتيسَّر، كان حريصاًعلى مقاومة الظروف، ولا يحتمل رؤية أفراد أسرته يتضورون جوعًا، ولذلك كان راضيًا عن دأبهم واجتهادهم في مساعدته لفلاحة قطعة أرضه التي أضحت لا تجود إلا بالقليل، ولولا مجموعة الأبقار التي يملكها، ويخصها ببعض إنتاج أرضه؛ لما عرفت أسرته للعيش طعمًا، فالأبقار تساعده في حرث الأرض، وتدرُّ له الحليب فيخصص بعض ما تجود به لإطعامهم، ويبيع ما يتبقى منه لينتفع بثمنه في شراء المستلزمات الأخرى، وتوفير المصروفات المدرسية لأبنائه. كان عيشه والحالة هذه خاليًا من الطموح، ولا يعرف من الحياة إلا الكد والتعب لصيانة أبنائه من الوقوع في براثن الجوع. حملت زوجته لتهب له طفله العاشر، وليزداد حمله ثقلاً، وبدأت أعراض هذا الحمل مختلفة، تباطأت معه حركة الزوجة وقلَّ نشاطها، إرهاق وتعب مع أقل مجهود، شعور بالمعاناة ظل يلازمها، وهاجس القلق والخوف يسيطران عليها؛ لأنها وحدها التي تدرك ثقل ما تحمله في رحمها وما يسببه لها من إجهاد، لم يكن بوسع الزوج الانتقال بها إلى مستشفيات العاصمة أو أي مدينة كبيرة أخرى.. فهذه تكاليف فوق احتماله، وعزيزة على مزارع يُجاهد الأرض ليكفي أهله ذُلَّ السؤال. تتابعت أسابيع الحمل وحياة الأسرة تجري على منوالها الرتيب، ومعاناة الأم تزداد وقلقها يتضاعف.. حانت لحظة المخاض، ليس ثمة من يقدم المساعدة سوى قابلة القرية الوحيدة، هرع الأبناء إليها يستدعونها على عجل، أقبلت بمعداتها البدائية، وتمكنت من إكمال المهمة داخل عيادة شديدة التواضع، ولادة طبيعية ولكنها مُتعسِّرة وصعبة أوشكت أن تودي بحياة الأم ومولودها، في حين كان من الطبيعي إجراء مثل هذه الولادة بعملية قيصرية في أحد المستشفيات المؤهلة. شعرت القابلة والأم معًا بصدمة كبرى ودهشة بالغة لحظة خروج المولود من الرحم إلى الضوء، تفاجأت الاثنتان بخروج توأم سيامي ملتصق، ارتجفت القابلة خوفًا وهلعًا وكادت تسقط على الأرض مغشيًا عليها لولا أن تمالكت نفسها وجلست على أقرب مقعد لها. أدخلت المفاجأة الأم في نوبة بكاء عنيف، لم تتبيَّن القابلة من شدة خوفها وذعرها ما إذا كانت الأم تبكي من الألم الحاد الذي صاحب عملية الولادة؟ أم من غزارة نزيف الدم الذي أعقبها؟ أم من صدمة التوأم الملتصق؟



التوأم الكاميروني عند وصولهما

مع والديهما صباح يوم العملية

الأب في الخارج ينتظر خروج القابلة، طال الانتظار، حار في هذا التأخير غير المعهود، ثم خرجت لتنقل إليه الخبر كما هو مجردًا، لم تنتظر ردَّة فعله أو تحاول قراءة مشاعره؛ بل هرعت للاستنجاد بطبيب في قرية مجاورة، فأقبل على الفور يساعدها في رتق آثار التمزق جراء الولادة. وبعد استقرار حالة الأم وتوأمها بدأ الأب رحلة البحث عن حلٍّ لمشكلة التوأم الذي اختار له الأبوان اسمي (شوفوبو وفنبوم). كانت إحدى البنتين ضئيلة الحجم ضعيفة الجسد مقارنة بأختها، وفوق ذلك تعاني مشكلات صحية عديدة، ولذلك لم يخْفِ العاملون والعاملات في العيادة أو المركز الصحي الذي يُعنى بهما قلقهم وخوفهم من أن تفقد حياتها سريعًا، ولكن شاء الله أن تقاوم ظروفها الصحية وتبقى على قيد الحياة، كثف الأب جهوده بمساعدة الأقارب وأهل القرية بحثًا عن حل، ولكن دون جدوى، فبقي على حاله حزينًا منكسرًا مدة من الزمن إلى أن دخلت القرية إحدى الجمعيات الخيرية المسيحية المعنية بالأطفال، فحظي التوأم شوفوبو وفنبوم باهتمامها وعنايتها وإشرافها، وفي هذه الأثناء تطوع أحد أطباء هذه الجمعية بالولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة قريب له هناك ببث رسالة إغاثة عبر شبكة الإنترنت لكافة المراكز المتخصصة في فصل التوائم.

رسائل للكاميرون عبر أمريكا

وهنا في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض استقبلنا مثل غيرنا من المراكز النظيرة هذه الاستغاثة، وطلبنا تقارير طبية وصورًا للتوأم، وبعد عدة أسابيع تسلمنا هذه التقارير؛ ولكن لم يكن التواصل مع والدي التوأم وأهل قريتهم سهلاً على الإطلاق نظرًا لعدم وجود اتصال هاتفي مباشر أو عناوين بريدية، فكانت اتصالاتنا قاصرة على رسائل إلكترونية تمر عبر الولايات المتحدة الأمريكية، فتتولى تلك الجمعية الخيرية إرسالها بدورها إلى العاصمة الكاميرونية، ثم تُنقل بواسطة أشخاص إلى قرية التوأم، وبعد أن وصلت هذه التقارير؛ بادرت بنقلها وعرضها على خادم الحرمين الشريفين الذي كان في جلسة أسرية مع بعض إخوته وأبنائه، وبعد أن اطلع عليها تأثر كثيرًا ولم يسأل عن لون التوأم أو هويته أو ديانته أو مستواه الاجتماعي؛ بل سأل عن وضعه الصحي،ثم وجهني على التو بإخبار والدي التوأم بموافقته على علاج ابنتيهما وتكفله حفظه الله بكافة نفقات سفرهم وإعاشتهم في المملكة العربية السعودية. كان يفعل كل ذلك بنخوة القائد المسلم، ولا يبحث عن مجد أو إعلام؛ بل كان يبتغي وجه الله سبحانه وتعالى أولاً وأخيرًا، وأن يُبيِّن للعالم الصورة الحقيقية للمملكة العربية السعودية، وأن يُظهر الوجه المشرق للأمة العربية والإسلامية.

وإثر هذه الموافقة الكريمة أرسلت رسالة إلكترونية عن طريق الجمعية الخاصة التي تتولى العناية بهذا التوأم، وبعد أسبوعين علمتُ أن الأسرة تلقت الخبر، فحركتها المفاجأة الكبيرة التي كانت تتجاوز عقولهم، فبكى جميع أفرادها فرحًا، لم يحدث أن كانت لديهم أي معلومات عن المملكة العربية السعودية سوى اسمها، ولم يسمعوا بالملك عبد الله؛ ولكن هذه اللفتة والمبادرة الإنسانية جعلتهم يدعون له بالصحة والعافية. انضم الأهل والأقارب والجيران إلى هذه الأسرة وهنأوها بهذه البشرى التي تضع حدًّا لمعاناة توأمهما. ولاستكمال الإجراءات كُلِّفت سفارة المملكة بالكاميرون بالعناية بالتوأم وترتيب نقله مع أسرته إلى الرياض.

في يوم السبت الخامس من ربيع الأول ١٤٢٨هـ الموافق الرابع والعشرين مارس ٢٠٠٧م وصل التوأم إلى مطار الملك خالد الدولي بالرياض حيث كان في استقباله فريق طبي وسيارة إسعاف نقلته إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني،







فصل الأمعاء

لحظة الإنفصال في غرفة العمليات

وكنت في استقباله مع زملائي على بوابة المستشفى كما هو معتاد. وبدأت أولى مهماتنا بفحص التوأم فحصًا دقيقًا وبعد استكمال الفحوصات تحدثت إلى والدهما الذي كان يجيد اللغة الإنجليزية، وشرحت له وضع ابنتيه، واشتراكهما في منطقة الصدر والبطن والحوض، وأننا بحاجة إلى مدة عشرة أيام تقريبًا لإكمال كل الفحوصات واتخاذ القرار اللازم، وفي نهاية هذه المدة عقد الفريق الطبي اجتماعين استعرض فيهما الفحوصات وتبين له وجود اشتراك في الكبد والأمعاء والجهاز البولي والتناسلي والحوض، ولكل واحدة منهما طرف سفلي واحد وتشتركان في طرف ثالث مشوه، واتفق أعضاء الفريق على إمكانية عملية الفصل رغم أن التوأم فنبوم تعاني مشكلات في القلب وضغطًا في شرايين الرئة؛ ولكن هذا ليس عائقًا أمام العملية. وكان القرار بإجراء العملية على عشر مراحل تستغرق مدتها حوالي ١٥ ساعة.

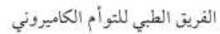
٢٦ يشاركون في عملية الفصل

وبعد عدة دراسات واجتماعات تقرر إجراء العملية يوم السبت ٤ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الموافق ٢١ أبريل ٢٠٠٧م على أن تسبقها بثلاثة أيام عملية وهمية تجريبية، ثم شرحنا كافة تفاصيل العملية لوالدي التوأم. وفي اليوم المحدد للعملية الوهمية تواجد أعضاء الفريق الجراحي الذين بلغ عددهم ٢٦ من جراحين وفنيين وطبيب تخدير وممرض، وتلا ذلك مراجعة الخطة وتجهيز غرفة العمليات، ونقل التوأم إليها. وأكمل أطباء الأطفال إجراءات تجهيز التوأم واستعد الفريق الجراحي ليوم العملية. وفي يوم الخميس توجهت مع زوجتي كعادتي قبل كل عملية إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بأن يوفقنا في تعزيز رفعة الأمة الإسلامية والعربية وإلى تحقيق تطلعات خادم الحرمين الشريفين بإنجاح هذه العملية. وفي اليوم المحدد نقل التوأم إلى غرفة العمليات، وكان الوالدان في وداعهما فبكت الأم وخانتها قدرتها على التماسك بعكس زوجها الذي تمالك نفسه وقاوم انفعالاته العاطفية رغم علامات التأثر الواضحة على وجهه. بدأت أولى مراحل العملية في الساعة السابعة والنصف بالتخدير واستغرقت مدته ساعتين ونصف الساعة، تلتها مرحلة التعقيم، ثم بدأنا باسم الله وعلى بركة الله بمشرطنا الصغير في فتح الجلد بين التوأم، وبعد فتح عظام وعضلات الصدر تمكنا من فصل أغشية القلب عن بعضها، وانتقلنا إلى فصل الكبد باستخدام أجهزة الليزر والأشعة الصوتية لمنع النزيف الذي كان قليلاً ولله الحمد، وأعقب ذلك فصل الأمعاء الدقيقة ثم الغليظة، وفصل المسالك البولية والأجهزة التناسلية وعضلة الحوض، ثم فصل الطرف المشوه الثالث بفصل العظام واستخدام الجلد والعضلات لتغطية الفراغ، واكتمل فصل الجسدين عن بعضهما بعد حوالي ١٣ ساعة من بداية العملية، تلا ذلك إعادة تركيب الأطراف التي استغرقت مدتها ثلاث ساعات لتكتمل مهمتنا الجراحية بعد ١٦ ساعة من العمل المتواصل ولله الحمد.

لا يمكن أن يحدث هذا؟!

وبعد نجاح العملية قام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بتهنئة الفريق الطبي في غرفة العمليات التي غادرناها ليستقبلنا والدا التوأم بحرارة وبابتسامات عريضة تعبيراً عن السرور والفرحة لرؤية بنتيهما





الفريق الطبي للتوأم الكاميروني



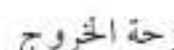
والد التوأم يعلن إسلامه

لأول مرة على سريرين منفصلين. لم يدر بخلدهما إطلاقًا أن يغادرا ذات يوم قريتهما الصغيرة النائية في أقصى وسط غرب أفريقيا إلى مدينة العلم والتراث الرياض التي أكدت للعالم أنها بلد السلم والسلام والحضارة. مكث التوأم في العناية المركزة حوالي عشرة أيام، وحين أفاقتا في منتصفها زارهما الوالد الحنون والأب المتواضع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في غرفة العناية المركزة بابتسامته المعهودة، وقبَّلهما وهنأ والديهما اللَّذين لامست قلبيهما هذه الزيارة الكريمة، وحينها قال والد التوأم لا يمكن أن يحدث هذا، فالملك عبد الله المشغول بإدارة دولته والذي يهتم بشؤون الأمة العربية والإسلامية يُشرِّف طفلتين صغيرتين بسيطتين قادمتين من وسط أفريقيا بزيارته الكريمة، طفلتان يحمل والداهما الفقيران لونًا مختلفًا وديانة مختلفة وثقافة مختلفة، في حين لم يعبأ بنا أو يهتم بمشكلتنا أي إنسان في بلدنا، ناهيك عن أن رئيس دولتي لم يعلم بوضع التوأم.. كانت هذه الزيارة بمثابة الشعار الكبير الذي أحدث تأثيرًا كبيرًا في نفسيتي والدي التوأم .. بعد ذلك نقل التوأم إلى الجناح رقم (٧) لتبدأ مرحلة التأهيل التي استغرقت ثمانية أسابيع . وفي يوم من الأيام طلب والد التوأم زيارتي في المكتب، فأذنت له، وأنا لا أدري ما يدور في ذهنه، ولا أعلم سببًا لزيارته بعد أن شُفيت ابنتاه تمامًا، وظننتُ أنه يريد الاستئذان ليعود إلى وطنه.. وقبل أن أسأله حاجته انطلق لسانه يتحدث عن الإسلام والمسلمين وعن الملك عبد الله وما يتمتع به من مشاعر إنسانية، وما يتميَّز به من تواضع وأريحية تجعله يتجاوز الرسميات ويُشرِّف التوائم بزيارتهما في غرفتهما بالمستشفى، بل ويستقبلهم في مزرعته الخاصة لا يمنعه عن ذلك اختلاف ملَّة أو لغة أو ثقافة أو لون، ثم طلب منِّي تزويده ببعض الكتيبات التي تعينه على فهم الإسلام وأساسياته ومبادئه وقيمه، فانشرح قلبي وبادرت على الفور بإهدائه مجموعة من الكتب الإسلامية المترجمة إلى الإنجليزية. وبعد عدة أيام عاد ليخبرني بأنه أصبح قريبًا من الإسلام، واستيقن أنه الدين الذي يحمل علاجًا لأدواء الإنسانية، وإجابات شافية لحيرتها، وهو الدين الحق، دين سلم وسلام، وأن ما يقوم به المسلمون ابتداءً من خادم الحرمين الشريفين وانتهاءً بالفريق الطبي من استقبال أطفال من جنسيات وديانات مختلفة لإجراء جراحات نادرة لهم وباهظة التكاليف ليدلُّ دلالة بالغة على أن الإسلام لا يمكن أن يكون دين قومية واحدة، أو نزل لمنطقة جغرافية بعينها؛ بل هو دين البشرية جمعاء، والعقيدة الإسلامية عالمية الخطاب، ونظامها صالح لكل جوانب الحياة، ولذلك فقد قررتُ اعتناق هذا الدين، وبالفعل أعلن إسلامه وأصبح أخًا لنا في العقيدة.. وهكذا أضاءت شوفوبو وفنبوم نفق أبيهما، ومنحتاه مفتاح الهدى، وكانتا سببًا في أن ينقل خطاه على طريق الرشاد. وبعد أيام قليلة غادر إلى بلاده بهوية جديدة، وآلى على نفسه أن يكون داعية للإسلام في وطنه. ولقد بلغ عدد المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام إلى وقت إصدار هذا الكتاب ٦٧٠ فرداً من قرية التوأم وكان الدافع الكبير لهؤلاء هو التعامل والمنهج الإنساني الذي يتمتع به خادم الحرميين الشريفيين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ثم حسن معاملة الفريق الطبي للتوأم الكميروني.



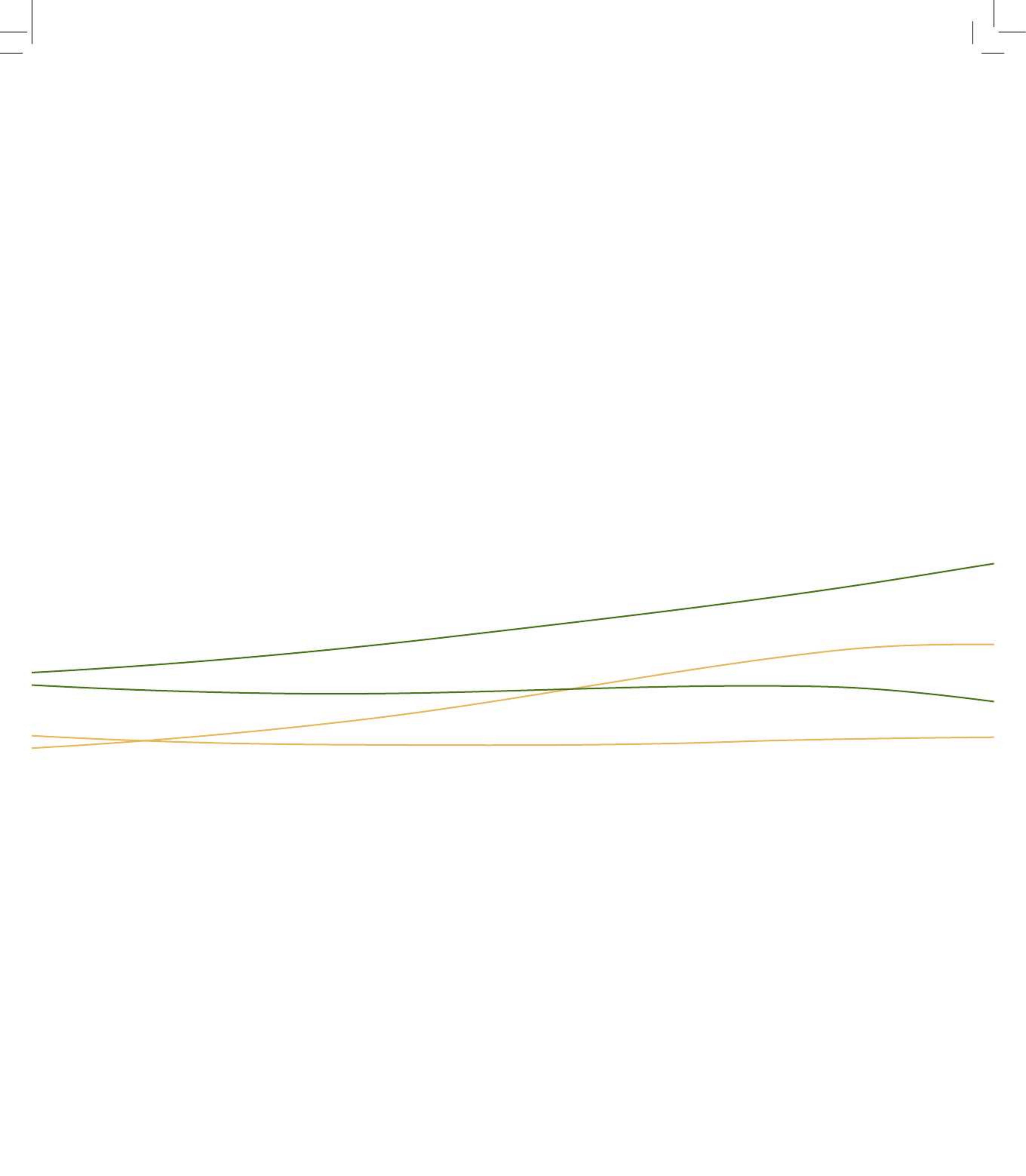
فرحة الإنفصال





فرحة الخروج

صورة قبل سفرهما





١٦

فقدنا الأمل ولكن..

جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ/ يوليو ٢٠٠٧م





خادم الحرمين الشريفين خلال زيارة أبوية للتوأم السعودي عبدالله وعبدالرحمن

فقدنا الأمل ولكن..

جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

حمل غريب.. !!

كان نواف وزوجته يعيشان في المدينة المنورة، مدينة الإشراق والنور، بلد المحبَّة والخير.. مهاجر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكان نواف يحيا حياة عفوية بسيطة خالية من المنغصات لأنه كان قريبًا إلى ربِّه مخبتًا إليه باجتهاده في امتثال أوامره واجتناب نواهيه.. ولم يكن هو وزوجته يتوقعان أن يرزقهما الله بتوأم، وذات يوم شعرت الأم بأعراض حملها الرابع، وأحسَّت باختلافه عن أي حمل سابق، شكت إلى زوجها، وأوت إليه تبثه همومها وقلقها من هذا الحمل الغريب، فطرة الأم التي فطرها الله عليها تجعل أحاسيسها تتسم دائمًا بالصدق، فهي لا تشكو ولا تتوجَّع إلا إذا كان في الأمر ما يستدعي ذلك. وفي منتصف أشهر الحمل ذهبت إلى عيادة الطبيبة التي تراجع معها؛ فأخضعتها لبعض الفحوصات، وفي ضوء نتائجها شككت في أن يكون الحمل بتوأم، غير أن هذه النتائج لم تبيِّن التصاق التوأم. تزايدت معاناة الزوجة من ثقل ما تحمل، ومن الصعوبات والمشكلات التي يسبِّبها، ووفقًا لتعليمات الطبيبة تابعت مراجعتها إلى المستشفى مرَّة في كل ثلاثة أو أربعة أسابيع. وفي نهاية الحمل أجرت الطبيبة فحوصات أكثر دقة، فاتضحت لها معالم الصورة، ولازمها شك في أن يكون التوأم ملتصقًا (سيامياً)، ولذلك اقترحت على الزوج استشارة مركز متخصص، ونصحته بمراجعة مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني في الرياض. أقلقه الأمر وأزعجه، فظروفه لا تساعده في مقابلة تكاليف مثل هذه الحالة، ولا السفر إلى العاصمة الرياض، فأطفاله ما زالوا صغارًا وإمكاناته متواضعة، وفوق كل ذلك فإن الدخول إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية يتطلب تنسيقًا وموافقة مسبقة. فأشار عليه أحد معارفه بإرسال برقية إلى خادم الحرمين الشريفين، وبالفعل ما أن علم حفظه الله بتفاصيل الحالة حتى وجه على الفور بنقل الزوجة وزوجها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية على نفقته الخاصة مع تحمل كامل تكاليف السكن والإعاشة وما إلى ذلك.

مشكلات صعبة ومعقدة

في يوم الثلاثاء ١٣ ديسمبر ٢٠٠٥م تم استقبال الزوجين في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وشكلنا فريقًا متخصصًا من قسم النساء والولادة لمتابعة الحالة، وبعد إجراء فحوصات دقيقة تأكد بما لا يدع مجالاً للشك التصاق التوأم، وحين استوثق الزوجان من الأطباء صحَّة نتائج هذه الفحوصات شعرا بصدمة كبيرة، وتتابعت أسئلتهما حول الحالة ومخاطرها وإمكانية نجاحها؛ بينما تتابعت كذلك دموع الأم تنحدر بغزارة، مع إحساس متصاعد بالقلق والإرهاق، ومعاناة شديدة في الحمل. وبعد أن هدأت حالتها جلستُ إليهما مهونًا عليهما، ومبيناً لهما أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل مصيبة مخرجًا ولكل همٍّ فرجًا، وسيعينهما بقدرته سبحانه وتعالى على تحمِّل ملابسات هذا الإبتلاء. أعانهما إيمانهما العميق على تقبُّل ما أراد الله بنفس راضية مطمئنة. وبعد أيام أُجريت عملية ولادة قيصرية للأم، فخرج إلى الوجود التوأم السيامي السعودي الرابع




عبدالله وعبدالرحمن عند وصولهما



الوالد يودعهما قبل العملية

(عبد الله وعبد الرحمن)، ونقلا إلى قسم العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، واتضح من تقييم الحالة وجود التصاق في منطقة الصدر والبطن والحوض، مع وجود طرف سفلي لكل منهما، ويشتركان في الجهازين التناسلي والبولي، مع عدم اكتمال جدار البطن، وكانت المثانة البولية والأمعاء الغليظة مفتوحتين إلى الخارج، وهناك اتصال بين الأمعاء الغليظة والمثانة البولية، وجميعها تعدُّ مشكلات صعبة ومعقدة. وإثر هذه النتائج تشكل فريق طبي متخصص من عدَّة أقسام لمتابعة التوأم، وشرحتُ الحالة بالتفصيل للزوج والزوجة؛ فتأثرا كثيرًا، وعلت وجه نواف بعض ملامح الشكوك والخوف، وكان إحساسه موزَّعًا بين زوجته وطفليه التوأم في الرياض وبقية أطفاله الصغار الذين تركهم في المدينة المنورة مع حاجتهم الشديدة إلى رعاية الأب والأم لتلبية متطلباتهم ومتابعة دراستهم، إحساس مرير وظروف صعبة؛ ولكن الإيمان بالله هو الملاذ والسلوى. استمر الفريق في إجراء فحوصات دقيقة مع متابعة متواصلة؛ وبما أن الطفلين لديهما انسداد في الأمعاء وعدم تخلُّق لفتحة الشرج، فقد اضطر الفريق الجراحي بعد الولادة بيومين إلى إجراء عملية مستعجلة لعمل فتحة مؤقتة للبراز على جدار البطن، ثم أجرى بعد عدة أيام عمليات أخرى على مراحل لإقفال المثانة البولية، وكانت هناك مشكلات متعددة صحبتها التهابات في المسالك البولية والصدر، وتسمُّم في الدم، وقصور في الأمعاء، وبلغت حالة التوأم مرحلة حرجة جداً مما أضعف آمال الفريق الطبي رغم محاولاته المتتابعة والجادة للتغلب على هذه الالتهابات، فكلما شفي عضو لدى احدهما عاد الالتهاب البكتيري وتسمُّم الدم إلى جسد الطفلين؛ مما يجعلهما في حاجة إلى أجهزة التنفس الاصطناعي، وتكررت هذه التداعيات المزعجة أكثر من خمس مرات على مدى ستة أسابيع .

فقدنا الأمل في حياة التوأم

غادر والدا التوأم الرياض إلى المدينة المنورة لرعاية بقية أطفالهما، مرت ثمانية أسابيع والتوأم على حاله إن لم تزدد حالتهما سوءًا، نقص تدريجي في الوزن دفعنا إلى استدعاء نواف إلى الرياض، وجلستُ معه بوجود زملائي من قسم العناية المركزة، وبيَّنتُ له أننا بدأنا نفقد الأمل في حياة ابنيه، وأنهما على شفا حافة، وعليه أن يتوقع أخبارًا غير سارة في أي لحظة، وأعدنا له شرح تعقيدات الحالة عدة مرات، ثم وقَّع على ملفَّيْ التوأم وهو مقتنع ومتقبِّل برحابة صدر وسعة نفس كل ما يقضي به الله جل وعلا، فهو الرازق وهو المانع ، وهو المحيي وهو المميت.. وأعرب عن ثقته الكاملة في الفريق الطبي ومخوِّلاً له فعل كل ما يراه مناسبًا ثم قفل راجعًا إلى المدينة المنورة. وبعد أسابيع من الظروف الصحية المترديَّة التي أوصلت التوأم إلى تلك الحالة الحرجة، ضاعف الفريق الطبي حركته وجهوده ليلاً ونهارًا لمجابهتها والتغلب عليها، ثم بدأ يلاحظ تحسُّنًا تدريجياً بعد ثلاثة أشهر ونصف الشهر من الولادة، وعلى مدى ثلاثة أسابيع شهدت الحالة استقرارًا تدريجياً، واستطعنا بصعوبة رفع أجهزة التنفس الاصطناعي، وطوال شهر آخر استمر استقرار الحالة؛ ولكن ما زالت الالتهابات تعاودهم على فترات متقطعة.. وبعد انقضاء عام كامل استقرت الحالة تمامًا مما حدا بنا إلى التركيز على مرحلة التغذية، وهي مرحلة لم تكن بأسهل من سابقاتها بسبب قصور الأمعاء الغليظة الذي أشرنا إليه، بجانب قصور في الامتصاص بالأمعاء الدقيقة، وبدا من الصعب التحكم



مرحلة التخدير



مرحلة التعقيم

في زيادة الوزن، واستغرقت مدة هذه المرحلة حوالي ستة أشهر إلى أن شهد وزن التوأم تحسنًا واقترب من الوزن المطلوب. وبعد اجتماعات عديدة تبيَّن لنا اشتراك التوأم في أغشية القلب والكبد والأمعاء الدقيقة والغليظة والحوض والجهازين البولي والتناسلي والطرف المشوه الثالث. وما أن تأكدنا من استقرار الحالة حتى عقدنا اجتماعنا الأخير واتخذنا قرارًا بإمكانية عملية الفصل بنسبة نجاح ٦٠٪ تقريبًا. ثم استدعينا والد التوأم مرة أخرى وشرحنا له تفاصيل الحالة، فأسعده أن يرى بصيص نور يعيد الأمل إلى جوانحه، فوافق على إجراء العملية التي تحدد لها يوم الإثنين ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٢ يوليو ٢٠٠٧م على أن تسبقها بثلاث أيام عملية وهمية.

وكما سبقت الإشارة فإن الحالة كانت صعبة جداً ومقلقة لنا ولوالدي التوأم. أطلعتُ خادم الحرمين الشريفين على تفاصيل الحالة وصعوبة القرار بشأنها، ولكنه كعادته حفظه الله كان متفائلاً، وشجعنا على المضيِّ قُدمًا اعتمادًا على الله وتوكلاً عليه. سافرت إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والتضرع والخشوع إلى الله أن يكشف ضر عبد الله وعبد الرحمن ويوفق مسعانا في هذه العملية الصعبة. وفي ليلة العملية زرت التوأم للاطمئنان على جاهزيته. وبعد التأكد من اكتمال الخطة الجراحية التي راجعناها في العملية الوهمية، عدت إلى البيت وخلدت إلى الراحة والنوم، واستيقظت مبكرًا وأدَّيتُ صلاة الفجر، ثم قصدت المستشفى على السيارة وسائقها يتحدث إليَّ وأنا شارد الذهن مع التوأم متمنياً النجاح في فصلهما. وفي الساعة السابعة صباحًا تجمع الزملاء في لقاء قصير، ونُقل التوأم بصحبة والديه إلى غرفة العمليات وعيناهما مليئتان بالدموع.

شهران في العناية المركزة

وفي الساعة السابعة والنصف صباحاً اتجهنا إلى غرفة العمليات مزودين بالتوكل الصادق على الله سبحانه وتعالى، وبدأت أولى مراحل العملية بالتخدير عند الساعة الثامنة إلا ربعًا، واكتملت المرحلة دون أي مضاعفات. ثم وُضع التوأم على جهاز التنفس الاصطناعي، وأعقب ذلك وضع القساطر في الشرايين من أجل تحقيق المتابعة الدقيقة، وبعد ذلك بدأت مرحلة الإعداد بتحديد مكان القطع الأولي، ثم تعقيم التوأم وتغطيته بفوط معقمة، وتلت ذلك مرحلة الجراح وشق التوأم من الأمام باستخدام مشرط صغير والكي الكهربائي لتقليل كمية النزف. وبعد إكمال فتح القفص الصدري اتضح لنا وجود اشتراك في أغشية القلب التي اكتمل فصلها دون أي مشكلات، وأعقب ذلك فصل الكبد باستخدام مشرط الليزر والأشعة فوق الصوتية، وأنجزنا هذه المرحلة كذلك دون نزيف ولله الحمد، كما تمكنا من فصل الأمعاء والجهاز البولي. أما عملية فصل الجهاز التناسلي فقد كانت حرجة وحساسة وتطلبت اتخاذ قرار لم نصل إليه إلا بعد دراسته مرات عديدة مع الزملاء من المسالك البولية، وخلُصت الدراسة إلى هذا القرار وهو أن تُفصل أغشية القضيب المشترك بالنصف من أجل المحافظة على رجولة كلا الطفلين، وخصصنا خصية لكل منهما. واكتملت هذه العملية الدقيقة بفصل الحوض وفصل الطرف الثالث المشترك. ولم يتعرض التوأم طوال هذه المراحل لنزف حاد كما كان متوقعًا، لأن الفريق استطاع توظيف خبرته ومهارته الفائقة في التغلب على الاشتراك الكبير في الأوردة بين التوأم، وبالتالي لم تكن هناك حاجة تستدعي عمليات نقل دم للتوأم. لم تصاحب هذه



أثناء العملية





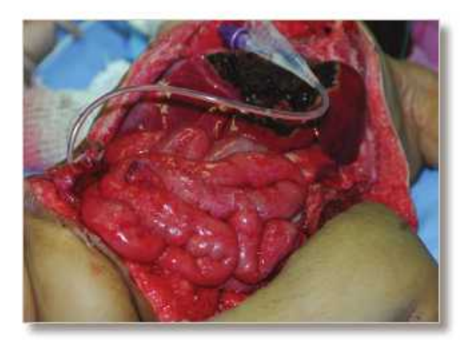
أثناء العملية – فصل الكبد

المراحل الجراحية أية صعوبات بحمد الله رغم أننا كنا نتوقعها عند فصل الأمعاء بسبب العمليات السابقة التي أجريت وصاحبتها بعض الالتصاقات، ولكن تواصل العمل بفضل الله حسب ما خُطِّط له.

وبعد حوالي ١٣ ساعة من العمل الجاد والدقيق والمركز اكتملت المهمة بفصل جسد عبد الله عن عبد الرحمن بقدر كبير من الفرحة المصحوبة بعاصفة من التصفيق الحار من الفريق الطبي ووالد التوأم الذي كان يشاركنا المداخلات عبر شبكة التليفزيون الداخلية. وقد تهلَّلت أساريرُه وامتلأ قلبه حبورًا حين انهالت عليه عبارات التهاني من الحاضرين الذين كانوا يشاركونه متابعة مراحل العملية، وبدأ لسانه يلهج بالشكر والدعاء لله عز وجل الذي أكرمه وزوجته بإسباغ نعمة العافية على طفليهما، ثم عبَّر عن امتنانه لخادم الحرمين الشريفين على هذه المبادرة الإنسانية النبيلة، ولكل أفراد الفريق الطبي، ثم حمد الله تعالى الذي أكرم الشعب السعودي والشعوب العربية والإسلامية قاطبة بهذا الصرح الطبي العظيم؛ مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني التي أصبحت منارة آمال وتطلعات لكل التوائم السيامية من مختلف أنحاء العالم؛ بل ولكل طالبي الاستشفاء من أمراض مستعصية.

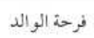
وفي المرحلة النهائية من العملية اكتملت إعادة تركيب الأعضاء التي استغرق مدتها ثلاث ساعات، وبالتالي فقد تكللت جميع المراحل بنجاح تام، واستطاع الفريق الطبي اختزال مدتها من ٢٢ ساعة إلى ١٦ ساعة من العمل المتواصل، وأنهى جميع مراحلها بنجاح كامل محققًا إنجازًا كبيرًا آخر أضاف رصيدًا جديدًا إلى خبراته المتراكمة في هذا المجال.

وباكتمالها علت الابتسامات، وامتدت الأيدي تهنئ بعضها بعضًا بهذه الخطوة الموفقة بعون لله. وخرج عبد الله وعبد الرحمن من غرفة العمليات في سريرين أبيضين منفصلين ليجدا والدتهما أول مستقبل لهما ومرحبة بهما عن طريق لمس أيديهما وتقبيلها؛ بينما أقبل عليَّ والدهما يحتضنني بحرارة. وبعد ذلك شاركنا دفع السريرين وهو يتابع فلذتي كبده إلى غرفة العناية المركزة وكادت عيناه تشرقان بدموع الفرح الذي جعل أعين الآخرين تتفاعل وتتجاوب معه في هذه اللحظة الإنسانية الجياشة التي انتصر فيها الطب السعودي بعون الله وفضله على صعوبات الالتصاق وأعاد البسمة إلى شفاه أهل التوأم وذويه. مكث التوأم حوالي ثمانية أسابيع تحت العناية المركزة حتى استقرت حالته.. وفي هذا الوقت الذي أعمل فيه على إعداد هذا الكتاب تجري الاستعدادات لنقل عبد الله وعبد الرحمن إلى جناح الأطفال وهما في صحة وعافية. ولا زال خادم الحرمين الشريفين يتابع حالتهما أولاً بأول، واستقبل والدهما وهنأه بنجاح العملية وتمنى لطفليه كامل الصحة، وأن يعودا إلى المدينة المنورة لتكتمل سعادة جميع أفراد الأسرة. ولقد قام خادم الحرمين الشريفيين بزيارتهما بالمستشفى وإطمأن عليهما بزيارة أبوية فياضة وحنونة، وعادا إلى مسقط رأسيهما طيبة الطيبة بين أحضان والديهما.



فصل الكبد والأمعاء





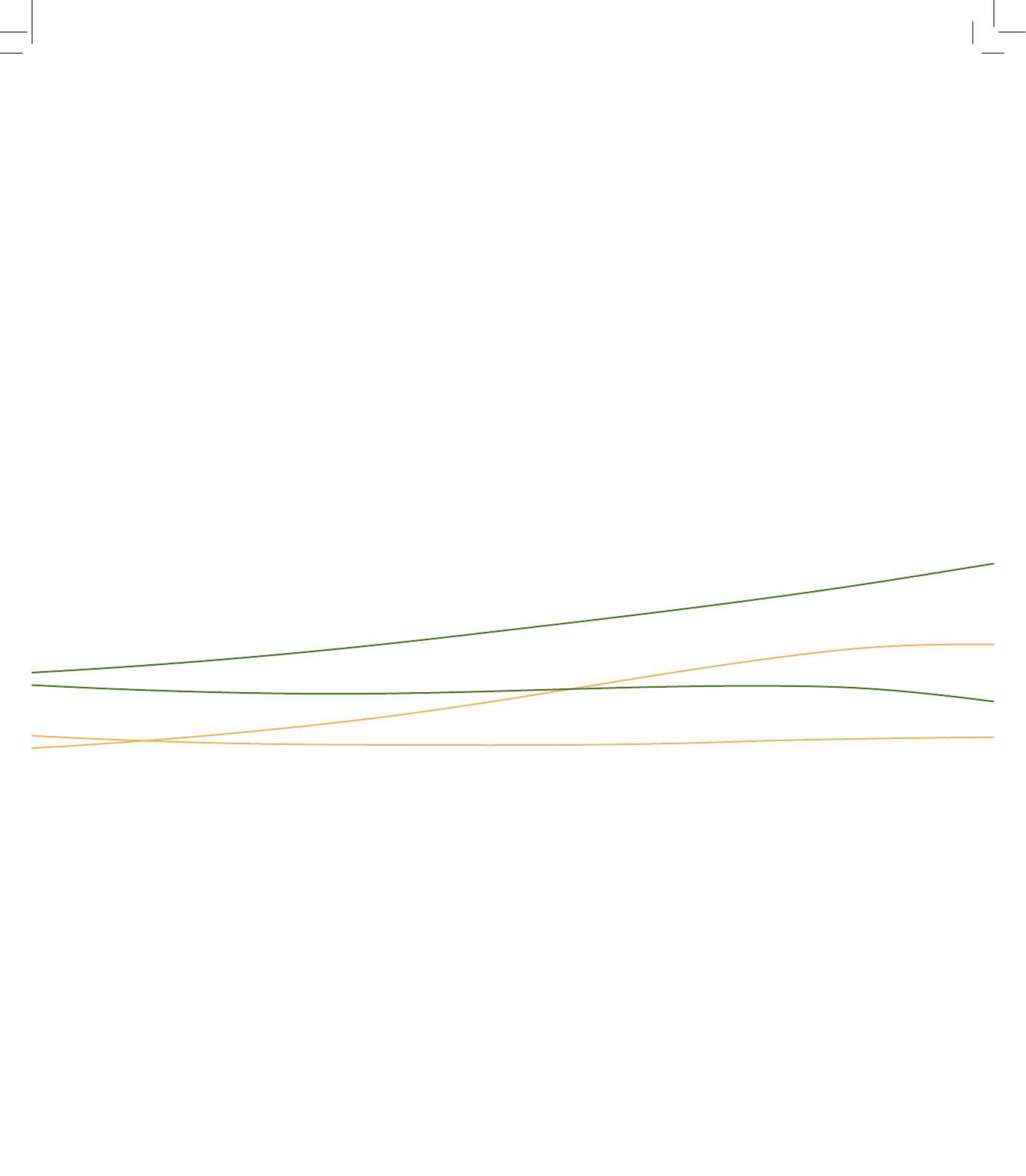
فرحة الوالد



الخروج من العناية المركزة



مغادرة المستشفى







توأم لم يكتمل

رجب ١٤٢٨هـ/ يوليو ٢٠٠٧م



زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم ابتهال

توأم لم يكتمل

رجب ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

قلق متزايد مع اقتراب الولادة

خميس مشيط مدينة مرتفعة تتوسط جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وتمتاز بجبالها ذات المدرجات الجميلة وبمسطحاتها الخضراء الناضرة، وتُشكِّل مع توأمتها مدينة أبها أحد أجمل مصائف المملكة. في هذه المدينة وبين ربوعها كانت إحدى الأسر تترقَّب مولودًا لها بدرجة عالية من اللهفة والتشوق، ولا يفتأ الزوجان المتحابَّان يستعرضان قوائم أسماء كثيرة للإناث والذكور لاختيار أحدها للضيف العزيز القادم الذي يغمر جو المنزل ببراءته وعفويته، ويشيع في جنباته روح المرح والفرح. وفي نهاية الحمل، وقبيل الولادة بوقت قصير أُخضعت الزوجة لصورة صوتية للتأكد من حملها ونوعيته؛ ولكن خرجت الصور بما ليس في الحسبان، وذهبت إلى تغليب الاحتمال بوجود عيوب خلقية غير واضحة في تكوين المولود، فاجتاح الأبوان إزاء هذا التقرير قلق كبير، وأصابتهما الهموم والغموم، واستسلما لهواجسهما وللتفكير المتواصل في العيوب الخلقية التي سيخرج بها طفلهما، وكلما اقترب موعد الولادة ازداد قلقهما الذي بلغ ذروته في الأسبوعين الأخيرين من نهاية الحمل، ومع لحظات الولادة ارتفع مؤشر التوتُّر في جسد الأب، وظل مشدود الأعصاب يترقَّب الخبر متمنياً أن تكذب الفحوصات ويخرج الطفل سليمًا.. خرج إليه الطبيب وساق إليه الخبر الذي ما كان يريد سماعه، مولود بعيوب خلقية لم يرها الطبيب من قبل، وأكد له أن هذه الحالة نادرة جداً.. سيطرت عليه حالة من الوجوم للحظة، ثم انتبه وسأل الطبيب عن هذه العيوب، فأخبره بأن للمولود ثلاثة أرجل وحوض إضافي وعيوب أخرى في الفم والأعصاب، فاستفسره عن ماهيتها وأسبابها؟ إلا أن الطبيب لم تكن لديه إجابات شافية وكافية. ورغم إيمان الأب الكامل بمشيئة الله ورضاه بما يُقدِّره؛ إلا أن الموقف لم يُمكِّنه من السيطرة على عاطفته، فأرسل الدمع مدرارًا، ثم وضع يديه على صدغيه وأخذ يضغط عليهما ويقول قدَّر الله وما شاء فعل، ولا نملك إلا القبول والرضا والتسليم بما أراد سبحانه وتعالى لعبده من رزق أو هبة، وله في خلقه شؤون. كان همُّه الأول والأخير يتركز في كيفية إخبار زوجته. وبعد ساعات من الانتظار تمكن خلالها من امتصاص بعض آثار الخبر دخل ليطمئن عليها، ثم هنأها بسلامتها وبالمولود، ولكنها عاجلته بالسؤال عنه ما إذا كان ذكرًا أم أنثى؟ وعن العيوب التي أشار إليها الأطباء من قبل؟ تمتم قليلاً وهو يقول إنها بنت وهي بخير وستشفى بإذن الله، لاحظت الأم أن الكلمات تخرج من فمه متعسرة منكسرة، ولذلك لم تقتنع بجوابه، فتابعت أسئلتها عن بنتها وعن عيوبها ونوعية التشوهات التي ولدت بها، وبعد إلحاح شديد منها أخبرها بوجود زيادة في أطرافها السفلية والفم والحوض وعيوب أخرى كثيرة، تأثرت كثيرًا، تناست آلام الولادة وإرهاقها، ولم تعد تحسُّ بها، وأطلقت العنان لدموعها تنسكب كشلال متدفق مصحوبة بشهيق متصل، أشفق زوجها عليها وأقبل يخفف عنها ويهوِّن عليها، ويُذكِّرها بقبول ما أراد الله، وشكره على ما أعطى وما وهب، ويرجوها ألا تقلق وأن تُسلم الأمر إلى الله جل وعلا، ونجح في تهدئتها بعد مدة من الزمن ليست بالقصيرة، وأقنعها بزيارة الطفلة في العناية المركزة للاطمئنان عليها، وما أن رأتها حتى أجهشت مرة أخرى بالبكاء والشهيق، ثم مسحت دموعها وابتهلت إلى الله أن يكشف ما لحق بطفلتها من ضُرٍّ وتشوهات، ثم أخذت بيدها تُقبِّلها وكذلك الزوج، وبعد ذلك عادت إلى غرفتها.



التوأم الطفيلي





بداية العملية

ابتهال توأم سيامي طفيلي

رجع الزوج إلى المنزل وهو يفكر في كيفية الإعداد لرحلة البحث عن علاج لطفلته، سأل الأطباء فأرشدوه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض باعتبارها صاحبة أفضل خبرة في هذا الشأن، فتمثلت خطوته التالية في كيفية الاتصال وبمن يتصل؟ وعندما تلقى الإفادة أرسل رسالة عن طريق الفاكس إلى مكتبي، وبمجرد اطِّلاعي عليها اتصلتُ به، فتبينت من تحيته وترحيبه وحديثه مقدار صبره ونبله وخلقه العالي كما هي سمات أهل الجنوب وصفاتهم السامية، واستعرض لي قصة الطفلة وظروفه التي يعيشها، فطمأنته بأن حالة الطفلة ليست معقدة وعلاجها سيكون يسيرًا بإذن الله، وأنها ستحظى بعناية خادم الحرمين الشريفين؛ لأن همَّه الأول حفظه الله يتركز على إسعاد المواطن. وعقب هذا الاتصال ذهبت إلى مكتب الملك عبد الله في منزله ونقلت له تفاصيل الحالة، وأطلعته على ظروف الأسرة وأوضاعها، فوجهني على الفور بالعمل على نقل الطفلة ووالديها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وإحاطة الأسرة بكل متطلباتها من رعاية وسكن ومعيشة وانتقال على نفقته الخاصة.. هذا الرجل تعجز الكلمات والمفردات أن تُعبِّر عن إنسانيته وأريحيته في أعمال الخير، وحبِّه للأطفال المحتاجين. وبالفعل شرعنا في إعداد الترتيبات اللازمة لنقل الطفلة ووالديها بالتنسيق مع المستشفى الذي تعامل مع الحالة في خميس مشيط، وبعد أيام قليلة استقبلنا الطفلة (ابتهال) ونقلناها مباشرة إلى وحدة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة ثم أخضعناها لفحوصات دقيقة، وبعد اكتمال الفحوصات تحدثت مع والديها وأخبرتهما بأن بداية التكوين في الرحم كان توأماً سيامياً؛ غير أنه لم يكتمل، وتحولت الحالة إلى توأم سيامي طفيلي، أي أن هناك طفلة مكتملة هي (ابتهال) مع وجود أجزاء لطفل آخر دون روح تمثل في وجود الرِجْل الإضافية والحوض وبعض الأعضاء التناسلية المزدوجة وأجزاء من أمعاء غير مكتملة لهذا الطفل، ومثل هذه الحالات نادرة جداً، وهي أكثر ندرة من التوائم السيامية، وبسبب ندرتها فإن خبرة العالم فيها قليلة. وأخبرتهما بأننا سنجري مزيدًا من الفحوصات الدقيقة وفي ضوء نتائجها سنعمل جاهدين على مساعدة الطفلة من خلال إجراء عملية لها. كان والد الطفلة عميق الإيمان واثقًا في قراره، فقال لنا إنها ابنتكم، ولن أجد مكانًا أفضل من هنا لتقديم الرعاية لها.

حالة نادرة

شكلنا الفريق الجراحي والطبي، وأخضعنا الطفلة لفحوصات إضافية عديدة، وبعد اكتمالها عقد الفريق اجتماعين واستعرض الحالة التي كانت كما ذكرت عبارة عن توأم طفيلي بعيوب خلقية متعددة منها شفة أرنبية مع ازدواج في الأطراف السفلية حيث توجد رجل ثالثة وحوض إضافي غير مكتمل وأطراف تناسلية مزدوجة وأجزاء من الأمعاء. وبعد أن وصلت الطفلة خلال ثلاثة أسابيع إلى الوزن المناسب قررنا إجراء العملية في السادس من شهر رجب ١٤٢٨هـ الموافق الثاني والعشرين من شهر يوليو ٢٠٠٧م، وأجريت على أربع مراحل حسب الخطة الموضوعة واستغرقت مدتها ست ساعات ونصف الساعة، وتمكنَّا من استئصال الأجزاء المتطفلة ثم أعدنا تقويم الحوض.. ونجحت العملية ولله الحمد، ونقلت الطفلة إلى غرفة العناية المركزة



أثناء العملية



الفريق الطبي



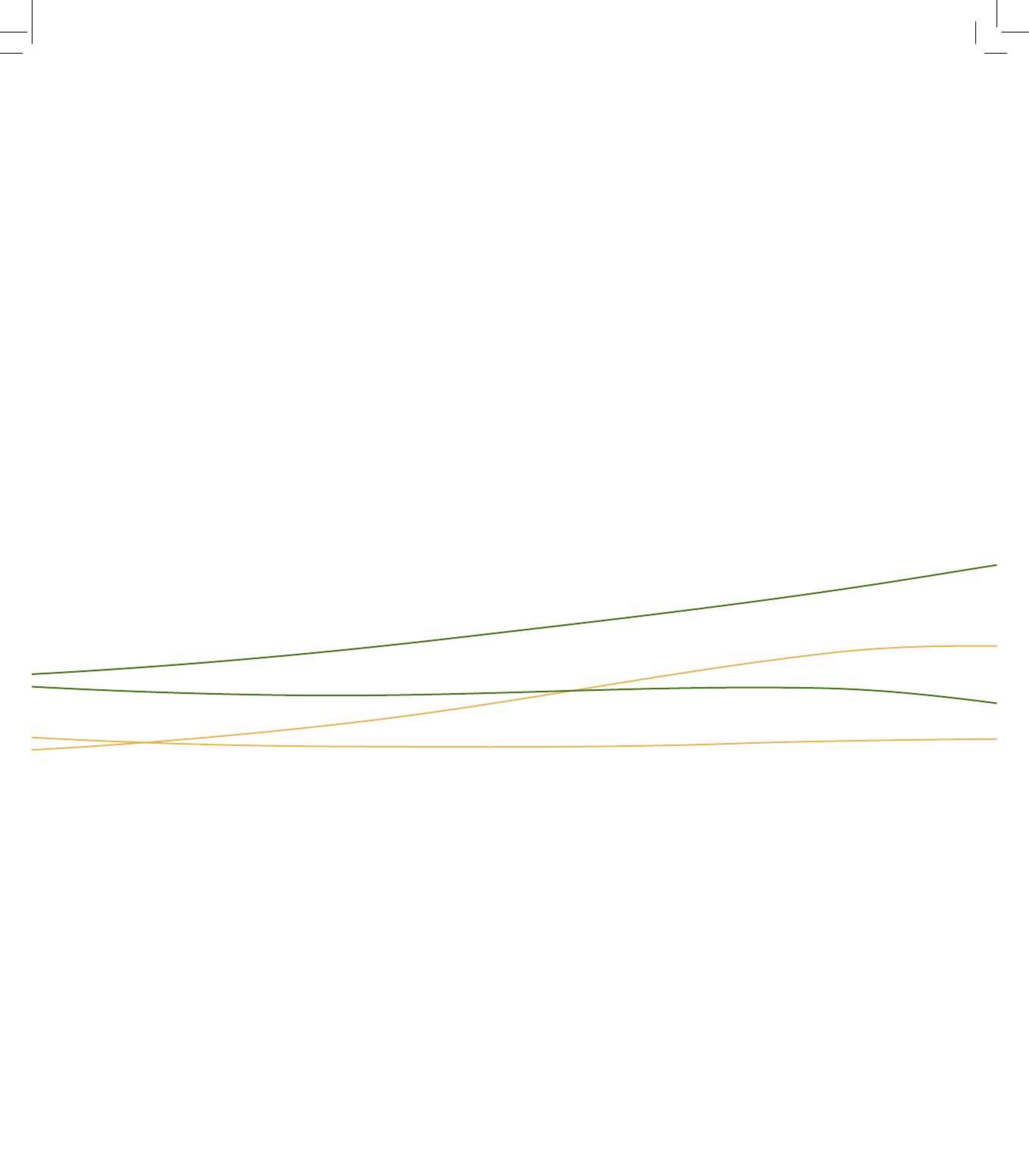
للأطفال حيث مكثت خمسة أيام، ومنها إلى جناح الأطفال وبقيت فيه حوالي الأسبوعين، ثم خرجت من المستشفى. وفي هذه الأثناء تابع خادم الحرمين الشريفين وضع ابتهال، واطمأن على نجاح العملية، وكلفني بنقل تهنئته إلى والديها.. ثم غادرت إلى مدينتها خميس مشيط في الجنوب وهي بصحة وعافية بتوفيق الله وعنايته، على أن تعود بعد عدة أشهر لإجراء عملية تجميلية للشفة الأرنبية.

تعدُّ هذه الحالة إحدى ثلاث حالات استقبلناها وتابعناها وأجرينا لها عمليات جراحية، وهي حالات نادرة تدخل ضمن مصطلح: (التوائم الطفيلية)، الحالتان الأولى والثانية استقبلناهما في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، كانت إحداهما لطفل سعودي حالته مشابهة لحالة الطفلة ابتهال، وأُجريت له عملية ناجحة بحمد الله وهو يعيش الآن بصحة وعافية، أما الحالة الثانية فكانت لطفلة لديها ازدواج في الأطراف السفلية مع ضمور في القلب والأمعاء والكبد وهي ملتصقة عن طريق البطن، إضافة إلى أن الأمعاء خارجة عن البطن، ونجح الجراحون في استئصال الجزء المتطفل، وإقفال التشوهات في جدار البطن. وبحكم العلم والتجربة فإن هذه الحالات الثلاث نادرة على مستوى العالم، ونستطيع القول دون فخر إن خبرة المملكة في هذا المجال تعدُّ جيدة ومتميزة إذا ما قورنت بمثيلاتها في المراكز العالمية المتخصصة.

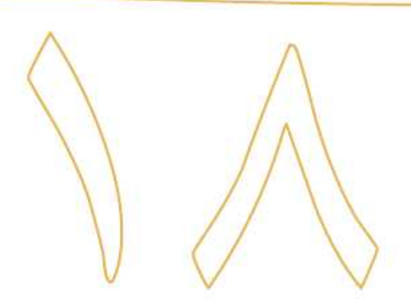




فرحة الإنتهاء







بناتي وقلبي

شوال ١٤٢٨هـ/ أكتوبر ٢٠٠٧م



زيارة خادم الحرمين الشريفين

بناتي وقلبي

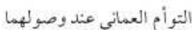
رجب ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

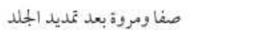
أحلام تتحول إلى مخاوف

ينحدر محمد من أسرة متوسطة الحال في إحدى قرى منطقة القريات التي تبعد ٧٠ كلم عن «مسقط» عاصمة سلطنة عُمان، وهو موظف بسيط محدود الدخل يتقاضى راتبًا شهرياً بأحد القطاعات الحكومية، تزوَّج وأنجب ولدًا ويستمتع ثلاثتهما بحياة هانئة هادئة تظللها مشاعر الحب والعطف والحنان.. تاقت نفسه إلى طفل آخر يشعل حرارة البيت بقسماته البريئة وشقاوته، يصير أُنسًا لشقيقه وصاحبًا وعونًا له في اللعب والركض والمشاجرة، بينما أعربت زوجته عن رغبتها في طفلة حلوة القسمات تغمر باحة المنزل بمشاعرهما الحلوة الدفيئة وتؤازرها في خدمة البيت عندما تنمو ويخضر عودها ويشتد.. كان كل منهما يتمنى أن يكون القادم في مثل جنسه، وعلى هذا كانا يتمازحان ويداعب أحدهما الآخر حتى صارت هذه المداعبة اللطيفة جزءاً من أسمارهما المسائية اليومية. لم يكتف محمد براتبه الشهري المحدود، فاقتحم مجالات أعمال أخرى تدرُّ عليه دخلاً إضافياً يساعده على مؤونة حياته وظل يحلم بأن تتوسع أعماله ويزداد دخله، وتتكاثر أرباحه مما يتيح له إمكانية الارتفاع بمستوى أسرته وتحقيق رفاهيتها، وفي غمرة آماله وأحلامه هذه؛ بشَّرتْه زوجته بأنها بدأت تحس بأعراض حمل، فاجتاحته فرحة كبيرة، وبدأ يتطلع إلى الغد وكأنه يراه رأي العين، وما انفك يستعجل الزمن ليرى ابنه الثاني محط اهتمام شقيقه الأكبر وغيرته، وموضع مداعبات أبيه ومستأثرًا بحنان أمه الدافق.

وبعد مرور عدة أسابيع راود الزوجة شكٌّ بأن هذا الحمل يختلف عن سابقه؛ إلا أن محمدًا رغم ميله إلى تصديقها وأخذ شكواها على محمل الجد لم يأل جهدًا في إبعاد هواجسها وإقناعها بأنه حمل طبيعي. لقد ساوره خوف وقلق من أن يكون هذا الحمل بالفعل غير طبيعي، ومع ذلك عمل على إدخال الطمأنينة على قلبها، وذكَّرها بالاستعاذة من وساوس الشيطان وأن يكون اعتمادها على الله كاملاً وخالصًا حتى تكمل جميع أشهر حملها وتضع مولودها الذي سيضاعف سعادة البيت ويملؤه فرحًا وبهجة بإذن الله تعالى.. ومع تتابع مراحل الحمل لاحظ الزوج علامات التعب والإرهاق والخمول البادية على زوجته، ومسحة الكآبة التي كادت تكون سمة ملازمة لها، كبر البطن وتمدَّد وتضخَّم حجمه، ولازمتها نوبات قيء لم تعهدها في مراحل حملها بمولودها الأول، وبمرور الأشهر صارت تشكو لزوجها من آلام شديدة تعانيها، وبسبب ذلك اتسعت مساحة الشكوك والمخاوف لديهما كليهما، وازداد يقينهما بوجود اختلاف واضح في هذا الحمل.. لم تفلح الطبيبة المشرفة على علاجها في إنقاذها من هذه المخاوف بمحاولة طمأنتها بأن كل شيء على ما يرام..




التوأم العماني عند وصولهما


صفا ومروة بعد تمديد الجلد

همهمة أطباء تثير الشك

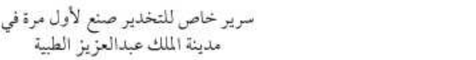
ومع ازدياد الآلام والمتاعب أصرت على زوجها بضرورة مراجعة جهات متخصصة للتأكد من سلامة الحمل.. استجاب لطلبها وهي في آخر أشهر حملها واصطحبها لمراجعة أحد المستشفيات في العاصمة مسقط حيث أجريت فحوصات عاجلة بالأشعة الصوتية، فكشفت هذه الفحوصات وجود حمل بتوأم فأخبروها بذلك، فتنازعتها مشاعر متباينة إزاء هذا الخبر، فرحة بما يمنُّ الله بها عليها من مولود توأم، وقلق مما يصاحب هذا الحمل من مشكلات ومضاعفات، وخوف من مشقة عملية الولادة نفسها وإمكانية تعسُّرها، وانشغلت كذلك بالتفكير في مستقبل التوام وكيفية التعامل معه من حيث تغذيته وحمله وما يقترن بذلك من متطلبات المعيشة والتربية والتعليم وما إلى ذلك. ما أن علم الزوج بهذا الخبر حتى فرح قليلاً وانطلق لسانه يلهج بالشكر والثناء على الله سبحانه وتعالى.. عاد الزوجان إلى قريتهما بنفس الأحاسيس المتباينة التي يمتزج فيها الفرح بالقلق، وبعد عدة أسابيع عادا إلى نفس المستشفى حيث أتبع الأطباء تلك الفحوصات بأخرى أكثر دقة.. وإثر ذلك ازدادت حركة الأطباء وتجمعهم وهمهمتهم وهم يتناقشون ويتشاورون، وفوق ذلك استعانوا بأطباء آخرين لمزيد من دراسة هذه الحالة، ثم قرروا إجراء مزيد من الفحوصات، وضاعفت حركة الأطباء واهتمامهم المتزايد بحالتها من قلقها وخوفها، مما دفعها إلى السؤال والاستفهام عن ماهية مشكلتها ومدى خطورتها عليها وعلى توأمها؛ إلا أنهم اكتفوا بطمأنتها، ولكن لم يخفِّض ذلك من درجة مخاوفها ووساوسها، وكلما أمعن الأطباء في التجمع وتداول الفحوصات تسابقت دموعها على خديها وهي في حيرة كبيرة واستبدت بها الهواجس حتى كادت تشكل غمامة على عينيها.

إحساس عنيف بالضعف والانكسار

وبعد مشاورات واستشارات وفحوص دقيقة ومكثفة أصرت الزوجة على استطلاع الأمر حول حالتها، فنزل الأطباء على رغبتها وأخبروها بأنها تحمل ثلاثة توائم ولد ذكر سليم، وابنتان لديهما مشكلة، وبدأت تسأل الأطباء وهي تبكي بشدة وتستفسر عن هذه المشكلة وحجمها ومدى خطورتها، وتوسلت إليهم توسل الضعيف المنكسر بأن يعمدوا إلى الإفصاح ويطلعوها على أبعاد المشكلة، فرضخ الأطباء لإلحاحها وأخبروها بأن ثمة اتصال أو التصاق بين البنتين في منطقة الرأس.. فشكل لها الخبر صدمة قوية زلزلت كيانها، قلقت واستسلمت لموجة عارمة من البكاء لأنها لم تكن تتوقع ذلك ولم يخطر لها على بال إطلاقًا.. فخبر التوائم الثلاثة كان مزعجًا إلى أبعد الحدود ثم جاء الالتصاق بين الطفلتين صاعقة مدمرة... تكوَّمت على نفسها مفسحة المجال لدموعها تنهمر بغزارة وفقدت القدرة على التفكير والتركيز.. وفي هذه الأثناء دخل عليها زوجها وما أن رأته حتى أجهشت بالبكاء وارتفع نحيبها، أمسك بيدها ملاطفًا ومخففًا من حدة هذا المشهد، ومحاولاً معرفة سبب هذه الإحساس العنيف الذي اجتاحها وجعلها في حالة من الضعف الشديد والقلق والخوف، حاول معرفة ذلك منها دون جدوى، فتركها واتجه إلى الأطباء مستطلعًا الأمر؟ فأخبروه بأنها حامل بثلاثة توائم، فحمد الله سبحانه وتعالى وقال إن هذه ليست مشكلة وثقتنا في الله كبيرة بأن مرحلة الولادة ستكتمل بتوفيق الله.. وقبل أن يقفل راجعًا إلى زوجته تابع الطبيب: ولكن هناك مشكلة أخرى... !! وقف مشدوها وأمسك بيد الطبيب مسائلاً




الأب والأم وتوديعهما قبل العملية



سرير خاص للتخدير صنع لأول مرة في مدينة الملك عبدالعزيز الطبية

عن ماهية المشكلة، فعلم منه عن حالة الالتصاق بالرأس بين الطفلتين، وأخبروه بأن هذا ما يسمى بالتصاق التوائم، فاجأه الخبر وكاد يشلّ توازنه وقدرته على التفكير والتبصر، اغتمّ ولفَّه إحساس قاس بالحزن والألم تخاذلت معه قواه فجلس على أقرب مقعد له كالمغشي عليه، وبعد هنيهة وضع رأسه على حافة سرير زوجته وأمسك بيدها يشاركها نوبة البكاء الحارقة التي ما زالت تتملَّكها، بكى بكاء الأطفال ثم انتبه لنفسه وكفكف دموعه وتحركت شفتاه تنطقان بحمد الله على ما أعطى ثم صمت قليلاً بينما كانت دموعه تواصل انحدارها.

إشفاق وعبارات تطمين

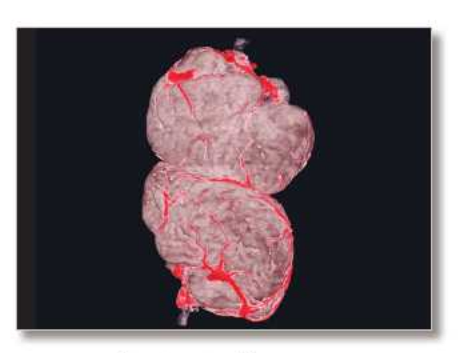
أحس محمد بعد أن استعاد السيطرة على مشاعره بضعف زوجته وأدرك أن من الواجب عليه في هذه اللحظة أن يتماسك حتى لا يضاعف همومها وقلقها، استجمع قواه وأخذ يهدئ من روعها ويذكرها بأن كل المصائب تهون على من يتوكل على الله ويستحضر معيته ويرجو رحمته، ومن توكل على الله حق التوكل سيجعل الله له بعد عسر يسرًا، ومن يصبر ويتجلَّد فلن يقلق ولن ييئس، وما فتئ يحث زوجته على الصبر وأن تلوذ بالله عز وجل وتحمده على ما يُنعم به عليها من نعمة الولد، وأن المشكلة سيكون علاجها سهل والله قادر على ذلك، ويجب علينا أن نخضع لمشيئته ونقنع بما يريد صابرين محتسبين وراجين عونه للخروج من هذه المحنة، وإن استطَعَنا التحلي بالصبر فسيجازينا الله خيرًا إن شاء سبحانه وتعالى... ولكنها ما انفكت ترسل الدمع مدرارًا ولسانها يتمتم بحمد الله وشكره، وصوتها يخرج من بين شفتيها وكأنه صدى صاعد من أعماق بعيدة الغور تتخلله شهقات متقطعة بين حين وآخر.

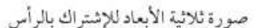
غادر الأطباء بينما جلس محمد طوال الساعات المتبقية من اليوم محاولاً تخفيف مصيبة زوجته التي يتنازعها القلق والاضطراب والخوف من الأيام القادمات.. أحاسيس متداخلة شديدة التأثير.. استطاع أن يكتم انفعالاته واضطرابه شفقة على زوجته، ولكن ملامح وجهه تكاد تفضحه وتفصح عن ذلك الثقل من الهموم التي جثمت على صدره كصخور صماء.. شرد تفكيره بعيدًا وهو يرى مستقبله مشدودًا بخيط من الأسى على هاتين الطفلتين الملتصقتين.. أسئلة واستفهامات ظلت تدور في ذهنه: كيف يأكلان؟ كيف ينامان؟ كيف يتحركان؟ كيف يتعامل معهما؟ إنها محنة حقيقية؛ وخاصة للأم التي ستبدأ معهما فترة الرضاعة..

مرَّ شريط تصورات الغد أمامه وكأنه شريط حي لم يستطع أن يتبين مشاهده بوضوح بسبب الظلمة التي غشيت عينيه لوقع هذه المحنة التي لم تخطر له على بال، امتحان عسير يستلزم منه درجة إيمانية عالية.. دفعه هذا الإغراق في التفكير إلى حالة أشبه بالذهول أفاق منها على صوت الأطباء وبعض المراجعين والمرضى.. ثم نهض متثاقلاً واتجه نحو غرفة الأطباء لعله يستنير بمشورتهم أو يجد عندهم ما يزيح عن كاهله هذا العبء الثقيل، استجار بهم بحثًا عن حل لتجاوز هذه المشكلة العصيبة؛ إلا أن الإجابات التي تلقاها كانت مضطربة ومشتتة هي الأخرى، اختلاف وتفاوت في النصح والحلول والاقتراحات، ولكنهم مع ذلك أقنعوه بوجوب الانتظار إلى حين الولادة، مرَّت الأيام بطيئة وئيدة وكأنها مشدودة بحبال إلى وتد، والزوجان غارقان في همومهما، استبطأ الزوج



جهاز ثلاثي الأبعاد لتسهيل العملية





صورة ثلاثية الأبعاد للإشتراك بالرأس

مرورها وود لو كان في إمكانهما طيَّها حتى تنقضي بسرعة وتريحهما من هذا الرهق الذي كاد يورثهما حالة من الوجوم والاكتئاب والإحباط.. اكتفى بالنظر إلى زوجته والتنفيس عن كربها بعبارات تذكرها بوجوب الاعتماد على الله وعدم القنوط أو اليأس.

قراءة في تعبيرات وجه الطبيب

مع اقتراب المخاض رأى الأطباء أنه لا بد من عملية قيصرية، ونصحوهما بالانتقال إلى مستشفى الولادة ضمانًا لسلامة الأم وأطفالها، وبالفعل أدخلت إلى المستشفى المعني وفي اليوم المحدد للعملية نقلت في ساعات الصباح الباكر إلى غرفة العمليات بينما ظل محمد خائفًا مضطربًا في الخارج لا يكاد يقوى على الجلوس أو الوقوف، يتحرك لا إرادياً من جهة إلى أخرى يراوده قبس من الأمل بأن يكون تشخيص الأطباء غير دقيق فيخرج التوأم غير ملتصق، وكاد شكه في دقة تشخيص الأطباء يصل إلى درجة اليقين، أوهم نفسه بذلك وكاد يصدقها وهو ذاهل لا يدري من يصافحه أو يلقي عليه التحية من بعيد، لم يعبأ بأحد من أهله وأقاربه الذين كانوا يحاولون طمأنته والتخفيف عنه؛ بل كان كل تركيز حواسه على باب غرفة العمليات، شعر بأن الوقت يمر ببطء وكأن عقارب الساعة تتوقف.. بلغت درجة التوتر ذروتها وهو يراقب خروج الأطباء بعد أن طالت المدة، وظل يهرع نحو كل خارج من غرفة الولادة أو تصادف مروره بجانبها تتدفق الاستفهامات اللاهفة من فمه كمن ينثر ماءً. تحولت فرحة انتظار المواليد إلى أسى، أحس بأن جدران قاعة الانتظار تكاد تنطبق على أضلعه، وأن قلبه يكاد يخرج من صدره، وخشي أن يتصدَّع كبده من الحزن. استغرقت عملية الولادة حوالي ساعتين ونصف الساعة؛ ولكنهما في نظره بامتداد عامين مشحونين بالقلق والتوجُّس، وما أن خرج الطبيب المختص الذي أشرف على العملية حتى هرع إليه محاولاً قراءة تعبيرات وجهه لمعرفة ما هو مخبوء خلف قسماته، هجم عليه مستفهمًا خائفًا وجلاً، فبشره بأن زوجته سليمة وكذلك الولد ثم قطَّب جبينه فجأة واكتسى وجهه ملمحًا جاداً حاول إخفاءه عنه في البداية، لاحظ محمد ذلك فأمسك بيده وهزَّها بقوة والأسئلة والاستفهامات تتدافع من فمه كالمطر.. رأى الطبيب أن لا بد له من إنقاذ نفسه من حرارة هذه الانفعالات، فقذف له بالحقيقة مؤكدًا صحة الفحوصات وصدق الخبر الصاعق بأن البنتين ملتصقتان بالرأس، ونصحه بالذهاب إلى مشاهدة أطفاله الثلاثة في غرفة الحضانة لعل ذلك يسلوه ويخفف عنه حدة التوتر والقلق هذه.

ابتسامة قسرية وعينان تذرفان

اتجه محمد إلى الحضانة على عجل، فرأى الطفل السليم واطمأن على استقرار وضعه، وعلت شفتيه في تلك اللحظة ابتسامة قسرية لم يكن في إمكانه حبسها، ثم التفت إلى حيث الطفلتين وتبيَّن أنهما ملتصقتان بالرأس، وكانت هذه أول حالة من نوعها يسمع بها ويشاهدها، أمعن النظر فيهما يتأملهما ويتملى في براءتهما وعيناه تذرفان بغزارة.. وانطلق تفكيره في كيفية إخراجهما من هذا المأزق الذي يهدد حياتهما.. مكث مدة طويلة نسبياً قبل أن يهتدي إلى حل، ثم رجع عَجِلاً إلى غرفة زوجته ليطمئن عليها، فلما رأته نسيت آلامها ومعاناتها وبادرته بالسؤال عن أطفالها، فطمأنها على سلامتهم ثم أكد لها صحة ودقة تشخيص الأطباء وأن الحالة مطابقة تمامًا لما أظهرته فحوصاتهم تمامًا، ونبَّهها إلى وجوب الاعتماد على الله في الشدائد وأنه جل وعلا قادر على تفريج هذا الكرب والهم، تتابعت



تحديد مكان الفصل





مرحلة فصل الرأس

نوبات بكائها وهي ترفع يديها بين آن وآخر إلى الله سبحانه وتعالى أن يعينهما على الخروج من هذه المحنة، وأن يهديهما إلى حل يضمن سلامة طفلتيهما. .ثم اتفقا على أن تحمل البنتان اسميْ (صفا ومروة) لعل الله أن يجعل منهما وسيلتين لنزول الرحمة والبركة على الأسرة. وبعد أن زوَّدا سجلاَّت المستشفى بهذين الاسمين كي يدوَّنا في شهادة ميلادهما؛ غادروا المستشفى وفي الحلق مرارة شديدة وغمامة سوداء على الأعين تحجب أضواء المستقبل، ولكن لا بدَّ مما ليس منه بدٌّ، ويلزمهما التفكير بهدوء وتأنٍ ورويَّة لمواجهة هذا الواقع الجديد بشجاعة كبيرة. خفف الأهل والأقارب والأحباب من مأساتهما هذه واستطاعوا مواساتهما حتى أعادوهما إلى طبيعتهما. . تضاعف يقينهما في الله جل وعلا، وكان رضاهما بما قسم لهما سلوتهما وعزاءهما رغم ما يمكن أن يجداه من مشقة في رعاية الطفلتين ومحاولة علاجهما.

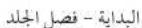
بريق ضوء في الظلمة

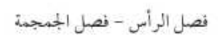
أعد محمد عدته لمواجهة متطلبات رحلة المجهول، وبدأها بطرح أسئلة واستفسارات حائرة على الأطباء وكل العاملين في القطاعات الصحية من بين معارفه وأصدقائه، أسئلة كثيرة على من يعرف ومن لا يعرف فعسى أن تأتي الإجابة من شخص بعيد كل البعد عن محيط علاقاته الأسرية والاجتماعية والعملية، زادته الإجابات التي تلقاها عن أسئلته النهمة قلقًا على قلق، وارتفعت درجة حيرته حين علم أن الخبرة المتطلبة لفصل طفلتيه غير متاحة في بلده، وأن العملية معقدة جداً وشديدة الخطورة على حياة الطفلتين، وتقتضي الانتقال إلى مراكز عالمية متخصصة في جراحة التوائم السيامية وبتكاليف عالية لا قِبَل له بها، وتتجاوز إمكاناته المحدودة، اختلفت النصائح وتفاوتت الاقتراحات.. بعضهم نصحه بالذهاب إلى أمريكا، وآخرون فضَّلوا بريطانيا ذات التاريخ والإرث الطبي العريق والمتقدم. . ووسط هذه البلبلة من الرؤى والاقتراحات اتصل به أحد أقربائه الدارسين بإحدى الجامعات الأسترالية، ونقل له ما سمعه من زملائه السعوديين الذين تربطهم به علاقات متينة هناك حين حدثهم عن معاناته مع طفلتيه السياميتين، وبشَّره بأن زملاءه أكدوا له أن مدينة الملك عبد العزيز للحرس الوطني بالعاصمة السعودية الرياض تعدُّ من المراكز العالمية المتخصصة في فصل التوائم السيامية ولها خبرة متراكمة في هذا المجال، وبشروه بأن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز صاحب أياد بيضاء ونواله يطول مختلف أنحاء العالم؛ وقد سبق أن وافق حفظه الله على فصل توائم من قارات عديدة، وله أن يعمل على مخاطبته لعل الله يجعل الفرج في المملكة العربية السعودية ولا يحتاج إلى وطء تراب بلدان بعيدة غريبة عنه ومختلفة كثيرًا. ولم يكتف قريبه هذا بذلك؛ بل أرشده إلى عنوان الموقع الإلكتروني لهذه المدينة الطبية بالرياض، ونصحه بمراجعته للتأكد من صحة هذه المعلومات.

توجيه كريم وفرحة عارمة

لم يكن لأحمد اتصال معلوماتي عبر الشبكة العنكبوتية في منزله فانتظر حتى ساعات الصباح ثم توجه إلى إحدى المواقع التي تتيح إمكانية الاتصال الإلكتروني، وعندما دخل على العنوان الذي سبق أن حصل عليه غمرته فرحة كبيرة؛ فقد وجد موقع




البداية – فصل الجلد


فصل الرأس – فصل الجمجمة

المدينة غني بالمعلومات الخاصة بالتوائم التي فصلت، وازداد فرحه حين اطَّلع على إنسانية خادم الحرمين الشريفين وأريحيته الكبيرة في إتاحة الفرصة لذوي التوائم بالعلاج في المملكة على حسابه الخاص مع التكفل بنقلهم وإعاشتهم، نسخ كل المعلومات المتعلقة بكيفية الاتصال بهذه المدينة وبأهل الخبرة، لم يتأخر بل اتصل على الأرقام التي حصل عليها، فطلبت منه الجهة التي تلقت الاتصال إرسال الفحوصات والتقارير المبدئية اللازمة عن الحالة؛ نقل هذا الأمل إلى زوجته، وكان هذا أول خبر مفرح تتلقاه منذ أن وضعت توائمها، حمدت الله سبحانه وتعالى على هذا البصيص من الأمل، ثم عكف من فوره على تجميع وتجهيز التحاليل والفحوصات والتقارير الخاصة بالحالة من الأطباء في المستشفيات التي تعاملوا معها، وما أن اكتملت بين يديه حتى بادر بإرسالها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني.

وصلت المعلومات إلى مكتبي فعكفت على دراستها مع زملائي أعضاء الفريق الطبي ثم طلبنا منه تزويدنا ببعض صور الأشعة فأرسلها إلينا، وبعد اكتمالها عرضتها على الملك عبد الله بن عبد العزيز، فسألني عن إمكانية مساعدة هذا التوأم، فأبلغته حفظه الله بإجراء مزيد من الفحوصات الدقيقة؛ ولكن الأمل في الله سبحانه وتعالى كبير، فوافق على علاج الحالة ووجه بنقل التوأم من مسقط رأسه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، فاتصلت بوالد التوأم وأبلغته بهذه الموافقة الكريمة والاهتمام بابنتيه وطمأنته بأن الله عز وجل لطيف بعباده وقادر على أن يفرج همه، وبشرته بأن سفارة المملكة بالسلطنة ستشرع على الفور في اتخاذ كل الترتيبات المتعلقة بنقل الأسرة إلى الرياض.. ملأت جوانحه سعادة كبيرة وشكر الله سبحانه وتعالى الذي يسر له هذا الأمر، ثم شكر خادم الحرمين الشريفين على كرمه وإنسانيته.. وبعد انتهاء المكالمة أسرع إلى زوجته يزف لها خبر موافقة الملك عبد الله واهتمامه بالتوأم، فشعرت بفرح غامر أزال عنها مسحة الاكتئاب التي كانت تكسو وجهها منذ ولادة التوأم، وخفف عنها مشاعر القلق والحيرة، وبدأت الأسرة في إعداد نفسها للسفر.

(صفا ومروة) في الرياض

اتصلت السفارة السعودية في سلطنة عُمان بالأسرة واستكملت معها كل إجراءات واستعدادات السفر، وفي يوم الجمعة مطلع ذي الحجة ١٤٢٧هـ الثاني والعشرين ديسمبر ٢٠٠٦م غادرت الأسرة العاصمة مسقط، وكان في وداعها بالمطار كل أعضاء السفارة بجانب بعض المسؤولين في السلطنة وعدد غفير من الأهل والأرحام والأقرباء. وصل التوأم إلى مطار الملك خالد الدولي ليجد في استقباله أعضاء السفارة العمانية بالرياض وفريق من المختصين بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني وسيارة إسعاف نقلت التوأم مباشرة إلى مستشفى الحرس الوطني حيث كنت في استقباله بصحبة مجموعة من زملائي، وبعد أن رحبنا بجميع أفراد الأسرة نُقلت الطفلتان (صفا ومروة) إلى جناح الأطفال حيث خضعتا لبعض الفحوص السريرية الدقيقة اللازمة ثم راجعنا كل الفحوصات التي سبق أن أجريت لهما في مستشفيات بلدهما.. وتبع ذلك عقد جلسة مع والديهما لطمأنتهما، وإعلامهما بأن هناك فريق عمل متكامل سيتولى الإشراف الكامل على التوأم يضم متخصصين من جراحة الأعصاب والأعصاب وجراحة التجميل والتخدير وجراحة الأطفال وقسم الأطفال وقسم العناية المركزة والتمريض والفنيين وأخصائيي التأهيل والعلاج الطبيعي



فصل التوأم

الفريق الطبي

وكافة الأقسام المساندة، وسوف توفر لهما كل احتياجاتهما ومتطلباتهما ليشعرا أنهما بين أهلهم ولا يراودهم أي إحساس بالغربة. وشعرت الأسرة من أول وهلة بالامتنان لحسن الاستقبال والترحاب والحفاوة البالغة التي أحاطتها من جانب أسرة مدينة الملك عبد العزيز الطبية، وقد عبَّر محمد عن ذلك حين قال لقد جعلتنا هذه الحفاوة نسعد كثيراً بالوشائج والعلاقات القوية بين الشعبين السعودي والعُماني، وترجمنا إحساسنا هذا بالشكر لخادم الحرمين الشريفين كرجل وطن وأمة، وكملك إنسان يشمل بكرمه الفياض كل شعوب العالم على اختلافها.

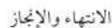
بالونات تحت الجلد

بعد استكمال كل الترتيبات اللازمة في مدينة الملك عبد العزيز للحرس الوطني، استُهلت إجراءات التعامل مع الحالة بفحوصات شاملة ودقيقة للتأكد من إمكانية فصل التوأم، ثم بدأت في تشكيل فريق طبي كبير تجاوز عدد أعضائه الستين عضواً، وعقد الفريق اجتماعات عديدة وأجرى دراسات دقيقة ومتأنية على التوأم، وبعد مشاورات مكثفة توصلنا إلى أن إمكانية الفصل واردة، ثم دخلنا في مناقشات مستفيضة حول طرق تمديد الجلد لتغطية الفراغ بعد الفصل، واتفقنا في النهاية على استخدام بالونات توضع تحت الجلد، وشرحنا كل هذه التفاصيل لوالدي التوأم، فأعربا عن موافقتهما للخطة التي وضعها الفريق.. وإثر ذلك تولى فريق جراحة التجميل عملية إدخال هذه البالونات تدريجياً لأن عملية نفخها تستمر أسابيع طويلة من أجل الوصول إلى الحجم المطلوب.. وخلال هذه الأسابيع واجهت الفريق مشكلة بسبب التهاب نتج عن إحدى البالونات، فاضطر إلى رفعها لتنظيف الجراح ثم إعادة تركيبها، وكان ذلك من أسباب تأخير عملية التمديد هذه.. وبعد ذلك عُقدت عدة اجتماعات بين الفريق الطبي والفريق الجراحي وأجريت فحوصات دقيقة للمخ مما حدا بنا إلى إعلان إمكانية الفصل، ولكنها تتطلب أجهزة دقيقة مثل جهاز الأشعة المقطعية المتنقل، وجهاز الملاحة الجراحي وجهاز الأبعاد الثلاثي الحجمي وجهاز الأشعة المقطعي المتحرك وغيرها من الأجهزة اللازمة لمثل هذه العملية النادرة، وذلك إضافة إلى صنع داعم خاص بطاولة العمليات لتسهيل وسلامة التخدير، وهو داعم يُصنع لأول مرة في العالم واكتملت مراحل تصميمه وتصنيعه بالكامل في قسم التخدير بمدينة الملك عبد العزيز الطبية وكان هذا إنجازاً طبياً لهذه المدينة العامرة.. وما أن توافرت الأجهزة حتى عكف الفريق الطبي على وضع خطة جراحية مكتوبة للعملية تضمنت سبع مراحل وحددنا نسبة ٦٠٪ لنجاحها.

محمد يؤثر صحة ابنتيه على صحته

بينما كنا نواصل جهودنا في استكمال هذه الإجراءات كي نتمكن من تحديد موعد العملية خلال أسابيع قليلة؛ تلقيت اتصالاً من محمد والد التوأم، وكانت نبرات صوته ضعيفة متكسرة، وأحسست أن أنفاسه تعلو وهو يحادثني، فأخبرني بأنه يعاني مشكلات في صحته وألمًا في صدره، فوجهته بالذهاب إلى غرفة الطوارئ على وجه السرعة حيث خضع إلى فحوصات أولية عاجلة قادت أطباء القلب إلى الاشتباه في وجود ذبحة صدرية وضيق في شرايين القلب وقرر الأطباء إدخاله إلى قسم القلب بالمستشفى





الانتهاء والإنجاز



فرحة النجاح

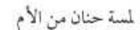
فصدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين على ذلك وتحمل كل تكاليف علاجه، وبالفعل أجريت فحوصات عديدة للتأكد من هذه المشكلة، وفي اليوم التالي زرت محمد في غرفته وشعرت بالاطمئنان عليه، لم يكن مهتماً بما طرأ عليه من مخاطر؛ بل كان كل تركيزه واهتمامه منصبًا على بنتيه، فطلبت منه أن يهدأ ويرتاح ويهتم بصحته ولا يقلق على التوأم لأن عملية الفصل ممكنة بإذن الله جل وبنسبة نجاح كبيرة تصل إلى ٦٠٪.

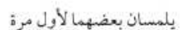
استمر محمد منومًا في قسم القلب، وفي هذه الأثناء عقد الفريق الطبي اجتماعه قبل الأخير الذي قرر فيه إجراء عملية الفصل في غضون عشرة أيام، في ذات الوقت الذي قرر فيه أطباء القلب إجراء جراحة لمحمد خلال أسبوعين لتغيير الشرايين الثلاثة التي تغذي عضلة القلب نظرًا لما أظهرته الفحوصات من ضيق ومشكلات واضحة يمكن أن تُهدِّد حياته.. وفي ضوء ما قرره أطباء القلب زرتُ محمدًا وأخبرته بضرورة خضوعه لعملية جراحية في القلب خلال هذه المدة الوجيزة، واقترحت عليه تأجيل عمليه فصل التوأم حتى يتعافى من الجراحة التي ستُجرى له لتصحيح وضع قلبه وحتى نطمئن على صحته، ولكنه ألَحَّ علينا متوسلاً راجيًا عدم تأخير عملية فصل التوأم لأجله، بل وطلب تأجيل عمليته إلى ما بعد نجاح عملية فصل صفاء ومروة.. كان هذا الطلب صعب جداً لأن الأطباء يدركون مدى مخاطرته بصحته من أجل فلذتي كبده؛ وقبل النزول على طلبه كان لا بد لي من استشارة جراح القلب المختص وأطباء القلب حول إمكانية تأجيل عملية الأب، فاتصلت بهم وطرحت عليهم رغبة محمد في تأجيل إجراء عمليته، فأفادوا بإمكانية ذلك بعد الاستمرار في تزويده ببعض الأدوية الخاصة التي تساعد على استقرار حالته إلى حين.

٦٠٪ نسبة نجاح عملية الفصل

عقد الفريق اجتماعه الأخير قبل عملية الفصل ونقلت لهم خلال الاجتماع ما طرأ على صحة محمد من مشكلات في القلب، ثم قررنا إجراء العملية يوم السبت ١٦ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٧ إكتوبر ٢٠٠٧م على أن تسبقها بيومين أي في يوم الأربعاء ٢٤ إكتوبر ٢٠٠٧م عملية تجريبية وهمية، وذلك بعد أن حقق التوأم الوزن المناسب (١١ كيلو غراماً) عقب إخضاعه لنظام غذائي مكثف. وبعد العملية الوهمية ذهبت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في مزرعته وأطلعته على هذه النتائج، فسألني حفظه الله عن تفاصيل العملية ونسبة نجاحها، فأخبرته أن هذه الحالة هي الأولى من نوعها التي نستقبلها في مدينة الملك عبد العزيز الطبية، وهي أول عملية التصاق بالرأس ستجرى في هذه المنطقة، ونقلت له مدى تفاؤل الفريق الطبي بنجاحها، فطمأنني كعادته بإمكانية النجاح بعد الاتكال والاعتماد على الله.. ثم استأذنته في الذهاب لأداء العمرة، وفي يوم الخميس اصطحبت زوجتي إلى مكة المكرمة، وبعد اكتمال النسك جلست قبالة الكعبة المشرفة أبتهل إلى الله عز وجل أن يوفقنا في هذه العلمية الصعبة التي نأمل أن تكون نجاحًا ورفعة للإسلام والمسلمين وأن يكتب الحياة للطفلتين ويسعد والديهما بهما، وبعد عودتي في يوم الجمعة اتجهت مباشرة إلى جناح الأطفال بالمستشفى لزيارة التوأم والاطمئنان عليه والتأكد من جاهزيته لإجراء الجراحة.




لمسة حنان من الأم


يلمسان بعضهما لأول مرة

وفي ساعات الصباح الباكر من يوم السبت تواتر حضور أعضاء الفريق الطبي عند باب غرفة العمليات.. ثم أُحضرت الطفلتان يتبعهما والداهما، وقبل الدخول إلى غرفة العمليات سألت محمد وزوجته ما إذا كانا يريدان الاستفسار عن شيء بعينه؟ فاكتفيا بإرسال دموعهما لوداع الطفلتين وانكبا عليهما يقبلانهما.

فصل أغشية المخ مرحلة حساسة

بدأت أولى مراحل العملية بالتخدير باستخدام طاولة صنعت خصيصًا لهذه العملية، وتولى صنعها فريق التخدير بالمستشفى، وكان هذا إنجازًا طبياً لهذه المدينة العامرة، وانتقلنا بعد ذلك إلى المرحلة التالية وهي مرحلة التعقيم ثم التغطية وتلاها فتح الجلد ثم فتح عظمة الجمجمة وهي مرحلة حساسة إلى حد كبير لأن تحت الجمجمة مباشرة أغشية المخ والمخ ويجب التأني والحذر في استخدام هذه الأجهزة ضمانًا لسلامة المخ، وأعقب ذلك محاولة فصل الأغشية بين الطفلتين، وهي أيضاً من المراحل الحساسة التي تتطلب قدرًا كبيرًا من الدقة لأن الأوردة الكبيرة في رأس المخ تنفصل بأقل من ثلاث ملليمترات، وهذا يستلزم من الزملاء في جراحة الأعصاب استخدام المايكروسكوب الجراحي بدقة عالية ضمانًا لسلامة الفصل دون حدوث نزيف يؤدي إلى فقدان التوأم لحياته.. مرّت هذه المرحلة ببطء شديد إلى أن تمكن الأطباء من فصل المخ وأغشية المخ بينهما بتوفيق الله سبحانه وتعالى، ثم فصل عظام الجمجمة من الخلف، وتلا ذلك قلب التوأم لفصل الجلد الذي يشكل المرحلة النهائية قبل فصل صفاء عن أختها مروة.. وبعد أن تكللت جميع مراحل العملية بنجاح كامل ولله الحمد نقلت كل واحدة منهما ولأول مرة على طاولة مستقلة وتولى الإشراف على كل واحدة منهما فريق جراحي مستقل لتبدأ بعد ذلك عملية الترميم والتأهيل لتغطية الرأس والتي اكتملت ولله الحمد، وبذلك تكللت جميع مراحل العملية بنجاح كامل.

التوأم يبحث عن بعضه

طغت الفرحة على وجوهنا جميعًا بهذا التوفيق الذي منَّ الله به علينا، وبينما نحن ننقل عبارات التهاني بين بعضنا تلقينا اتصالاً من والد الجميع الذي يفيض قلبه بمشاعر العطف والحنان خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله مهنئًا أعضاء الفريق الطبي على نجاحهم، كما هنأ والدي التوأم على سلامة بنتيهما، ثم وجهنا بالاهتمام بالتوأم إلى أن تكتمل جميع مراحل العلاج،.. واصطف أعضاء الفريق لالتقاط صورة تذكارية توثق لأول عملية فصل توأم ملتصق في منطقة الرأس باعتبار ذلك إنجازًا تاريخياً يضاف إلى الخبرة السعودية وإلى سجلات إنجازات الأمة العربية والإسلامية.. وما أن وضعت أولى خطواتي خارج باب غرفة العمليات حتى احتضنني محمد والد التوأم وعانقني عناقًا حاراً محاولاً تقبيل رأسي ولكني استطعت الإفلات منه، وتبينت أن دموعه بللت جزءاً من وجهي وثيابي ولكنها هذه المرة دموع فرح وسعادة، وكانت تلك لحظة بالغة التأثير، ونقلت الطفلتان إلى غرفة العناية المركزة حيث مكثتا قرابة الأسبوعين، وبدأتا في الإفاقة تدريجياً من آثار المخدر،



صفا ومروة في مطار مسقط بعد العودة

ثم أفاقتا تمامًا بعد ثلاثة أيام، ولاحظنا أن كل واحدة منهما ترفع يدها محاولة لمس أختها في تعبير تلقائي عن مشاعر العطف والحنان المشتركة بينهما.. فكان هذا المشهد مؤثرًا جداً في كل الحضور من أعضاء الفريق الطبي الذين عمدوا إلى تقريب الطفلتين من بعضهما، وما أن أحستا بقربهما حتى أمسكت كل واحدة منهما بيد الأخرى وكأنها تقول لأختها لقد افتقدت جزءًا من جسدي، ولعلي الآن أتشبث به حتى لا يفارقني مرة أخري.

تبديل شرايين محمد

وبعد نجاح العملية بعدة أيام أدخل محمد إلى غرفة العمليات حيث أجريت له بنجاح عملية تبديل الشرايين، وفرحت الأم فرحًا شديدًا وشكرت الله الذي وقف بجانب الأسرة، وتبدلت الهموم إلى فرح وأنس، والقلق إلى طمأنينة، والغم والاكتئاب إلى راحة نفسية. وبعد أربعة أيام من نجاح عملية محمد قرر خادم الحرمين الشريفين زيارة التوأم للاطمئنان على صحتهما وتهنئة والديهما بنجاح عملية الفصل ونجاح عملية الوالد، وكانت لحظة إنسانية تتداعى لها الوجدانيات حين وقف حفظه الله يداعب صفا ومروه بحنان أبوي فياض.. ثم كرَّم أعضاء الفريق الطبي بمنحهم أوسمة على هذا الإنجاز الذي يعد أحد إنجازات مملكة العطاء والإنسانية.

غادرت صفاء ومروه غرفة العناية المركزة بعد مرور أسبوعين ونقلتا إلى جناح الأطفال حيث بدأت مرحلة تأهيلهما تدريجياً إلى أن تأكد المختصون من استقرار حالتهما. وغادرت الطفلتان إلى بلدهما سلطنة عمان بعد عيد الأضحى المبارك عام ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، على أن تعودا بعد عدة أشهر لإجراء عملية تجميلية لتغطية عظام الجمجمة إن شاء الله تعالى.. وقبيل سفرهما أقيمت لهما مراسم وداع حافلة بالتأثر والحرارة في قسم الأطفال وفي مطار الملك خالد الدولي، وفي مطار مسقط استقبلهما أعضاء السفارة السعودية هناك وبعض مسؤولي الحكومة العمانية ووفد كبير من أسرتي أبويهما وتضمن الاستقبال كلمات ترحيبية وأبياتًا شعرية تهنئه بسلامتهما.



التوأم مع أخويهم بعد عملية ترميم الرأس



التوأم مع العائلة



١٩

بين الصفا والمروة

رجب ١٤٢٩هـ/ يوليو ٢٠٠٨م



زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم المغربي الثاني

بين الصفا والمروة

رجب ١٤٢٩هـ - يوليو ٢٠٠٨م

١٣ فردًا في البيت الكبير

نشأ سعيد في قرية صغيرة تبعد حوالي ١٥ كلم من مدينة الدار البيضاء في المغرب العربي، وفي بيت واحد مع والديه وإخوانه وأخواته وأطفالهم الذين بلغ عددهم جميعًا ١٣ فردًا،، وكعادة أهل الأرياف في بعض الدول العربية، فإن «البيت الكبير» جمع كل أطراف هذه الأسرة التي تعاني ظروفًا مادية صعبة بسبب دخلها المحدود. ولمَّا لم يوفَّق والدهم في الحصول على أي عمل يدرُّ له دخلاً يساهم به في تحمل أعباء المعيشة؛ فقد حمل سعيد - في وقت مبكر من عمره - مع أخيه الأكبر مسؤولية الصرف على الأسرة وتوفير متطلباتها بالقدر الذي أتاحته لهما فرص العمل المحدودة والمتقطعة. واتسم هذا البيت مثل العديد من بيوت القرية بقدر متواضع من التعليم إن لم يكن معدومًا؛ نظرًا لقلة المدارس ولما تتطلبه فرص الالتحاق بها من مصاريف لا تستطيع هذه الأسرة البسيطة توفيرها، ولهذا السبب ظلت عاجزة عن إلحاق أبنائها بالمؤسسات التعليمية.

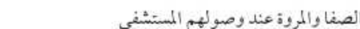
وعندما بلغ سعيد سن الزواج بدأ يبحث عن زوجة تساعده على الأقل في تحمل ظروفه النفسية الناتجة عن ضغط العمل وإرهاقه، ولعله يرزق منها بأطفال يثلجون صدره ويضيفون إلى حياته المتواضعة بعضًا من السعادة، وشاء الله أن يتعرَّف على أخت أحد أصدقائه وزملائه الذين جمعهما سويًّا العمل في صناعة الديكور والجبس بالدار البيضاء، وهي من الفتيات اللاتي نلن حظاً من التعليم بإكمالها للمرحلة الإعدادية، وسرعان ما أخبر والديه أن يذهبا للتعرف على أسرتها وطلب يدها، وبالفعل تزوجها ونقلها إلى قريته: «دوار أولاد عزوز»، فعاشت معه في بيت أسرته تساعد على تصريف الأعمال والأعباء المنزلية رغم صغر سنِّها، وتضيف إلى سعيد نوعًا من السعادة وتخفف عنه أعباء عمله وظروفه المعيشية الصعبة، وكانت هذه الزوجة - التي تزيد على زوجها في فرص التعليم - تحلم بأطفال يضيفون لها قدرًا من الإحساس بالسعادة والسرور والهناء، مرت الأيام والليالي وأصبحت حياتها مرتبطة بهذه الأسرة البسيطة، وبهذه القرية التي يتميز أهلها بالطيبة والكرم والشهامة والتواصل.

آلام وإرهاق وغثيان

استمرت حياة سعيد وزوجته - رغم تواضعها - خالية من المنغصات والمكدرات والتعقيد، حياة عفوية وبريئة، كما هو الحال في البيئات الريفية حيث البساطة والرضى والقناعة، وظلت الحياة تجري على هذا النحو السهل البسيط بصورة عادية. وبعد عدة شهور أحست الزوجة ببعض الآلام والإرهاق والغثيان، ونظرًا لصغر سنها وجهلها لم تدرك سببًا لذلك، ولمعرفتها بالظروف المعيشية للأسرة لم تطلب من زوجها مقابلة الطبيب، فبعد المسافة وتكاليف النقل والعلاج المصاحبة للاستشارات الطبية ليست في مقدور الزوج، ولذلك تجاهلت الأمر وظلت - رغم الإرهاق والتعب والتقيؤ - تتابع واجباتها المنزلية اليومية في البيت الكبير، وذات يوم استشارت والدتها حول هذه الأعراض التي تنتابها بين حين وآخر؟ فأخبرتها بأنها أعراض حمل وأنها ليست غريبة







الصفا والمروة عند وصولهم المستشفى

الصفا والمروة

على المرأة المتزوجة، فأحست بسرور وسعادة كبيرة لما قالته أمها، وحين أوضحت لزوجها أنها حامل؛ فرح فرحًا شديدًا وأصبح يقلب يديه ويعد الأيام والشهور انتظارًا للمولود القادم، وحلما سويًا برؤية هذا المولود، وهل سيرزقهما الله سبحانه وتعالى بولد أم بنت؟ وظلاّ يبحثان عن اسم يطلقانه على هذا المولود، ومرّت في خاطرهما أسماء كثيرة لإناث وذكور. ومع مرور فترة الحمل ووصولها إلى المراحل الأخيرة - وبالتحديد في الشهر السابع - أحست الزوجة بآلام في الجهة اليمنى من بطنها، فما كان منها إلا أن نقلت شكواها لوالدتها صاحبة التجربة والخبرة، فذكرت لها أن سبب تضخم حجم البطن عادة المصحوب بآلام شديدة ربما يكون علامة على الحمل بتوأم، قالت ذلك من واقع تجربتها إذ سبق أن أنجبت ثلاثة توائم لم تكتب لهم الحياة، ثم أنجبت توأماً آخر يبلغ عمرهما الآن ٢٨ عامًا وهما يعيشان حياة سعيدة، طغى عليها شعور بالسرور لهذا الخبر رغم آلامها وما يصاحبها من تعب وإرهاق وتقيؤ وغيرها.

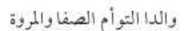
ابتسامة تتبعها صدمة

ومع اقتراب مرحلة الولادة لازمها الشعور بالتعب، ولذلك استشعر الزوج ضرورة مراجعة أقرب مركز صحي لأن هذا أول حمل لها وهو على غير العادة، وبالتالي لا يمكن أن تنجب في المنزل مثل نساء القرية. وقبل أيام من الولادة اشتد الألم، وازدادت أعراضها حدّة؛ فاضطرت الأسرة إلى نقلها على عجل إلى مستشفى ابن رشد بالدار البيضاء حيث أخضعها الأطباء على الفور إلى عملية ولادة قيصرية سريعة، وسيطرت على سعيد أثناء هذا الوقت حالة من التوتر والقلق، وظل يروح ويجيء في ممرات المستشفي وعينه على غرفة العمليات لعل أحد الخارجين منها ينقل له خبرًا يطمئنه على ولادة زوجته واستقرار حالتها؛ ولكن خُيِّل إليه أن الوقت يمر ببطء شديد، فازداد قلقه وخوفه، وبعد فترة انتظار ليست بالقصيرة؛ جاء الطبيب وبشره بالولادة، فأثلج هذا الخبر صدره، وعلت وجهه ابتسامة حين أكد له الطبيب أن حالة زوجته مطمئنة، ولذلك لم يكترث أو يهتم بقول الطبيب وهو يكمل حديثه: لقد ولدت زوجتك توأماً سيامياً، بل استمرت الابتسامة مرتسمة على شفتيه ولم يفارقه الشعور بالفرح؛ لأنه لم يكن يعرف أي معنى لهذا المصطلح، ثم شكر الطبيب وطلب منه رؤية الأطفال، وبعد فترة ليست وجيزة اصطحبه الطبيب لرؤية التوأم؛ فأخذته الصدمة لما تبيَّن أنه رزق بطفلتين ملتصقتين، ولم يستطع لحظتها التحدث؛ بل ألجمت المفاجأة فمه، ودارت في مخيلته أفكار عديدة وأصبح يرى الدنيا بمنظار أسود وتذكر أن حاله ضعيفة، وظروفه المادية محدودة جدًا، ذلك أن مجرد الانتقال من قريته إلى الدار البيضاء يمثل عبئا جسيمًا على ظروفه المادية؛ ناهيك عن علاج توأم ملتصق، خاصة وأن الطبيب أخبره أن علاج مثل هذه الحالات صعب ومعقد جداً، وتحتاج حالة التوأم إلى جراحة وتشخيص دقيق، ولا يمكن إجراء مثل هذه العمليات في المغرب، ولما أكمل استعراض هذا الشريط؛ جلس على أحد الكراسي القريبة من غرفة الولادة واضعًا رأسه بين يديه، ودموعه تنهمر بغزارة؛ ولأنه كان رجلاً مؤمنًا وفيًا صادقًا؛ تمكَّن من السيطرة على مشاعره، ولجأ إلى الله سبحانه وتعالى، واستقبل القبلة رافعًا يديه داعيًا الله أن يكون له عونًا ومساعدًا وألاّ يخيب له رجاء





الصفا والمروة عند وصولهم المستشفى



والدا التوأم الصفا والمروة

حلم في بداية الحمل

ذات ليلة صحت الزوجة من نومها - وهي في الأيام الأولى من بدايات حملها - خائفة مرتعبة؛ فقد رأت في منامها أنها تسير وسط غابة كثيفة الأشجار متشابكة الطرق، ثم سلكت ممراً ضيقاً في هذه الغابة، ورأت على جانبه مسجدًا باهر الأنوار، ولمَّا دخلته رأت رجلاً يقطر وجهه ضياء ونورًا وهو في حالة خشوع كامل، ورأت كذلك في مؤخرة المسجد امرأة تتلو القرآن وهي في حالة من الاستغراق والخشوع، وبعد برهة جاءها ذلك الرجل وفي يده شمعة مضيئة ما لبثت أن تفرَّعت إلى شمعتين سلَّمهما لها، بينما تولَّت المرأة التي تتلو القرآن الإشراف على ولادتها، ثم بشَّرتها بزيارة مكة المكرمة، فأشاع فيها هذا الحلم إحساسًا بالسرور والخوف في آن واحد، ولأنها لم تستطع تفسيره قررت أن تبقيه سرًا، وبالفعل لم تبح به إلا إلى زوجها الذي طمأنها بأنها بشارة طيبة ورؤية خير وفأل حسن لهما سوياً.

وبعد ولادتها لم تكن تعلم ما أنجبت، ولحظة إفاقتها من المخدر تلهفت لرؤية مولودها، وأخذت تسأل الأطباء والممرضات لمعرفة ماذا أنجبت؟، فأخبرها الطبيب أنها رُزقت بطفلتين ولكنه لم يُطلعها على التفاصيل، فاحتوتها فرحة كبيرة، وسكبت الدموع فرحًا بهذا الخبر السار، ولما أصرت على رؤيتهما دعا الطبيب زوجها سعيد ليتولى نقل المعلومة إليها، وفعلاً دخل عليها سعيد وهنأها بسلامتها وبسلامة الطفلتين، فسألته عن حالة ابنتيهما وعن وزنهما وشكلهما وعن بعض التفاصيل الأخرى، وحين رأته صامتًا كرَّرت رجاءها وألحَّت عليه بأن يخبرها. لم يستطع إجابتها؛ ولكنه عوضًا عن ذلك أمسك يدها وهو جالس على كرسي بجوارها، فحدَّقت النظر إلى عينيه فوجدتهما مليئتان بالدموع، قبلت يده وتوسَّلت إليه أن يخبرها بحقيقة الأمر، وتساءلت والشفقة تملأ قلبها الذي يكاد يقفز خارج صدرها: هل مات التوأم بعد ولادته؟ أم ماذا حدث له؟ وبعد أن أكمل بكاءه أخبرها بأنهما على قيد الحياة؛ ولكنهما ملتصقتين ولديهما عيوب خلقية تحتاج إلى وقت طويل من العلاج والجراحة، وإلى تكاليف مالية عالية لأن مثل هذه الجراحات لا سبيل لإجرائها داخل بلاده، وأنه لا يملك القدرة على التعامل معها، ولمَّا سمعت ذلك بكت بكاء عميقًا، ورفعت يديها إلى الله تعالى أن يكون لها عونًا ومعينًا، وأن يكشف عنها هذه الغمة. وبينما هي في هذا الحال استرجعت مخيلتها فجأة ذلك الحلم الذي حلمت به في بداية حملها، فالتفتت بسرعة إلى زوجها قائلة: ألا تذكر الحلم الذي أخبرتك به عن الرجل الذي سلمني شمعة انفصلت إلى شمعتين، وأنني سجدت لحظتها لله شكرًا ثم ولدت في المسجد، فكن متفائلاً فأنا واثقة بأن الله سيحقق حلمي بانفراج هذه الغمة.

استغاثة إلكترونية

وبالفعل بدأت رحلة العائلة، واجتهد سعيد في البحث عن مخرج، فما لبث أن جاءه الفرج عن طريق الطبيب المعالج الذي تولى عملية الولادة وأشرف على الحالة ومتابعتها، وهو الدكتور سيف الدين الذي لم يكن طبيبًا فقط؛ بل كان إنسانًا صادقا تعامل مع هذه الأسرة بقدر كبير من النخوة والمشاعر الإنسانية، فاتصل فورًا بأحد الأطباء المعروفين في كندا وزوده بكل التقارير



قبل بدأ العملية



عند بدأ العملية

الخاصة بالحالة وتفاصيلها بعد إجراء الفحوصات الأولية، وعلى ضوء ذلك تكثَّفت الاستشارات عبر صديق له مع استشاري قدير في مركز مرموق بكندا للاستنارة برأيه، وبعد هذه الاستشارات اتضح أن التوأم ملتصق في منطقة البطن والصدر ولهما عيوب خلقية في القلب، واشتراكات عديدة وعيوب في جدار البطن، وبعد التشاور بين الطبيب وصديقه أشار عليه بأن هناك مركزًا متميزًا في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض بالمملكة العربية السعودية، وطلب منه الاتصال به للاستشارة والإفادة عن هذه الحالة، ولمعرفة مدى إمكانية علاجها. وبالفعل أرسلت استغاثة العائلة والتفاصيل الطبية إلى الموقع الإلكتروني لمدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني، مشفوعة بطلب إلى الفريق الطبي بالمملكة العربية السعودية لدراسة الحالة والإفادة بمدى إمكانية علاجها، وفور تسلُّم المعلومات عن هذا التوأم الضعيف وأسرته البسيطة عكف الفريق على دراستها وفق ما توفر لديه من فحوصات وتحليلات، وبعد الدراسة كُلِّفت بعرضها على مقام خادم الحرمين رجل الإنسانية والوفاء ومحب الطفولة.

توجيه كريم

وتسنى لي خلال فترة وجيزة جمع صور التوأم من الموقع الإلكتروني بجانب كل المعلومات الخاصة به وبأسرته وعرضتها على مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في منزله، وفور اطلاعه - حفظه الله - على الصور والتقارير وجه بنقل التوأم ووالديه حالاً إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني وعلاج الحالة، ثم أخبرته - حفظه الله - بأن الوضع الصحي للتوأم يستدعي نقله بطائرة الإخلاء الطبي الجوي، فكانت استجابته سريعة، ووجه بنقل التوأم عن طريقها، حيث تفضل ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بإرسال طائرة الإخلاء الطبي لنقل الطفلتين على وجه السرعة مع الاهتمام بهما، وإعطائهما أفضل علاج بالمملكة، وبعد عدة أيام توجهت الطائرة إلى هناك تحمل فريقًا طبياً متخصصًا، ونُقل التوأم مع والديه من الدار البيضاء إلى مدينة الرياض حيث كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف، ثم نقلوا جميعا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية ليجدوا فريقًا طبياً وإدارياً في انتظارهم لينقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث استقبلهما طاقمها وفريق من قسم الأطفال والجهات ذات العلاقة، وتلا ذلك تقييم الحالة مبدئيًا، ثم وضع التوأم تحت إشراف طبي مشدد.

٦٠٪ نسبة نجاح فصل التوأم

لقد كنت في ذلك الوقت خارج المملكة؛ ولكن سارع الزملاء مشكورين إلى إكمال كل التحليلات والإجراءات الطبية على الوجه المطلوب، ثم اتصلوا بي لتزويدي بتفاصيل الفحوصات التي كشفت وجود التصاق في منطقة الصدر والبطن، وعدم اكتمال الجهة السفلية لجدار البطن مع وجود عيوب خلقية في القلب خصوصًا للتوأم المروة، ولذلك فإن الحالة تتطلب مزيدًا من الفحوصات الطبية الدقيقة، وعلى إثر ذلك شكلنا فريقا طبيًا متكاملاً شاركت فيه أقسام العناية المركزة وجراحة الأطفال وأمراض القلب للأطفال وأمراض الأطفال وتخصص جراحة التجميل وقسم التمريض والأشعة والعلاج التنفسي والتخدير وغيرها من التخصصات الطبية الأخرى. وتولى الفريق إجراء فحوصات متعددة ودقيقه، ثم عقدنا عدة اجتماعات لدراسة الحالة. وواكب ذلك دراسة مستفيضة



مرحلة القطع أثناء العملية



مرحلة فصل الأمعاء

لقلبي التوأم خاصة الطفلة المروة التي تعاني عيوبًا خلقية معقدة تطلبت بعض العلاجات والمتابعة الدقيقة من أخصائي القلب، ونظرًا لهذه المشكلات في قلبها؛ رأى الفريق أن إمكانية الفصل واردة وأن هناك احتمالاً كبيرًا في أن تصاب التوأم بهبوط في القلب مما استدعى الاستعجال لتقديم عملية الفصل، واتفقنا على أن نسبة النجاح لا تتجاوز ٦٠٪ نظرا لهذه المخاطر لدى التوأم. وكذلك أوضحت الفحوصات وجود اشتراك في غشاء القلب والكبد واشتباه اشتراك في الأمعاء وعدم اكتمال لجدار البطن. وعندما وصل وزن التوأم إلى قرابة ٧,٥٠٠ جرام اتفق الفريق الطبي على تحديد يوم السبت ٩ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١٢ يوليو ٢٠٠٨م موعدًا لإجراء عملية الفصل على أن تسبقها عملية تجريبية وهمية يوم الأربعاء ٦ رجب الموافق ٩ يوليو ٢٠٠٨م.

العملية الوهمية

وفي اليوم المحدد للعملية الوهمية؛ استدعيت والدي التوأم وتحدثت لهما عن تفاصيلها بدقة، وبيّنت لهما نسبة خطورتها ونجاحها ثم أجبت على أسئلتهما بكل دقة وشفافية، ولما كانت ثقتهما في الله سبحانه وتعالى لا تحدها حدود، بجانب ثقتهما المتناهية



لحظات وداع الأم للتوأم قبل بدء العملية







مرحلة الفصل أثناء العملية

مرحلة بعد الفصل

في الفريق الطبي، وما يتصفان به من أخلاق عالية؛ فقد وافقا على إجراء العملية دون تردد، وبالفعل وقعا على هذه الموافقة وحضرا إلى غرفة العمليات لمتابعة مراحل العملية التجريبية وتجهيز غرفة العمليات. وفي الساعة الرابعة عصرًا احضر التوأم برفقة والديه، وتواجدت كذلك بعض وسائل الإعلام لتوثيق هذا الحدث. وبدأ الفريق الطبي في مراجعة خطة العملية الجراحية بكل تفاصيلها ومراحلها ومخاطرها والعيوب الخلقية في قلب التوأم المروة، ونوع الأدوية التي سوف تستخدم، وحدد بعد ذلك مسؤولية كل فريق فرعي، ثم تأكد من كوادر التمريض والفنيين ومن اكتمال التجهيزات المطلوبة لأحداث العملية، بل ومن كل الإجراءات اللازمة لمنع المضاعفات لا سمح الله. وبعد اكتمال مراحل العملية الوهمية التي استغرقت قرابة الساعة والنصف توليت شرحها لوالدي التوأم، فأعربا عن تقديرهما لهذا الاهتمام الكبير من قيادة المملكة العربية السعودية ومن الفريق الطبي الذي يباشر مهماته بقدر عال من الأخلاق والشفافية والحب والوفاء. وقرر الجميع أن تكون نهاية الأسبوع استراحة للفريق الطبي حيث تقرر إجراء العملية في الثامنة من صباح السبت ٩ رجب ١٤٢٩ (١٢ يوليو ٢٠٠٨) وبالفعل غادر التوأم مع والديهما إلى جناح الأطفال رقم ٧.

قلق وحيرة وشحوب

في الساعة السابعة من صباح اليوم المحدد للعملية (٩ رجب ١٤٢٩هـ)؛ احضر التوأم إلى غرفة ما قبل العمليات بصحبة والديهما، ثم اتجهت بصحبة زملائي أعضاء التخدير إلى هذه الغرفة حيث قابلنا والدي التوأم وشرحنا لهما تفاصيل العملية مرة أخرى، لاحظنا أن الأم قلقة شاحبة الوجه، تبدو عليها علامات الحيرة، ودموعها متصلة على الدوام؛ ولكنها كانت تبكي بهدوء وتمسح دموعها وهي تقبل طفلتيها، وكذلك انكبَّ عليهما سعيد يقبلهما ويودعهما، وهو رغم قلقه كانت لديه ثقة كاملة في الله سبحانه وتعالى ثم في الفريق الطبي، وبعد هذه اللحظات المؤثرة على النفس والتي أظهرت بجلاء مدى علاقة والدي التوأم بطفلتيهما وعلاقتهما بالفريق الطبي؛ نُقل التوأم إلى داخل غرفة العمليات ثم إلى طاولة العمليات حيث شرع الفريق في عمليات التجهيز، وباشر فريق التخدير إدخال القساطر الوريدية والقساطر الأخرى والأكسجين استعدادًا لبداية التخدير مستهلاً خطواته بتخدير التوأم المروة ثم شقيقتها الصفا دون أي مشكلات تذكر ولله الحمد. ثم أدخلت القساطر الوريدية المركزية ثم القساطر في الشريان لمراقبة ضغط الدم ولأخذ عينات منه وكذلك القساطر البولية، وبعد اكتمال عملية التخدير التي استغرقت ساعتين ونصف الساعة بدأت مرحلة التعقيم، وقام الفريق الطبي بتعقيم التوأم وتغطيته بأغطية جراحية معقمة وتبعها تحديد منطقة الجراحة والفصل بواسطة أخصائيي جراحة الأطفال وجراحة التجميل، وأعقبتها مرحلة فتح الجلد والأغشية التي تحته ثم فتح منطقة البطن وأسفل الصدر حيث تبين وجود اتصال في أغشية القلب والإثني عشر والأمعاء الدقيقة بمسافة لا تقل عن قدمين، وبدأ الفريق بفصل أغشية القلب دون مشكلات، ثم فصل الكبد باستخدام تقنية عالية تمثلت في (الكي عن طريق الليزر والكهرباء واستخدام مشرط الأشعة فوق الصوتية) لتقليل كمية الدم المفقود، وفي هذه الأثناء أصيبت التوأم المروة بنقص في الأكسجين مما اضطرنا إلى التوقف لمدة نصف ساعة كي يتمكن فريق التخدير




بعد خروج التوأمين من غرفة العمليات



أم التوأم تقبل رأس رئيس الفريق الطبي بعد العملية

من علاج الحالة بإعطائها بعض الأدوية حتى تستقر حالتها بما يمكن الفريق الجراحي من استئناف عمله لإكمال كل المراحل. لا شك أن مثل هذه الأحداث تقلق الفريق الطبي، خصوصاً وأن وسائل الإعلام حاضرة، وهذا مما قد يعرض الفريق الطبي إلى بعض الضغط النفسي ناهيك عن متابعة والدي التوأم للعملية. ولكن لطف الله سبحانه وتعالى أنقذ الموقف، فاستقرت حالة المروة واستمر الفريق في عمله فأكمل فصل الكبد دون مشكلات، وتبعها بفصل الإثني عشر والأمعاء الدقيقة وإعطاء كل توأم جزءًا من الأمعاء يمكنه من العيش مستقبلاً دون مشكلات، ثم فصل جدار الصدر من الخلف وجدار البطن من الخلف أيضاً، وبعد حوالي ١٣ ساعة تمكنا من فصل الطفلتين ووضعت كل منهما في طاولة مستقلة ليكمل الفريق الطبي مراحل وضع الأمعاء والأجهزة في مكانها. واستغرقت هذه المرحلة قرابة ساعتين ونصف الساعة، وبعد حوالي ١٥ ساعة ونصف اكتملت كل مراحل العملية بتوفيق من الله سبحانه وتعالى بنجاح، وفي نهايتها اصطف الفريق الطبي لالتقاط صورة توثيقًا لهذا النجاح، ونقلت الطفلتان إلى خارج غرفة العمليات في طاولتين منفصلتين.

همس مقلق

وبالفعل خرجنا من غرفة العمليات ليكون في استقبالنا والدي التوأم والسفير المغربي وحشد كبير من الزملاء ووسائل الإعلام التي كانت تنقل العملية حية على الهواء، فعانقني والد التوأم بحرارة وقبل رأسي رغم محاولتي للمقاومة شكرًا لله سبحانه وتعالي ثم شكرا للفريق الطبي على هذا النجاح، ثم كانت والدة التوأم التي ودعت طفلتيها بدموع غزيرة استقبلتهما كذلك بنفس الدموع وفرحة سعادة كبيرة جعلتها تندفع -دون تفكير منها- لتقبيل رأسي رغم تراجعي ومحاولة الابتعاد بسرعة كي أحول دون ذلك، وربما لها العذر لأن فرحتها كانت أكبر من أن تفكر في مراعاة الضوابط والتقاليد العربية، ولا أعتقد أن أحدًا يستطيع لوم هذه السيدة التي جاشت مشاعرها عقب رؤية طفلتيها منفصلتين. مع هذه المشاعر اصطحبنا الوالدين مع طفلتيهما إلى غرفة العناية المركزة حيث وضعتا تحت مراقبة مشددة، وبعد أن أطمأن الفريق عليهما؛ اصطحبنا والدي التوأم إلى قاعة الاجتماعات الكبرى بالمستشفى حيث كان هناك تصريح صحفي لوسائل الإعلام، وبينما كنا نعيش نتيجة هذا الحدث المفرح لاحظت أن أحد الزملاء يدخل القاعة ويتجه إلى اثنين من أعضاء فريق العناية المركزة وهمس في آذانهم فغادرا القاعة دون إحداث أي ضجة وتبعهما طبيب التخدير، ورغم ما اعتراني من قلق في تلك اللحظة؛ إلا أنني حاولت جاهدًا السيطرة على أعصابي لأن الحدث كان منقولاً حياً على الهواء، تمكنت بالفعل من مقاومة مشاعر القلق كي لا يشعر الحضور أن ثمة مشكلة قد طرأت على التوأم، ارتفعت حدة الشعور بالقلق في داخلي لأنني كنت أعلم أن خروج الزملاء يعني وجود مخاطر طارئة على التوأم، وإزاء ذلك أنهيت التصريح الإعلامي وتقدمت ممثلي الإعلام إلى الخارج وأوهمتهم بأني ذاهب إلى منزلي، إلا أنني اتجهت صوب مدخل آخر من المستشفى واتجهت مباشرة إلى غرفة العناية المركزة، وبالفعل وضح لي أن قلقي كان في محله إذ تبين أن التوأم المروة بدأت تعاني مشكلات كبيرة في جهاز التنفس وفي نسبة الأكسجين في الدم ومن اختلال في الدورة الدموية ومكثنا ساعة طويلة مع الزملاء في قسم العناية المركزة وفي تخصص قلب الأطفال



الصفا والمروة بعد العملية



الفريق الطبي



والتخدير نراقب هذه الحالة ونتابعها ونحاول جاهدين معالجة قلب التوأم المروة الذي كنا نعلم أنه سيتعرض لبعض المضاعفات، استقرت الحالة بعد حوالي ساعات عدة وشعرنا ببعض الاطمئنان ثم توجهنا بعده إلى منازلنا.

تميُّز ومهنية عالية

وبعودتنا في السادسة من صباح اليوم التالي وجدنا المروة تعاني تداعيات المشكلة نفسها، واستمرت تعاني من عدم استقرار في قلبها لعدة أيام إلى أن بدأت تدريجياً في التحسن والاستقرار، وشرعنا في اتخاذ خطوات وإجراءات عديدة لمساعدتها ومن ذلك إدخال عدة أدوية وأجهزة للتنفس، مع محاولة لفك ضغط جدار البطن بتوسيع أغشية البطن باستخدام جلد صناعي مؤقت، واتسمت هذه المحاولات بالتميز وبمهنية عالية نتج عنها - بعد توفيق الله سبحانه وتعالى - استقرار حالة التوأم المروة وعادت إلى وضعها الطبيعي. أما حالة التوأم الصفا فقد شهدت استقرارًا منذ البداية مما دعانا إلى رفع أجهزة التنفس عنها بعد أيام، ثم أقبلت على الرضاعة وتناول الطعام دون مشكلات، وبعد ٣ أسابيع استقرت حالة التوأم المروة وبدأت تتناول الرضاعة عن طريق الأنبوب، وتلا ذلك استقرار تدريجي لحالتها فتنفس الفريق الطبي الصعداء، وعلت الابتسامة وجهي والديها.

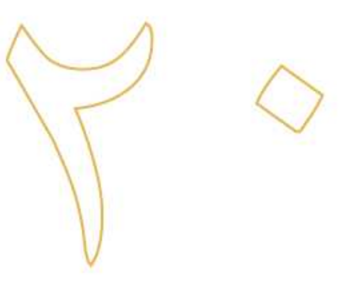
الملك الإنسان يتابع من المغرب

ومع الاستقرار الكامل للحالة سيجري الفريق الطبي عملية تصحيحية للعيوب الخلقية خلال الأشهر القادمة إلى أن تعود بإذن الله مع أختها ووالديها إلى دولة المملكة المغربية الشقيقة، ونتمنى أن يكون هذا النجاح نجاحًا للأمة العربية والإسلامية. الجدير بالذكر عند إجراء العملية كان رجل الوفاء والأبوية والإنسانية خادم الحرمين يقوم بزيارة رسمية لدولة المغرب، ورغم مشاغله إلا أنه تابع العملية وراقبها عن طريق وسائل الإعلام، وكعادته اتصل بالفريق الطبي مباركًا هذا النجاح، كما هنأ والدي التوأم وأعضاء الفريق فأثلجت هذه المبادرة وهذه اللفتة الأبوية الحانية صدور الجميع . كما أجرى ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظه الله اتصالاً مماثلاً، وبهذين الاتصالين الكريمين يؤكد الملك وولي عهده الأمين أن قيادة هذا الوطن قيادة أبوية تدعم النجاح وتحرص بقوة على مساعدة الأطفال، وأنها تمثل رمزًا حقيقياً وواضحًا للإنسانية في العالم أجمع .



الصفا بعد الخروج من العناية المركزة





عثرات بين المحلية والرياض

شوال ١٤٢٩هـ/ أكتوبر ٢٠٠٨م





زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم العراقي الثاني

عثرات بين المحلبية والرياض

شوال ١٤٢٩هـ - أكتوبر ٢٠٠٨م

مؤشرات حمل مبكر

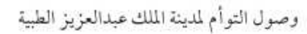
«وعد وصفاء» زوجان في مطلع العشرينيات من عمرهما، يعيشان في قرية صغيرة بمنطقة المحلبية التي تبعد حوالي ٦٠ كلم عن مدينة الموصل بجمهورية العراق الشقيقة، جمعهما عش الزوجية في بيت متواضع في ظل ظروف مالية وأسرية صعبة، ومع ذلك فهما يتطلعان دومًا ولا يفارقهما الأمل في أن يكشف الله سبحانه وتعالى كربة العراق ويحوِّل مأساته إلى طمأنينة، وأن يحل السلام والرخاء محل الرصاص والقنابل والأشلاء والدماء، حتى تستقرَّ حياتهما ويشعرا بالأمن في بيئة أسرية واجتماعية آمنة ومتجانسة متحابة، وأن يخلو العراق من المنغصات المصاحبة لحالة التناحر والتقاتل والتصفيات التي تعصف به.

ومع مرور الأيام كانا يتطلعان إلى أن يرزقهما الله طفلاً يملأ حياتهما سعادة رغم حالة الذعر العام وعدم الاستقرار التي أصبحت سمة غالبة على أهل البلد، وهما يدركان أن أبلغ درجات السعادة تكمن في أن يمنَّ الله عليهما بذرية صالحة، وشاء الله أن يستجيب لرغبتهما، إذ بدأت صفاء بعد مدَّة تشعر بإرهاق وبعض الآلام الخفيفة وغثيان مصحوب بقيء في فترات الصباح؛ فطمأنتها والدتها ووالدة زوجها-بعد أن لاحظتا انزعاجها-بأن هذه مؤشرات على وجود حمل. فرحت بهذه البشرى وإن لم يفارقها القلق مع أول تجربة لها مع الحمل وتجهل كل شيء عنها بسبب صغر سنها. ورغم حالات التعب والإرهاق؛ لم يتسن لها مراجعة الأطباء لأن الأوضاع الصحية في العراق ما زالت مقترنة بالحالة السائدة التي تشير بوضوح إلى نقص واضح في الخدمات الصحية، كما أن الإمكانات المتاحة منها مشتته ومتفرقة ولا تكاد تفي بمتطلبات الحالات الحرجة، والمعدات والتجهيزات الطبية رغم قلتها أضحت قاصرة ومحصورة في المدن الكبيرة. احتملت صفاء هذه الأعراض التي تزايدت مع مرور أشهر الحمل الأولى. وما أن اتَّضحت علامات الحمل أكثر فأكثر حتى أحس «وعد» بأن مشاعر السعادة تملأ قلبه، وظلَّ يترقَّب اليوم الذي تضع فيه زوجته ويحمل طفله بين يديه يداعبه ويلاعبه، وسأل الله أن يرزقه طفلاً ذكرًا يحمل اسمه ويساعده في المستقبل على تحمُّل أعباء المعيشة.

وعد يتلهَّف لخبر سار

لم ينل «وعد وصفاء» حظاً من التعليم في مراحله المتقدِّمة، وبقي مستواهما التعليمي محدودًا وقاصرًا على المراحل الأولى، وما ذلك إلا لأن الظروف التي ألَّمت بالعراق، ومناخ الحرب وعدم الاستقرار قلَّلا كثيرًا من الفرص التعليمية، وأضعفا الرغبة في مواصلته. تقدّمت صفاء في مراحل حملها، وتضخَّم بطنها وتكوَّر بصورة كبيرة تبعًا لذلك، ولم يدر بخلدها ولا زوجها بأن هذا الحمل عبارة عن توأم ناهيك عن أن يخرج بعيوب خلقية أو أية مشكلات أخرى. وفي الأيام الأخيرة للحمل ازدادت حدة الألم لدى الزوجة، بينما ظروف الأسرة تبدو أكثر صعوبة، وعندما أحست باقتراب موعد الولادة، كان لا بد لهما من مراجعة أحد المستشفيات حيث أُخضعت حالاً لعملية ولادة قيصرية تحت ظروف اتسمت بصعوبة شديدة، وفي هذه الأثناء كان وعد ينتظر في لهفة وشغف مترقباً من يزف له البشرى السعيدة، وما هي إلا لحظات حتى بُشِّر بولادة توأم من الذكور، ففرح فرحًا شديدًا،





وصول التوأم لمدينة الملك عبدالعزيز الطبية



استقبال إياد وزياد في العناية المركزة العملية

وطغت على وجهه ملامح السعادة والسرور؛ غير أن هذه المشاعر لم تكتمل ولم تدم طويلاً؛ إذ جاءه ما لم يكن يتوقَّعه، نقلوا له خبرًا صدمه وشكَّل له مفاجأة كبيرة، فالطفلان ملتصقان ويحتاجان إلى عناية طبية فائقة، واستدعت الحالة نقل الأم وطفليها إلى مستشفى أكبر مختص بالأطفال من أجل العناية بالطفلين خوفًا من أن يفقدا حياتهما. وبعد ذلك كان لزامًا على الزوج نقل هذه المعلومات إلى زوجته الصغيرة، فتيسَّر له لقاؤها بعد أن أفاقت من آلام الولادة وتأثير المخدِّر فنظر إليها وهو عاجز عن حبس دموعه المنحدرة بغزارة على خدَّيه ولم يستطع إخفاءها عنها، فاستغربت الزوجة الصغيرة لبكائه، وتساءلت بينها وبين نفسها كيف له استقبال أول مولود له بهذه الدموع، وتأكد لها أنها ليست دموع فرح على الإطلاق، ساورتها الظنون والوساوس، وفسَّرت بكاءه بالحزن على طفله الذي فقد حياته، ثم توسَّلت إلى زوجها وألحَّت عليه أن يخبرها بحقيقة الأمر، وما إذا أصاب وليدها مكروه؟! إلا أنه سارع إلى إخبارها بأنها ولدت طفلين وهما على قيد الحياة، فانتابها شعور بالفرح مشوب ببعض القلق، فظلَّت تنظر إليه بإشفاق لتعرف سرَّ بكائه، فأكمل حديثه مبيناً لها أن الولدين ملتصقان، ويحتاجان إلى عناية طبية كبيرة، فقطعت حديثه بنوبة بكاء شديدة، وأمسكت بيده تشدُّها إليها محاولة تقبيلها لعل ذلك يُخفف عنها مشاعر الحزن والأسى التي سيطرت عليها في تلك اللحظة.. وكانت تلك أولى الصدمات في حياة هذين الزوجين الصغيرين، ومع ذلك فقد أمدَّهما إيمانهما في الله عز وجل في أن يستعيدا ثباتهما، وأن يشرق في نفسيهما الأمل في أن تنفرج هذه الكربة. هدأ قلقهما وانزعاجهما من منطلق الثقة في الله سبحانه وتعالى، ويقينًا بأنه عز وجل سيفتح لهما طريقًا لمساعدة الطفلين، ويعينهما بقدرته على تجاوز هذه الحالة.

٤ كيلوجرامات فقط وزن التوأم

نُقل هذان الطفلان البرئيان إلى مستشفى الأطفال بمدينة الموصل بمساعدة الأطباء الذين أشرفوا على ولادتهما، ومنحوهما قسطًا وافرًا من اهتمامهم وعنايتهم، بل وبذلوا جهدًا في مساعدة والديهما من الناحيتين النفسية والمعنوية، وقدَّموا لهما رعاية كاملة من أجل تخفيف آلامهما ومصابهما. وإثر ذلك انطلقت رحلة «وعد وصفاء» في البحث عن مخرج بمساعدة فريق الأطباء الذي كان حريصاًعلى صحة التوأم التي كانت سيئة جداً، أولاً لأن وزن الطفلين سوياً لم يكن يتجاوز ٤ كيلوجرامات، وثانيًا لأنهما يعانيان مشكلات في التنفس والتهابات متعدِّدة وُضعا بسببها تحت العناية المركزة. وكان الفريق الطبي يدرك أن إمكانية فصل هذا التوأم في العراق غير ممكنة، مع وجود خطر على حياتهما إذا مكثا في مستشفى الأطفال، لذا فقد شرع في البحث عن حل، وأثمرت جهوده الكبيرة التي بذلها لمساعدة هذين الطفلين اللذين اختار لهما والداهما اسمي زياد وإياد. إذ استنفر رئيس الفريق الطبي زملاءه للبحث عن مراكز الخبرة المختصة، إلى أن عرف أن لمدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني بالرياض خبرة غنية ومتراكمة وشهيرة في الجراحات السيامية، ثم بدأ يبحث عن وسيلة اتصال بها، وبالفعل وبعد وقت ليس بالقصير اتصل بي أحد الأطباء العراقيين الذين يعملون في المملكة العربية السعودية طالبًا الاستئذان في السماح له بتزويد رئيس الفريق الطبي العراقي برقم الاتصال بهذه المدينة الطبية العامرة، وبعنوان الشبكة العنكبوتية للتوائم السيامية، واستمر هذا الطبيب بالتواصل معنا عن طريق هذه الشبكة، وكان الرد عليه سريعًا جداً، فبعد أن وصلت المعلومات إلى المدينة؛ طلبنا منهم التقارير الطبية فأرسلوها إلينا خلال أيام معدودات.



إياد وزياد في العناية المركزة





الولدان يجتمعان مع الفريق الطبي قبل العملية

موافقة كريمة وتفاعل مباشر

وبعد أن أصبحت التقارير مع صور التوأم متاحة لدينا؛ توليتُ عرضها على مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، فوجَّه بقبول الحالة وعلاج التوأم إياد وزياد، وإحضارهما على وجه السرعة. كما تفاعل مع هذه الحالة ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز الذي وجَّه بدوره طائرة الإخلاء الطبي لإحضار التوأم. وبالفعل نقلتُ هذه البشرى السارة إلى الطبيب المعالج بالعراق الدكتور أسامة المشهداني عبر اتصال هاتفي، فأعرب عن فرحه بهذه الاستجابة السريعة، ونقلها بنفسه إلى والديْ التوأم ففرحا فرحًا شديدًا، غير أن هذه الفرحة اصطدمت بعقبة استخراج جوازات سفر للتوأم ووالديه؛ لأن استخراجها في ظل الظروف السياسية التي يعيشها العراق يستغرق وقتًا طويلاً جداً، فأخطر الملك عبد الله بهذه الصعوبات، وما أن أحاط بها - حفظه الله - حتى وجهني بأن أتولى الاتصال بمحافظة المدينة وبالجهات الرسمية في العراق لاستخراج هذه الأوراق الرسمية على عجل حفاظًا على صحة التوأم، وبالفعل أثمرت الاتصالات واستُخرجت الجوازات وأزيلت كل العقبات والعوائق التي تحول دون وصول التوأم إلى المملكة العربية السعودية، وغادرت طائرة الإخلاء الطبي على متنها فريق طبي بكامل تجهيزاته، وهبطت رغم المخاطر في مطار مدينة أربيل حيث نُقل التوأم بصحبة فريقنا الطبي وآخر من العراق الشقيق إلى مدينة الرياض ثم إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية في أوائل أبريل ٢٠٠٨م حيث كان في استقباله فريق طبي متخصص تولى العناية بالتوأم الذي كانت حالته الصحية حرجة جداً. وفور نقل الطفلين إلى غرفة العناية المركزة للأطفال، وُضعا تحت مراقبة دقيقة وأخضعا لأجهزة التنفس الاصطناعي لعدة أيام بسبب معاناتهما من مشكلات في التنفس الطبيعي إضافة إلى التهاب بكتيري مما دفع الأطباء إلى تزويدهما بالمضادات الحيوية، واستغرقت هذه العملية حوالي ثلاثة أسابيع إلى أن استقرت الحالة. وأعقب ذلك تشكيل فريق طبي متكامل للاهتمام بهما وإجراء الفحوصات الطبية اللازمة لهما، ثم تشكَّل الفريق الطبي





المنظار

مرحلة التخدير

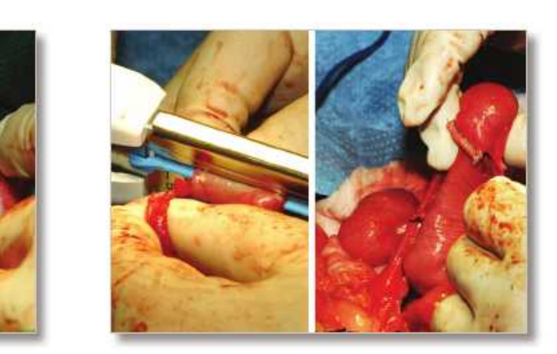
الذي ضمَّ أكثر من ٧٠ مختصاً يمثلون كافة التخصصات من أقسام: جراحة الأطفال، والتخدير، والأطفال، وجراحة التجميل، والتمريض، والأشعة، والمختبر، والعلاج الطبيعي، والعلاج التنفسي، والصيدلة، والخدمات الاجتماعية، وعلاقات المرضى بجانب أقسام أخرى متعددة شاركت جميعًا في الاهتمام بهذا التوأم الذي كان يعاني مشكلات طبية كثيرة.

انتكاسة ثم تفاؤل

وبالفعل عقد الفريق الطبي سلسلة اجتماعات وجلسات، وأجرى فحوصات عديدة لدراسة حالة التوأم، وبينما كان الفريق الطبي يواصل مهماته هذه؛ انتكست حالة التوأم مرة أخرى، فاضطررنا إلى وضعه تحت العلاج التنفسي الاصطناعي لأسابيع إضافية قليلة نظرًا لوجود التهاب في الجهاز التنفسي، وآخر بكتيري في الدم. وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى ثم بخبرة الفريق الطبي؛ شهدت الحالة الصحية للتوأم تحسُّنًا ارتفعت معه درجة التفاؤل لدى الفريق الطبي.. وفي هذه الأثناء أظهرت نتائج الفحوصات الطبية التصاق التوأم في منطقتي الصدر والبطن مع اشتباه في وجود اشتراك في أغشية القلب والكبد والأمعاء الدقيقة ابتداءً من منطقة الإثني عشر، واشتباه بوجود اشتراك في البنكرياس والقنوات المرارية إضافة إلى عدم اكتمال جدار البطن السُّفلي. وما أن ظهرت نتائج هذه الفحوصات؛ حتى توحَّد رأي الفريق الطبي على إمكانية الفصل إذا استقرت حالة التوأم ووصل إلى الوزن المناسب، إذ كان وزنه في ذلك الوقت لا يتجاوز ٤ كيلوجرامات ونصف الجرام، ولذلك خصصنا برنامجًا مكثفًا لتغذيته ومراقبته مراقبة لصيقة، وشاركت أقسام الأطفال والعناية المركزة والتغذية والتأهيل وأقسام أخرى متعددة في وضع برنامج مركَّز لرفع وزنه عن طريق التغذية المناسبة، واستغرقت هذه المرحلة حوالي ٤ أشهر إلى أن بلغ وزنه مجتمعًا ما يقارب ٨ كيلوجرامات. وخلال هذه الأشهر عقدنا عدة اجتماعات لهذا الفريق ذي التخصصات المتعددة، ثم أضيفت له بعض التخصصات الدقيقة للتأكد من سلامة الطفلين بعد أن أظهرت الفحوصات معاناتهما من مشكلة في نمو القصبة الهوائية خصوصًا لدى التوأم إياد الذي كان بحاجة إلى أكسجين وتأهيل تنفسي.

٣٥٪ نسبة الخطورة

باكتمال الفحوصات والدراسة المتكاملة اتفق أعضاء الفريق الطبي على أن إمكانية الفصل واردة، وحدَّدوا على ضوء ذلك نسبة الخطورة التي رأوا أنها تصل إلى حوالي ٣٥٪، أي أن نسبة نجاح عملية الفصل تبلغ ٦٥٪، ومع هذه النسبة وموافقة الفريق الطبي على إجراء العملية استدعينا والدي التوأم وشرحنا لهم كافة تفاصيل الفحوصات الطبية ومخاطر العملية وحجمها ومدَّتها وما إلى ذلك. وبعد إلمامهما بهذه التفاصيل أعربا عن ثقتهما الكاملة في الله سبحانه وتعالى، ثم في الفريق الطبي وأبديا موافقتهما على استمرار الفحوصات الطبية وعلى إجراء العملية الجراحية نفسها.. وبناءً على ذلك حددنا موعدًا مبدئيًّا للعملية؛ إلا أن حالة التوأم إياد ساءت وأصابه التهاب وضيق في التنفس مما اضطرنا إلى وضعه تحت التنفس الاصطناعي، ولحقه بعد عدة أيام التوأم زياد الذي وضع بدوره تحت العلاج التنفسي لما يقارب ١٠ أيام، ورغم استقرار حالة التوأم إلا أن الفريق الطبي آثر الانتظار لمدة



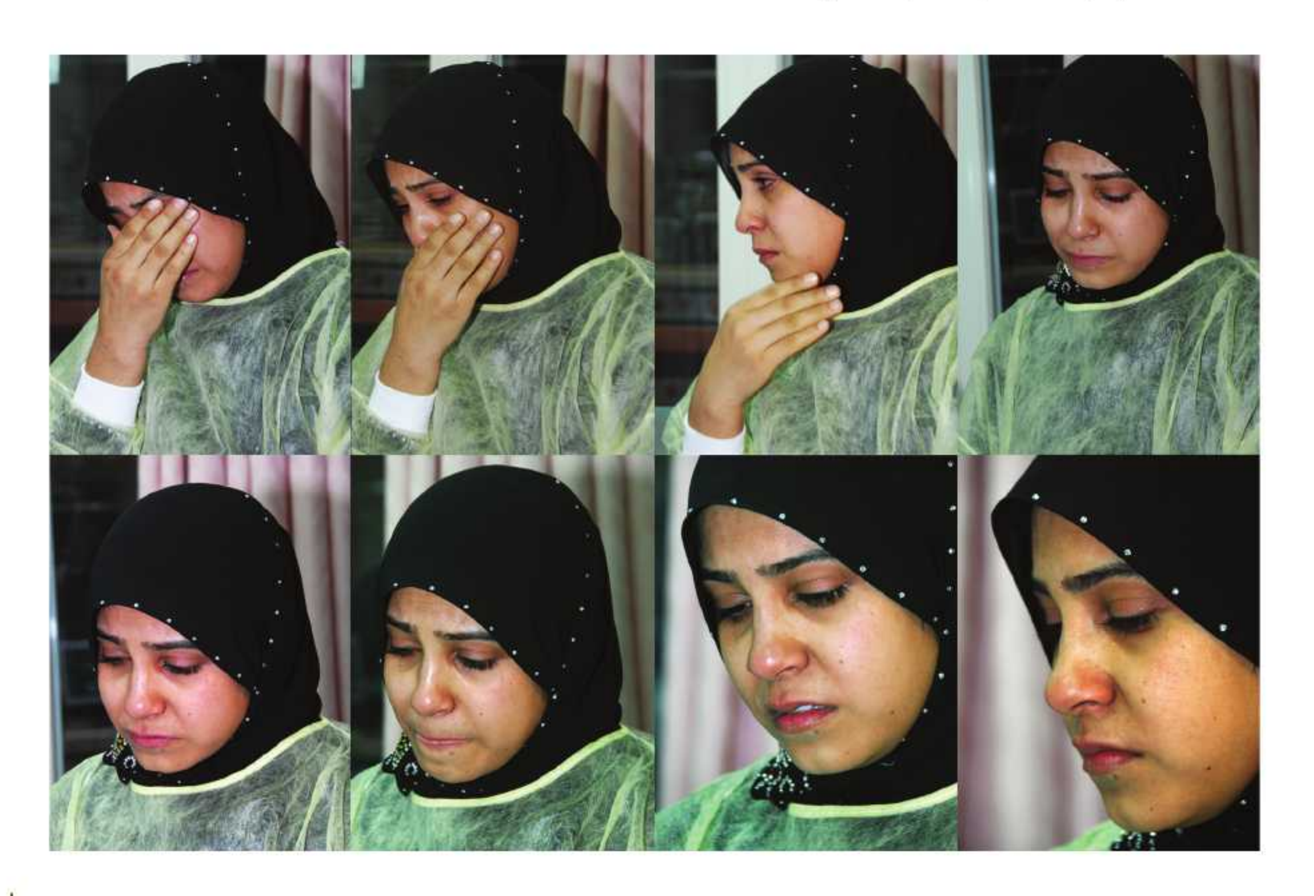
مرحلة فصل الأمعاء



مرحلة فصل التوأم

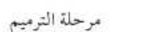
٤ أو ٥ أسابيع أملاً في مزيد من الاستقرار، وفي نهاية هذه المدة قرر الفريق الطبي في اجتماعه قبل الأخير إجراء عملية الفصل يوم السبت ٢٥ شوال ١٤٢٩هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٨م على أن تسبقها عملية وهمية تجريبية في يوم ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨م.. وأتبع ذلك بوضع خطة جراحية من ٨ مراحل وتوقع مدة ١٥ ساعة لإكمال جميع مراحل هذه العملية الطويلة والمعقدة، وأعاد التأكيد على أن نسبة العملية هي ٦٥٪، ثم استدعينا والدي التوأم بغرض إطلاعهم على تفاصيل الحالة ومراحل العملية، فعبَّرا دون تحفظ على هذه النتائج ووافقا على إجرائها.

وفي يوم الأربعاء ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨م التقى الفريق الطبي في اجتماعه الأخير بغرفة العمليات لإجراء العملية التجريبية الوهمية، وعرضت الخطة الجراحية مكتوبة، ثم وُزِّعت على أعضاء الفريق الجراحي الذين بلغ عددهم ٣٠ عضوًا من تخصصات: جراحة الأطفال والتخدير وجراحة التجميل والتمريض والفنيين وفنيي التخدير وغيرهم من الذين تطلبت هذه العملية المهمة مشاركتهم. ونوقشت خلال هذا الاجتماع كل مراحل العملية والتجهيزات الخاصة بغرفة العمليات، وأحضر الطفلان إياد وزياد ووالديهما وشُرحت لهما جميع هذه الخطوات، ثم حُدِّدت منطقة العملية ووضع التوأم على طاولة العمليات، وتأكد أعضاء الفريق من اكتمال كافة الإجراءات اللازمة لعملية الفصل.






مرحلة مابعد الفصل


مرحلة الترميم

صفاء باكية ووعد حائر

وفي يوم السبت الموافق ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٨م نقل التوأم إلى غرفة العمليات في الساعة السابعة والنصف صباحًا، والتقينا بوالديه مرة أخرى خارجها، وأعدنا لهما شرح مراحل العملية بصورة مبسَّطة للمرة الأخيرة، وطلبنا منهم طرح أية أسئلة يرونها في هذا الخصوص، واختلط هذا اللقاء بمشاعر الأمومة والأبوة ولذلك لم يطرحا سوى قليل من الأسئلة، واغرورقت عينا الأم بالدموع وهي تودِّع طفليها؛ بينما كان والدهما حائرًا عاجزًا عن طرح أي سؤال، بل اكتفى بنظرات تائهة فيها عمق ربما يُفسَّر في تلك اللحظة بأنه يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ويدعوه بأن يوفق أعضاء الفريق، ويكلل الجراحة بالنجاح الكامل ليفرح بشفاء ابنيه.
وبعد هذا اللقاء المشحون بالمشاعر العاطفية ودَّع الأب والأم طفليهما بالقبلات قبل نقلهما إلى غرفة العمليات حيث استهلت أولى المراحل بالتخدير مصحوبًا بإجراء منظار للجهاز التنفسي للتأكد مما إذا كانت به عيوب خلقية، وبالفعل ظهر وجودها في القصبة الهوائية لدى التوأم إياد فاتضح لنا عدم اكتمال نمو هذه القصبة وكذلك الحنجرة. وعقب ذلك أُدخلت الأنابيب والقساطر واستغرقت هذه المرحلة حوالي الساعتين، تلاها تعقيم التوأم كاملاً في منطقة العملية، ثم تغطيته بالفوط الجراحية، وبدأنا عملنا كالعادة بسم الله وعلى بركة الله، وتوالت مراحل العملية التي استُهلت بفتح الجراح وفتح منطقة الصدر، وكان هناك اشتراك في أغشية القلب كما توقعنا واكتمل فصله دون أي معوقات، كما وجد اشتراك كبير في الكبد وقنوات الكبد والبنكرياس والأمعاء الدقيقة مبتدئًا من الإثني عشر وممتدًا لمسافة متر، إضافة إلى اشتراك في الأوعية الدموية، ولهذا عكف الفريق الطبي على إجراء دراسة تفصيلية للمناطق المشتركة قام بعدها بفصل الكبد باستخدام تقنية حديثة، وتلا ذلك فصل قنوات الكبد والبنكرياس والإثني عشر والأمعاء الدقيقة، ونجحت جميع هذه المراحل بسبب خبرة الفريق الطبي الطويلة التي أسهمت بصورة واضحة في اختزال مدة العملية إلى ثلاث ساعات، وفي تقليل كمية الدم المفقود إلى حد كبير، ونستطيع القول إن هذه الكمية المفقودة من الدم لا تمثل شيئًا إذا ما قورنت بحجم هذه العملية المعقدة، وكان هذا مؤشرًا واضحًا على اتساع خبرة الفريق ولله الحمد، وعقب ذلك بدأت مرحلة فصل من الخلف لجداري الصدر والبطن، وبعد سبع ساعات من بداية العملية بدأ العد التنازلي، وكانت تلك اللحظات مؤثرة جداً؛ لاسيما الثواني الخمس الأخيرة التي سبقت فصل جسدي الطفلين عن بعضهما، وذلك لأن العملية كانت منقولة حية على شبكة التلفاز الداخلية، ووالدا التوأم يتابعان ويراقبان عمل الفريق بقدر كبير من الشفقة والخوف، وباكتمال عملية الفصل طغت على كل الوجوه مشاعر فرحة عارمة وعلا التصفيق من الجميع خصوصًا والدي التوأم بعد أن شاهدا طفليهما لأول مرة وهما غير ملتصقين، وكل واحد منهما على سرير مستقل.

تأهيل وترميم

استغرقت المرحلة الأخيرة من العملية حوالي ٤ ساعات ونصف الساعة، وهي مرحلة تأهيل الأعضاء، وإعادة ترميم الأمعاء وقنوات الكبد ثم تغطية الجراح.. وبنجاحها غمرت الفرحة أعضاء الفريق الطبي، واكتملت مراحل هذه الجراحة بالتقاط صورة تذكارية توثِّق لهذا الحدث الكبير، ونُقل الطفلان على سريرين منفصلين إلى خارج غرفة العمليات في طريقهما إلى قسم العناية



مرحلة الخياطة النهائية وإقفال الجرح



بعد الإنتهاء من العملية

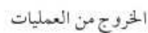
المركزة، وعند خروجنا جميعًا استقبلنا والد التوأم الذي أكبَّ عليَّ يعانقني بحرارة، بينما اختلط لدى زوجته إحساس الفرح بقليل من الاضطراب ولاحظنا أنها تسكب دموعها بغزارة، وكانت متردِّدة في محاولة تقبيل رأسي ووقفتْ للحظة حائرة ربما كانت تسائل نفسها ماذا تفعل لتعبِّر عن شكرها؟ وحين صدق حدسي حول حديثها لنفسها؛ حاولت الابتعاد عنها؛ ولكنها استطاعت الإمساك بيدي وتقبيلها، ولم أجد بدًّا من أُتيح لها فرصة التعبير عن نفسها عبر هذه الأسلوب المتبع في بلدان كثيرة، لم أمنعها لأنها كانت في وضع نفسي بالغ التأثير، وبالفعل لَمَّا لم أستطع مقاومة تلك الشجون التي غلبتني حينها؛ تركتها تقبل يدي للحظة مجاملة لها ثم سحبتها بسرعة كبيرة. توقفت للحظة تطالع طفليها فطمأنتها بنجاح العملية وسلامتهما، ورغم عدم رغبتي في محاولات آباء كثير من التوائم لتقبيل رأسي ويدي؛ إلا أنني وأعضاء الفريق الطبي رأينا أن من الواجب أن نتركهم يعبرون عن هذه اللحظات المشحونة بمشاعر الفرحة، لأننا بذلك نشاركهم ونقاسمهم هذه الأحاسيس. نقلنا التوأم إلى غرفة العناية المركزة ووضعناهما على الفور تحت مراقبة لصيقة بإشراف ومتابعة الفريق المؤهل في قسم العناية المركزة، ثم بدأت بعد ذلك مرحلة الإفاقة والتأهيل.

وبعد أيام بدأت حالة التوأم تشهد استقرارًا تدريجياً، ورفعت أجهزة التنفس الاصطناعي عن التوأم زياد بعد ثلاثة أيام من عملية الفصل؛ بينما ظل التوأم إياد الذي كان يعاني من عيوب خلقية في القصبة الهوائية تحت التنفس الاصطناعي لمدة عشرة أيام تقريبًا، وأقبل التوأم زياد على الرضاعة الطبيعية بصورة تدريجية، ورفعت عنه بعض القساطر نظرًا لاستقرار حالته.

زيارة مفاجئة

وفي مساء اليوم العاشر من عملية الفصل استقبلتُ اتصالاً كريمًا يفيد بأن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بعواطفه الأبوية الدافقة وبحنانه المعهود قرر زيارة التوأم السيامي وهو في طريق عودته من مزرعته بالجنادرية، وكانت هذه زيارة مفاجئة، ولأن مدة وصوله لا تتجاوز العشرين دقيقة؛ لم يكن أمامنا وقتًا كافيًا لإعداد العدة لهذه الزيارة الكريمة؛ فأسرعت وأنا وزملائي المتواجدين في ذلك المساء إلى غرفة العناية المركزة، ولحسن الحظ وجدنا والدي التوأم وبعض أعضاء الفريق الطبي هناك، وكانت مفاجأة أبوية كبيرة حيث دخل - حفظه الله - دون مرافقين، فهنأ والدي التوأم واطمأن على صحة طفليهما، وداعب التوأم زياد الذي سبق أن أفاق تمامًا من آثار العملية، ثم طمأن الأبوين بأن العناية بطفليهما ستتواصل وتزداد، وسيعودان بإذن الله إلى بلدهما العراق وهما في أتم صحة وعافية. كما هنأ الفريق الطبي الإنجاز مشيرًا حفظه الله إلى أن هذا الإنجاز سيكون مشرفًا للعالم العربي والإسلامي أجمع، ثم غادر الوالد القائد غرفة العناية المركزة بعد أن أمضى مدة خمس دقائق تقريبًا مع والدي التوأم. وجسَّدت هذه الزيارة المفاجئة الطيبة والكريمة مدى ما يكنُّه الملك الإنسان للأطفال من محبة وحنان وعطف وعطاء، وأكدت أن ارتباطه بأبنائه التوائم السيامية ارتباط ينأى عن السياسة، ولا يتعلق بأي دوافع غير عاطفته الأبوية الخالصة والصادقة، وأحاسيسه الإنسانية نحو الجميع دون اعتبار لجنس أو لون أو مذهب أو عقيدة.




الخروج من العمليات



فرححة النجاح وعناق حار بين والدي التوأم العراقي والمغربي

وحتى هذه المرحلة التي يجري فيها الإعداد لطباعة هذا الكتاب تمهيدًا لإصداره فإن حالة التوأم زياد وإياد تبدو مستقرة جداً، ووصلا إلى درجة الإفاقة الكاملة، ولا تواجههما الآن أية مشكلات تذكر، ويتوقع مغادرتهما لغرفة العناية المركزة بعد أسبوع من تاريخ كتابة هذا الفصل... ونتمنى أن يعودا إلى العراق الوطن العربي الشقيق بصحة وعافية، مع طموحاتنا العريضة وآمالنا الكبيرة في أن يكون انفراج مشكلة إياد وزياد هذين الطفلين البريئين وشفاؤهما؛ انفراج كامل لأزمة العراق، وأن يلتئم جسده المثخن بجراحات غائرة نازفة، وأن يعود إلى الأسرة العربية كما كان وطنًا عربياً مسلمًا شامخاً معافى بمشيئة الله سبحانه وتعالى.



فرحة النجاح وعناق حار بين والدي التوأم العراقي والمغربي









الفصل الثاني

التوائم السيامية

تعريفها - أسبابها - نسب حدوثها - أنواعها



التوائم السيامية

تعريفها . أسبابها . نسب حدوثها . أنواعها

تعريف التوائم السيامية:

هي توائم تنشأ من بويضة ومشيمة واحدة، وتعدُّ متشابهة ومتطابقة لم يكتمل انفصالها، وتولد متصلة في منطقة أو أكثر من الجسد. وهي متطابقة الجنس والصفات الوراثية، بمعنى أن كل توأم يستطيع التبرع للآخر بالدم والأعضاء دون حاجة إلى أدوية مناعة، ويقبلها ذاك دون رفض. أما الصفة الملتصقة بهذا النوع من التوائم وهي مفردة (سيامية)؛ فهي نسبة إلى (سيام) الاسم القديم لتايلاند حيث اشتهر التوأم: (إنج وبتشانج بنكر).

أسباب حدوث الظاهرة:

الأسباب العلمية للالتصاق غير معروفة؛ ذلك أن التوائم المتطابقة تنشأ ملتصقة ثم يبدأ الانفصال بين الأسبوعين الثاني والرابع من الحمل؛ ولكن في حالات نادرة لا يكتمل الانفصال في جزء أو أكثر من الجسد؛ فيؤدي ذلك إلى حدوث التوائم الملتصقة (السيامية). وهناك العديد من النظريات التي انبرت لتفسير هذه الظاهرة، غير أن أكثرها قبولاً يحصر الظاهرة في:

١ ـ عدم اكتمال الانفصال لأن التوأم المتطابق (الذي يتكون من بويضة واحدة) لا يكتمل انفصاله إما لنقص في الدورة الدموية أو لأسباب جينية.

٢ ـ نقص الهرمونات التي تتحكم في عملية فصل التوائم المتطابقة، ويعتقد معظم الباحثين أنها من مواد البروستاقلاندين.

٣ ـ إعادة الالتصاق بعد الانفصال، أي أن التوأم المتطابق انفصل ثم التصق مرة أخرى. (غير أن هذا التفسير ليس له حظ من القبول لدى المختصين).

نسبة حدوث الظاهرة:

تعتبر ظاهرة التوائم الملتصقة نادرة الحدوث، ولا بد لي هنا من طمأنة الأمهات ونصحهن بعدم القلق والخوف عندما يحملن بتوأم؛ لأن نسبة حدوث التوائم الملتصقة قليلة جداً، ولا تتعدى نسبتها حالة واحدة لكل ٢٠٠,٠٠٠ ولادة في العالم الغربي، وحالة واحدة أيضاً إلى كل ١٤٠٠٠ ولادة في أفريقيا.

ويجدر بي أن أشير هنا إلى أن نسبة ٦٠٪ من التوائم السيامية تولد ميتة، كما يُتوفى حوالي ٤٠٪ من المتبقين خلال الأسابيع الأربعة الأولى من الولادة. وخلاصة القول: إن نسبة من يعيش من التوائم السيامية لا يتجاوز الخُمْس، ولوحظ أن ٧٠٪ من تلك التي تستمر في الحياة بمشيئة الله تكون من الإناث.



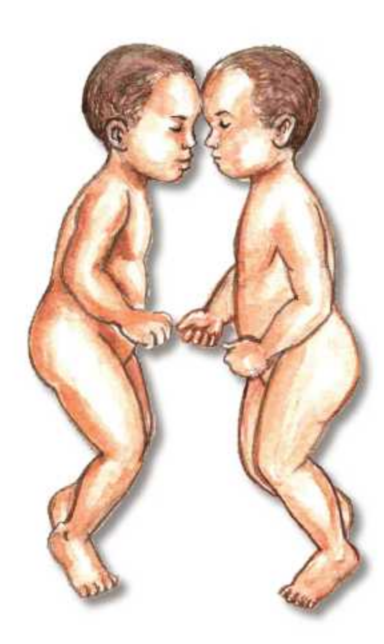
PARAPAGUS
الإلتصاق بالجسد من الجانب



OMPHALOPAGUS
الإلتصاق بالبطن



THORACPAGUS
الإلتصاق بالصدر



PARAPAGUS
الإلتصاق بالرأس



ISCHIOPAGUS
الإلتصاق بالحوض



PYOPAGUS
الإلتصاق بالورك


توأم طفيلي ملتصق بالبطن


توأم بجسد واحد ورأسين

أنواع التوائم السيامية:

تنقسم التوائم السيامية إلى فئتين عامتين هما: الطفيلية والمكتملة، ونُجمل هنا تفاصيل الفئتين:

١ ـ التوائم الطفيلية:

هي التي يكون فيها أحد التوائم مكتملاً والآخر مجرد جزء من جسد يفتقد مقومات الحياة، ويعدُّ متطفلاً على أخيه ومن هنا جاءت هذه التسمية. ويختلف العلماء في إطلاق صفة (سيامي) على هذا النوع؛ لأن أعضاء الحياة موجودة فقط في أحدهما، أما الآخر فأعضاؤه لا تقوم معها الحياة.

وتُقسَّم التوائم السيامية حسب موقع الجزء الملتصق، ويشمل هذا التصنيف:

ـ التوأم الطفيلي المتصل بالرأس.

ـ التوأم الطفيلي المتصل بالبطن.

ـ التوأم الطفيلي المتصل بالأطراف السفلية.

ـ التوأم الطفيلي داخل بالبطن (طفل متطفل داخل طفل).

٢ ـ التوائم المكتملة:

وتقسَّم هذه الفئة حسب موقع الاتصال بين الجسدين وعدد الأطراف السفلية، ولعلنا نستعرض هنا أنواع اتصال الجسد ونسب حدوثها:

• الاتصال بالصدر: وهو الأكثر حدوثًا بنسب تتراوح بين ٤٠ ـ ٥٠٪، ويقتصر الاشتراك في هذا النوع عادة على عظام الصدر والقلب والكبد والرئتين.

• الاتصال بالبطن: ويحتل المرتبة الثانية، وتتراوح نسبة حدوثه بين ٣٠ ـ ٣٥٪، وقد تشترك في هذا النوع الأعضاء مثل: الكبد، والأمعاء، والقولون، والجهاز البولي، والتناسلي.

• الاتصال بالورك: ويحدث بنسبة تقارب ١٨٪، ويكون الاشتراك عادة بالحوض والعمود الفقري والجهاز البولي والتناسلي وفتحة الشرج.

• الاتصال بالحوض: ويحدث بنسبة تقارب ٦٪، ويشترك التوأم بالحوض والجهاز البولي والتناسلي والقولون وفتحة الشرج.

• الاتصال بالرأس: وهو أقل الأنواع حدوثًا ولا تتعدى نسبته ٢٪، وقد يكون الاتصال في هذه الحالة بجلدة الرأس أو عظمة الرأس، وقد يصل إلى أغشية المخ أو المخ نفسه، وهذا أسوأ أنواع الاتصال بالرأس.



توأم طفيلي سفلي



توأم طفيلي بالرأس

٣ ـ التوائم المتصلة بالأطراف السفلية: وتنقسم هذه إلى ثلاثة أنواع هي:

١ ـ التوأم الملتصق بطرفين سفليين (Bipus) أي طرف سفلي لكل توأم.

٢ ـ التوأم الملتصق بثلاثة أطراف سفلية (Tripus) أي طرف سفلي لكل توأم وثالث مشترك بينهما.

٣ ـ التوأم الملتصق بأربعة أطراف (Tetrapus) سفلية أي طرفين سفليين لكل توأم.

التوائم السيامية في عالم الحيوان:

ظاهرة التوائم السيامية ليست قاصرة على الإنسان وحده؛ بل نجدها أيضاً في النباتات، ولسنا على علم بما إذا كانت ظاهرة التوائم الملتصقة في النبات هي نفس ما نراه في الإنسان؟ أم أنها تخضع لعوامل أخرى؟

هذا وقد سُجِّلت ظاهرة التوائم المكتملة والطفيلية لدى الحيوانات، وهي تتشابه مع ما يحدث في الإنسان، فقد سُجِّلت في عدد من الحيوانات، ووُثِّقت علمياً، ويتوقع أن تكون أكثر حدوثًا في الحيوان منها في الإنسان؛ نظرًا لأن التوائم تشاهد بكثرة في بعضها، ولكن الواقع يؤكد غير ذلك. ولعل الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة غير معروفة، ولكن من الناحية النظرية ربما تكون هذه التوائم المتطابقة (أي التي تنشأ من بويضة واحدة) أقل في الإنسان منها في الحيوان، أو أن نسبة الإجهاض أكثر في الحيوان منها في الإنسان. وتتضمن قائمة الحيوانات التي سُجِّلت فيها ظاهرة التوائم السيامية: الخيول، الأبقار، الخراف، الماعز، القطط، الثعابين.



توأم طفيلي ملتصق بالبطن



ثعبان ملتصق بالرأس



توأم سلحفاة ملتصقة من الحوض

حيوانات سيامية



الفصل الثالث

أشهر التوائم السيامية في التاريخ


BIDDENDEN

أشهر التوائم السيامية

في التاريخ

تكشف مراجعة المصادر وجود تباين كبير في توثيق ظاهرة التوائم السيامية في العالم الغربي، وسنعرض هنا فقط لما نُشر في المجلات العلمية، مع تركيز اختياراتنا على ما كان له شهرة سواء في الجانب العلمي أو الجانب الاجتماعي، أو ما أثار منها جدلاً أو ارتبط بطرفة.

وثَّقت بعض النقوش والرسومات الحجرية القديمة للظاهرة، فقد أظهرت اكتشافات بعض علماء الآثار في عدة دول مجموعة رسوم لتوائم سيامية بجسد واحد ورأسين في عهود ترجع إلى عدة قرون قبل الميلاد. ومن المؤكد أن تاريخ الظاهرة في العالم الغربي كان ملفتًا للنظر؛ بل ولحقت به ترُّهات وأوهام وخرافات أخرجت عقل الإنسان عن حكمته، وفصلت إحساسه عن فطرته، كانت النظرة إلى هذه الظاهرة الخِلْقية ـ آنذاك ـ مؤلمة في كثير من الأحيان ومتعارضة مع الجبلَّة السليمة، فقد اعتُبرت ـ كما أشرنا في التمهيد ـ نوعًا من أنواع الجن، وأدخلها بعضهم في عالم الغرائب المتوحشة مما دفع بعضهم إلى عزل هذه الحالات ونفيها بعيدًا عن المجتمع ؛ بل وجعلت منها بعض المجتمعات البدائية إفكًا آلهة تُعبد مثل غيرها من آلهة ذلك الزمان، واعتبرتها مجتمعات أخرى علامة على سوء الطالع . أما أولئك الذين تمتلئ قلوبهم بالشره والطمع ويسيل لعابهم للمال؛ فقد وظَّفوا ظاهرة التوائم لإشباع طموحاتهم المالية والاجتماعية، فاستفادوا منها في تحقيق الشهرة وكسب المال عن طريق استغلال هؤلاء المساكين في عروض متنقلة أشبه بعروض السيرك، ووجد فيها فريق آخر وسيلة ناجعة وفعالة في التسول واستعطاف مجتمعاتهم..

ونورد هنا بعض الأمثلة والنماذج الشهيرة لتوائم خلَّدها التاريخ، ثم نتطرق بعد ذلك بإيجاز لبعض أنواع عملياتها الجراحية في التاريخ القديم والحديث:

أولاً: توائم شهيرة في تاريخ الغرب

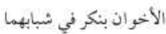
• **خادمتا بدندن: (١١٠٠ ـ ١١٣٤م)**

ماي وأليزا تشالك هرست تُعتبران أول توأم ملتصق في التاريخ المكتوب باللغة الإنجليزية، وُلدتا بمدينة (كنت) عام ١١٠٠م، واشتهرتا بـ: خادمتي بدندن (Biddenden Maids)، وكان التصاقهما في منطقة الورك والحوض، وعندما بلغتا ٣٤ عامًا من العمر توفيت إحداهما، وفور وفاتها عرض أحد الأطباء على توأمتها الحيَّة إجراء جراحة للفصل؛ ولكنها رفضت وقالت: «أتينا للحياة معًا وسنغادر معًا»، وبالفعل شاء الله أن تتوفى بعد ساعات من أختها. وبعد وفاتهما خصَّصت الكنيسة أرضًا على مساحة ٢٠ فدانًا لاستثمارها في إحياء ذكراهما، وقررت كذلك توزيع كعكة على فقراء مدينة (كنت) سنويًا في عيد الفصل تحمل نقشًا لصورتهما.. ومازال هذا الاحتفال أو التقليد مستمراً حتى يومنا هذا.



الأخوان بنكر





الأخوان بنكر في شبابهما

- **التوأم الأسكتلندي: (١٤٩٠م)**

وُلد التوأم الأسكتلندي في مدينة جلاسكو عام ١٤٩٠م، وكانا يشتركان في منطقة البطن والحوض والأطراف السفلية، ولقد عُرضا على محكمة الملك جيمس الرابع بأسكتلندا التي أصدرت حكمًا يقضي بالاهتمام بهما وتعليمهما بعناية. ولوحظ عليهما شده ذكائهما ونباهتهما وحبهما لعلم اللغات والموسيقي، وتميزًا بمهارة في العزف على أجهزة مختلفة، واشتهرا بسرعتهما في نقل الأنامل على مفاتيح الآلات، كما كانا يتحدثان عددًا من اللغات بإتقان شديد أثار دهشة معاصريهما، وإعجاب العاملين في دوائر العلوم والمعارف، وضمت قائمة هذه اللغات التي يجيدانها: الإنجليزية والإيرلندية واللاتينية والفرنسية والإيطالية والأسبانية والدنماركية.

- **التوأم السيامي بنكر: (١٨١١ ـ ١٨٧٤م)**

يُعدُّ إنج وتشانج بنكر من أشهر التوائم الملتصقة التي نقلتها لنا سجلات التاريخ قديمه وحديثه، وُلدا عام ١٨١١م في سيام (الاسم القديم لتايلاند)، وكانا ملتصقين في أسفل الصدر والبطن فقط، والتصق بهما مصطلح (التوائم السيامية) ارتباطًا بموطنهما (سيام). نُقلا عام ١٨٢٩م إلى الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة الكابتن إبل كوفن بعد أن أغرى والدتهما بمبلغ من المال، وبعد أن حظي كذلك بموافقة ملك سيام. وفي أمريكا استُغلا في عروض السيرك لجلب المال الذي تدفق على مديري العروض بسبب إقبال الناس على رؤيتهما بدافع الفضول نظرًا لغرابة شكلهما، ولندرة الظاهرة نفسها. وما أن أكملا عدة شهور في أمريكا حتى نُقلا إلى المملكة المتحدة حيث قدما عروضًا للأسرة المالكة، وأثناء وجودهما هناك سنحت لبعض الأطباء فرصة فحصهما لمعرفة إمكانية فصلهما، إلا أن الأطباء قرروا ـ اعتمادًا على نتائج الفحص ـ استحالة ذلك. وبعد فترة حاول صاحبهما السفر بهما إلى فرنسا لتقديم عروض أخرى هناك؛ إلا أنه حُرم من ذلك على خلفية الاعتقاد السائد وقتذاك أن النساء الحوامل قد يتوحَّمن ويُنجبن توائم سيامية عند مشاهدتهما.. وفي ذلك بالطبع دلالة واضحة على انتشار الجهل في المجتمع الفرنسي في تلك الفترة.

وفي شهر أبريل من عام ١٨٤٣م ـ أي في الثانية والثلاثين من عمرهما ـ تزوج تشانج من أديليد ييتس؛ بينما تزوج إنج من شقيقتها سارة آن وأنجبا ٢١ طفلاً. ومن الطريف أنهما عاشا في منزلين مختلفين بعد اتفاقهما على تقسيم أيام الأسبوع بينهما بمعدل ثلاثة أيام لكل منهما، وتركا اليوم السابع ـ وهو اليوم الأخير من الأسبوع ـ ليقضيانه سويًا خارج المنزل في تنفيذ برامجهما وقضاء حوائجهما المشتركة. وفي يوم ١٧ يناير من عام ١٨٧٤م استيقظ إنج بإحساس غريب يملأ جوانحه، فالتفت على الفور إلى أخيه تشانج فوجده ميتًا، فاستنجد بابنه وليام الذي ركض بدوره إلى الشارع باكيًا ومفجوعًا وهو يصرخ وينادي: «عمي تشانج مات».



الأخوان بنكر في شبابهما مع الأسرة





الأخوان بنكر في شبابهما مع الأسرة

وما أن عاد برفقة بعض إخوته وأبناء عمه ومجموعة من الجيران حتى عقدت الدهشة ألسنتهم، لقد فوجئوا بأن إنج لحق بتوأمه وفارق الحياة أيضاً وكأنه أراد أن يقول: لنا روح واحدة، دخلنا إلى الحياة سوياً وها نحن نخرج منها سوياً.

• **التوأم بلازك: (١٨٧٨ ـ ١٩٢٢م)**

أما حالة التوأم السيامي بلازك فتعدُّ فريدة من نوعها؛ بل تُشكِّل أول حالة حمل لإحدى التوائم السيامية الملتصقة في التاريخ، وهما روزا وأختها جوزفينا اللتان وُلدتا لأبوين من بوهيميا (جمهورية التشيك) في ٢٠ يناير من عام ١٨٧٨م، وكان التصاقهما في منطقة الحوض والورك، ولقد أثارت ولادتهما جدلاً كبيرًا تسبب في أن تكونا ـ بعد أشهر قليلة ـ محور حديث الناس في بلدهما. ورُوِيَ أنهما بدأتا المشي في الثانية من عمرهما، والكلام في الرابعة. وعند بلوغ عمرهما ٣١ عامًا ـ بالتحديد في الشهر السابع من عام ١٩٠٩م ـ أحست روزا بعلامات حمل تبعتها بعد أسابيع قليلة نوبات وَحَم متقطعة، إلا أن أختها جوزفينا لم تظهر عليها أي علامة من هذه العلامات؛ بل استمرت دورتها الشهرية كالمعتاد حتى الأسبوع (٣٢) من حمل أختها ثم انقطعت عقب ذلك.

وبعد حمل طبيعي أنجبت روزا ابنًا عن طريق ولادة طبيعية بلغ وزنه (٣٠٧٠ جرامًا). ومن اللافت للنظر أن كلتيهما كانت لديهما القدرة على الرضاعة نظرًا لانتقال هرمونات عن طريق الدم من روزا إلى جوزفينا. ومن الطرائف التي صاحبت هذا التوأم أن والد ابن روزا ظل مجهولاً إلى يومنا هذا مما أثار جدلاً كبيرًا في ذلك الوقت، واتُّهم عدة أشخاص بالأبوة!

أما بالنسبة لحياة التوأم نفسه فقد كانت مليئة بالنشاط والحيوية؛ إذ اشتهرتا بالعروض وعمل السيرك في دول متعددة من العالم، وعند بلوغهما سن الرابعة والثلاثين أصيبت جوزفينا ـ أثناء جولة لهما في مدينة شيكاغو ـ بمرض حاد بالبطن نتج عنه (يرقان)، ثم تدهورت صحتها إلى أن توفيت، وبعد عدة دقائق من وفاتها لحقت بها أختها روزا.

• **(إنغ، تشانغ) أول توأم تمساح سيامي**

فوجئ صاحب مزرعة للتماسيح في قرية بجنوب تايلاند ـ كما أوردت بعض الدوريات ـ بخروج توأم ملتصق من بيضة إحدى إناث التماسيح، فأصابه الذهول، ولذلك سارع إلى استدعاء مجموعة من البياطرة والمعنيين بتربية الحيوان للوقوف على هذه الظاهرة الغريبة التي تمثل مولد توأم تمساح سيامي لأول مرة في التاريخ العالمي المقروء، حار البياطرة الذين استعان بهم في هذا الأمر مثل صاحبهم، وألجمت الدهشة أفواههم، وشلَّت قدرتهم على التفكير ومحاولة التفسير العلمي؛ إذ لم يحدث أن وقفوا على مثل هذه الظاهرة في عالم الحيوان، وربما لم يسمعوا بها على الإطلاق، فلكل علم اختصاصيوه، ولكل ظاهرة مفسروها



التوأم ميلي وكريستسن



التوأم راديكا و دوليكا

اعتمادًا على خلفيتهم المعرفية وعلى تجاربهم وخبراتهم في هذا المجال. نقلت الصحف ووسائل الإعلام التايلندية وغيرها من الدوريات والفضائيات ـ المهتمة بالتكاثر الحيواني وبالأخبار الغريبة ـ هذا الحدث، وأفردت له مساحة واسعة في تغطياتها مطعمًا بالصور، ومنها من أجرى مقابلة مع صاحب المزرعة، واستطلاعات مكتوبة ومصورة مع العاملين فيها وحراسها؛ بل ومع أهل القرية الذين توافدوا على المزرعة لرؤية هذا الحدث الفريد. وبعد أن زالت آثار الدهشة أجرى بعض الأطباء البيطريون دراسة على توأم التمساح السيامي وتوصلت فحوصاتهم إلى أن التمساحين غادرا البيضة وهما ملتصقين، ويشتركان في الذيل والبطن (الجهاز الهضمي)، بينما استقل كل منهما بقلب ورئتين وكليتين. وبالطبع فإن التمساحين كانا مصدر جذب للسائحين والزوار والمستطلعين والفضوليين والأطباء والدارسين.. ومصدر استنزاف لجيوبهم؛ بعد انسياب أموالهم إلى خزينة صاحب المزرعة بعد أن أقبلوا على زيارتها لمجرد الاستمتاع بمشهد (توأم تماسيح سيامي) الذي وجدها فرصة ذهبية للثراء، ولذلك لم يفكر على الإطلاق في إجراء جراحة لفصلهما، بل اكتفى بمناشدة المختصين لمساعدته في كيفية الحفاظ على حياتهما طويلاً.

لم يكتسب التمساحان اسمين خاصين بهما، ولم يفكر صاحب المزرعة في ذلك؛ إذ كان مهتماً بالجانبين: المالي الذي أغدقه عليه تدفق السياحة المفاجئة، ثم العلمي الذي يكمن في تفسير الظاهرة، ولعله أراد أن تكون معرفته بذلك عنصرًا إضافياً في ترويج الجانب السياحي عن طريق الشرح والتعليل والتفسير للزوار والسائحين. ولأن اسمي التوأم (إنغ، تشانغ) أشهر التوائم السيامية في التاريخ مازالا يعلقان بذاكرة مواطني القرية كجزء من تراثهم؛ فقد استعاروا اسميهما وألصقاهما بتوأم التمساح السيامي، وربما وجدوا في ذلك إحياءً لذكراهما وتعريفًا للأجيال الحديثة بهما.

ثانياً: تاريخ العمليات الجراحية لفصل التوائم السيامية:

مثلما كان تاريخ التوائم السيامية شائقًا وممتعًا؛ فقد اتسمت محاولات فصل التوائم جراحياً بالتحدي أحيانًا وبالطرافة أحيانًا أخرى، وسأختار للقارئ بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

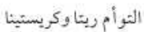
• التوأم الألماني (١٤٩٥م)

تعدُّ هذه الحالة هي أول محاولة موثَّقة بطريقة طريفة لفصل توأم سيامي كان ملتصقًا بالرأس حتى سن العاشرة.. وينقل لنا تاريخ هذه الحالة أن أحد التوأمين تُوفِّي بعد فترة مرضية، فقام الجراحون بفصله عن توأمه الحي بطريقة القصابين (الجزارين)؛ ولكن لم يتحقق أملهم؛ إذ ما لبث أن لحق به الآخر.



التوأم بلازك





التوأم ريتا وكريستينا

- **الجراحة الذكية (١٦٨٩م)**

وهذه جراحة ذكية لفصل توأم سيامي عام ١٦٨٩م وُلِد ملتصقًا عن طريق البطن بجزء من الجلد والكبد، ولما كان الاتصال بسيطًا؛ فقد فكر الجراح البارع جو هاينز فاتيو بطريقة ذكية لفصلهما، فاستخدم في محاولته حبلاً مطاطًا لربط منطقة الاتصال، وأخذ يشد على الرباط كل يومين حتى تليَّفت منطقة الاتصال، فانفصل التوأم نتيجة لذلك بسلام ونجاح، ولذلك تعدُّ هذه أول عملية فصل ناجحة في التاريخ.

وما زالت هذه الطريقة الذكية مستخدمة حتى الآن، ليس في فصل التوائم السيامية فحسب؛ وإنما في عمليات الناسور الشرجي المزمن بعد أن أثبتت - ولله الحمد - نجاحًا كبيرًا، وحلت محل كثير من عمليات التخدير ومشكلات عضلات الشرج وغيرها من المضاعفات.

ومن الغريب في هذه الحالة أن الجراح - الدكتور فاتيو - الذي أجرى عملية الفصل - لم يُفكِّر في توثيقها، فبقيت طيَّ النسيان إلى أن جاء المؤرخ كوننق فأعاد بعثها وتولى نشرها، وكان هذا مدعاة لأن تلتصق باسمه إلى يومنا هذا.

- **أول عملية فصل لتوأم متصل بالرأس (١٩٥٧م)**

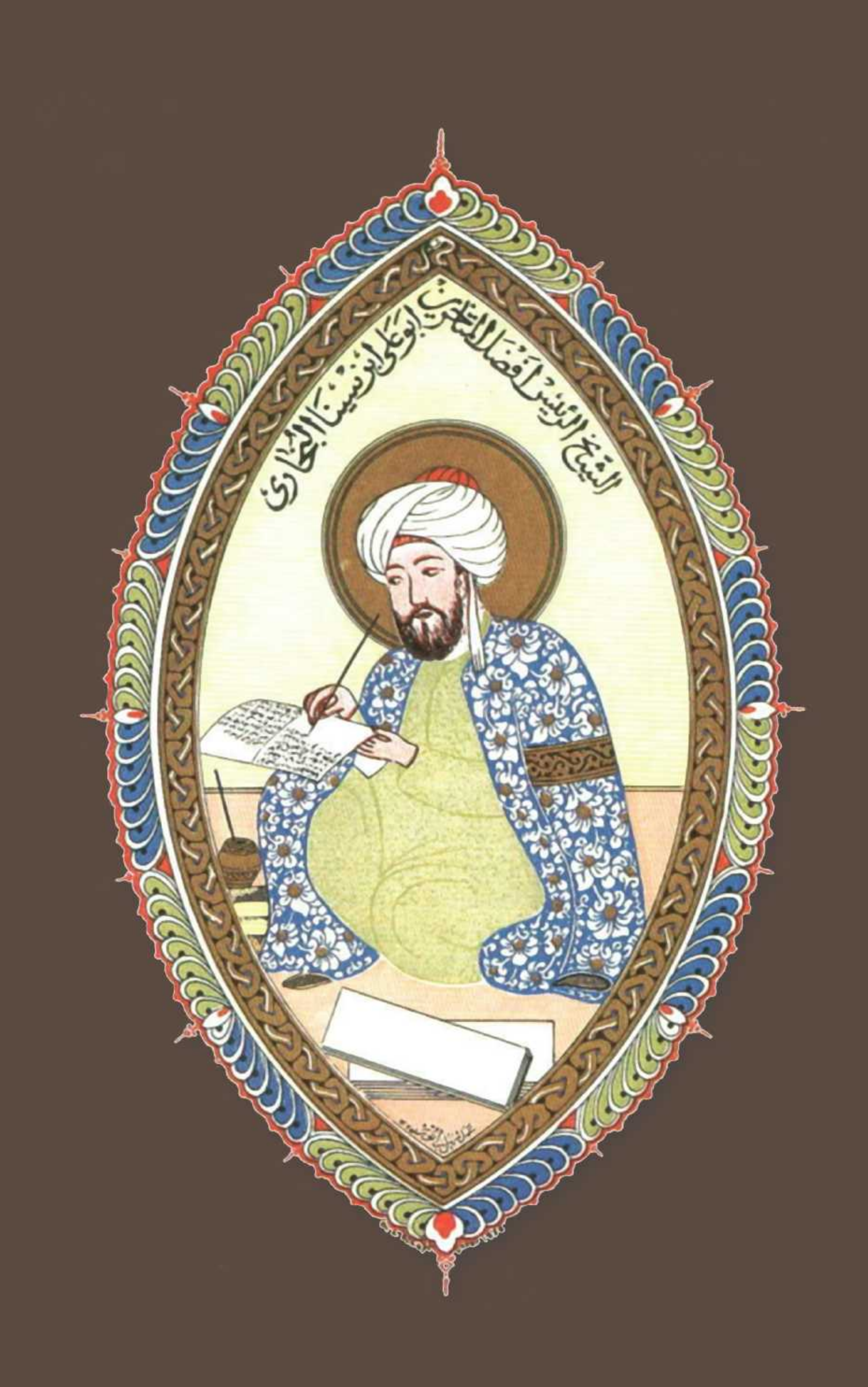
لم يكن بالإمكان فصل التوأم الملتصق بالرأس إلا عام ١٩٥٧م حين نجح الجراح الفرنسي فورس في فصل توأم متصل بالرأس ليضع بذلك أول لبنة ارتكز عليها تطور العمليات الجراحية في هذا المجال.



الفصل الرابع

العصر الإسلامي

أول توثيق للظاهرة في العالم


الشيخ الرئيس افضل المتأخرين ابو علي ابن سينا البخاري

العصر الإسلامي

أول توثيق للظاهرة في العالم

يعود تاريخ التوائم الملتصقة (السيامية) إلى مئات؛ بل إلى آلاف السنين، ولم يكن التوثيق منصفًا للأمة العربية والإسلامية؛ إذ أن معظم مراجع الطب العالمية أغفلت ذكر التوائم السيامية في بداية العصر الإسلامي ولم تذكر أي شيء عنها، وهي فترة ربما تمثل أول عهد لتوثيق هذه الظاهرة في العالم. وتاريخ التوائم الملتصقة (السيامية) حافل بالعبر والشواهد، وفيه من الطرائف ما يجعله شائقًا وممتعًا.

ونتحدث في هذا الفصل عن هذه الظاهرة في العصر الإسلامي، وفي الفصل التالي نتناولها في سياق التاريخ العالمي مستعرضين نماذج من التوائم التي خلدتها الوثائق والسجلات الطبية القديمة نتيجة لشهرتها.

التوائم السيامية في العصر الإسلامي: بدايات فقهية

يُعدُّ التوأم السيامي الذي وُلِدَ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الأول من نوعه الذي يُوَثَّق تاريخياً، ويوصف بدقة، وتُناقش حالته بصورة علمية دقيقة رغم محدودية الإمكانات والمعلومات الطبية آنذاك. وقصة هذا التوأم أنهما ولدان خرجا متصلين بالصدر والبطن والحوض، ولكل منهما أطراف علوية مستقلة ورأس وجهاز تناسلي وفتحة شرج مستقلة كذلك، فحار الصحابة في هذا الحدث وطرحوا أسئلة فقهية قيمة ومهمة لأنهم نظروا إليها ـ بحكم تربيتهم وتكوينهم الثقافي عبر هذه الزاوية، ومن هذه الأسئلة:

١ ـ هل يعتبر التوأم شخصًا واحدًا أو شخصين؟

٢ ـ كيف يُقسَّم الإرث؟

٣ ـ ما حُكمُ النكاح؟

٤ ـ ما حُكم الفصل إذا تُوفِّيَ أحد التوأمين؟

ولأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يتَّصفون دائمًا بالحكمة والحنكة، ويجعلون أمرهم شورى بينهم؛ فقد استشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سيدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ فجاءته إجابته حكيمة بليغة تُمثِّل رأياً سديدًا، أشار عليٌّ في حكمه على الحالة بالآتي:

- مراقبة التوأم عند النوم؛ فإذا ناما في نفس الوقت فهما شخص واحد، وإن اختلفا في نومهما فهما شخصان.
- مراقبة التوأم عند البول والبراز؛ فإن كان الحدث في نفس الوقت فهما شخص واحد، وإن اختلفا فهما اثنان.
- عدم إجازة الزواج لأن الاطلاع على عورة الآخر حرام ما داما ملتصقين.
- عند موت أحدهما يجب عدم فصله عن الحي؛ لأن ذلك سيؤلمه وقد يؤدي إلى وفاته.. وذهب الحكمُ إلى غسل الميت وتكفينه ثم تكليف شخص يحمله مع أخيه حتى يجف، ثم يقطع بعد ذلك دون إحداث ألم للآخر

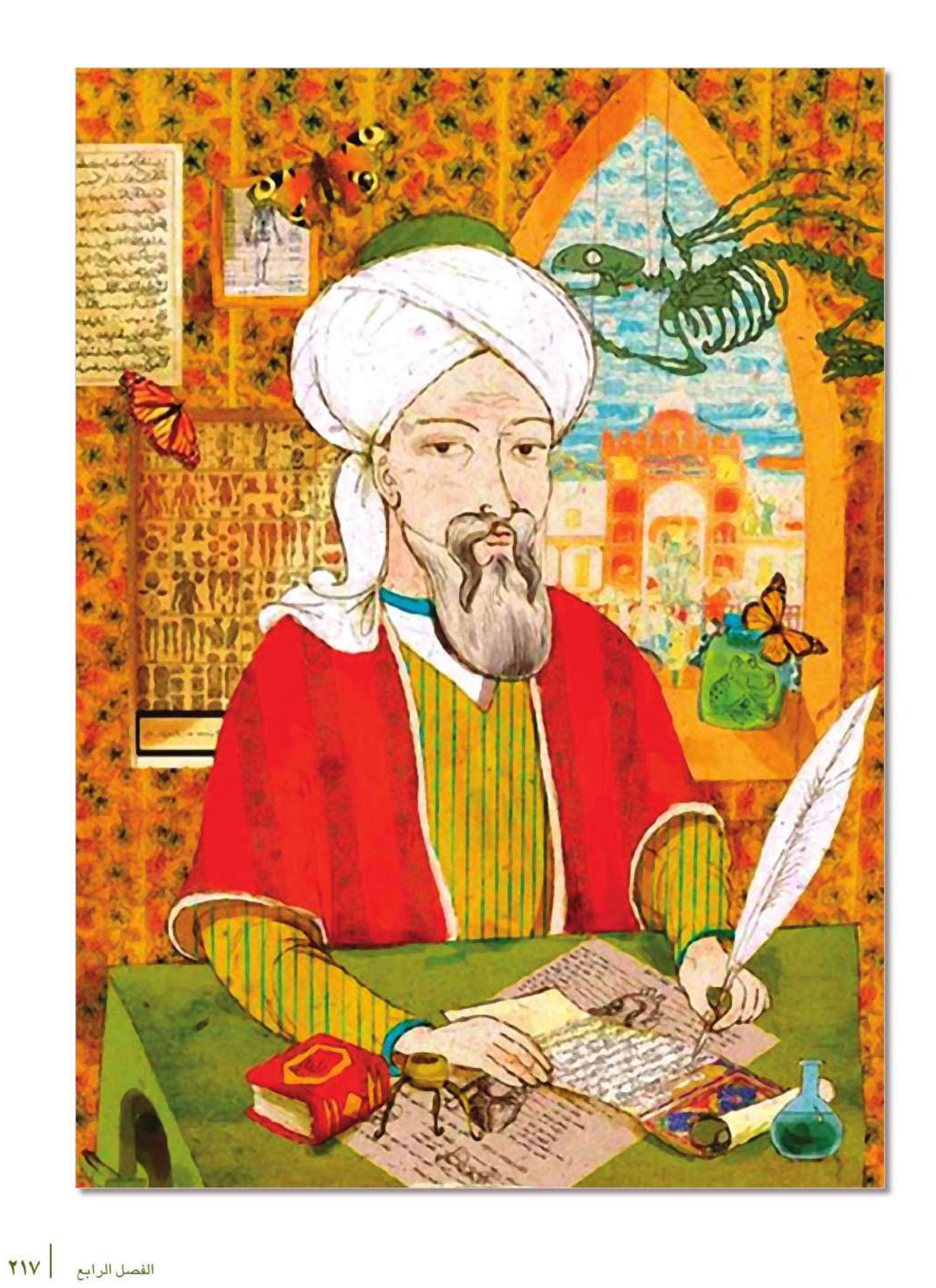




الحي. غير أن التوأم الحي لم يعش بعد وفاة أخيه، وقيل أنه توفي بعد ثلاثة أيام، وقيل بعد ساعات وهذا هو الأرجح. لقد كانت رؤيتهم للظاهرة وحكمهم عليها - رغم ضعف الإمكانات - وافية وعلمية إلى حد كبير، فها نحن بعد ١٤٠٠ عام لم نُدخل على هذه الأحكام تغييرًا يُذكر. وبرغم أن تقنيات التشخيص المعاصرة فتحت لنا آفاقًا علمية جديدة وساعدتنا أكثر فأكثر؛ إلا أن الأصلَ واحدٌ، ذلك أن التوأم الملتصق - عند توافر مقومات حياة منفصلة - يُعتَبرا شخصين، أما إذا اشتركا في الأجهزة الأساسية كالمخ والقلب فهما شخصٌ واحد.

وروى ابن الجوزي في المنتظم وابن كثير في البداية والنهاية أن بعض بطارقة الأرمن أنفذ في سنة ٣٥٢هـ رجلين ملتصقين ومعهما والدهما إلى صاحب الموصل الملك ناصر الدولة بن حمدان، وكان عمر التوأم ٢٥ سنة، وكان لهما سرتان وبطنان ومعدتان، ويحس كل واحد منهما بالجوع والعطش في وقت مختلف عن الآخر؛ بل يختلفان في ميولهما ويقع بينهما أحيانًا شجار قد يصل إلى حدِّ الخصومة، ولكنهما سرعان ما يصطلحان. استقبلهما ناصر الدولة ووهبهما ألفي درهم ودعاهما إلى الإسلام، ويُقال أنهما استجابا للدعوة وأسلما، ثم أراد فصلهما وجمع الأطباء لهذه المهمة ولكنه لم يفعل. ولما عادا إلى بلدهما مات أحدهما فحار أبوه في فصله عن أخيه، ولكن ما لبث أن اعتل الآخر من غمه ونتْن أخيه؛ فمات غمًّا فدفنا في قبر واحد. ويكشف لنا تفكير الملك ناصر الدولة في جمع الأطباء لمحاولة فصلهما؛ نضج العقلية العلمية الإسلامية، وأن حضارتها كانت متقدمة كثيرًا على الحضارات المعاصرة، وشهرة الأطباء المسلمين ذائعة بين القادة والحكام والشعوب في مختلف الأمصار والبلدان.

كما ورد في: (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ الأصبهاني، وفي: (مقالات الأدباء ومناظرات النجباء) لابن هذيل، وفي: (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي توثيقًا لفصل توأم سيامي في التاريخ الإسلامي القديم برواية مباشرة على لسان الإمام الشافعي، مع تطابق مفردات الرواية في المراجع التراثية الثلاثة سوى اختلاف يسير جدًّا بينها يتعلق بزيادة جملة أو جملتين في نصِّ اثنتين منهما. تقول الرواية كما وردت في مقالات الأدباء: قال الشافعي - رحمه الله تعالى - بينما أنا أدور في طلب الحديث؛ إذ دخلتُ إلى أرض اليمن، فقيل لي إن ههنا امرأة من وسطها إلى أسفل بدن امرأة، ومن وسطها إلى فوق بدنان مفترقان بأربع أيدي ورأسين ووجهين. فأحببتُ أن أراها، فلم أستحلَّ أن أنظر إليها، فذهبتُ فخطبتها إلى أبيها فزوَّجنيها، فنظرتُ فيها وهي على ما وُصف لي من وسطها إلى فوق بدنين بأربع أيدي ورأسين، فلعهدي بهما يتقابلان ويتلاطمان، ويصطلحان، ويأكلان، ويشربان. ثم إني نزلتُ عنها وخرجت عن ذلك البلد، فأقمت برهة من الزمان ثم رجعتُ، فدخلتُ إلى ذلك البلد، فذكرتُ ذلك الشخص فسألتُ عنه، فقيل لي: أحسن الله تعالى عزاءك في الجسد الواحد فتعجبت من ذلك وقلت: كيف صُنِع بها؟ وكيف كان أمره؟ فقيل لي: إنه توفى الجسد الواحد، فعُمد إليه فربط من أسفله بحبل وثيق، وترك حتى ذبل فقطع ودُفن. قال الشافعي: فلعهدي بالجسد الآخر في الطريق ذاهبًا وجائيًا، فسبحان خالق كل شيء.





الفصل الخامس

التوائم السيامية بين أخلاقيات الطب ومبادئ الشريعة



الحرم المكي الشريف



الحرم النبوي الشريف

بين أخلاقيات الطب ومبادئ الشريعة

تُشكِّل التوائم السيامية تحديًا كبيرًا للمجتمع الطبي والجراحي وللمهتمين بأخلاقيات الطب والقوانين المنظمة للتعامل معها؛ خصوصًا في العالم الغربي، مع أن العالم الإسلامي لم يكن بعيدًا عن هذه التحديات؛ لا سيما في الفترة الأخيرة نظرًا للخبرة التي اكتسبتها المملكة العربية السعودية في هذا المجال.

وإذا عدنا إلى الوراء؛ فإن مطلع العصر الإسلامي يعدُّ سابقًا ومتفوقًا على غيره من العصور فيما يتعلق بدراسة النواحي الشرعية والأخلاقية للتوائم السيامية، فعندما طُرحتْ أسئلة مهمة تجاه أول سيامي في التاريخ المكتوب؛ حَظيت بإجابات سديدة صحبها نقاشٌ لنواحٍ فقهية مثل: الإرث، الزواج، هل التوأم شخص أم شخصان؟ وغير ذلك من الأسئلة الأخرى. وها نحن في عالمنا المعاصر نعيد إنتاج هذه الأسئلة نفسها ومناقشتها، ونختلف في إجاباتها وأحكامها وقوانينها، ليس على المستوى المحلي فحسب؛ بل والعالمي أيضاً.

وأود هنا تسليط الضوء على بعض هذه الجوانب المهمة، مع إبراز الرأي العلمي فقط تاركًا الإجابة الشرعية لأهل العلم والاختصاص من علمائنا الأفاضل حفظهم الله.. وسأتناول فيما يلي بعض النقاط التي كانت مثار استفسار العديد من الأشخاص، ثم أعرض لكل منها على حدة:

أولاً: التوأم السيامي شخص أم اثنان؟

ثمة اختلاف كبير على مدى التاريخ بين علماء الطب وعلماء القانون والشريعة حول متى يكون التوأم شخصًا واحدًا أو أكثر؟! ولقد كان لحكمة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ سبقٌ في الحكم على أول حالة توأم سجَّلها التاريخ الإسلامي وربما العالمي، وذلك عندما أُتيَ إلى سيدناَ عمر ـ رضي الله عنه ـ بإنسان له رأسان وفمان وأربع أعين وأربع أرجل وأربع أيد وإحليلان ودبران ثم سئل عن كيفية إرثه؟ فسأل جلساءه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رأيهم في هذه الحالة، فبادر سيدنا علي بن أبي طالب بالردِّ على هذه المسألة، فقال: إن أفضل طريقة تتمثل في مراقبة النوم والبول والبراز؛ فإن كانت في وقت واحد فالتوأم شخص واحد، وإن اختلف الوقت كانا اثنين. وروت بعض الدراسات نقلاً عن عدة مصادر تاريخية (الطرق الحكمية لابن القيم وتبصرة الأحكام لابن فرجون) أن علياً ـ رضي الله عنه ـ لما سئل عن حالة توأم ملتصق ما إذا كان شخصًا أو شخصين؟ قال: «فيها قضيتان:

ـ إحداهما: يُنظر إذا نام؛ فإن غطَّ غطيطًا واحدًا فنفسٌ واحدة، وإن غطَّ كلُّ منهما جميعًا فنفسان.

ـ يُطعمان ويُسقيان؛ فإن بال منهما جميعًا وتغوَّط منهما جميعًا فنفس واحدة، وإن بال كل واحد منهما على حدة وتغوَّط كل واحد على حدة فنفسان». وورد عنه أيضاً رضي الله عنه أنه قال: «إذا كانا ملتصقين وأعضاء كل منهما كاملة حتى الفرجين؛ فلهما حكم اثنين في جميع الأحكام.. فإن نقصت أعضاء أحدهما: فإن عُلم حياة أحدهما استقلالاً كنوم أحدهما ويقظة الآخر؛ فكاثنين وإلا فكواحد». (انظر حاشية القليوبي).



اشعة فوق الصوتية ملونة لتوأم ملتصق اثناء الحمل

شكلت هذه الإجابات أساس أو بداية القاعدة الفقهية للأحكام المتعلقة بهذه الظاهرة، فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ركَّزوا على الأعضاء الأساسية للحياة كمرجع لتصنيف التوأم السيامي، فإذا وُجدت هذه الأعضاء في كل منهما فهما اثنان، وإذا اشتركا فيها فهما واحد. غير أن الأمر من الناحية العلمية يتطلب قدرًا أكبر من التعمُّق، ولكي نصل إلى فهم أشمل للتوائم السيامية لا بدَّ من إطلاع القارئ على تصنيفها من حيث الأعضاء حتى يسهل الحكم العلمي عليها.. ومن ثم فإن التوائم تُقسَّم ـ كما أوردت في بداية الكتاب ـ إلى:

١ ـ التوائم الطفيلية: وهي التي يكون فيها توأمٌ مكتملٌ والآخر جزءٌ من جسد متطفل عليه، مثل أطراف علوية وصدر وجزء من بطن أو رأس أو رقبة أو أطراف سفلية فقط. والجزء المتطفل لا تنعدم فيه مقومات الحياة. أما ما يُسمَّى طفلٌ داخل طفل؛ فهو في الواقع جزء من أعضاء جسد داخل بطن مكتمل، وبالتالي فهو شخص واحد.

٢ ـ التوائم المكتملة: وهي التي تتوفر فيها مقومات الحياة ويمكن فصلها، ونقصد بمقومات الحياة: المخ والقلب، وإن كان بعض العلماء يُقيِّد المخ فقط؛ ولكني ـ وكثير غيري ـ أختلف مع ذلك، فإذا وُجدتْ مقومات الحياة (المخ والقلب) في كلا التوأمين؛ فإن التوأم اثنان ولكل منهما حقوقه.

٣ ـ التوائم المكتملة التي تشترك بأحد أعضاء مقومات الحياة: ونعني الاشتراك إما في المخ أو القلب، وبالتالي لا يمكن فصلهما دون أن يفقد أحدُهما حياته، فالتوأم هنا ـ في نظري ـ واحد وله حقوق الشخص الواحد فقط.

ثانياً: حكم التضحية بتوأم ليحيا الآخر:

ينطوي هذا الجانب على قدر عال جداً من الحساسية، وأثار ـ ومازال يثير ـ كثيرًا من الجدل بين الأطباء والمحاكم الشرعية والمهتمين بأخلاقيات مهنة الطب، ولعل قصة التوأم (ماري وجودي) من جزر مالطا بالبحر الأبيض المتوسط الذي نُقل إلى مدينة مانشستر بالمملكة المتحدة مع والديهما الكاثوليكيين تعطينا إجابة على ما يمكن عمله في مثل هذه الحالات. لقد كانا ملتصقين بالبطن والحوض، وكانت ماري تعاني ضمورًا حاداً بالمخ مع عيوب خلقية بالقلب والرئة تعيق استمرار الحياة؛ مما جعل الأطباء يقررون التضحية بتوأم ليحيا الآخر؛ لأن حياة ماري معتمدة على جودي (أي أن يُضحَّى بماري لحساب جودي). ولكن أهل التوأم ـ ولأسباب دينية ـ لم يوافقوا على إجراء العملية رغبة في أن تجري الأمور وفق حكم الله سبحانه وتعالى، وأحيل الأمر إلى المحكمة العليا التي حكمت ـ بعد جدال دام ثلاثة أشهر ـ بناءً على نصح الأطباء بالتضحية بماري لحساب جودي، وأجريت العملية بالفعل؛ ولكن مازال الجدال قائمًا إلى يومنا هذا.

ولعلي لا أجد مشاحة في دعوة العلماء والمهتمين إلى التريُّث في إصدار الأحكام ما لم تكن مبنية على دراسة علمية دقيقة لكل حالة، وبعد الإلمام بكل تفاصيلها. ولتسهيل الموضوع على القارئ والمتخصِّص؛ فإن التضحية بالجزء المتطفل في التوأم الطفيلي لا غبار عليه من الناحية العلمية، وينطبق الحكم نفسه على الجزء المتطفل في التوأم داخل توأم. وكذلك قد يسمح الحكم العلمي بذلك بالنسبة للتوائم السيامية التي تشترك في أعضاء مقومات الحياة إذا تأكد أن الحياة لا تقوم للآخر إلا بهذه الأعضاء كالاشتراك في القلب أو المخ؛ علمًا بأن فصل هذه الحالات بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً.

أما بالنسبة للتوائم المكتملة التي يمتلك كل منها أعضاء ومقومات حياة؛ فلا أرى ـ من الناحية العلمية ـ التضحية بتوأم ليحيا




اشعة فوق الصوتية (سود وأبيض اثناء الحمل لتوأم ملتصق من جهة الصدر وقلب واحد

الآخر؛ لأن من الممكن ـ من الناحية النظرية ـ فصلهما مع الإبقاء على حياتيهما معًا، وإذا حدثت مضاعفات خارجة عن الإرادة؛ فهذا حكمُ الله سبحانه وتعالى ولا رادَّ لما أراد. ومع هذا كله لا بد ـ في الحالات الخارجة عمَّا أشرنا إليه ـ من دراسة كل حالة بعناية ودقة حفاظًا على حياة الإنسان وكرامته.

ثالثاً: حكم الإرث:

من الناحية الطبية؛ فإن الحكم هنا مرتبط بموضوع التوأم السيامي ما إذا كان شخصًا واحدًا أو اثنين؟ فإذا رجعنا إلى الحكم في ذلك؛ فإن تلك التي تشترك في أعضاء مقومات الحياة والطفيلية ـ بما فيها طفل داخل طفل ـ تعدُّ شخصًا واحدًا، وعلى هذا يمكن تقسيم الإرث على اعتبار أنها شخص واحد. أما التوائم المكتملة التي تمتلك أعضاء ومقومات حياة فيمكن اعتبار أي توأم منها شخصان، وعلينا الانتباه إلى ما قد يترتَّب على الوفاة، أي إلى من يتوفى قبل الآخر؟ وغير ذلك من الجوانب المهمة التي تحكم توزيع الإرث؟.

رابعاً: حكم الزواج للتوائم السيامية المتصلة:

لا شك أن زواج التوائم السيامية من الموضوعات الحساسة والمهمة، وأقصد هنا أولئك الذين بلغوا سنَّ الزواج ولم يتم فصلهم. فإذا عدنا إلى رأي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فإنهم لا يرون جواز ذلك بحكم كشف العورة أمام الغريب، أي أن أحد التوائم سيرى أو ينظر إلى عورة زوج أو زوجة الآخر، وفي هذا المنحى يلزمنا إيضاح الناحية العلمية، وذلك بالعودة إلى ما ذكرناه سابقًا وطرح السؤال نفسه: هل التوأم السيامي شخص أم اثنان؟ فإذا كان يتمتع بمقومات شخص واحد؛ فقد يكون الحكم بالجواز، أما إذا كان الاثنان يشتركان في مقومات شخصين ولم يفصلا؛ فالأفضل فصلهما إلا إذا تعذر الأمر لأسباب طبية، وفي هذه الحالة يجب الاستئناس برأي الشرع والنزول عند الحكم الفقهي.

خامساً: حُكم القصاص:

في هذا الخصوص نحتاج إلى رأي الشرع من أجل إيضاح حُكم القصاص للتوأم السيامي الذي يرتكب جريمة حَدِّية عقابها القصاص، وتتعلق بذلك عدة مسائل هي:

- إذا كان الحكم بالقصاص في عضو منفرد ـ أي يخص توأماً بذاته ـ فالحكم سهل في ذلك.
- القصاص في عضو مشترك مثل يد مشتركة أو طرف سفلي مشترك.. فكيف يكون الحكم؟ وهل يُستبدل بعضو آخر منفرد؟
- ما حكم القصاص بالقتل إذا أقدم أحد التوأمين على قتل شخص عمدًا؟ مع الانتباه إلى أن تنفيذ حدِّ القتل قصاصاً في توأم يقضي على الآخر.

في مثل هذه الحالات التي سقناها يذهب الرأي العلمي أو يُرجِّح تأخير عملية القتل حتى يُفصل التوأم متى ما كان ذلك ممكنًا؛ ولكن ما الحكم إذا تعذَّر الفصل؟




توأم مجهض توفي داخل الرحم

سادساً: حُكم الإقرار بعملية الفصل:

تؤكد الوقائع وجود اختلاف شاسع بين الأطباء والمهتمين بأخلاقيات مهنة الطب والقانونيين الشرعيين وأهل التوائم حول من يملك قرار عملية الفصل، هل يعود قرار إجراء العملية إلى الوالدين؟ أم الأطباء؟ أم المحكمة؟ أم التوائم أنفسهم إذا كانوا راشدين؟

ربما كانت قصة التوأم (ماري وجودي) التي أشرنا إليها من أكثر الحالات التي شهدت جدلاً حاداً وخلافاً عميقاً بين والديِّ التوأم اللذين رفضا عملية الفصل من جهة، والمحكمة التي أقرت الفصل بناءً على الحيثيات والمبرِّرات التي ساقها الأطباء من الجهة الأخرى. ويلزمنا هنا تحديد أوجه الخلاف على اعتبار أن قرار فصل التوائم السيامية تعتريه بعض المخاوف من حيث:

- نسبة نجاح العملية.
- الخطر على أحد التوأم.
- المضاعفات وأثرها على حياة التوأم.

ومن وجهة نظري فإن الموافقة على إجراء عملية الفصل يجب أن تكون شراكة بين الفريق الجراحي ووالدي التوأم أو المخولين شرعًا بكفالة التوأم أو رعايته إذا كانا دون سن الرشد. أما إذا بلغاها فلهما حق الموافقة. ويجب على الأطباء كذلك التزام الشفافية والوضوح مع والدي التوأم ببيان وشرح كل المخاطر التي قد تنجُم عن عملية الفصل ونسبها والمضاعفات المصاحبة أو المتوقعة، وذلك من أجل أن يصدر القرار مبنيًا على حيثيات ومسوغات واضحة. وعندما يُهدِّد القرار حياة التوأم بنسب غير مقبولة أو يُسبِّب مضاعفات جسيمة؛ فإن من الواجب ألا يصدر إلا بعد دراسته بعناية وأناة، وربما يتدخل هنا طرفٌ ثالث للمساعدة في اتخاذه كالمحكمة مثلاً. ويرى بعض زملائي في المهنة أن عملية الفصل يجب ألا تزيد نسبة خطرها على الحياة - متضمنة المضاعفات الجسيمة - عن ٥٠٪. وحين تكون النسب غير مقبولة؛ فإن على الفريق الطبي الامتناع عن إجراء العملية وإن وافق عليها والدا التوأم، أو التوأم البالغان، أو المخوَّل شرعًا. وإذا كان هناك إمعانٌ في الضغط على الفريق الطبي؛ فيجب الاستعانة بطرف ثالث أو إشراكه مثل المحكمة أو السلطة المخوَّلة في وطنهما.. ونخلص إلى القول إن القرار الذي سيصدر يجب ألا يؤدي إلى إحداث ضرر أو خطر غير متعارف عليه من الناحية الطبية.

سابعاً: حُكم الأعضاء التناسلية المشتركة:

في بعض حالات التوائم السيامية تكون الأعضاء التناسلية مشتركة في جهاز واحد؛ داخلية كانت أو خارجية، وهنا يثور سؤال له أهميته في مثل هذه الحالات الصعبة، وهو: لمن تعطى هذه الأعضاء؟ ومن يُقرِّر ذلك؟

الجواب صعب والقرار حساس، وأرى أن تخصيص الأعضاء يجب ألا يكون مبنياً على الآراء والميول؛ بل على أساس علمي بحت حتى وإن كان التوأم الذي سوف يحصل على الأعضاء هو الأسوأ من الناحية الصحية، لذلك يجب أن تُبنى عملية تخصيص هذه الأعضاء على ارتباط الأوعية الدموية والمجرى التناسلي وارتباط الجلد والأعصاب وغير ذلك من الأسس العلمية الطبية. وبالنسبة للأعضاء التناسلية الخارجية؛ فتخضع للحكم نفسه، ويجب أن ينظر الفريق الطبي في إمكانية استحداث بدائل تجميلية تعوضهم عن جزء مما افتقدوه.




توأم مجهض لايمكن ان يعيش بسبب التشوهات الخلقية

ثامناً: حُكم إجهاض الحمل:

ساعد تطور الخبرة والتقنية الطبية على تشخيص الحالات في وقت مبكر من الحمل، ولقد نُشرت أبحاث عديدة تؤكد إمكانية تشخيص حالات التوائم السيامية ما بين الأسبوعين العاشر والعشرين من الحمل (أي من الشهر الثالث إلى السادس)، وطرح الأطباء والمهتمون بالتوائم السيامية أسئلة متعددة في هذا الخصوص، منها:

- لماذا نعرض الأم لخطر الحمل ومضاعفاته؟
- لماذا لا يُجهض الحمل من بدايته؟
- لماذا نُعرِّض التوائم إلى حياة صعبة؟

وغير ذلك من الأسئلة المتعددة والمحيِّرة، ولقد سُمح في عدة دول غربية بعمليات إجهاض الحمل السيامي إذا أمكن تشخيصه في بداية الحمل، وقلل ذلك بالفعل من مثل هذه الحالات في تلك البلدان.

وهنا نتساءل: ما هو الحكم الشرعي لإجهاض المرأة الحامل بتوأم سيامي؟ نترك الإجابة لأهل العلم الشرعي المؤهلين للفتوى لأنهم الأعلم بهذه الجوانب وأبعادها، والأكثر دراية بالأحكام الفقهية المبنية على علم بمصادر التشريع وضوابطه في المسائل المتعلقة بالأحوال الخاصة: ﴿ . . . **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ الأنبياء ـ آية (٧).

ولكني لا أجد غضاضة؛ بل أرى لزامًا علينا ـ نحن أهل العلم ـ أن نُبيِّن لأهل الفتوى الرأي العلمي ليستنيروا به ويسترشدوا بفحواه في إصدار أحكامهم الفقهية؛ خاصة في هذا العصر الذي تطورت فيه العلوم والمعارف والتقنيات وتداخلت فروعها وتشابكت في كثير من الجوانب والاختصاصات. وسأعرض هنا الرأي العلمي المتعلق بمسألة الإجهاض لعله يساعد على إصدار فتوى شرعية، مع التأكيد القاطع على أنني لا أتصدى هنا للفتوى ولستُ من أهلها؛ وإنما أطرح رؤية علمية فقط، ومن هذا المنطلق فإنني أرى وجوب وحتمية توفر شروط معينة قبل السماح بالإجهاض.

وتتلخص هذه الشروط فيما يلي:

- أن يتم التشخيص في بداية الحمل بين الأسبوعين العاشر والعشرين كما سبق أن ذكرت.
- إذا كشف التشخيص وجود عيوب خلقية لدى التوأم السيامي يتعذَّر معها استمرار الحياة.
- إذا ثبت بموجب تقرير من الفريق الطبي أن الحمل يُهدِّد حياة الأم.
- أن يُوثَّق التشخيص بواسطة فريقين طبيين مختلفين ممَّن هم أهلٌ للثقة، ولهم خبرة واسعة في هذا المجال، وذلك منعًا للتساهل، أو إصدار رأي يشوبه القصور.

فحين تتوافر هذه الشروط؛ فإن أهل العلم والفتوى قد يسمحون بإجهاض الحمل في الحالات التي سبقت الإشارة إليها، ولعل العلماء الأفاضل في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يجدون في هذا الرأي العلمي ما يساعدهم على إصدار فتاوى يمكن أن تشكل مرجعية للمختصين والمعنيين في بلداننا الإسلامية.



الفصل السادس

الطب رسالة دعوية



«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» والد التوأم الكاميروني يعلن إسلامه

الطب رسالة دعوية

في ظل سباق الثقافات، ومحاولات النصرانية المعاصرة وبعض المذهبيات الأخرى تصدير نماذجها وقيمها؛ أصبحت الدعوة فناً إعلامياً متطورًا، وتعددت طرقها وأساليبها، ولم تعد قاصرة على الخطاب المباشر أو الاتصال الشخصي، بل دخلت أساليب أخرى كثيرة نتاجًا لدراسات وأبحاثٍ وتقييمٍ للشعوب المستهدفة وبيئاتها وعاداتها وتقاليدها، وعمدت النصرانية إلى إنشاء صحف وفضائيات تتركز مهماتها في التبشير وتسويق قيم الغرب المسيحي، وفي استمالة مشاعر الجماهير لجمع التبرعات. وصحب ذلك قيام جمعيات خيرية متعددة الأغراض لها إسهامات واضحة في برامج التنصير إعلامية كانت أو اقتصادية أو تعليمية أو ثقافية أو رياضية. ولنا أن نتصور أن بعض المنظمات التبشيرية العاملة في مناطق المسلمين بعدة دول أفريقية فقيرة تلجأ إلى حيل ماكرة تتمثل في توزيع الوجبات والملابس والحلوى، وفتح المراكز الصحية والمختبرات لاستقبال المرضى وتوزيع الدواء، وتنفيذ برامج محو الأمية والإسعافات الأولية، وتعليم التفصيل والحياكة والمخبوزات في أوقات الصلوات الخمس.. وبالتالي فإن من يذهب إلى المسجد يفقد حصته من حاجاته ومتطلباته الملحة.

ومن المعلوم أن الدعوة الإسلامية - ومنذ العهود السابقة - لا تلجأ إلى استغفال الشعوب، أو إيهامها والتمويه عليها بأي أسلوب من الأساليب المخادعة، فهذا ليس من شيم وقيم المسلم الذي يحثه دينه على الصدق، ويمنعه من الغش والكذب.. ولذا اشتهر المسلمون في الشرق وفي الأندلس بالصدق والمعاملة الحسنة مع غير المسلمين، ولم تكن علومهم ومعارفهم ملكية خاصة؛ بل أتاحوها لكل الشعوب، وبذلوا لها خبراتهم ومهاراتهم في مجالات الطب والصيدلة والجراحة والرياضيات وغيرها، وكان هذا النهج سببًا في أن يجد غير المسلمين في الإسلام منهج حياة وقيمًا إنسانية وسلوكية يعزُّ نظيرها في الديانات الأخرى.. وكان الطب - وما زال - أحد أهم المنافذ والمداخل الإنسانية في الدعوة إلى الله.

آيات طبية في القرآن تهدي علماء إلى الإسلام

يقول الدكتور عبد الكريم ساتيو الياباني أستاذ الاقتصاد في إحدى الجامعات اليابانية، كما أورد محمد الطهطاوي في كتابه (الدعوة إلى الإسلام): «إنني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها من صغري وأعلمها جيداً، فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنِّي تيقنت أنّ محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم أتى بالحق الصريح من قبل أكثر من ألف سنة.....، ولو كان كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلَّم جيداً - كما قارنت أنا - لأسلم بلا شك، إن كان عاقلا خاليا من الأغراض».

ويقول الدكتور زغلول النجار في إجابة على سؤال أهمية الإعجاز العلمي ضمن حوار طويل أجراه معه صحفي وباحث مصري: إن الإعجاز العلمي يفيد المسلم في فهم دلالة الآيات فهما عميقاً، ويثبت له صدق القرآن الكريم بالإشارة إلى هذه الحقيقة ويزيد الإيمان في قلبه ويزيده يقينا بالقرآن الكريم، ويدعو غير المسلمين لقراءة القرآن الكريم من مدخل الآيات الكونية كما حدث



و أخرى تعمل بالشئون الصحية تشهر إسلامها





إحدي موظفات الشئون الصحية تشهر إسلامها

مع عشرات العلماء، مثل موريس بوكاي وكيت مور وكثير من الذين أسلموا. ويضيف: العلم والمعرفة سبب للهداية، فلو ثبتت لعالم غربي حقيقة كونية لم تكن معروفة قبل ١٠٠ سنة مثلاً، وأن هناك كتاباً قبل ألف وأربعمائة سنة يتحدث عنها؛ سيقنعه هذا بجدية هذا الكتاب وسيدفعه لقراءته وقد يكون ذلك مدخله للإيمان.

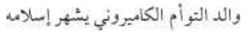
أما العالم الفرنسي موريس بوكاي أشهر جراحي فرنسا الحديثة فيقول في مقدمة أحد كتبه: «لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدقة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقتها تماما للمعارف العلمية الحديثة.. وذلك في نص قد كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا».

وروى الدكتور زغلول النجار في كتابه: (الذين هدى الله) أنه حضر مؤتمرًا للإعجاز في العاصمة الروسية موسكو، وفي هذا ـ المؤتمر الذي أسلم فيه عدد من العلماء ـ وقف العالم الكندي كيث مور أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم ليقول: «إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكوُّن الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا يدلُّ على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله وأن محمدًا رسول الله». فسألوه: هل أنت مسلم؟ فأجاب: لا؛ ولكنني أشهد أن القرآن كلام الله وأن محمدًا مرسل من عند الله. فقيل له: إذن أنت مسلم. فقال: «أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن، ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يومًا أن كيث مور قد دخل الإسلام» وبالفعل وردت الأنباء بإعلان إسلامه كما أكد ذلك الدكتور النجار.

وعرض بعض العلماء المسلمين على البروفسور تيجاتات تيجاسون رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك مي بتايلند بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح، واستمع كذلك إلى محاضرة أعدها البروفسور كيث مور أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا حول مطابقة علم الأجنة لما في القرآن الكريم والسنة، كما سألوه في مجال تخصصه أسئلة تتعلَّق بالجلد وما إذا كانت هناك مرحلة ينعدم فيها الإحساس بالألم؟ وعندما أجاب بأن ذلك يمكن حدوثه إذا كان الحرق عميقًا ودمر عضو الإحساس بالألم، قالوا له إن القرآن الكريم قد أشار إلى تلك الحقيقة العلمية قبل أكثر من ١٤٠٠ عام عندما ذكر الطريق التي سيعاقب بها الكافرين يوم القيامة وذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب**﴾ النساء الآية ٥٦، فقال «إن هذا أمر يدعو للدهشة والغرابة، فتلك معرفة مبكرة جدًا عن مراكز الإحساس والأعصاب في الجلد، ولذلك وقف في ختام جلسات المؤتمر الطبي السعودي الثامن وبعد أن استمع إلى عدة محاضرات عن الإعجاز العلمي؛ ليعلن: «بعد هذه الرحلة الممتعة والمثيرة فإني أومن أن كل ما ذُكر في القرآن الكريم يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية، وحيث أن محمدًا نبي الإسلام كان أميًّا؛ إذن لا بد أنه قد تلقى معلومات عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء، وإنني أعتقد أنه قد حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

ويؤكد الأديب والمفكر الإنجليزي المشهور محمد مرمادوك بكثول كما أوردت مجلة المختار الإسلامي في عددها رقم ٤١ الصادر في رجب من عام ١٤٠٦هـ: «إن خلاص العالم من أزمته يكمن في اتباع المنهج الإسلامي، فالإسلام يملك مفتاح الإصلاح لأنه يمتاز بقاعدتين هما؛ التسامي وروح الجماعة، ويعلمنا أن نرى في كل حادث وفي كل شيء آية من آيات الله ورمزاً لوجود





والد التوأم الكاميروني يشهر إسلامه

والد التوأم الكاميروني بعد إشهار إسلامه مع
الشيخ د. إبراهيم أبو عباة

أعلى يُسيِّرنا، ويُسيِّر الطبيعة والمجتمع . وهدف الدين الرئيسي هو التناسق والوحدة الصادرة عن الله والعائدة إليه، ومما يجعل الإنسان إنساناً هو اتجاهه إلى تحقيق إرادة الله». ويتابع : «إن الغرب الآن في حاجة إلى الإسلام اكثر من أي وقت مضى ، ليعطي للحياة معنى وللتاريخ مغزى، وحتى يغير أسلوب الغرب في الفصل بين العلم والحكمة أو فصل التفكير عن الوسائل، وفصل التفكير عن النتائج ، إن الإسلام لا يضع حاجزاً بين العلم والإيمان؛ بل على العكس من ذلك يربط بينهما باعتبارهما وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة. والإسلام يدعو الإنسان إلى أن يفتش ويبحث عن نهايته العظمى ومآله، كما يمكن له أن يعيد إحياء الأمل في مجتمعاتنا الغربية المتأثرة بالفردية بطريقة من النمو تقود العالم بأجمعه إلى الانتحار».

ألكومسو يعلن إسلامه

وتأكيدًا لدور الطب في الدعوة لله فقد كانت الجراحة التي أجريت لفصل التوأم السيامي الكاميروني بنجاح في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني سببًا أساسياً في إسلام والدهما السيد جيمس الكومسو الذي توصل إلى قناعة تامة بسماحة الدين الإسلامي، وبحسب قوله فإنه وجد في الإسلام مظاهر وسمات إنسانية لم يلمسها من قبل في أي دين أو مذهب آخر؛ بل ولا حتى في الأعراف والقيم الاجتماعية والإنسانية التي تتباهى بها دول متقدمة عديدة في مختلف أنحاء العالم. . لقد أحسَّ ـ وفق إفادته ـ منذ أن وطئت قدماه تراب المملكة العربية السعودية، ودخوله مع توأمه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بأريحية الاستقبال وبفيض من مشاعر المحبة وحسن التعاون والإخاء والتواضع والرحمة، لم يكن يتوقع ذلك، بل اتسعت مساحة الدهشة في دواخله، لقد كان يحمل اعتقادًا سالبًا بأن العرب يتعاملون مع الآخرين بحسب ألوانهم، وأن مظاهر التفرقة عندهم تعلو على غيرها من المظاهر، وأن المسلمين يتَّسمون عادة بالفظاظة والقسوة وكراهية أصحاب المعتقدات الأخرى، هكذا أسهم الإعلام في بناء هذه الخلفية لدى غير المسلمين خاصة في أفريقيا، لقد انعكست هذه المفاهيم تمامًا وتحوَّلت إلى إيجابيات، وهذا ما دفعه وحفزه إلى القراءة والبحث عن أساسيات هذا الدين ومبادئه وتعاليمه وقيمه ونهجه في صياغة الحياة وسلوكيات الإنسان، لقد أدرك أن دينًا يصوغ شعبًا بهذه القيم الرفيعة؛ لا بد أن يكون دينًا سمحًا يتسع لكل بني الإنسان بصرف النظر عن ألوانهم وألسنتهم ومعتقداتهم وبلدانهم. . وشعر ـ وهو في أوج هذه التأملات والقراءات ـ أنه بات يقترب كثيرًا من الدين الإسلامي، وتتنامى لديه الرؤية والقناعة بأنه الدين الذي يتسع لجميع الشعوب، ويُمكنه معالجة كل مشكلات البشرية إذا استوعب الناس خطاباته وتوجيهاته، وتمسَّكوا بمبادئه، وطبَّقوا نهجه وتعاليمه بشكل صحيح.

وضاعف من يقين الرجل و قناعاته التي مهَّدت لـه طريق النور والهداية أنه رأى في مبادرة خادم الحرمين الشريفين بفصل التوأم، وفي زيارته لهما بالمستشفى عملاً غير عادي، ويتجاوز حدود العلاقات والمعاملات الإنسانية، فكيف برئيس دولة عربية كبرى، وقائد وشخصية إسلامية مرموقة؛ أن ينصت ويهتم ويتجاوب مع قضية أسرة نصرانية فقيرة قادمة من دولة فقيرة في أقصى وسط غرب أفريقيا. .؟ أيُّ نوع من التسامح هذا؟ إن هذا لأمرٌ عجيبٌ حقًّا. لقد تأثر الكومسو كثيرًا بإنسانية خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ وأحدث حسن معاملته خلخلة في تصوراته السابقة عن الإسلام والمسلمين ! كما استغرب أيضاً؛ بل لم



مركز الملك عبدالله الإسلامي بقرية بانجي بالكاميرون

يكد يصدق الإخلاص في التعامل، ولا البشاشة التي أحاطه بها الفريق الطبي منذ لحظات الاستقبال وحتى مغادرة المستشفى.

وما أن أسلم الكومسو حتى أعلن أن إسلامه لن يقتصر على النطق بالشهادتين وأداء الفرائض فقط؛ بل سيتعمق في الدراسات الإسلامية ليتعرف أكثر فأكثر على دينه الجديد بالقدر الذي يعينه على الدفاع عنه والدعوة له عن فهم ووعي، وقال إن زوجته وأسرته ستكون محطته الأولى ومنطلقه في الدعوة إلى الله عز وجل، ثم تمتد جهوده إلى أهله وعشيرته ومجتمعه.

والآن لعل أطباء الإسلام يوظِّفون مهاراتهم الجراحية والدوائية في توسيع دائرة الدعوة إلى الله، ويجعلون مواقعهم في المشافي والمختبرات ومراكز الأبحاث ثغورًا من ثغور الإسلام، تُمهِّد وتفتح الطريق أمام أصحاب الديانات الأخرى واللادينيين للتعرف على الإسلام والاقتراب منه، والإلمام بقيمه الإنسانية العظيمة التي تعد مفتاح الدعوة ووسيلة إقناع سهلة ومتاحة بإذن الله.

غيرنا يشهدون:

شهد كثير من غير المسلمين بأن للإسلام والمسلمين فضل كبير في صناعة الحضارة المعاصرة، وقد برز في تاريخ الإسلام علماء ومفكرون أثروا الحياة الإنسانية باكتشافاتهم واختراعاتهم في مختلف مجالات العلوم والمعارف، وقد أفادت الحضارة الغربية من العلوم العربية والإسلامية في بناء نهضتها وتقدمها، وأثبت بعض منصفيها هذا الفضل؛ بينما أنكره آخرون وحرَّفوا أسماء العلماء العرب والمسلمين، وحوَّروا مصطلحاتهم وألبسوها حُلَّة غربية إمعانًا في الإنكار ونفي العلم والمعرفة عن أصحابها.

ومن الشخصيات المعاصرة التي أنصفت الحضارة الإسلامية ـ كما أورد الدكتور محمود زقزوق في ملحق كتابه: (الإسلام والغرب) الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا وروبين كوك وزير خارجيتها السابق. يقول الأمير تشارلز في محاضرة له بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ألقاها في أكتوبر ١٩٩٣م: «إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع مجالات البحث الإنساني، وقد ساهم في إنشاء أوروبا المعاصرة.. إنه جزء من تراثنا وليس شيئًا منفصلاً عنه». ويقول أيضاً: «لقد تم الاعتراف منذ عهد طويل بمساهمة أسبانيا في ظل الحكم الإسلامي في الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكية خلال عصور الظلام في وضع اللبنات الأولى للنهضة الأوروبية؛ لكن أسبانيا في عهد المسلمين كانت أكثر من مجرد مخزن حيث احتفظت بالمعارف والعلوم الإغريقية التي استفاد منها فيما بعد العالم الغربي العصري الذي أخذ في الظهور. وهي في عهد المسلمين لم تقم فقط بجمع وحفظ المحتوى الفكري للحضارة اليونانية والرومانية؛ بل فسَّرت تلك الحضارة وتوسعت بها وقدمت مساهمة مهمة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني في العلوم والفلك والرياضيات والجبر والقانون والتاريخ والطب وعلم العقاقير والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية وعلم الدين والموسيقى. وقد ساهم ابن رشد وابن زهر ـ على غرار نظيرهما ابن سينا والرازي في الشرق ـ في دراسة الطب وممارسته بطرق استفادت منها أوروبا لقرون كثيرة بعد ذلك.... كما أن كثيرًا من المزايا التي تفخر بها أوروبا العصرية جاءت أصلاً من أسبانيا أثناء الحكم الإسلامي، فالدبلوماسية وحرية التجارة والحدود







أساسات مركز الملك عبدالله الإسلامي

أساسات مركز الملك عبدالله الإسلامي

المفتوحة وأساليب البحث الأكاديمي وعلم الإنسان وآداب السلوك وتطوير الأزياء والطب البديل والمستشفيات، جاءت كلها من تلك المدنية العظيمة».

ويقول روبن كوك: «إن ثقافتنا مدينة للإسلام بدَيْن يجدر بالغرب ألا ينساه .... وأن الشيء الكثير من أسس حضارتنا يعود الفضل فيها إلى العالم الإسلامي».

وأورد الأستاذ محمد عبد الصمد في كتابه: (الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء) أن عالمًا ألمانيًا سئل في محفل علمي عن سبب إسلامه؟ فأجاب: «دعاني إلى الإسلام تلك الآية الجليلة من سورة القيامة: ﴿**أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نُسوِّي بنانه**﴾ القيامة ـ آيتان (٣ ـ ٤).. فالآية الثانية تشير إلى بصمات الأنامل.... والكشف عن حقيقة هذه البصمات لم تكن تعرفه أوروبا ـ فضلاً عن العرب ـ إلا في عصرنا هذا، مما يدل على أن القرآن مُنزَّلٌ من عند الله وليس من كلام البشر. وما كان العرب ومن عاصرهم يدرك المعنى الحقيقي لهذه الآية». واقتبس المؤلف من حديث طويل للطبيب الفرنسي على سلمان بنوا قوله: «إن العامل الرئيسي في اعتناقي للإسلام هو القرآن الكريم الذي يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية، وكان هذا كافيًا لاقتناعي وإيماني بمحمد رسول الله. إنني أشعر بالغبطة الكاملة في ظل عقيدتي الجديدة، وأعلنها مرة أخرى: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله». وأورد كذلك مقولة للكاتب الإنجليزي الشهير ليونارد: «... ألم يأن لنا ـ نحن الذين نعد أنفسنا في أعلى قمة التهذيب ـ الاعتراف بأنه لولا التهذيب الإسلامي ومدنية المسلمين وعلومهم وعظمتهم وحسن نظام جامعاتهم لكانت أوروبا اليوم تهيم في ظلام بهيم.....».

وأورد الدكتور عبد القادر محمد منصور في كتابه: (الإعجاز الطبي في القرآن الكريم) وهو يتحدث عن أصول التخليق للكائن الجنيني التي قررها القرآن الكريم بدقة متناهية لا يمكن للعلم التجريبي تجاوزها شهادة إنصاف ـ نقلاً عن صحيفة الاتحاد الإماراتية ـ للدكتور ريتشارد فون فايتسكر رئيس جمهورية ألمانيا الغربية قالها أثناء حوار بينه وبين طلاب وطالبات الجامعات الألمانية بمناسبة العام الدراسي الجديد: «إن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي فسَّر علم الأجنة بما عجز عنه العلماء حتى الآن».. وبيَّن أن الرئيس الألماني يشير بذلك إلى الآيات من ١٢ ـ ١٤ من سورة المؤمنون: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ المؤمنون ـ آية (١٤).









صور من قرية بانجي (قرية التوأم الكاميروني) حيث أشهر أكثر من سبعمائة وعشرين كاميروني إسلامهم



الفصل السابع

شهرة سعودية عالمية
في جراحة التوائم السيامية



إنسانية
قائد

شهرة سعودية عالمية في جراحة التوائم السيامية

أكبر الخبرات في العالم

لقد اكتسبت المملكة العربية السعودية خبرة كبيرة في التعامل مع التوائم السيامية ونالت شهرة عالمية واسعة بفضل الله ثم النتائج الباهرة والمتميزة التي حققتها في هذا المجال، ويعكس هذا جانبًا مشرقًا ومُشرِّفًا لها وللعالم العربي والإسلامي أجمع. ولعل هذه الخبرة وغيرها من الخبرات المتعددة والمتنامية الأخرى في المملكة تبرهن للعالم بوضوح أن ديننا الإسلامي دين محبة وإخاء وتسامح، ويدعو إلى إحياء الروح الإنسانية وحفظ كرامتها وصيانتها مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا**﴾ المائدة آية (٣٢). ولا شك أننا نعيش اليوم في عالم غريب تتقاطر فيه الفتن كقطع الليل المظلم، وتشتعل الحروب والصراعات، وتتفاعل الخصومات في كل مكان لتشكل رافدًا أو شريانًا يُغذِّي وسائل الإعلام، وأضحت أخبار وصور القتل والدمار والتشريد مادة أساسية في الصحف ونشرات الأخبار بالفضائيات والإذاعات، حتى أصبح منظر الدم والجثث شيئًا مألوفًا لا يُحرِّك الوجدانيات ولا يثير مشاعر الشفقة أو يرفع (ثرمومتر) أو مؤشر الرحمة؛ بل صار المشاهد يتقبَّله دون تأفف أو إحساس بفظاعته، بل إن دماء المسلمين التي تُراق كشلالات هادرة لم تعد تستقطب سوى بعض عبارات الاستنكار التي تخرج من أطراف الألسنة، وينتهي أثرها بعد مغادرتها الشفاه. ولأن كثيراً من البؤر الملتهبة في العالم تقع داخل نطاق الجغرافيا العربية والإسلامية؛ فقد ركز الإعلام الغربي على نقل صورة قاتمة ومشوهة عن العرب والمسلمين، وتصنيفهم شعوبًا متوحشة تعادي العالم المتحضِّر، وتعيش بعقلية الغاب.. ولذلك سنتطرق بإسهاب لهذه الخبرة مع التركيز على الجوانب الإنسانية والعملية منها.

عندما شرَعتُ في إعداد هذا الكتاب؛ كان مجموع ما تكون لدينا من هذه الخبرة ٤٨ حالة توائم سيامية، أجريت عملياتها في الفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٨م، وهي تعدُّ بالنسبة لفريق طبي واحد باعتبار العدد من أكبر الخبرات في العالم، وتوزعت على توائم يمثلون دولاً متعددة وديانات متباينة، وألوانًا وسحنات ولغات مختلفة، منها توائم من المملكة العربية السعودية، وأخرى من السودان ومصر واليمن والعراق والمغرب وماليزيا والفلبين وبولندا وسلطنة عمان والكاميرون. ولقد قسمتُ خبرة التوائم السيامية إلى ثلاث مجموعات، منها المجموعة الأولى التي أُجريت لها عمليات فصل في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث أولاً ثم في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وقد استعرضناها تفصيلاً في أول فصول هذا الكتاب وعددها ١٨ توأماً سيامياً، ونتناول هنا المجموعتين الأخريين وهما: أولاً: التوائم التي يستحيل فصلها. ثانياً: التوائم الطفيلية. فمن بين ٤٨ توأماً كانت هناك ٣٩ حالة شُخِّصت قبل الولادة و ٣٧ وُلدت بعمليات قيصرية.

يوضح الجدول رقم (١) عدد الحالات التي تمت متابعتها بواسطة الفريق الطبي السعودي، والبلدان التي ينتمون إليها، ويتبين


توأم ملتصق بقلب واحد


توأم سيامي ولدا ميتين

منه أن المملكة العربية السعودية تقف على رأس القائمة؛ بينما تأتي جمهورية السودان في المرتبة الثانية تليها الجمهورية اليمنية ثم جمهورية مصر العربية، فمملكة ماليزيا، فجمهورية الفلبين، فبولندا، فالمملكة المغربية، فالجمهورية العراقية.

ويوضح الجدول رقم (٢) طبيعة التصاق التوائم وعدد الحالات المتشابهة، ويبيِّن أن عدد الحالات التي كان الاتصال فيها بالصدر ١٨ حالة، والتي كان الاتصال فيها بالبطن ٥ حالات. أما الحالات التي كان فيها الاتصال بالصدر والبطن والحوض فقد بلغت ١٧ حالة؛ بينما بلغ عدد الحالات المتصلة بالحوض ٤ حالات، والمتصلة بالورك حالة واحدة، والتوائم الطفيلية ٣ حالات.

ولقد تمكن الفريق الطبي من فصل ٢٠حالة بنجاح ولله الحمدوهناك حالتان تحت انتظار الفصل، أما البقية فلم يتم فصلهم للأسباب التالية:

- الاشتراك بقلب واحد.
- الاتصال بين القلبين مع وجود عيوب كبيرة.

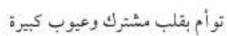
م	الدول التابعة لها	عدد الحالات
١	المملكة العربية السعودية	٢٧
٢	جمهورية السودان	٦
٣	الجمهورية اليمنية	٢
٤	جمهورية مصر العربية	٢
٥	مملكة ماليزيا	١
٦	جمهورية الفلبين	٢
٧	بولندا	١
٨	المملكة المغربية	٢
٩	جمهورية العراق	٢
١٠	دولة الكاميرون	١
١١	سلطنة عمان	١
١٢	سوريا	١
	الإجمـــــالي	٤٨

جدول رقم (١) عدد التوائم موزعاً حسب الدولة



توأم سيامي ولدا ميتين





توأم بقلب مشترك وعيوب كبيرة

- عيوب خلقية كبيرة تعيق استمرارية الحياة.

وسنتناول هنا التوائم التي يصعب فصلها والتوائم الطفيلية كي يقف القارئ على تفاصيل هاتين المجموعتين بعد أن تعرف على تفاصيل المجموعة الأولي في الفصل الأول أي (التوائم التي تم فصلها):

أولاً: التوائم التي يصعُب فصلُها:

بلغ عدد التوائم في هذه المجموعة ٢٨ توأماً، ولم تكن عمليات فصلها ممكنة لأسباب علمية وأخلاقية متعلقة بالطب كمهنة، من بينها عيوب خلقية كبيرة تعيق استمرارية الحياة، كما لا يمكن التضحية بتوأم لحساب الآخر. ولم تتوفر لجميع هذه التوائم إمكانية الاستمرار على قيد الحياة لأكثر من عدة أسابيع نظرًا لوجود عيوب خلقية بالقلب والجهاز التنفسي.

ويوضح الجدول رقم (٣) حالات التوائم السيامية الثمانية والعشرين التي أثبتت الفحوصات الطبية صعوبة فصلها نظرًا لوجود عيوب خلقية تعيق حياتها، وكانت أقصى مدة استمرت فيها توائم هذه المجموعة على قيد الحياة هي ٢٥ يومًا.

م	مواقع الإلتصاق	عدد الحالات
١	الصدر	١٨
٢	الصدر والبطن والحوض	١٧
٣	البطن	٥
٤	الحوض	٤
٥	التوائم الطفيلية	٣
٦	الورك	١
٧	الرأس	١
	الإجـــمـــالـــي	**٤٩**

جدول (٢) مكان الالتصاق وعدد الحالات







توأم سيامي بقلب مشوه

توأم بقلبين مشتركين وعيوب كبيرة

م	النوع	العيوب الخلقية بالقلب والأعضاء المشتركة	النتيجة
١	توأم متصل بالصدر مع ٤ أرجل	قلب مشترك، ثقوب بين البطينين والأذينين، ضمور بشريان الرئة، كبد مشتركة	توفيا وعمرهما ١٠ أيام
٢	توأم متصل بالصدر مع ٤ أرجل	قلبان متصلان بالبطين مع عيوب خلقية واشتراك بالكبد	توفيا وعمرهما ٥ أيام
٣	توأم متصل بأعلى الصدر والصدر والبطن مع رجل لكل منهما	قلب واحد مع عيوب خلقية متعددة بالقلب واشتراك بالكبد والأمعاء	توفيا وعمرهما ١٢ يومًا
٤	توأم متصل بالصدر والبطن بأربعة أرجل	قلب واحد مشترك وبعيوب خلقية مع اشتراك بالكبد وعدم اكتمال جدار البطن	توفيا عن ساعة من العمر
٥	توأم متصل بالصدر بأربعة أرجل	قلبان متصلان مع عيوب خلقية كبيرة	توفيا وعمرهما ١٦ يومًا
٦	توأم متصل بأعلى الصدر والبطن ولكل منهما رجل واحدة	قلب واحد مع ثقوب وضمور بالبطين وكذلك الشريان الرئوي واشتراك بالكبد والأمعاء والمسالك البولية	توفيا وعمرهما ٥ أيام
٧	توأم متصل بالصدر بأربعة أرجل	قلب واحد بعيوب واشتراك بالكبد والأمعاء	وُلدا متوفيين
٨	توأم متصل بأعلى الصدر والصدر والبطن مع رجل لكل منهما	قلبان متصلان على مستوى البطين بعيوب خلقية كبيرة واشتراك بالكبد والأمعاء	توفيا وعمرهما ١٦ يومًا
٩	توأم متصل بالصدر بأربعة أرجل	قلبان متصلان على مستوى البطين مع عيوب خلقية متعددة وهبوط بالرئة	توفيا وعمرهما ٥ أيام
١٠	توأم متصل بالصدر والبطن والحوض بثلاث أرجل	عيوب واتصال بين القلبين مع اشتراك بالكبد والأمعاء والجهاز البولي	توفيا وعمرهما ٨ أيام
١١	توأم متصل بالصدر والبطن بأربع أرجل	قلب واحد مشترك بعيوب واشتراك بالكبد	توفيا وعمرهما ٢٢ يومًا
١٢	توأم متصل بأعلى الصدر والبطن ولكل منهما رجل واحدة	قلب واحد مشترك وبعيوب خلقية مع اشتراك بالكبد والأمعاء والمسالك البولية	توفيا وعمرهما ٥ أيام
١٣	توأم متصل بالصدر بأربعة أرجل	قلبان متصلان مع عيوب خلقية متعددة واشتراك بالكبد	توفيا وعمرهما ٢٥ يومًا
١٤	توأم متصل بالصدر والبطن بأربع أرجل	قلب واحد مشترك بعيوب خلقية متعددة مع هبوط بالجهاز التنفسي واشتراك بالكبد	توفيا وعمرهما ٣ أيام



توأم بقلب واحد مشوه



توأم ولدا ميتين

م	النوع	العيوب الخلقية بالقلب والأعضاء المشتركة	النتيجة
١٥	توأم متصل بأعلى الصدر والبطن ولكل منهما رجل واحدة	قلب واحد مشترك بعيوب مع اشتراك بالكبد والأمعاء والمسالك البولية	توفيا وعمرهما ١٥ يومًا
١٦	توأم متصل بالرأس والصدر والبطن بأربع أرجل	عيوب خلقية كثيرة بالصدر والبطن	وُلدا متوفين
١٧	توأم متصل بالصدر والبطن والحوض بثلاث أرجل	قلب واحد مشترك وبعيوب كثيرة مع اشتراك بالكبد والأمعاء والمسالك البولية	توفيا وعمرهما ساعة
١٨	توأم متصل بالصدر والبطن مع ٤ أرجل	قلبان متصلان بعيوب خلقية متعددة	توفيا وعمرهما ١٧ يومًا
١٩	توأم متصل بالصدر والبطن والحوض		توفيا وعمرهما ١٠ أيام
٢٠	توأم متصل بالصدر والبطن		توفيا وعمرهما ٦ أيام
٢١	توأم متصل بالصدر		توفيا وعمرهما يوم
٢٢	توأم متصل بالصدر والبطن والحوض مع طرفين سفليين		توفيا في اليوم الثاني بعد الولادة
٢٣	توأم متصل بالصدر والبطن	قلب واحد مشترك واشتراك بالكبد	وُلدا متوفيين بعملية إجهاض
٢٤	توأم متصل بالرأس و الصدر والبطن والحوض مع أربعة أطراف سفلية	اشتراك بالكبد والأمعاء	وُلدا متوفين
٢٥	توأم متصل بالصدر والبطن		وُلدا متوفيين بعملية إجهاض
٢٦	توأم متصل بالصدر والبطن مع أربعة أطراف سفلية	التصاق بالقلبين وعيوب خلقيه بهما وعيوب خلقية متعددة	وُلدا متوفيين بعملية إجهاض
٢٧	توأم متصل بالصدر والبطن مع أربعة أطراف سفلية	قلب مشترك به عيوب	وُلدا متوفيين بعملية إجهاض
٢٨	توأم متصل بالصدر والبطن مع ثلاثة أطراف سفلية	التصاق بالقلبين وعيوب خلقيه متعددة	توفيا في اليوم الثاني بعد الولادة

جدول رقم (٣) الحالات التي لم يتم فصلها



الفصل الثامن

خبرة سعودية بعيون دولية



محاضرة في الجمعية الكندية لجراحة الأطفال

خبرة سعودية بعيون دولية

إن المحك الرئيس لكل خبرة أو تطور علمي هو مدى تقبل المجتمع العلمي لتلك الخبرة أو ذلك التطور ونشره في المجلات العلمية العالمية المحكمة، أي التي يشارك في تحكيمها علماء متخصصون. ومن هنا لا بد من الإشارة إلى أن خبرة المملكة العربية السعودية نشأت بمبادرة إنسانية بحتة وبكوادر علمية وطبية استثمرها الوطن وجعل منها نواة مشرقة يعتزُّ بها، ويفخر بها كل مواطن محبٍّ لوطنه رغم إنكار المنكرين وجحود الجاحدين.

لذا رأيت من واجبي تجاه وطني وزملائي والشعب السعودي توثيق هذه الخبرة في المحافل العلمية العالمية، ولحسن الحظ أنها اشتهرت وذاع صيتها دون قصد منَّا أو تهافت على الشهرة، أو مسعى لبناء سمعة، فهذا ليس من ديدننا ولا شيمنا ولا قيمنا، فالعلم يُبذل لمصلحة البشرية وللإسهام في تقويمها من أجل بناء عالم صحيح متعاف خال من الأمراض ومن الصراعات والحروب، وهذا هو إرثنا الروحي والثقافي والحضاري والعلمي الذي نفخر ونفاخر به كل شعوب العالم، فما كان أسلافنا يطاردون الشهرة؛ بل كانت أعمالهم متجردة من نوازع النفس ورغباتها، وخالصة لله جل وعلا، ويعتبرونها ادِّخارًا لقابل حياة أخرى ينجو فيها أصحاب الموازين الثقيلة، ويفوزون بمرضاة الله سبحانه وتعالى.

وبعد أن انداحت دائرة هذه الخبرة السعودية وتوسعت؛ تلقيتُ عدة دعوات لعرضها باعتبارها أحدث وأكبر خبرة عالمية مُنتَجة في مركز طبيٍّ واحد، وسأورد هنا بعض هذه الدعوات العلمية التي وصلتني، ودعوات المحافل الدولية التي أبدت رغبتها في استضافتي متحدثًا أو محاضرًا:

١ ـ الجمعية الكندية لجراحة الأطفال ممثلة في مؤتمرها العالمي الذي عُقد بمدينة كويبك بكندا عام ٢٠٠٥م، وكنت المحاضر الرئيسي والوحيد في هذا الملتقى الذي استمر لمدة ثلاثة أيام ليقف على هذه الخبرة المتميزة، واكتظت قاعة الملتقى بأعداد كبيرة من جراحي كندا وزملائهم الذين وفدوا من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة والصين واليابان وعدة دول أوروبية إضافة إلى الزملاء جراحي المملكة العربية السعودية وبلدان أخرى.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي توجه فيها هذه الجمعية دعوة إلى أحد المتخصصين من العالم العربي والإسلامي ليكون محاضرًا أساسياً ورئيسياً فيها.

٢ ـ الرابطة الفرنسية للجراحين (أبريل ٢٠٠٦م)، وتلقيت دعوة رسمية منها كي أكون متحدثًا رئيسياً في اجتماعها السنوي بغرض عرض خبرة المملكة العربية السعودية في مجال فصل التوائم السيامية، واعترافًا منها بأن هذه الخبرة تعدُّ الأكبر من نوعها في العالم نظرًا لتفرُّدها وتميُّزها ولأبعادها العلمية والمهنية والإنسانية، وقدَّمتُ عرضًا وافيًا لهذه الخبرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، ولذلك فقد حظيتُ بترحيب شديد وإعجاب كبير من أعضاء الجمعية وضيوفها علاوة على الأساتذة والأطباء.



إلقاء محاضرة في فرنسا

٣ ـ الجمعية المصرية لجراحة الأطفال (٢٠٠٥م)، وشاركت متحدثًا رسمياً ضمن فعاليات اجتماعها السنوي الذي عُقد بالقاهرة في ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٥م وعرضتُ خبرتنا في مجال فصل التوائم السيامية، وأحدث عرضها أصداء متميزة، وأشاد بها رئيس الجمعية باعتبارها إنجازًا علمياً عربياً وإسلامياً.

٤ ـ الاجتماع الثاني لجمعية الأطباء الخليجيين الذي عُقد بالكويت عام ٢٠٠٣م، وشاركت متحدثًا رئيسياً مستعرضًا خبرة المملكة العربية السعودية في هذا الملتقى العلمي الخليجي المهم.

٥ ـ المؤتمر الثاني للجمعية السعودية للجراحة الذي عقد بالرياض في ٢١ / ٥ / ٢٠٠٦م، وقدَّمتُ ضمن برنامجه العلمي هذه الخبرة بحضور كفاءات سعودية وعربية وعالمية.

٦ـ **كتابة فصل عن جراحة فصل التوائم السيامية** في كتاب (Pediatric Anesthesia : Basic Principles, State of the art, Future) من تأليف الطبيب الكندي برونو بيسونت.

٧ ـ كلية الطب بجامعة يان كوفا ببولندا عام ٢٠٠٥م حيث أطلعتُ الأساتذة والمختصين والأطباء والمهتمين في هذه الجامعة على الخبرة التي بناها الفريق الطبي السعودي، وألقيتُ المحاضرة باللغة الإنجليزية ثم تُرجمتْ إلى البولندية.

وبالإضافة إلى هذه الأوساط والدوائر العلمية والأكاديمية العالمية؛ تسنَّى لي تقديم هذه الخبرة من خلال محاضرات عديدة في بعض المستشفيات السعودية تلبية لدعوات رسمية من جامعة الملك سعود ومستشفى أرامكو السعودية وغيرها.

ومما يجدر بنا ذكره أن هذه الخبرة نُشرت في مجلات علمية عالمية مُحكَّمة ومشهورة على المستوى الدولي، وفي غيرها من المجلات المتخصصة التي تُعنى بمثل هذه الحالات، مثل:

- مجلة جراحة الأطفال الأمريكية بالولايات المتحدة الأمريكية.
- المجلة العلمية للجمعية الفرنسية للجراحين بفرنسا.



استلام درع التميز الجراحي من صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز



تسلم العضوية الجراحية الفرنسية من كلية الجراحة الفرنسية



الفصل التاسع

نشر الخبرة وفلسفة التدريب



إشراك أطباء يمثلون مستشفيات وقطاعات صحية مختلفة



إتاحة الفرصة لطلبة وطالبات الطب للمشاركة في العمليات بالمشاهدة والمتابعة

نشر الخبرة وفلسفة التدريب

تخطيط بعيد المدى

لم تكن خبرة المملكة العربية في فصل التوائم السيامية محصورة أو مقيَّدة أو قاصرة على فريق طبي واحد؛ بل تميزت والتزمت تخطيطًا بعيد المدى يجعل منها خبرة وطنية وعربية وإسلامية شاملة، ولذلك اتبعتْ عدة مناح لإطالة عمرها والحفاظ على عودها أخضر يانعًا مثمرًا:

ـ أولها: أن هذه الجراحات أتيحت للمرضى من مختلف دول العالم ـ عربية كانت أو إسلامية أو غربية ـ بناءً على توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله، وكانت هذه أول خطوة في توسيع نطاق الخبرة ونشرها على المستوى العالمي.

ـ ثانيها: إشراك أطباء يمثلون مستشفيات وقطاعات صحية مختلفة لاكتساب الخبرة ونقلها إلى مواقع عملهم. وكنت آمل وأتطلَّع إلى أن تُشكِّل هذه الخطوة رسالة واضحة تؤكِّد أن وطننا واحد، وأن تبادل المعارف والتجارب المهنية يقف في أعلى درجات عشق الوطن وخدمة المجتمع .. ولا شك أن في نشر هذه الخبرة دعمًا ورفعة لسمعة المملكة الطبية والعلمية وتعزيزًا لمكانتها الحضارية، وتأكيدًا على ريادتها في هذا المجال. كما استهدفنا من ذلك إزالة الحواجز بين القطاعات الصحية المتعددة دفعًا إلى تعاونها وتكاملها مما يؤهلها إلى الانصهار في بوتقة صحية واحدة، متحدَّة في خططها وتصوراتها وخدماتها وأبحاثها وكأنها منظومة متكاملة ومترابطة ومنسجمة تعمل جميعها على إنجاح مشروع وطني مهم ورائد. ومن هذا المنطلق؛ بل بناءً على هذا الطموح تعمَّقت رؤيتنا حول أهمية إشراك الأطباء والمختصين والتمريض من قطاعات صحية تمثل مختلف مناطق المملكة العربية السعودية في التعرف على هذه الخبرة واستيعابها والتخصص فيها إن أمكن. وكنا نأمل أن تكون رؤيتنا هذه بداية لتقوية أواصر الترابط بين هذه القطاعات وتعميقها لا سيما وأنها بدأت تؤتي ثمارها ولله الحمد.

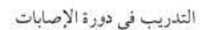
ولعل هذه الخبرة التي ابتدأت من التوائم السيامية تعم قطاعات أخرى في الدولة؛ طالما أننا نقف على أرضية واحدة، ويجمعنا الاتفاق على وحدة الهدف والتطلع والمصير. ومهما اختلفت الوزارات والإدارات؛ إلا أنها تشترك جميعًا في تحقيق مصلحة الوطن التي تراها قيادة المملكة العربية السعودية العليا، وتصبُّ لصالح المواطن والوصول بخدماته إلى ذروة الأداء والإتقان بغية إسعاده وتأمين رفاهيته. ولذلك كان شعار خبرة التوائم السيامية هو: (من الوطن وإلى الوطن)، واستطاع أعضاء الفريق الطبي تطبيق هذا الشعار وتجسيده في كل العمليات التي أجروها، واتَّسم أداؤهم بانسجام كامل وانسيابية تامة، لا اختلاف بينهم ولا تفاوت، لا اختلاف ولا تنافر؛ بل ترسخت فيهم روح الجدِّية والتجانس الأسري الرحيم، يتحرَّكون ويعملون بنشاط زائد كخلية نحل واحدة، أداءً يتجاوز القدرات العادية، وإقبال على العمل وكأنهم يحاولون التفوق على أنفسهم في هذه الجراحات الإنسانية النادرة، دافعهم الأساسي إلى ذلك المشاركة الفاعلة في عمليات البناء والتطوير ورفع شأن الأمة العربية والإسلامية.

ـ ثالثها: تتمثل الخبرة التي اكتسبتها هذه المسيرة في التعليم والتدريب، ولعلي أذكر أننا حرصنا كذلك ـ في هذا المشوار المهني الشاق والممتع ـ على إشراك الأطباء حديثي التخرج والمتدربين وطلاب الطب، ولم تقيَّد هذه الخبرة على جامعة معينة



شرح لطلبة الطب





التدريب في دورة الإصابات

أو أطباء معينين أو قطاع بعينه؛ بل فُتحت بما يتوافق والإمكانات العملية، وبما لا يضر المرضى، أو يؤثر سلبًا على الخبرة ذاتها. أُتيحت الفرصة لطلبة وطالبات الطب للمشاركة في العمليات بالمشاهدة والمتابعة بهدف تهيئتهم إلى اكتساب الثقة في النفس، وتحفيزهم على التفوق وبناء القدرات والمهارات التي تمكِّنهم من تقديم إبداعات مماثلة لوطنهم، هذا الوطن الغالي الذي هيأ لهم كل إمكانات التعليم والتأهيل والتدريب والتخصص.

رابعها: الأخذ بمبدأ القدوة وهو من المبادئ والأهداف الأساسية لهذه الخبرة، فإشراك حديثي التخرج والمتدربين والطلاب يشكل بيئة خصبة تتوفَّر فيها إمكانية الاحتكاك بأساتذة أصحاب تخصصات عالية وخبرات عالمية وممارسة طويلة مما يدفعهم إلى الإعجاب بهم والاقتداء بنهجهم في أدائهم المهني الجراحي.

خبرة متاحة للكفاءات الواعدة

وعمومًا فقد أشركنا أطباء وجراحين متدربين لتتسنى لهم الاستفادة من خبرة زملائهم في حياتهم العملية. كما أشركنا أطباء حديثي تخرُّج في تخصص جراحة الأطفال بفروعه المختلفة تحقيقًا لهدف أسمى ورؤية أبعد، ذلك أننا نتطلَّع؛ بل ونكرِّس جهودنا ونسخِّر طاقاتنا من أجل استمرار الخبرة عبر إعداد وبناء الكفاءات الطبية الواعدة، دافعنا إلى ذلك إيماننا الخالص والصادق بأن خبرة التوائم السيامية جاءت لتبقى ولتستمر في هذا الوطن الغالي بنفس المستوى من السمعة والشهرة بل لترتقي بهما أكثر فأكثر. وطالما أنها تسنَّمت منزلتها العالية كإحدى أكبر الخبرات في العالم؛ فإن من الواجب الوطني والإنساني المحافظة عليها وعلى استمراريتها مستقبلاً بذات الكفاءة والقدرة على العطاء والتطوير ضمانًا لبقاء اسم المملكة العربية السعودية عاليًا في الأوساط والمحافل والمراكز العلمية العالمية.

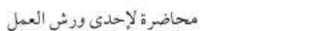
ولا غرو إذن في أن ندعو ونعمل على استمرار خبرة الجراحات السيامية طالما أننا على يقين بأن الأطباء الأشخاص لا يبقون، ولكل جرَّاح عمر مُعيَّن مهما كانت قوَّة بنيته وسعة خبرته، ولا بد له أن يشيخ وتعجز يده عن التقاط المشرط، وتحتجب الشرايين الدقيقة عن عينيه.. ولكن بما أن الدِّماء مُتجدِّدة، وصغار السن يكبرون ويتعلَّمون في مدارسهم وجامعاتهم، وينهلون من تجارب أساتذتهم وخبراتهم؛ فإن المسيرة ستتواصل بمشيئة الله، وستبقى هذه المملكة (مملكة للإنسانية) بحول الله وعونه.

من وصايا الزهراوي

وقبل أن اختتم هذا الفصل أوصي أبنائي الطلاب والأطباء حديثي التخرج بما أوصى به الزهراوي أبناءه دارسي الطب، قال الجراح العربي المسلم الشهير كما أورد محققا كتابه (الجراحة): «...إن صناعة الطب طويلة، وينبغي لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح الذي وصفه جالينوس حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئاتها ومزاجاتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ومخارجها والعروق النوابض والسواكن ومؤخر مخارجها، ولذلك قال الحكيم الفاضل أبقراط إن الأطباء بالاسم كثر وبالفعل قليل؛ ولا سيما في صناعة اليد.... لأن من لم يكن عالمًا بما ذكرنا من التشريح لم يخل أن يقع في خطأ يقتل الناس به، كما قد




محاضرة بالجامعة الإسلامية



محاضرة لإحدى ورش العمل

شاهدت كثيرًا ممن تهور في هذا العلم وادَّعاه بغير علم ولا معرفة ولا دراية.....». وقال متابعًا - في وصيته هذه - وهو يبيِّن أهمية العمل باليد ومخاطره في مجال الجراحة والتشريح: «ينبغي لكم أن تعلموا أن العمل باليد ينقسم إلى قسمين: عمل تصحبه السلامة، وعمل يكون معه العطب في أكثر الحالات، وقد نبهت إلى العمل الذي فيه الغرر والخوف؛ فينبغي لكم أن تحذروه وترفضوه لئلا يجد الجهال السبيل إلى القول والطغى، فخذوا لأنفسكم بالحزم والحياطة، ولمرضاكم بالرفق والتثبت، واستعملوا الطريق الأفضل المؤدي إلى السلامة والعافية المحمودة، وتنكبوا الأمراض الخطرة عسرة البرؤ، ونزِّهوا أنفسكم عمَّا تخافون أنه يُدخل عليكم الشبهة في دينكم ودنياكم، فهو أبقى لجاهكم وأرفع في الدنيا والآخرة لأقداركم... فقد قال جالينوس في بعض وصاياه: لا تداووا مرض سوء فتُسَمُّوا: أطباء سوء».



محاضرة في إثنينية الاستاذ عبدالمقصود خوجة



الفصل العاشر

دبلوماسية الطب



خادم الحرمين مع التوأم البولندي أثناء زيارته لبولندا

دبلوماسية الطب

نتناول في هذا الفصل ثلاثة جوانب مهمة أولها دور الطب في رأب أو دعم العلاقات السياسية والدبلوماسية بين بلدان العالم، ثم نتحدث ثانيًا عن تجربة فصل التوأم السيامي البولندي ((أولغا وداريا) كأنموذج في فتح آفاق جديدة للتعاون بين المملكة العربية السعودية وبولندا، وفي الجانب الثالث نتطرق إلى بعض ملامح استغلال ظاهرة التوائم السيامية سياسياً واجتماعياً.

أولاً: تأثير الطب في العلاقات الدولية

الدبلوماسية - كما يعرفها الساسة والمتخصصون من أهلها - هي: المهارة في إدارة العلاقات الدولية، أي أنها تعني فن كسب الدول أو تجميل الصورة بين دولة وأخرى عبر التفاوض والحوار، أو تكريس الجهود والقدرات والمهارات والذكاء لاستمالة دولة ما وكسب صداقتها ومن ثم التعويل على تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بينهما بما يحقق منفعة لكليهما.

ولها بالطبع تعريفات أخرى كثيرة لا تعنينا كثيرًا في هذا الكتاب، ولكن ما يعنينا هنا هو أن الدبلوماسية لم تعد قاصرة على القنوات الرسمية المتمثلة في وزارات الخارجية وسفاراتها وممثلياتها في الخارج، بل ظهرت نوافذ وجسور أخرى كثيرة غير رسمية ذات تأثير قوي ومباشر على العلاقات بين الدول حظيت باعتبار واهتمام لدى الدوائر المعنية بالعمل الدبلوماسي؛ لأن هذا التأثير قد يكون إيجابياً، أو ربما تكون له انعكاسات سالبة إن لم تكن ضارة!! ومن ذلك وسائل الإعلام المختلفة والأنشطة والبرامج الثقافية والرياضية والفنون على اختلافها والدبلوماسية الشعبية والشركات التجارية ورجال الأعمال والمستثمرون وما إلى ذلك. ويمكن أن تدخل العلاقات الأكاديمية والعلمية والبحثية بين الجامعات ومراكز الأبحاث وغيرها في هذه الدائرة لتكون لها تأثيراتها في العلاقات الدولية.

ولا شك أن العلاقات الطبية والتعاون الصحي والطبي المستمر بين دولة وأخرى؛ يمكن أن يكون مؤثرًا جداً في مجال دعم النشاط الدبلوماسي، ويفتح آفاقًا سياسية جديدة بين الدول ويدعمها ويعززها، ويمهد الطريق لتعاون اقتصادي وتجاري وثقافي بينها وإن كانت تفصلها عن بعضها اختلافات ثقافية أو مذهبية أو عرقية أو جغرافية.

والمتابع للدبلوماسية الأمريكية - باعتبارها من أكبر وأنشط الدبلوماسيات في العالم وأكثرها تنوعًا - قد يلحظ أنها استخدمت ومازالت: (دبلوماسية الصحة) مع جيرانها من دول الكاريبي في أمريكا اللاتينية تحت شعار: (رعاية صحية أوفر للمزارعين وصغار الحرفيين من سكان الأحياء الفقيرة والأرياف)، وربما كانت لها أهداف ومصالح سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، أو حتى أمنية تحت مظلة هذا البرنامج الصحي.

ربما يطرح أحدكم سؤالاً حائرًا عن علاقة التوائم السياسية بالنشاط الدبلوماسي، وما لهذا الكتاب المتخصص وللدبلوماسية؟ وهو سؤال مشروع بالطبع، ولكن كي نُزيل هذا اللبس أو هذه الحيرة نقول إن الطب - خاصة في الجانب الجراحي - اصبح يشكل جسرًا رابطًا ومتينًا بين الدول، ولا نسوق ذلك لمجرد تسويق الطب سياسياً أو دبلوماسياً، وإنما من واقع التجربة الطويلة في ظل هذه المهنة، فقد سلَّط لنا هذا الواقع أضواء كثيفة على الوظيفة الدبلوماسية للطب، وكشف لنا أن جراحة واحدة يمكن أن تدفع العلاقة بين دولتين إلى أعلى



خادم الحرمين الشريفين يستلم وسام البسمة من أطفال بولندا

المستويات وإن كانت هذه العلاقات معدومة أو باردة أو فاترة أو مشوبة بمفاهيم وتصورات خاطئة أو ملتبسة، وقد يتحقق هذا التطور بصورة تعجز عنها الدبلوماسية الرسمية. لم يكن دور الطب في المجال السياسي أو الدبلوماسي غائبًا كليًا؛ ولكنه كان محدودًا وربما مُغيباً بسبب عدم الاكتراث أو الاهتمام، أو حتى لغياب التصور الكامل لمثل هذا الدور من جانب الدبلوماسيين والأطباء أنفسهم.

ولا شك أن العواطف الإنسانية، والإحساس بالآخرين ومحاولة مساعدتهم في التغلب على الشعور بالعجز إزاء أوضاعهم الاقتصادية المتواضعة، وعلى تجاوز حيرتهم ومعاناتهم الصحية بمعزل عن دياناتهم واعتقاداتهم وسحناتهم ولغاتهم وألوانهم؛ علاوة على النظرة الحصيفة والثاقبة بعيدة الغور، ثم القدرة على قراءة الواقع السياسي الدولي واستشراف آفاقه المستقبلية؛ كل ذلك يجعلنا نتبيّن بوضوح كافٍ دور الطب في بناء جسور دبلوماسية بين دول لم تكن معنية ببعضها، فجمهورية بولندا - على سبيل المثال - كانت علاقاتها مع المملكة العربية السعودية محدودة وقاصرة على الأطر والقنوات الرسمية؛ بل كانت أسيرة لطروحات الإعلام الغربي ورسائله الإعلامية المشحونة بالترّهات والافتراءات والافتراضات الخاطئة حول الجزيرة العربية عمومًا والمملكة خصوصًا، فالشارع البولندي - كغيره من شعوب أوروبا - يجهل كل شيء عن جزيرة العرب ولا يرى فيها إلا البداوة والصحراء الغنية بالنفط التي أضحت تفرّخ الإرهاب والعنف والفوضى في العالم!! ثم جاءت جراحة التوأم السيامي البولندي في المملكة العربية السعودية لتحدث انقلابًا كبيرًا في هذه المفاهيم المغلوطة، ولتُزيل هذه التصورات الواهمة إلى الدرجة التي تحركت فيها الأوساط الإعلامية البولندية بدوافع ذاتية محضة لتصحيح هذه النظرة من خلال استقصاء المعلومات عن المملكة وموقعها الريادي في العالم العربي والإسلامي سياسياً وثقافياً واقتصادياً وتجارياً.

ولم يتوقف الأمر على الرأي العام البولندي؛ بل تحركت الدوائر الرسمية في الدولة على مستوى رئاسة الوزارة لإعادة النظر في العلاقات مع المملكة، ونشطت دبلوماسيتها في هذا المجال، فكان أن استقبلت الرياض وزير الخارجية البولندي وهو يحمل خططًا متكاملة لمشروعات اقتصادية وتجارية بين البلدين، وبرامج للتبادل الثقافي والفني، وأخرى لتبادل المعلومات والخبرات والتجارب، إضافة إلى استحداث نوافذ وجسور بين جامعات البلدين مقترنة ببرامج للأساتذة الزائرين والابتعاث وغيرها من البرامج التي يمكن تطويرها لتفعيل هذا التعاون في مختلف المجالات العلمية والأكاديمية والبحثية.

وتوجت زيارة وزير الخارجية البولندي إلى الرياض بدعوة إلى خادم الحرمين الشريفين من الرئيس البولندي لزيارة بلادهم والوقوف على تاريخها الحضاري وتجربتها في المجالات الصناعية والثقافية والاجتماعية، وشملتني الدعوة باعتباري رئيس فريق الجراحين الذي تولى عملية فصل التوأم البولندي، ولعلي أرى في هذه الدعوة تكريمًا للطب الذي فتح آفاقًا جديدة بين دولة أوروبية وأخرى خليجية ربما كانت علاقاتهما لا تتجاوز رسميات وبروتوكولات العمل الدبلوماسي.

وهكذا يدخل الطب طرفًا فاعلاً في تنشيط العلاقات الدبلوماسية، ويؤسس - من خلال جراحاته ومساعداته الدوائية والعلاجية - أطرًا للتعاون تمامًا مثل أي برنامج من برامج القنصليات والبعثات والسفارات، وهو بهذا التأثير يشكل حلقة داعمة ومؤثرة في علاقات الدول يمكن توسيع مظلتها والاستفادة منها بصورة أكبر وأشمل.



توقيع ثلاث اتفاقيات مع جامعات بولندا

وفي هذا العالم المتداخل الذي تطوِّقه تداعيات العولمة وتأثيراتها القوية المحكمة؛ نأمل أن يكسر الطب العربي والإسلامي ـ على اختلاف تخصصاته ـ مفهوم المحلية ويحلق إلى آفاق أرحب منطلقًا من عواطف ومشاعر إنسانية مستمدة من روح الدين الإسلامي وتعاليمه باعتباره رسالة للعالم أجمع، وأن يُثبت للبشرية أن مسيرة المعرفة في الدول الإسلامية لم تعد كسيحة أو وئيدة، أو ممعنة في بدائيتها ومحليتها؛ بل أضحت تشكل تجارب علمية ناضجة يمكنها الإسهام بقوة في دفع معدلات النمو والتطور داخل المنظومة الإنسانية، وأنها قادرة على إحداث التقارب بين الشعوب وتذويب الخلافات بينها، وعلى تصحيح المفاهيم المقلوبة، وفتح مجالات للتعاون كانت مغلقة تمامًا.

وقد استطاعت تجاربنا السعودية القليلة في الجراحات السيامية أن تنقل «دبلوماسية الطب» إلى مصاف الدبلوماسيات الفاعلة والمؤثرة، وقد شكل لنا ذلك حافزًا لمزيد من الأداء والتواصل مع شعوب العالم؛ لأن الجراحة الواحدة لم يعد تأثيرها قاصرًا على ذوي التوائم؛ بل امتد إلى دولهم التي رأت في هذه المبادرات الإنسانية مفتاحًا للتعاون بينها وبين المملكة في ساحات الاقتصاد والتجارة والثقافة والصناعة وما إلى ذلك.. ولنا أن نتصور مبلغ التأثير الذي أحدثته جراحة التوأم البولندي كما أشرنا، والتوأم الفلبيني والكاميروني في رفع درجة التعاون وتوسيع قاعدته وأطره.

الطب قيمة إنسانية رفيعة يمكن للسلك الدبلوماسي ـ في أي دولة من الدول ـ استثمار خبراته وتجاربه سياسياً ودبلوماسياً في دعم أطر التعاون والتواصل بين الدول، ولقد لاحظنا أن بعض الدول عمدت إلى تسييسه دعمًا لمصالحها ونشرًا لنماذجها الثقافية والحضارية، ولعل دول قارتي أفريقيا وأمريكا اللاتينية وبعض دول العالم الأخرى الفقيرة هي أكثر الدول التي استفادت من العون الطبي الذي يدخل إليها في شكل مساعدات إنسانية عينية مباشرة عبر عدد من المنظمات الإنسانية العاملة في هذا المجال كأطباء بلا حدود وغيرها.

ثانيًا: (أولغا وداريا) جسر سياسي ودبلوماسي

لبى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز دعوة القيادة البولندية في شهر جمادى الآخرة المنصرم وتحديدًا في الفترة من ١٠ ـ ١٢ / ٦ / ١٤٢٨هـ، واصطحب معه ـ حفظه الله ـ في هذه الزيارة وفدًا رفيعًا يمثل مؤسسات وقطاعات اقتصادية وتجارية وأكاديمية وأمنية.. وكانت فتحًا وتتويجًا لعلاقات ديبلوماسية أوسع وأرحب أثمرتها عملية فصل التوأم البولندي داريا وأولغا في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني بالرياض، ونستطيع القول إن الزيارة حظيت بأهمية تاريخية وسياسية باعتبارها أول زيارة لملك سعودي لبولندا، وشكلت نواة وقاعدة صلبة لعلاقات واسعة ومتينة بين البلدين سياسياً ودبلوماسياً وتجارياً وثقافياً قد يمتد أثرها وتفاعلاتها إلى العلاقات العربية والبولندية عمومًا.

ورغم أن العلاقات السعودية البولندية بدأت مع بداية نشأة المملكة العربية السعودية؛ بل كانت بولندا الدولة الثامنة في ترتيب قائمة الدول التي اعترفت رسمياً عام ١٩٢٩م بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حاكماً على الحجاز ونجد وملحقاتها؛ إلا أن حيثيات دعوة خادم الحرمين الشريفين إلى زيارة بولندا قد انبنت على موقفه الإنساني النبيل حين أمر ـ حفظه الله ـ بفصل التوأم السيامي البولندي.



مع التوأم البولندي والقنصل السعودي





تقدير من أطفال بولندا

أحدثت الحرب العالمية الثانية وهنًا وضعفًا في العلاقة بين البلدين؛ بل تسبَّبت في تمزيقها وتفتيت عراها إلى أن أعيد ترميمها خلال العقد الأخير من القرن الماضي بعد استئناف الاتصالات التي تمخضت في تبادل دبلوماسي عام ١٩٩٥م، وظلت علاقاتهما وثيدة وفاترة إلى أن جاءت هذه الزيارة الكريمة لتعيد بناء جسور الاتصال بين البلدين على أسس وقواعد راسخة.. ولتشكل ـ كما وصفها سفير بولندا لدى المملكة ـ نقطة تحول في العلاقات السعودية البولندية باعتبارها حدثًا مهماً في تاريخ العلاقات الثنائية بين البلدين يلقي الضوء على منظور استراتيجي جديد فيما يتعلق بتعاملاتهما على مختلف المستويات والمجالات، وتعزز العلاقات بين الاتحاد الأوربي ودول الخليج العربية، وتفتح آفاقًا جديدة للتعاون بين الكيانين.. وقال أيضاً إننا نعتبر عملية فصل التوأم السيامي البولندي التي أجريت في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض عاصمة المملكة العربية السعودية علامة كبيرة في العلاقات السعودية البولندية، وأدخلت خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود إلى قلوب البولنديين كافة، وهو ليس شخصية سياسية فحسب؛ بل زعيم عربي بارز وشخصية إنسانية عالمية وصاحب قلب كبير يسع حب الجميع.

لم يكتسب برنامج الزيارة ملمحًا رسمياً فقط؛ بل كان الجانب الإنساني حاضرًا فيه بكثافة، وأحيط خادم الحرمين والوفد المرافق له بحميمية واضحة تمثلت في الزخم الشعبي، وفي تداعي مشاعر الحب والتكريم لدى جميع قطاعات وشرائح الشارع البولندي الذي يحتفظ في ذاكرته بعملية فصل التوأم السيامي في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض في يناير عام ٢٠٠٥م، وكأنما كان هذا التدفق الوجداني تعبيرًا جماعياً عن الشكر والعرفان والامتنان والمكانة الخاصة للقيادة السعودية.. وأتيحت للتوأم (أولغا وداريا) فرصة اللقاء والسلام على خادم الحرمين الشريفين للتعبير عن شكرهما لتلك اللفتة الإنسانية العظيمة والرعاية الكريمة التي أحاطهما بها منذ أن وصلا إلى الرياض حتى مغادرتها.

وتجسَّدت أعمق صور التعبير والوفاء في احتفاء العاصمة وارسو بتقليد خادم الحرمين (وسام البسمة)، وهو وسام دولي إنساني رفيع يُمنح لكل من قدَّم خدمات جليلة وغير مسبوقة للطفل. وفي هذا السياق ذكرت بعض وسائل الإعلام البولندية أن اللمسات الإنسانية للملك عبد الله جعلت منه رائدًا في عملية التآخي بين الشعوب..

وفي هذا المنحى قال ـ حفظه الله ـ إن بسمات التوأم البولندي السيامي عززت إحساسي بأن المسؤولية الأساسية هي بناء مستقبل من الأمن والسلام ينعم فيه الأطفال بالسعادة دون خوف أو رعب.. وأكد أن المملكة تسعى دائماً بكل إمكاناتها لتحقيق التعاون والتقارب بين الشعوب، وتأمل أن يكون لبولندا بصفتها عضوًا فاعلاً في الاتحاد الأوروبي صوتاً قوياً لنصرة الحق والعدل في العالم، ونوَّه بالبعد الإنساني للعلاقات بين البلدين ممثلاً في عملية فصل التوأمين السياسيين.

وقادت الزيارة إلى توقيع مذكرات تفاهم واتفاقيات تجارية واقتصادية وصحية وعلمية وتعليمية وتقنية وثقافية ورياضية، وكذلك مجالات التفاهم الثنائي والازدواج الضريبي ومكافحة الجريمة المنظمة وغيرها، ومذكرة تفاهم بين جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية وكلية الطب بجامعة وارسو والمركز الدولي للنطق والسمع .. وتُوِّجت جميعها بموافقة سامية على إنشاء مركز للدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو التي تعد من أعرق الجامعات البولندية والأوروبية.



تعاون مع منظمة اليونيسكو



السياسة السيامية

ثالثًا: حافلتان سياميتان في حلبة السياسة

دخلت ظاهرة التوائم السيامية إلى حلبة التوظيف السياسي والاجتماعي، غير أن الظاهرة هذه المرة صناعية وليست طبيعية، وذلك بعد أن أضحت المعايير الإنسانية في عصرنا هذا من العناصر ذات الأهمية القصوى في استدرار مشاعر الناس وكسب عواطفهم، وما كان ذلك إلا حين أمعن الإنسان في امتهان حقوق غيره، وأظهر درجة عالية من الصلف والجبروت أوصلته إليها مبالغته في الإعداد للقوه وإظهارها واستعراضها، كما أن الابتعاد عن حمى الله وشرائعه سببٌ في الاعتماد على القوة وتوظيفها لتحقيق السيادة على الآخر.. ومن ثم فليس غريبًا أن يسود في عصرنا هذا منطق البقاء للأقوى بدلاً من الأصلح.. ونتيجة لهذا نرى حقوق الإنسان تتسابق وتتنافس في مضمار السياسة، واستُغلت شعاراتها في خدمة المصالح السياسية والاقتصادية، وأضحى منتهكوها هم أنفسهم رافعي شعاراتها ودعاة تطبيقها..

ولما كانت التوائم السيامية مدخلاً للتعاطف وتحريك المشاعر، فقد استغلها بعض الدهاة لتسليط الضوء على مشكلات بعينها اجتماعية كانت أو إنسانية.. وفي هذا الشأن ابتكر أحد الأمريكان ـ كما ذكرت بعض وسائل الإعلام ـ حيلة ميكانيكية تمثلت في صناعة حافلة سيامية لاستقطاب دعم مرشحي الرئاسة في بلده ليساهموا في رفع معدلات الاستثمار في الأسرة والتجمعات السكانية، إنها حيلة دعائية بارعة للفت الانتباه ودفع الناس في اتجاه معيَّن يتعلق بقضية أمريكية بحتة.. استهدف المذكور حشد تأييد مرشحي الرئاسة في الولايات المتحدة لزيادة الاستثمار في الأسرة والتجمعات السكنية، عن طريق تحويل جزء من مخصصات وزارة الدفاع «البنتاغون» واستثمارها في مجال مفيد يتعلق بدعم الأسرة.

الحافلة عبارة عن توأم سيامي صناعي ملتصق التصاقًا كاملاً في عموده الفقري أي على امتداد منطقة الظهر، مع وجود اشتراك في أنسجة المخ (الماكينة) والصدر (مقعد السائق) والبطن والحوض (مقاعد الركاب)، والأطراف الجانبية (الأبواب والمخارج) وتظهر إحدى الحافلتين وكأنها مستلقية على ظهرها فوق توأمتها وأطرافها السفلية مستقلة في الاتجاه إلى أعلى..

لا يمكن بالطبع إجراء جراحة لفصلهما لأنهما ليستا طبيعيتين، ويصعب ذلك ميكانيكياً إلا بالتضحية بإحداهما على حساب الأخرى. وكما ذكرت المصادر التي نشرت هذا الخبر؛ فإن الميكانيكي صاحب الفكرة أراد المشاركة في الدعوات التي تطالب مرشحي الرئاسة بتقليص ميزانية وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) وتحويل جزء من مخصصاتها إلى دعم بنية الأسرة الأمريكية وتعزيزها مما يساهم ـ وفق تصوره ـ بصورة أساسية في تقوية نسيج المجتمع الأمريكي وصيانته من عوامل الخلخلة والتفكك.. وعن طريق هذه الحيلة تمكَّن من استغلال التأثيرات الإنسانية لظاهرة طبيعية بتوأم مصطنع ليكسب تأييدًا وعطفًا لما أراد الدعاية والترويج له.. ويمكنه بعد نجاح هذا (الإعلان الاجتماعي) إجراء جراحة ميكانيكية لفصل حافلته السيامية.

طافت الحافلة السيامية عدة ولايات أمريكية، ولفتت انتباه الناس لغرابتها؛ ولكنها استطاعت تذكيرهم بالدوافع والأهداف الإنسانية التي أسهمت في تحريكهم ودفعهم إلى التعاطف مع القضية التي رفع صاحبها شعارها.. وهكذا يظهر التأثير الاجتماعي والإنساني للتوائم السيامية ـ طبيعية كانت أو صناعية ـ في شحن المشاعر وتوظيفها لمصالح سياسية أو أجتماعية.

حفل استلام جائزة فيلكس نيابة عن خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في بولندا











الفصل الحادي عشر
الإعلام وعلاقته بالتوائم السيامية


czeka nas inwazja robactwa? STR. 8 +++ Małysz drugi STR. 18 +++ Lista tanich antybiotyków STR. 14-15

WTOREK 4 stycznia 2005 Wyd. 2-PL www.e-Fakt.pl

Fakt

GAZETA CODZIENNA

Tylko 1,20 zł w tym 7% VAT

Nr 2 (365)

Nr indeksu 350486 ISSN 1731-7118

Nakład 599 411 egz.

Cała Polska trzymała kciuki za powodzenie tej operacji. O 20.06 siostry syjamskie Olga i Daria zostały rozdzielone w Arabii Saudyjskiej. Módlmy się za ich zdrowie!

Olga

Daria

Bogu dzięki! Rozdzielone

To były najcięższe chwile życia dla rodziców Olgi i Darii! 14-miesięczne siostry syjamskie z Janikowa zostały wczoraj rozdzielone w klinice w Arabii Saudyjskiej. Matka dziewczynek Wiesława Dąbrowska (38 l.) przez cały dzień umierała z niepokoju o życie swoich maleństw. Nie była w stanie wejść na salę operacyjną. Ojciec Janusz Kołacz (28 l.) widział transmisję z rozdzielania dziewczynek w arabskiej telewizji. Płakał, gdy widział lekarski skalpel przecinający ciała jego córeczek i modlił się, by Bóg pozwolił im przeżyć. Czytaj STR. 2-3-4-5

Matka Wiesława Dąbrowska (38 l.) szczęśliwa chwilę po operacji

الإعلام وعلاقته بالتوائم السيامية

لا شك أن الإعلام أضحى من أمضى أسلحة العالم المعاصر وأكثرها استخدامًا وأعمقها أثرًا؛ ولكن لماذا التأكيد على هذه المسألة البدهية في كتابنا هذا؟ وما دور الإعلام وعلاقته بالتوائم السيامية؟ وللإجابة على السؤالين من أجل تحديد وبيان هذا الارتباط نقول: لقد أعطى الإعلام الغربي اهتمامًا كبيرًا بها لعدة أسباب نجملها في الآتي:

- ندرة حدوث مثل هذه الحالات، وغرابتها.
- صعوبة التعامل مع التوائم السيامية من النواحي الاجتماعية والأسرية والنفسية، بل والطبية في كثير من الأحيان.
- الجانب الإنساني المقترن بهذه الحالات.
- التحدي الطبي وخطورة عمليات فصل التوائم.
- انعكاس مثل هذه الحالات على الأسرة.
- كيفية توفير الرعاية والمتابعة الصحية المستمرة، وإمكانية إتاحة فرص التعليم الخاص للتوائم السيامية وما إلى ذلك.

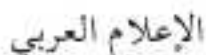
وتمكَّن الإعلام الغربي - بما يملكه من مواهب وتقنيات الإخراج والإنتاج - من ترجمة عمليات الفصل التي أُجريت إلى مواقف إنسانية، وحوَّلها إلى أفلام وثائقية لصالح الدول التي أجريت فيها تلك العمليات. وفي هذا المنحى نود التنبيه إلى أن خبرة المملكة العربية السعودية مع التوائم السيامية بدأت قبل أكثر من عقد ونصف العقد من الزمان، وكانت الأهداف الأساسية التي أدت إلى بنائها إنسانية بحتة، وتخلَّف الإعلام العربي عنها في بداياتها، وظلت متابعاته لها محدودة ومتواضعة؛ ولكن مع مرور الزمن بدأت هذه الإنجازات الوطنية العلمية تجد حيِّزًا لها في الذهنية الإعلامية وتحظى بأهمية أكبر في وسائل الإعلام العربي؛ خاصة بعد اهتمامه الملحوظ بإبراز خبرة المملكة العربية السعودية في هذا المجال، وإحاطتها ببعض المتابعة والعناية وإن فعل ذلك بصورة متواضعة لا ترقى إلى مستوى الخبرة نفسها طبياً وعلمياً. وعندما بدأت المبادرات الإنسانية من قيادتنا الحكيمة تعمُّ العالم العربي والإسلامي والعالمي؛ تنامى اهتمام إعلامنا المحلي، بينما بقي اهتمام نظيره العربي بعيدًا عن المستوى المطلوب، ولم يعطها حقها من المتابعة أو يحاول توظيفها لصالح عالمنا العربي والإسلامي.. ولكن - وإحقاقًا للحق - فإن الإعلام الماليزي كان متميزًا في إبراز هذه الخبرات السعودية؛ خصوصًا مع التوأم الماليزي الذي وجد اهتمامًا شعبيًا ومتابعة من جماهير بلده.

ولعل خبرة المملكة العربية السعودية قد تميزت وما زالت تتميز عن غيرها في العالم أجمع، ويتضح ذلك من خلال قبول فريقها الطبي لتحديات كبيرة اعتمادًا على ما يتحلى به من مهنيات عالية، وما يعتلج في صدور أعضائه من مشاعر إنسانية فياضة، وذلك على الرغم من الضغط الإعلامي والنفسي المتمثل في موافقته على نقل العمليات الجراحية حيَّة عبر التلفاز والشبكة العنكبوتية؛ بل وعدم ممانعته في استقبال أسئلة الإعلاميين والمهتمين مباشرة على الهواء من داخل غرفة العمليات والإجابة عليها، مؤكدًا بذلك مدى الكفاءة والثقة التي يتمتع بها، متيحًا في الوقت نفسه الفرصة لتعميم هذه الخبرة وتقديمها للعالم أجمع.



الإعلام المحلي





الإعلام العربي

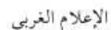
وحريٌّ بنا ـ ونحن نتحدث عن الإعلام ـ أن نستصحب القارئ ليتعرف على بعض المواقف الإعلامية التي نرى أهميتها للجميع:

١ـ أثبتت زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم البولندي موقفًا إنسانياً وإعلامياً؛ فعندما كان ـ يحفظه الله ـ بالقرب من سرير طفلة توأم لم يتجاوز عمرها العام؛ مدَّت يدها لتصافحه وكأن لسان حالها يقول: شكرًا لك يا ملك الإنسانية على ما قدمت لي من رعاية واهتمام.. وكان في إمكان الإعلام الاستفادة من ذلك الموقف الإنساني العظيم في إبراز الوجه المُسفر للمملكة العربية السعودية، وفي إظهار تفاعل القيادة مع الكفاءات الوطنية، ومع مختلف مستويات المرضى من الداخل والخارج. كذلك عندما توقف ـ حفظه الله ـ لاستقبال أسئلة ممثلي وسائل الإعلام الدولية قبل أن يغادر باحة المستشفى وردِّه على سؤال أحدهم بقوله: «ما نحن إلا خُدَّام الإنسانية»، مُجسِّدًا بذلك موقفًا إنسانياً نادرًا.. نعم إنه عبد الله بن عبد العزيز الملك القائد الذي يؤكد في كل مواقفه أصالة الشعب السعودي ورحابته، وأن هذا الوطن هو رمز الإنسانية وخادمها.

٢ـ واكب التوأم السيامي الماليزي حضور إعلامي عالمي كبير، وكانت من بين جمهرة الإعلاميين ـ لحظتها ـ المذيعة المشهورة في قناة سكاي البريطانية نيكولا هيلز التي طلبت أثناء جولتها في ربوع مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض التقاط صورة لمسجدها الشامخ، وعندما سئلت عن سرِّ هذا الطلب أجابت: «لأبث رسالة عبر إعلامنا تثبت أن هذا المسجد ليس مصدرًا للإرهاب؛ بل هو الذي أنتج الفريق الطبي الذي نجح في إنقاذ حياة التوائم السيامية على مستوى العالم، وأنجز ما عجز عنه علماء عالميون مشهورون». كنا سنسعد كثيرًا لو استفاد الإعلام العربي من هذا الموقف وترجمه لصالح بلداننا.. ولا شك أن ملمحًا بسيطًا وعابرًا مثل هذا يمكن أن يُصحِّح مفاهيم خاطئة ومغلوطة عنَّا لدى كثير من الشعوب.

٣ـ التوأم البولندي كان حدثًا إعلامياً متميزًا صبَّ في مصلحة المملكة العربية السعودية والعالم العربي والإسلامي، وكان باستطاعتنا الاستفادة منه في إبراز صورة مشرقة وصحيحة عن الإسلام وسماحته؛ لا سيما أن الصحف البولندية قد أثنت على المبادرة الإنسانية لخادم الحرمين الشريفين، مشيرة في الوقت نفسه إلى إحجام كثير من أثرياء العالم والدول الغربية عن تبنِّي ودعم مثل هذه العمليات الإنسانية، ووصفت الملك عبد الله بن عبد العزيز بالإنسان والرجل العظيم الذي بادر بكل الصدق لتبنِّي حالات متعددة من مختلف الدول. نعم بادر ـ حفظه الله ـ ليؤصل قيمًا وخصالاً إنسانية يعزُّ نظيرها في عالم اليوم. وأصدق دلالة على ذلك مبادرة صحيفة (جازيتا) أشهر الصحف البولندية التي تمثَّلت في منحه ـ حفظه الله ـ جائزة (فيليكس) وهي جائزة لا تمنح إلا لمن قدم عملاً عظيمًا للإنسانية.. كما كتب كثيرٌ من الكتاب البولنديين في الصحف والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) مُنبِّهين إلى أن ما تقدمه المملكة العربية السعودية يعدُّ عملاً إنسانياً نبيلاً خارجًا من مشكاة دين عظيم، وأن المسلمين براء من تهمة الإرهاب التي أُلصقت بهم؛ بل دفعت هذه المواقف الإنسانية كثيرًا من أدبائهم وكُتَّابهم إلى البحث والقراءة عن هذا الدين العظيم... فهل تسنَّت لنا




الإعلام الغربي


أحد المؤتمرات الصحفية

الاستفادة من هذه التداعيات الإعلامية بالطريقة المناسبة التي تشكل مدخلاً إلى الذهنية الغربية الممعنة في خصومتها لكل ما هو إسلامي؟؟

٤ـ التوأم الفلبيني: عند عودة التوأم إلى مانيلا استقبلته رئيسة الفلبين بقصرها الجمهوري، وأشادت بالمملكة العربية السعودية وأثنت على خادم الحرمين الشريفين، وشكَّل هذا اللقاء لفتة إعلامية بالغة التأثير كان من الممكن ترجمتها واستثمارها بصورة أكثر اتساعًا وعمقًا.

٥ـ موقف نأمل أن يتحقق: إن هذه السلسلة من الإنجازات حقٌّ من حقوق المملكة العربية السعودية، وتمثِّل أنموذجًا مشْرقًا ومُشَرِّفًا للعالم العربي والإسلامي.. فهل في وسعنا إيداعها وتوثيقها في عدة أفلام وثائقية تخاطب شعوب العالم، وبالتالي يمكن أن تسهم في تغيير مفاهيم كثيرة عجزت وسائل الإعلام المباشرة عن تصويبها.. هذا مجرد رجاء أبثُّه عبر هذه السطور القليلة لعله يجد صدى لدى أحد رجال بلادنا الغالية الغيورين على دينهم ووطنهم، فيبادر إلى تنفيذه من أجل أن يتعرف غير المسلم على صورة صادقة ومعبرة عن سماحة الدين الإسلامي باعتباره دين حب وسلام وسلم، ولم يكن في يوم من الأيام دين حرب ودمار وإرهاب كما ترسَّخ في الأذهان جراء أفعال فئات شاذة محسوبة عليه.. ونحن نعلم جميعًا أهمية الأفلام الوثائقية في نشر القيم الثقافية والحضارية، وكيف توظفها كبرى مؤسسات الإنتاج السينمائي العالمية.



Fakt

0 800 888 400

Już w sobotę NAJWIĘKSZA KRZYŻÓWKA w Polsce

Wysłaliśmy ministra do piekła

Wczoraj Daria i Olga pierwszy raz spojrzały sobie w oczy. A potem odwiedził je książę...

Siamese Twins Set for Separation

P.K. Abdul Ghafour
Arab News Staff

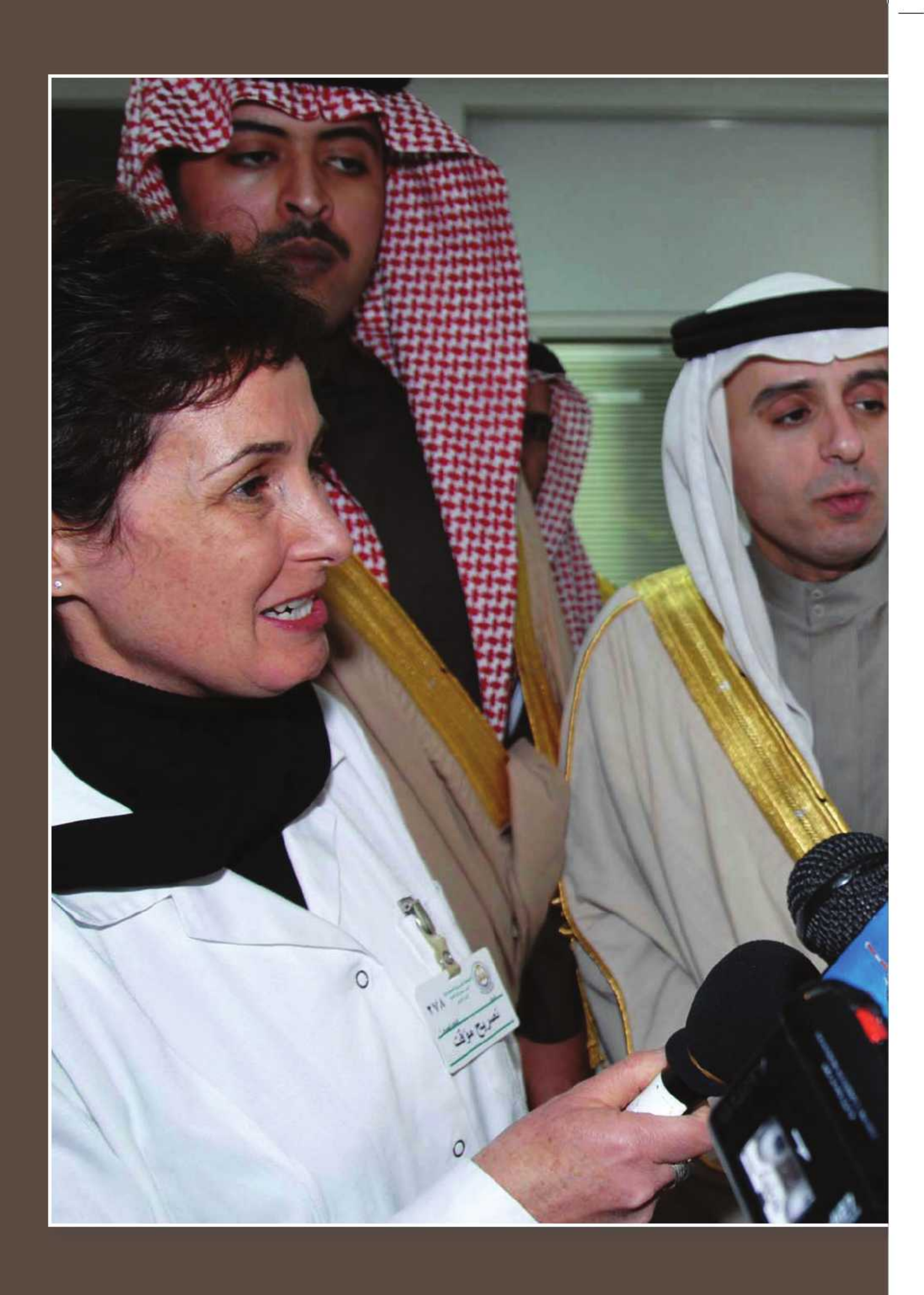
JEDDAH — A pair of Siamese twins from Egypt are undergoing a series of tests at King Abdul Aziz Medical City in Riyadh in preparation for an operation to separate the baby girls.

Egyptian Twins Separated at Riyadh Hospital

A medical team, led by Dr. Abdullah Rabeeah, conducts the complex operation to separate the Egyptian Siamese twins at King Abdul Aziz Medical City in Riyadh on Saturday. The separated baby girls are seen on the right. (AN photos by Abdul Moneem Hamid)



خادم الحرمين الشريفين يصرح لقنوات سي إن إن العالمية، وبي بي سي، وسكاي نيوز، والقناة السعودية الاولى، اثناء زيارته الابوية للتوأم العراقي


٢٧٨
تصريح مؤقت



الفصل الثاني عشر
انسانية قائد



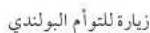
إنسانية قائد

لا بد لي ـ وأنا أُودِع خلاصة تجربتي خلال صفحات هذا الكتاب ـ من أن أُطْلع القارئ الكريم على أحداث ومواقف ومبادرات آثرت النموَ والتفتُّحَ وراء الستار بعيدًا عن الأضواء، والتحرُّك بتجرُّد دون دوافع أو أهداف؛ بل تداعت وانسابت بتلقائية كماء زلال، إنها دفقات عطاء ثرٍّ تقاطرت من نبع لا يشحُّ نوالُه ولا ينحسر فيضه ولا ينضب معينه بإذن الله، ولا تتقطَّع حبال دلائه، عطاءٌ ذاتيٌّ محض متعلِّق بالرجاء والمثوبة من الخالق العظيم، ونقصد عطاء رجل يستمسك بحبل الله المتين، ويستنير في كل خطوه بنوره المبين، ويستمد قيمه وعزائمه من هدي رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.. رجل يتفوق على ذاته ويملك مشاعر إنسانية باتساع المعمورة، راحتاه نديَّتان على الدوام، ما قبض يده عن طالب، ولا تأفَّف أو ذَوَى وجهَه عن ذي حاجة، ومهما أسرفت الأقلام في الحديث عنه؛ فلن تبلغ شأوه، ولولا أن فطرته تأبى المدح والإطراء؛ لاستمد العالم كل مفردات المعاجم التي يمكن أن توفيه حقه؛ ولكنه لا يرضى أن يكون مقصدًا للمادحين والمقرِّظين. هو رجل لا يحتاج إلى تعريف أو إعلام، ولا يطمع في أن تُسوَّد الصفحات بالحديث عنه أو عن إنجازاته؛ لأنه استطاع أن يكتب ـ بمداد من نور ـ ملايين الصفحات والدروس في خواطر العالم، وأن ينقشها في وجدانه بصفاته الفذَّة وتواضعه الجم، وبمبادراته الإنسانية وحبِّه للخير، وحرصه على ضعفاء الأمم ومحتاجيها ومدِّ يد العون لهم أينما كانوا.

لقد كانت لهذا الإنسان مواقف نبيلة مع أطفال شاء الله أن يولدوا بعيوب خلقية شديدة التعقيد، وظروف معيشية متدنية، وفي عالم أهمل قيم الروح، وأغرق في الماديات، وبالغ في القوة والإعداد لها والاعتداد بها حتى كادت إنسانيته تنسلخ من جلدتها، عالم غارت فيه مشاعر الرحمة، ووُئِدَ العطف، وضَمُرت مساحات العون والمساعدة بين الإنسان وأخيه، وبين المجتمع والمجتمع والأمة والأمة، عالمٌ تجاوز الحدود ليصدع أكبادنا ويدمي أعيننا بمشاهد القتل والهدم والتشريد، أوطانٌ تُدمَّر، وتُنهب خيراتها، وتُسلب حريَّاتها، أُسَرٌ تترك نهبًا للضياع وشظف العيش، نساء يترمَّلن، أطفال يتيتَّمون وتُقْتل البراءة في وجوههم، وآخرون يعيشون بإعاقات دائمة، أو ويُجبرون على الشقاء والإذلال الذي يزهق كرامتهم ويسحق آدميتهم. لقد أصبح العالم يرزح تحت وطأة المؤامرات والكراهية والدمار ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ورغم مضاضة هذه الظروف التي يعيشها العالم من حولنا؛ تسطع في سماء مملكتنا أفعال خير وبرٍّ وإنسانية لتكشف الغمة، وتعيد الأمل والضياء إلى النفوس المرهقة، وسط هذه التراكمات المريرة يرتفع اسم القائد الإنسان، والإنسان القائد عبد الله بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ ليترجم معانيَ مترعةً بالخير، ومفعمةً بالمحبة، ومشرقةً بروح التآخي والتآزر وخدمة الناس، يستلهم ـ أمدَّ الله في عمره ـ مواقفه ومبادراته من مبادئ وقيم ديننا الحنيف الذي يؤكد خطابُه وتعاليمه على هذه الشعارات الإنسانية الرفيعة والمخلصة دون اعتبار للون أو جنس أو طبقة، ودون انتماء لعقيدة أو مذهب أو طائفة أو جغرافيا، قال الله تعالى: ﴿.... **ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا....**﴾ المائدة ـ الآية (٣٢).




زيارة للتوأم البولندي



زيارة للتوأم السعودي الطفيلي

وأستأذن القارئ الكريم في أن أعرض له هنا مواقف ومبادرات خادم الحرمين الشريفين - وفَّقه الله - مع التوائم السيامية كمثال بسيط على إنسانيته؛ لأنه كان بحق - دون مجاملة أو ممالأة - وراء هذه الخبرة العلمية والإنسانية التي تحققت في بلادنا الغالية، واعتُبِرتْ كذلك وسامًا يتدلَّى على صدر وطننا العربي والإسلامي؛ فقد دعمها - رعاه الله - بما أُوتي من حكمة وحنكة وبُعد نظر لتكون وسيلة فعالة ومؤثرة من وسائل الدعوة، ولتعكس أنموذجًا مشرقًا للبلدان الإسلامية، مبرهنًا للعالم عبر هذه النظرة المتعمقة أن هذا الدين هو أصل الحضارة، ومنبع الدعوة الصادقة إلى نشر السلم والسلام والطمأنينة في ربوع هذه الأرض، وإلى تكريم الإنسان وصوْنِ كرامته وحفظ حقوقه، وهو ليس دين إرهاب ولا فتك ولا تخريب.

إذًا فأنا أرى أن الواجب يُحتِّم عليَّ - طالما كنا في سياق إنسانية هذا القائد - إبراز بعض الوقفات علَّها تكشف الجوانب المضيئة لهذه الإنسانية، ومن هذه الوقفات على سبيل المثال لا الحصر:

الوقفة الأولى: مع التوأم السعودي الثالث:

في نهايات العقد الأخير من القرن الماضي بدأت ثمار النهضة الصحية في المملكة تتكاثر، وتؤتي أكلها على مساحة واسعة الانتشار، وتتعاظم سمعتها - إقليمياً وعربياً ودولياً بعد أن تأهل كثير من أبنائها في اختصاصات طبية دقيقة، وبفضل هذا التأهيل العالي والتدريب المستمر، وتراكم الخبرة والتجارب السابقة تشكل فريق طبي تمكَّن - بفضل الله ثم برعاية قيادتنا الحكيمة - من إجراء رابع عملية فصل لتوأم سيامي بالمملكة. ففي هذه العملية تم فصل توأم سعودي بعد أن أثبتت الفحوصات المخبرية أنهما ملتصقان بالصدر والبطن والحوض، مع وجود اشتراك بينهما في الكبد، واشتراك آخر في الأمعاء الدقيقة والقولون والجهازين البولي والتناسلي.. وفي ليلة العملية تلقيت توجيهًا من خادم الحرمين الشريفين بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى، والدعاء قبل العملية لأنه جل وعلا لا يُخيِّب رجاء من أمَّل فيه والتجأ إليه..

وبعد أن وفقنا الله وهيأ لنا النجاح في هذه العملية؛ كان أول اتصال تلقيته من مقامه الكريم - حفظه الله - ليطمئن على حالة التوأم وسلامته، وما أن اطمأن عليهما حتى أمرني بنقل تهانيه لوالديهما ثم لزملائي أعضاء الفريق الطبي، ولم يكتف بذلك؛ بل استقبل التوأم بعد شفائهما بمكتبه مُهنئًا ومباركًا لوالديهما ومذكِّرًا لهما بوجوب شكر الله الذي أنعم على طفليهما بالصحة والعافية.. إنها إنسانية قائد عظيم.

الوقفة الثانية: مع التوأم المصري الثاني:

قبل أن يغادر التوأم المصري الثاني غرفة العناية المركزة بعد نجاح العملية الجراحية؛ قرر الرجل الإنسان زيارتهما في المستشفى من منطلق ذاتي ودافع إنساني بحت، أراد - حفظه الله - الاطمئنان بنفسه على وضعهما، وحين دخل عليهما انحنى وقبَّل يد إحداهما في حنان وعطف بالغ مثلما يُقبِّل الوالد أطفاله، وكان فرحه بشفائهما كبيرًا وباديًا على وجهه.

وأؤكد أن حرصه هذا - أطال الله عمره - كان نابعًا من قلب عطوف محبٍّ للخير، وقد سأله أحد الصحفيين المصريين في نفس



زيارة للمرضى





زيارة أبوية للمصابين

المكان عن رأيه في هذا النجاح، فجاء الردُّ سريعًا وبتلقائية: «إنه نجاح الأمة العربية والإسلامية». نعم، إنه بهذا الموقف يؤكد مرة أخرى أننا أمة واحدة يجمع بينها الدين واللغة، وتؤلِّف بينها مشاعر المحبة والإخاء، وتوثق عراها وحدة الهدف والتطلع والمصير. وفي إجابته إشارة إلى أن نجاحَ أحدنا بشيرٌ وحافزٌ للآخر.. موقف يستحق التقدير والاحترام.

الوقفة الثالثة: مع التوأم البولندي:

تتجسَّد هذه الوقفة في زيارته الكريمة - حفظه الله - للتوأم البولندي بعد يومين من نجاح عمليه فصلهما، وكانت لهذه الزيارة معان ودلالات إنسانية واجتماعية ودينية عميقة بعيدة الغور، فعندما كان واقفًا بجانب سرير إحدى الصغيرتين مدَّت يدها لتصافحه وكأنَّ لسانها حالها ينطق ويقول: شكرًا أيها الإنسان، شكرًا أيها القائد، شكرًا أيها الوالد، شكرًا شكرًا شكرًا.. لم تصُدَّك حدود الدول ولا حواجز القارات، ولم يمنعك اختلاف الأجناس أو الألوان أو اللغات أو الأديان أو الأعراف أو الجغرافيا من بسْط يدٍّ العون والمساعدة لإنقاذ طفلة بريئة محتاجة قدمتْ من بلد بعيد ومدينة بعيدة يجهلها أهلوك وشعبك، وربما جهلها أهل قارتها أنفسهم. لم يبرح خادم الحرمين الشريفين مكانه؛ بل رفع يديه - بعد مصافحة الطفلة - إلى السماء شاكرًا ربَّه على نِعمه وآلائه وما أكرمه به من قدرة على مساعدة المحتاجين.

إن موقفه هذا - أغدق الله عليه نعمه - يقف مثالاً حياً على خُلق الإنسان المسلم الذي حرَّك الملايين في بولندا لتتأمل في إنسانية هذا البلد وقيمه ممثلة في قائده، ولتتبيَّن هذا القدر من السماحة والخلق العظيم الذي يتميز به هذا الرجل، ولتعيد النظر في رؤيتها وتقييمها للدين الإسلامي مستشفةً نُبلَ قيمه، ومتأملة سماحته وعالميته.. لقد طبع هذا الموقف الإنساني في أذهانهم صورة مشرقة عن الإسلام وأهله بعدما شوَّهها وهدمها الإعلام الغربي، ودمغ معتنقيه بالجهل والضلال.

الوقفة الرابعة: مع التوأم العراقي

نظرة أبوية حانية كانت تبدو على وجه خادم الحرمين الشريفين وهو يطالع الطفلين العراقيين بعد نقلهما مباشرة إلى العناية المركزة، أحس والداهما بأنه يشاركهما عاطفة الأبوة بكل تداعياتها، لاحظ جميع الحضور تلك النظرة المشفقة والودودة والرحيمة المقترنة بالدعاء والضراعة إلى الله عز وجل بأن يحفظ هذا التوأم، ويكتب لهما حياة كريمة في مستقبلهما خالية من المنغصات، وأن يصبحا عضوين فاعلين ونافعين في مجتمعهما.. كان لسانه - رعاه الله - يلهج بالثناء على الله جل وعلا الذي وفَّق الفريق الطبي في أداء مهمته بنجاح، وبالدعاء الطويل إلى الصغيرين وكأنه يحاول - عبر هذا الدعاء - استنهاض مجتمعهما لتأمين حياتهما بعد أن منَّ الله عليهما بنعمة الفصل.. لقد بدا واضحًا أن مساحة اهتمامه تتجاوز حدود الوطن ولا تقتصر على السعوديين فقط؛ بل تكاد تستوعب الأمة الإسلامية قاطبة. نظرة إنسانية نبيلة أحاطت هذه الأسرة الضعيفة القادمة من ساحة حرب ضروس لا يخبو لها أوار، وكأنه - أمد الله في عمره - يواسيها ويتمنى لها أن تكون في مأمن ممَّا يجري على الساحة العراقية.



عطف على مواطن





استماع لشكوى مواطن آخر

الوقفة الخامسة: مع التوأم الكاميروني

استطاعت الأحاسيس والمشاعر الإنسانية الفياضة أن تكسر حاجز اللغة بين خادم الحرمين الشريفين ـ كلأه الله برعايته ـ ووالدي التوأم الكاميروني، كانت ابتسامته في وجه الطفلين أبلغ من كل المفردات والعبارات، وحملت معاني ومدلولات تكاد تعجز عنها كل اللغات، وشكَّلت ترجمة صادقة لأحاسيس وإنسانية هذا القائد.. لقد أطل الفرح على وجهه الكريم بعد نجاح العملية واطمئنانه إلى أن التوأم سيخرج إلى الحياة من جديد بآمال وطموحات مستقلة لكل منهما، زارهما في العناية المركزة، وتحدث إلى والديهما رغم أنهما لا ينطقان إلا بلغتهما المحلية، كانت سعادته ـ حفظه الله ـ لا توصف وهو يهنئهما على نجاح العملية، فإشراق الحياة في جسد أي إنسان أو مجتمع أو أمة؛ يملأ قلبه بالفرح والسعادة، فإنسانيته غير محكومة بجغرافية أو لون أو مذهب؛ وإنما تسع الجميع في كل أنحاء الدنيا، ولعل هذا سرٌّ من أسرار استقرار بلادنا ورفاهيتها وأمنها وأمانها من البلايا والمحن والحروب، فهي بإذن الله في حفظ الله ورعايته، فمن كان في عون أخيه كان الله في عونه.

الوقفة السادسة: استقباله للتوائم وأسرهم بمزرعته:

لا يقف اهتمامه ـ حفظه الله ـ بالتوائم السيامية على مرحلة الفصل والعلاج والزيارة على أسِرَّة جناح الأطفال بعد العمليات، ولا على توجيهه بمتابعة حالاتهم حتى بعد عودتهم لبلدانهم؛ بل اعتاد على استقبالهم في مزرعته الخاصة مع ذويهم، وتهنئتهم بما منَّ الله عليهم من نعمة الصحة والعافية، وإشراق الحياة في نفوسهم ونفوس آبائهم بعدما غلب عليها القلق وسيطرت عليها الكآبة والمعاناة، ويُشرِّفهم بالتقاط صور تذكارية معهم، ويقدم لهم بعض الهدايا. ويمثل ذلك أروع الصور الإنسانية التي تصوغ ذاتيته المتوهِّجة بقيم الإسلام وتعاليمه ومبادئه، كما يكشف عن تواضعه وحبِّه الشديد للأطفال.

الوقفة السابعة: زيارته لمساكن الفقراء بالرياض:

فاجأت زيارته لمنازل الفقراء بالرياض الجميع ؛ إذ لم يسبقها ترتيب أو إعداد أو تنظيم أو إعلام أو إجراءات حماية، فقد قرر خادم الحرمين الشريفين زيارة أحد الأحياء الفقيرة بالرياض ليطَّلع بنفسه دون وسيط على وضع هذه الفئة المهمة من المجتمع. لقد برهنت هذه الزيارة ـ التي تحدث فيها إلى المسن وأصغى إلى المرأة وداعب الطفل ـ أن عبد الله بن عبد العزيز رجل خير وإنسانية وعطف وحنان.

الوقفة الثامنة: زيارته لمرضى حمى الوادي المتصدع بمدينة جازان:

أظهرت هذه الزيارة بُعدًا آخر لإنسانية خادم الحرمين الشريفين، وكشفت أن هموم المواطن والمريض والمحتاج لا تفارقه أينما كان، وأن حاجاتهم ومتطلباتهم من أولوياته. فحين علم بمشكلة حُمَّى الوادي المتصدِّع أثناء عودته من مهمَّة رسمية في



زيارة لمساكن المحتاجين





السلام على الأطفال

أوروبا؛ أصدر توجيهًا بتغيير خط سير الطائرة من الرياض إلى جازان، وذلك دون سابق ترتيب؛ بل وبعيدًا عن الرسميات والبروتوكولات. ورغم نُصح الأطباء له - خوفًا على صحته - إلا أنه أصرَّ على مواصلة الرحلة والوقوف على حالة المتأثرين بتداعيات المرض، وفي جازان توجَّه من المطار إلى المستشفى، وزار المرضى وسلَّم عليهم رافضًا وضع الكمامات في موقف شهم ونبيل لمواساتهم ومشاركتهم مشاعر المعاناة، مُعزِّزًا بذلك مقولته الشهيرة: «إذا كان المواطن في خطر؛ فأنا مواطن مثله».. كانت بالفعل زيارة أبويَّة حانية تبعتها قرارات حاسمة لتجاوز مسببات مثل هذه المشكلات الصحية والبيئية.

هذه صور مختزلة من بين آلاف؛ بل ربما ملايين المشاهد اليومية التي ظل يرسمها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز للعالم دون تكلُّف أو تصنُّع أو رياء أو مباهاة، إنها صور مشرقة ناصعة لشخصية نبيلة فذة صادقة مخلصة تستلهم مقومات سلوكها في حياتها من دين سمح محبٍّ للسلم والسلام، وتسترشد في سياساتها ومعاملاتها بإرث حضاريٍّ وإسلاميٍّ مجيد وراسخ. عبد الله بن عبد العزيز آل سعود رمزٌ من رموز الإنسانية الشامخة، ولا غرو أن تَوافَق الجميع على تقليده لقب: (ملك الإنسانية) الذي يستحقه عن جدارة.

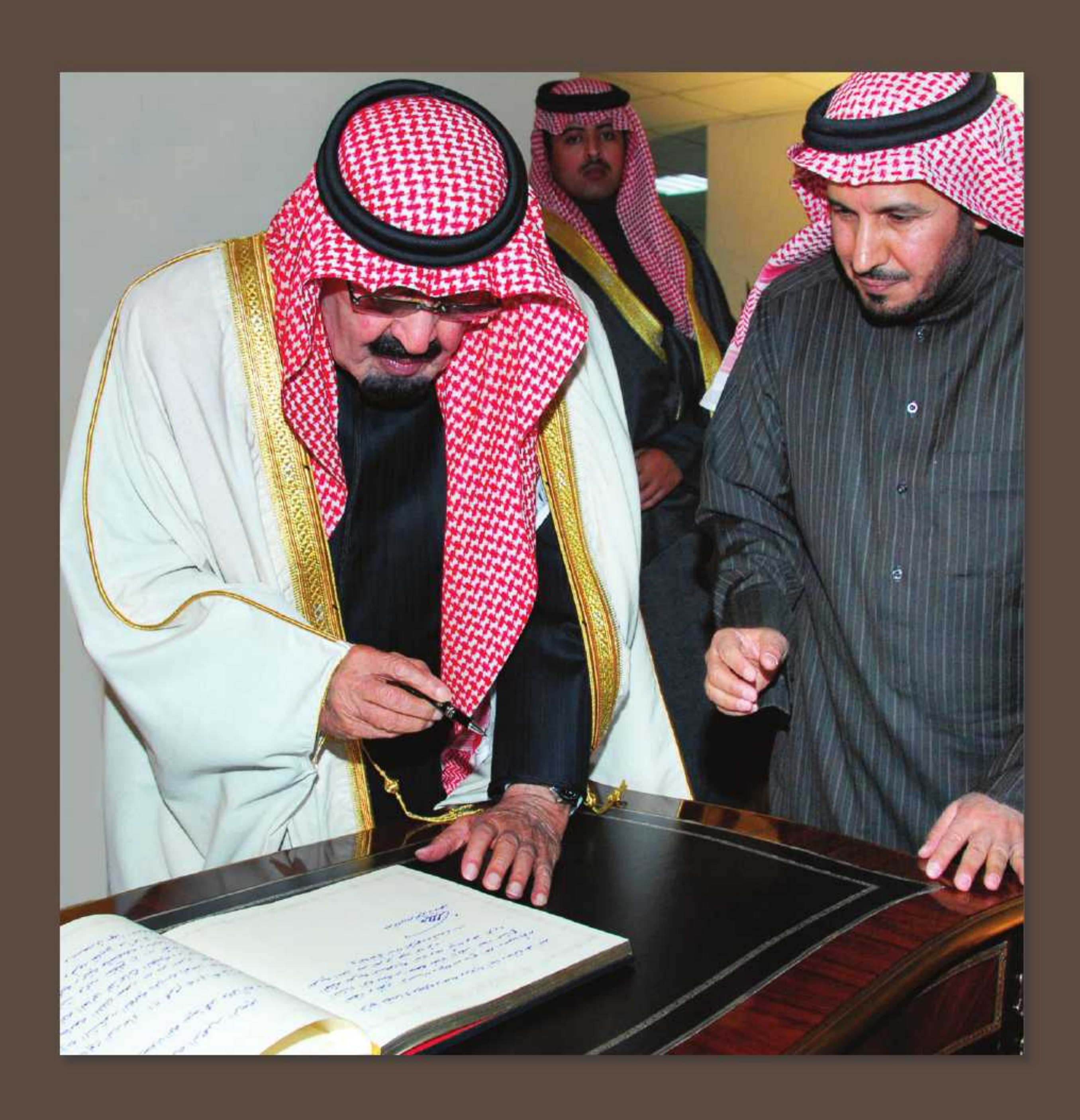


لمسة أبوية حانية للتوأم المصري آلاء و ولاء



الفصل الثالث عشر

انطباعات.. بأقلامهم



إن هذا الكتاب يُوثِّق إنجازًا طبياً كبيرًا نعتزُّ به، كما نعتزُّ بإنجازات كثيرة في هذا الوطن الغالي، ويؤكِّد عملاً إنسانيًا تتشرَّف به المملكة العربية السعودية، ونسأل الله لمن قاموا بهذا العمل التوفيق والنجاح ولهم منا الشكر والثناء.

عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

انطباعات.. بأقلامهم

رموز علمية وبناء الآمال

إنه لمن دواعي الفخر للمملكة العربية السعودية الشقيقة ولدول الوطن العربي والإسلامي كافة أن يكون من أبنائهم عالم قدير فذ هو الدكتور عبد الله الربيعة، والذي لازال العالم ـ حتى حينه ـ يتحدث عن إنجازاته غير المسبوقة في مجال الطب؛ وخاصة فيما يتعلق بفصل التوائم. وأؤكد هنا أنه لمن رحمة الخالق سبحانه وتعالى أن وضع مصير التوأم المصري آلاء وولاء ـ ومن قبلهما التوأم تالية وتالين ـ في خير يد أنجبتها المملكة العربية السعودية في هذا التخصص، وقد كان الدكتور الربيعة عند حسن ظن بارئه، ولم يُخيِّب أمل القلوب العديدة التي تعلَّقت بعمليات فصل التوائم.

إن وطننا العربي وعالمنا الإسلامي لفي أشد الحاجة إلى وجود رموز علمية من أمثال الدكتور عبد الله الربيعة الذين على أكتافهم نبني الآمال من أجل التقدم والازدهار، ليس فقط في المملكة العربية السعودية الشقيقة؛ ولكن لكافة الدول العربية والإسلامية، فهو يمثل القدوة الحقة للأجيال الشابة التي ترى فيه رمزًا للعلم والاجتهاد والتفاني والإخلاص في العمل، وفي وقت استشرت فيه قيم التواكل والتكاسل التي لا رجاء من خلفها سوى التدهور والتراجع .

محمد عبد الحميد قاسم (سفير جمهورية مصر العربية)

سجل باهر

في البدء أود أن أزجي جزيل شكرنا وتقديرنا لمعالي الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الربيعة لنكون ضمن الذين يطلقون اليراع في سِفْرِه الذي يُسجِّل نجاحه العلمي الباهر الذي رسم به البسمة على شفاه أهل وذوي التوائم الذين أجرى لهم عمليات جراحية.

إن العمليات الجراحية العديدة التي أجراها لفصل توائم من جنسيات عدة ـ وكان من ضمنها تلك التي أُجريت لاثنين من أبناء بلدي ـ تقف شاهدًا على التطور العلمي الذي بلغه، وتعكس مدى اهتمامه بالإنسان.. وهذا لعمري ليس بمستغرب ولا بعيد عنه؛ خاصة في ظل اهتمام ورعاية حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بالمرافق كافة والصحية منها تحديدًا، أُشير هنا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية؛ تلك المؤسسة التي طبقت شهرتها الآفاق. كل هذا يعكس بجلاء اهتمام القيادة الواعية بدورها تجاه شعبها وأمتها؛ الأمر الذي أكسب الكوادر الطبية ـ والدكتور الربيعة على رأسها ـ خبرة تضاهي أعظم الخبرات في المؤسسات الطبية العالمية.

وإنني إذ أشكره مرة أخرى؛ يُشرفني أن أهنئه وأهنئ عبره خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ووليَّ عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز على رعايتهم لهذه المؤسسة التي تعتبر مفخرة للمملكة وللأمة العربية والإسلامية.. سائلاً الله له دوام التوفيق وهو يقود العمل والإنجاز الطبي والصحي الكبير المتكامل في هذه المؤسسة الرائدة.. ولمعاليه أسمى آيات تقديري.

محمد أمين عبد الله الكارب (سفير جمهورية السودان)



رئيس فنزويلا السيد تشافيز يدون إعجابه بالمستشفى



الملك الأردني عبدالله الثاني يزور التوائم السيامية

مفخرة للمملكة

بعد الشكر لله سبحانه وتعالى؛ أتقدم بالشكر الجزيل لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي شملنا بعطفه واهتمامه عندما كان وليًّا للعهد، وعلى توجيهه الكريم بنقل حسن وحسين إلى مستشفى الحرس الوطني بالرياض وإجراء عملية فصلهما على حسابه الخاص.. إن هذه اللفتة الأبوية الحانية محل تقديرنا الكبير، وهي ليست مستغربة من ولاة أمرنا ـ في هذا البلد الطيب ـ الذين يتلمّسون حاجات المواطنين أينما كانوا؛ بل إن الخير قد شمل الجميع، واستفاد منه القاصي والداني حتى أصبحت هذه العمليات مصدر فخر لهذا البلد، وأصبح الناس يبحثون عن العلاج لدينا.. فكل الشكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين وللفريق الطبي والجراحي الذي أجرى العملية وحقق نجاحات كثيرة تحدث عنها العالم أجمع.

عبد الله البصراوي والد التوأم السعودي حسن وحسين

موقف غير مستغرب

حقيقة أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على توجيهاته بنقل والدة التوأم من المدينة المنورة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض وهي ما زالت في أشهر الحمل لمتابعة سير الحمل ومراقبة التوأم داخل رحم أمه، وهذا الموقف النبيل من ملك الإنسانية غير مستغرب لأننا نعرف أنه ـ حفظه الله ـ يهتم بكل ما يهم المواطن السعودي، ويمد يد العون لكل محتاج.

كنا ننتظر ـ طوال فترة الحمل ـ إجراء العملية بفارغ الصبر؛ لا سيما أن الانتظار يكون مصحوبًا عادة بمشاعر الخوف والإشفاق والقلق على الأم وتوأمها، ولكن رغم ذلك القلق كانت ثقتنا بالله ثم بأعضاء الفريق الطبي كبيرة، فهذا الفريق بقيادة الدكتور عبد الله الربيعة وزملائه تكونت لديه خبرات متراكمة في مجال جراحة التوائم السيامية، واكتسب شهرة واسعة محلياً وإقليمياً ودولياً في إجراء مثل هذا النوع من العمليات خلال الأعوام السابقة.

وهاهي العملية تحقق نجاحًا تامًّا، والطفلان (عبد الله وعبد الرحمن) بحالة صحية جيدة، ونحمد الله على منِّه وكرمه، كما نشكر الفريق الطبي على هذا التوفيق الذي أنعم الله به عليه جل وعلا، ثم نرفع أسمى آيات الشكر والعرفان لخادم الحرمين الشريفين ـ أمدَّ الله في عمره ـ الذي يعم كرمُه وفضلُه أهل هذه البلاد ثم يفيض على غيرها من البلدان.. وتجدر الإشادة بهذا الصرح الطبي العملاق الذي يعد منارة سامقة للاستشفاء، وإنجازًا علمياً غير مسبوق لقيادتنا الحكيمة.

نواف التميمي والد التوأم السعودي عبدالله وعبدالرحمن

اهتمام ملكي بتاليا وتالين

لا يمكنني خلال هذه الأسطر التحدث عن هذه المكرمة الملكية العزيزة على قلوبنا، ويصعب وصف تلك الفرحة التي اعترتنا منذ أن علمنا بالتوجيهات الكريمة من قبل خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز ـ ولي العهد آنذاك ـ حينما



معالي الدكتورعصمت عبدالمجيد ومعالي الدكتور
عبدالرحمن السويلم في زيارة لأحد التوائم

وزير الصحة اليمني في زيارة للتوأم المصري

أمر بإجراء العملية للطفلتين الملتصقتين تاليا وتالين، فلم نكن مصدقين أنه ـ حفظه الله ـ مهتم شخصياً بحالتهما الصحية، وأنه وجَّه بتقديم المساعدة والاهتمام بهما حتى تُجرى عملية الفصل. وللحق فإننا وجدنا كل رعاية واهتمام، ونُقدِّر لخادم الحرمين الشريفين هذا الموقف الإنساني النبيل الذي يدلُّ على معدنه الأصيل أدام الله عزه. ولن ننسى هذا الموقف وما أحاطنا به السعوديون من أطباء ومسؤولين حتى نجاح العملية. والطفلتان الآن تتمتعان بالصحة والعافية.

المهندس عبد الحكيم عبد الحافظ جَدُّ التوأم المصري تالية وتالين

كرم كبير وشعور نبيل

أتقدم بالشكر الجزيل لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على مبادرته بعلاج ابنتي في المملكة على حسابه الخاص، وهذا يدل على الكرم الكبير والشعور النبيل الذي يحمله ـ حفظه الله ـ تجاه إخوانه العرب وللمحتاجين في كل أنحاء العالم. وقد كانت فرحتنا كبيرة عندما علمنا أنه وجَّه بعلاج التوأم بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، ولم نستغرب هذه المبادرة الكريمة؛ لأنها من الملك الإنسان عبد الله بن عبد العزيز. كما لا يفوتني أن أشكر أيضاً الفريق الطبي وعلى رأسه الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الربيعة وجميع الشعب السعودي وكل الذين وقفوا معنا حتى نجاح العملية ولله الحمد.

عبد السلام علي والد التوأم المصري آلاء وولاء

تذمُّر في بريطانيا

كنا سعداء ونحن نتلقَّى الخبر بتوجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ـ وليٍّ العهد حينها ـ بعلاج التوأم الماليزي وإجراء عملية الفصل؛ لأن التوجيه جاء من المملكة العربية السعودية وهي بلد مسلم؛ بل ومهد الرسالة الإسلامية، ونحن نكن لها كل التقدير والاحترام. استعصى علينا في البداية تصديق ما سمعنا؛ لأننا سبق أن أجرينا عملية غير ناجحة في ماليزيا، سمعنا الخبر في العاصمة البريطانية لندن حين كنا نجري فحوصات طبية للتوأم من أجل معرفة إمكانية فصله، ونحن هناك لم يداعب الأمل قلوبنا، ولم نشعر براحة بال أو طمأنينة؛ بل كنا نتذمَّر من بعض الإجراءات والتكلفة المالية العالية وما يصحبها من طلبات متراكمة ومتتابعة في كل حين.. وبينما نحن على تلك الحالة؛ تلقَّينا خبر هذا التوجيه الكريم بنقلنا وعلاجنا في المملكة العربية السعودية.

وهنا لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل على هذه المبادرة الكريمة والاهتمام الذي أولانا إياه خادم الحرمين الشريفين قبل العملية وأثناءها وبعدها، ونشكر كذلك الدكتور عبد الله الربيعة والفريق الطبي وكل العاملين الذين كانوا دائمًا معنا.

عبد الرحيم رسلي والد التوأم الماليزي أحمد ومحمد

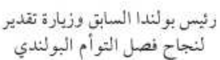
موافقة خلال نصف ساعة فقط

كانت مفاجأة كبيرة لي حين وضعت زوجتي ثلاثة أطفال إناث اثنتين منهما سياميتين، ومن هنا بدأت تطوقني حبائل الهمِّ



مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق
يسجل كلمة في سجل الزيارات





رئيس بولندا السابق وزيارة تقدير
لنجاح فصل التوأم البولندي

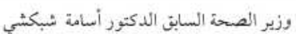
والقلق، وفكرت في السفر إلى الخارج؛ بل واستقر رأيي على ذلك لعلي أجد حلاً وعلاجاً للتوأم. وأثناء ما كنت مستغرقًا في إعمال هذا الرأي وكيفية الإعداد له؛ نبهني الدكتور عمر باسويد إلى إمكانية إجراء مثل هذه العمليات بمستشفى الحرس الوطني بالرياض حيث الجراح الماهر البروفسور عبد الله بن عبد العزيز الربيعة. وبالفعل اتصلنا بالدكتور الربيعة فأكد لنا إمكانية ذلك، وأن المستشفى على استعداد تام من كافة النواحي، ودلَّنا على بعض الترتيبات المتعلقة بدخول المستشفى وما يتطلبه ذلك من موافقة الجهات العليا المعنية. وعلى الفور أرسلت برقية إلى مقام ولي العهد آنذاك صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وكم كانت المفاجأة ضخمة جداً حين تلقيت الرد اليقين بقبول الحالة خلال نصف ساعة فقط. ثم سافرنا إلى الرياض حيث وجدنا فريقًا طبياً متكاملاً في انتظارنا. وفي أول مقابلة مع الدكتور الربيعة زالت عني كل الغموم والهموم ورهق النفس، فقد كان حديثة مطمئنًا ورائعًا.. نعم، فمستشفى الحرس الوطني مرآة تعكس ذاتها بما يتوفر لديها من إمكانات، وما تزخر به من كفاءات وقدرات وتجهيزات حديثة ومتطورة، وكان كل هذا كفيلاً بأن يبدد كابوس الوساوس والمخاوف التي استحوذت عليَّ وأن يبعث مكانها قدرًا كبيرًا من الأمل؛ لاسيما وأنا أنظر إلى الحالة بشفقة الوالد الذي يحس بمعاناة فلذة أكباده في محنتهم وابتلائهم ولا يقوى على فعل شيء لتخفيف معاناتهم. وبعد ثمانية أشهر وحين بلغ وزنهما زهاء الثمانية كيلو جرامات أجريت العملية، واستغرقت مدتها تسع ساعات مرَّت علينا بثقل شديد وترقب ومعاناة لا يعلمها إلا الله رغم ثقتنا المتناهية في الفريق الطبي. وكان مكمن الخطر في أن يكون القلبان ملتصقين مما قد يؤدي إلى وفاتهما في حالة التدخل الجراحي للفصل. وبعد أن تمكَّن الدكتور الربيعة ببراعة فائقة من تقسيم الكبد بينهما؛ جاء دور فتح القلبين، وبفضل الله وُجِدا مفصولين بشحمة صغيرة مثل حبة القمح. ويشهد الله كم اجتاحتني لحظتها سعادة غامرة وإحساس لا يوصف ولا يمكن التعبير عنه إلا بالشكر لله سجودًا وثناءً.. وهكذا انتهت العملية بنجاح ممتاز حيث تجلت حكمة الله في هذا الجراح المبدع الذي كان يتحدث ويشرح للعاملين أثناء العملية مع أن من الراسخ في الأذهان أن غرف العمليات مكان للتركيز وحصر التفكير في العملية نفسها، ولكنها براعة الخبير.

يقول المولى عز وجل: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ إبراهيم-آية (١٤).. فمنذ أن فطر الله الأرض وجعل الإنسان خليفة عليها، شاء جل وعلا أن يكون بين سكانها رجال عظماء يصنعون التاريخ، ويُودعون ذاكرة الإنسانية أعمالاً جليلة راسخة وكأنها نقوش باقية على خواصر الصخور، إنجازات تهب البشرية إلهامًا تستمد منه قدرتها على نظم ملاحم إنسانية تكرس المعاني الفاضلة السامية، وقد ضرب خادم الحرمين الشريفين الملك القائد عبد الله بن عبد العزيز مثلاً أعلى للإنسانية فيما يقدمه لها من أعمال جليلة، فأفضاله وأفعاله تمشي بين الناس، ويشهد عليها القاصي والداني، كيف لا وقد فتح باب المعالجة لأصعب الحالات وأعقدها وأكثرها تكلفة.. فالشكر والعرفان لك يا ملك الإنسانية، ودمت ذخرًا وفخرًا ومجدًا للمسلمين والعالم أجمع.. والشكر عبركم موصول إلى الشعب السعودي الكريم المشرئب الهامة بأقوالكم وأفضالكم الجليلة. وكلمة صادقة في حقِّ العالم الدكتور الربيعة؛ فهو عالمٌ طبيب فذ، ظل يقدم باسم المملكة العربية السعودية-متمثلة في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني-حلولاً نادرة في مجال الطب؛ خاصة في مجال جراحة الأطفال السياميين، قدَّم-ولا يزال-في هذا المجال علمًا يُستفاد منه في ميادين الطب، فهو طبيب خبير ماهر أعاد للأذهان فترة زهو الطب العربي والإسلامي وجدَّد مجده الزاخر بإنجازات عظيمة واكتشافات كبيرة أفادت البشرية جمعاء.



وزير الصحة د.حمد المانع





وزير الصحة السابق الدكتور أسامة شبكشي

ليس هذا فحسب؛ فالدكتور الربيعة رجل يُجبرك على محبته واحترامه لما يتمتع به من أدب جم وخلق فياض وقيم نبيلة، وينطبق عليه الحديث الشريف: «العلماء ورثة الأنبياء». ومهما قلنا أو عبَّرنا؛ فلن نوفيه حقه، ولا نملك إلا أن نلهج بالدعاء والثناء عليه.. نسأل الله أن يوفِّقه ويسدد خطاه لأنه الطبيب الإنسان.. والشكر موصول إلى الفريق الطبي الذي عاونه في عملية نسيبة ونجلاء، والشكر إلى أسرة المستشفى؛ خاصة طاقم الخدمات الاجتماعية التي ظلت ترابط حتى نهاية العملية.. كما نشكر السيدة الفاضلة حرم الدكتور الربيعة التي كانت على اتصال مستمر مع زوجتي تتابع وتؤازر وتقدم الهدايا للأطفال، وصدق القول المأثور: «وراء كل عظيم امرأة»، وقال جل شأنه: ﴿**والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ النور - آية (٢٦).

وأخيرًا لا بد من أن أرفع الدعوات الصادقات من أهلي في «دار قمر» إلى ملك وشعب المملكة العربية السعودية الكريم على ما ظل يقدمه وطنهم للإنسانية في المجالات كافة؛ خاصة الخدمات الطبية التي يندر مثلها في العالم، نسأل الله أن يحفظ هذه المملكة الرائدة التي رفعت شأن الأمة العربية والإسلامية في خدمة الإنسانية، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

السلطان هاشم عثمان هاشم والد السياميتين نسيبة ونجلاء

حيرة وإرتباك

أنا عائشة زوجة السلطان هاشم عثمان، وظاهرة التوائم موجودة في العائلة؛ فأبي توأمٌ لأخيه، ولي سبعة أطفال أكبرهم بنت في الحادية عشرة من عمرها.. شاء الله أن ألد بعد حملي الأخير ٣ توائم إناث، اثنتان سياميتان (نسيبة ونجلاء) والثالثة طبيعية. فشعرنا أنا وزوجي بالحيرة والإرباك ولم يسعفنا التفكير في الاهتداء إلى حلٍّ.. وقبل مغادرة المستشفى أشار أحد الأطباء على زوجي بإرسال برقية عاجلة إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد حينها، وفعلاً أرسلت البرقية، ولدهشتنا تسلمنا الردَّ بعد نصف ساعة، فحمدنا الله كثيرًا الذي هدانا إلى إرسال تلك البرقية التي بددت كل مشاعر الحيرة والإرباك وأعادت إلينا البسمة والفرحة. ومن ثم نُقلت الأختان إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض مع والدهما، فوجدوا بعض منسوبي المستشفى بانتظارهم في المطار، ومنذ تلك اللحظة بدأت العناية والرعاية المكثفة، ثم انضممت إليهم لاحقًا. وبعد أسبوعين غادرنا المستشفى وتوجهنا إلى جدة؛ ولكن علمنا بعد العملية بأن (نسيبة) تعاني وجود ثقبين في القلب، وحدث قفل طبيعي لأحدهما بعد سنة، أما الآخر فتم قفله بعملية جراحية وكان عمرها في ذلك الوقت ست سنوات. وقد طلبوا منا مراجعة المستشفى بعد شهر للتأكد من نجاح العملية ونمو القفص الصدري، وبالفعل حضرنا في الموعد المحدد وكانت النتائج جيدة ومطمئنة، غادرنا بعدها إلى السودان ثم عدنا ثانية إلى المملكة تلبية لدعوة من خادم الحرمين الشريفين أطال الله عمره وحفظه ورعاه ومتعه بالصحة والعافية.

عائشة محمد الحسن حسين والدة نجلاء ونسيبة



وزير الصحة الأمريكي يسجل كلمة تقدير للانجازات السعودية في مجال فصل التوائم السيامية



بعض سفراء الدول التي ينتمي إليها بعض التوائم السيامية

ضاقت عليَّ الأرض بما رَحُبَت

في البداية أتوجه بالشكر لله سبحانه وتعالى، ثم لجلالة الوالد ملك الإنسانية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله، ثم لمعالي الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الربيعة المدير العام التنفيذي للشؤون الصحية بالحرس الوطني الذي أوصل ندائي إلى جلالة الملك المفدى.. وفي وقت قياسي صدر توجيهه بنقل بناتي التوأم السيامي من السلطنة إلى المملكة. لقد رزقني الله سبحانه وتعالى بثلاثة توائم طفلتين سياميتين وطفل ذكر. ويشهد الله أنني لم أذق طعمًا للحياة منذ ولادتهما، وضاقت عليَّ الأرض بما رَحُبتْ، وأصابتني الحيرة في كيفية التصرف معهما؛ خاصة وأن حالتهما صعبة نظرًا لالتصاقهما بالرأس. وبما أن لي قريب منتظم في الدراسة بأستراليا فقد اتصلت به، وكان على علاقة بزملائه من الطلاب السعوديين، فلما عرض عليهم الأمر؛ بادروا إلى تزويده بالموقع الإلكتروني للمستشفى، وأكدوا له وجود متخصصين في فصل التوائم بالمملكة. وبناءً على هذه المعلومات خاطبنا المستشفى بمساعدة الأخوة في السفارة السعودية بالسلطنة، فكانت هذه الخطوة سببًا كافيًا في إزالة الهمِّ والتفكير عني. وبعد مخاطبة المختصين أرسلنا التقارير الخاصة بالحالة إلى معالي الدكتور عبد الله الربيعة، وفتحت لي مخاطبته بابًا واسعًا للأمل، وطمأنينة بأن فرج الله آت لا محالة، وأن حل مشكلتي سيكون في هذا البلد، ومما زاد من فرحتي أن أتسلم الموافقة خلال أسبوعين، إذ تلقيت مكالمة من معالي الدكتور الربيعة نقل إليَّ فيها بشرى موافقة جلالة الملك على التكفل بالعلاج، ففرحت الأسرة فرحًا شديدًا وهنأني الأصدقاء على هذه اللفتة الأبوية الكريمة.

وفي يوم مغادرتي إلى المملكة ودعني السفير السعودي بالسلطنة، وتولى طاقم السفارة - مشكورين - تكملة كل الإجراءات، وعند وصولي إلى مطار الملك خالد الدولي استُقبلت بالترحاب من السفير العماني بالمملكة، وحظيت بحفاوة بالغة من الأخوة بالعلاقات العامة بالشؤون الصحية بالحرس الوطني وشعرت بقدر كبير من الود وهم يتحركون كخلية نحل كُلِّفت لاستقبالي. وفي المستشفى استقبلني معالي الدكتور الربيعة وبصحبته مجموعة من الأطباء؛ فنقلني ذلك إلى قمة السعادة والفرح، ثم وفروا لي السكن بالمدينة الطبية، وتم تأمين كافة احتياجاتي من المواد التموينية وخدمات المواصلات.. ولا أملك إزاء ذلك كله إلا الشكر والثناء إلى الله جل وعلا أولاً ثم إلى جلالة الملك الوالد عبد الله بن عبد العزيز، ملك الإنسانية. وينبغي أن أشير إلى أنني اخترت المملكة العربية السعودية بسبب توفر الخبرة العلمية والمهنية الكبيرة لفصل التوائم، ولأن المملكة بلد خليجي لا يمكن أن أحس فيه بأي نوع من الغربة، علمًا بأني تلقيت - قبل مجيئي - عدة خيارات من دول أخرى؛ إلا أنني فضلت المملكة، ويرجع الفضل في ذلك إلى سيدي جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي أتاح كل أبواب المعرفة العلمية لأبنائه ومنحهم كامل الثقة حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن من تفوق وتقدم وازدهار. ولا بد هنا من الإعراب عن إعجابي الشديد بالمدينة الطبية وخدماتها المتميزة التي تقدمها لمراجعيها والمحتاجين إليها.

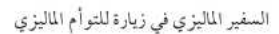
أدام الله لنا ولجميع الأمة العربية والإسلامية جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي فتح قلبه لرعاية الأطفال السياميين وإجراء عمليات الفصل على نفقته الخاصة... فهنيئًا لهذا البلد الكريم بهذا القائد العظيم.

محمد بن ناصر بن حمد الجرداني والد التوأم العماني (صفا ومروة)



مندوب الأمم المتحدة أثناء زيارته للتوأم الماليزي





السفير الماليزي في زيارة للتوأم الماليزي

أعراض حمل مختلفة

حضرنا إلى أرض الحرمين الشريفين أنا وزوجتي ماجدة راشد سعد وابني علوي وابنتاي التوأم الملتصقتين على ضيافة مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود؛ لأنه ـ أطال الله عمره ـ تفضَّل مشكورًا بتحمل تكاليف فصل ابنتي التوأم فاطمة والزهراء بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وأود أن أسجل هنا خواطرنا ـ أنا وزوجتي ـ في خطاب واحد. فمنذ وصولنا إلى الرياض قبل أحد عشر شهرًا ونحن في ضيافة كاملة متضمنة إجراء الفحوصات الطبية والعلاج والتحاليل والإقامة والسكن والإعاشة. تقول زوجتي أن أعراض حملها بالتوأم كانت مختلفة عن تلك التي شعرت بها في حملها الأول، وبدأت تشعر بأنها تحمل في بطنها شيئًا غريبًا، وبدأ القلق يساورها، ثم كشفت الفحوصات حملها بتوأم يتخذ وضعية (قاعد)، غير أن الأطباء لم يحددوا طبيعة هذا التوأم. ولمَّا كانت إمكانات المستشفى الذي نراجع فيه ضعيفة وتجهيزاته متواضعة، فقد اضطررنا إلى إجراء كافة الفحوصات على حسابنا الخاص مما شكَّل علينا عبئًا مالياً كبيرًا. ومع ظهور أعراض المخاض أدخلت الزوجة المستشفى وأجريت لها عملية قيصرية قبل موعد الولادة بشهر ووضعت التوأم، وحملت الطفلتان اسمي (فاطمة والزهراء). تملكتني مخاوف كثيرة لحظة أن علمت أن التوأم ملتصقان؛ خاصة وأن حالتنا المادية متواضعة، ولا نستطيع تحمل أية نفقات لعلاج مثل هذه الحالة، ولا نكاد نحصل على قوت يومنا إلا بمشقة. ثم أمعنا التفكير كثيرًا وتساءلنا ماذا نفعل في ظل ظروفنا هذه؟ لم يكن أمامنا سوى إطلاع الدكتور حسين المشرف على العملية ومدير مستشفى الحبيبية على وضعنا المادي وأخبرناه بأننا لا نملك إلا أن نفوض أمرنا إلى الله؛ ولكنه تفضل مشكورًا بتبني حالتنا، أجرى عدة اتصالات، ونشر الموضوع في الصحف والفضائيات حتى اتسعت دائرته عالمياً.

وفي المساء نقل إلي الدكتور نفسه بشرى موافقة خادم الحرمين الشريفين على علاج حالتنا بالمملكة العربية السعودية، مع تكفله بتحمل نفقات نقلي وزوجتي وأولادي إلى الرياض لدراسة الحالة، وكذلك بكافة نفقات فصل التوأم بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وكم كان وقع الخبر علينا مفرحًا، وشعرتُ لحظتها أن الله معنا، وأنه سبحانه وتعالى مد لنا يد الرحمة التي عبرت الحدود لترفع عن كاهلي عبئًا ما كان يمكن لنا الاستمرار في حمله، وشعرت أن خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ أضاء شموعًا كنت أظن أنها لن تضاء، وأشاع في نفوسنا مشاعر الفرح والأمل بعد أن كاد اليأس يستحوذ علينا، ما دار بخاطري لحظة إبلاغي بخبر موافقة سيدي خادم الحرمين الشريفين لا يمكن وصفه، وتعجز الكلمات عن التعبير بالقدر الذي يمكن أن يفي القائد الإنسان حقه من الشكر والثناء.. إنها حقًّا مفاجأة؛ بل هدية السماء من خالق السماء والأرض، ما كنت أتصور أن تمتد يد ملك الإنسانية لتنقلني من وساوس التفكير والتخيلات إلى عمق الإيمان بعد أن كاد الأمل يخبو في دواخلنا. ولا أنسى في خضم هذه الأفكار أن أشير إلى أنني ـ رغم صغر سني وضعف وسائل الإعلام التي تصل إلينا ومحليَّتها ـ سمعت كثيرًا من أصدقائنا وأقاربنا ومن الإذاعات عن المواقف الإنسانية لخادم الحرمين الشريفين، وعندما وجدنا أنفسنا أمام (توأمنا السيامي) راودنا أمل في أن تمتد لنا يد العون، وقد تجاوب ـ أيده الله ومتَّعه بالصحة والعافية ـ مع ما تناقلته الصحف والإذاعات والفضائيات، واستجابت







تواصل في المجال الطبي ببولندا

زيارة الملك عبدالله ملك الأردن للتوائم السيامية

إنسانيته قبل كل شيء، فوجَّه على الفور بأن يتبنى الفريق الطبي المتخصص في المملكة الغالية إجراء هذه العملية، ولذلك شعرنا بقدر كبير من الراحة والاطمئنان لأن العملية ستُجرى في دولة عربية مسلمة تتخذ السلم والسلام منهجًا، وتقف بجانب الأفراد والدول، وهذا ما يجعلنا نشعر بأننا بين أهلنا وذوينا.

ورغم حالة الحرب في بلادنا والتفجيرات التي يُسمع دويُّها هنا وهناك، مع عدم الشعور بالأمن والأمان؛ إلا أن طائرة الإخلاء الطبي حطت بطاقمها يوم ٦ / ١ / ١٤٢٧هـ الموافق ٥ / ٢ / ٢٠٠٦م وسط المخاطر وأحوال المناخ غير الملائمة، وأقلعت مرة أخرى عائدة إلى الرياض وهبطت في قاعدة الرياض الجوية، ومن هناك نُقلنا بسيارة إسعاف إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني. وتنازعتنا خلال الرحلة مشاعر قلق وترقب.. قلق لفراق الأحبة وترقُّب لما هو آت.

كان إيماننا بالله كبيرًا، وثقتنا في الفريق الطبي برئاسة معالي الدكتور عبد الله الربيعة ـ الذي سبقته سمعته ـ قوية ولا تحدها حدود، وبرغم الغربة لم يفارقنا الشعور بأننا بين أهلنا، ذلك أننا لمسنا كل وجوه التعاون والسعي الدؤوب من كل العاملين والقائمين على خدمتنا، إنها بلا شك روح إنسانية خالصة يشملنا بها كبار المسؤولين وصغارهم في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني وفي السكن؛ بل وفي كل مكان نذهب إليه.. إنها روح ألفة ومحبة خالصة لوجه الله. ونؤكد أن ما توفره لنا الشؤون الصحية بالحرس الوطني يفوق حاجتنا، ونشكر المسؤولين على هذا العطاء الجزيل.

ولا يسعنا في هذا الموقف المؤثر، ونيابة عن أسرتنا إلا أن نتوجَّه بالدعاء من كل قلوبنا إلى الله عز وجل أن يُنعم على ملك الإنسانية خادم الحرمين الشريفين بالصحة والعافية، وأن يديم عزَّه ومجده، وأن يمتِّع المملكة العربية السعودية في ظل قيادته بالأمن والأمان والرخاء لما قدمه ويقدمه لشعبه وللمسلمين والعالم أجمع ، فله الشكر بعد الله تعالى على ما أنعم به على أسرتي الصغيرة في وقت كنا أحوج ما نكون فيه إلى مثل هذه المساعدة الكريمة. كما أشكر الفريق الطبي العظيم الذي سبقت أعماله سمعته برئاسة معالي الدكتور عبد الله الربيعة على الاهتمام الكبير بنا وبالتوأم وندعو الله لهم بالتوفيق والنجاح في كل عملياتهم الجراحية.

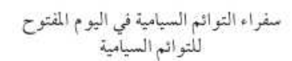
وختامًا نقول بكل صدق إن حسن الحفاوة وطيب المعاملة وشمولية الرعاية التي يحيطنا بها الجميع تدفعنا إلى أن نرفع أكف الضراعة إلى الله ليرزقنا توأماً آخر لنعيد لذاكرتنا تلك الأيام الخالدة، ولكي نتمتع بكل هذا في ظل قيادة الملك ذي القلب الكبير، القائد ذي الرحمة في الأرض، الموجِّه الذي يعد ويفي.. فهنيئًا لشعب المملكة بأبوة القائد الإنسان.

والدا التوأم العراقي حيدر سالم رباط وماجدة راشد سعد

اهتمامات فاقت التوقعات

يسرني ويسعدني أن أعرب عن خالص شكرنا وعظيم امتناننا لكل من ساهم من قريب أو بعيد في نجاح عملية فصل التوأم السيامي المغربي (حفصة وإلهام)، ونخص بالشكر الصادق وبكل مشاعر الوفاء والامتنان خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أعزه الله، فقد أصدر ـ حفظه الله ـ توجيهاته السامية بنقل التوأم ووالديهما إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وتوفير كل الظروف الملائمة لهم. لقد مرَّ التوأم بمراحل متعددة قبل وصولهما إلى ما حققاه من صحة وعافية،




سفراء التوائم السيامية في اليوم المفتوح للتوائم السيامية


دبلوماسيو الدول في زيارة للتوائم السيامية

فمنذ أن حملت به الأم وهي تعاني مرارة هذا الحمل وتقاسي آلامًا نتيجة حجمهما وصعوبة تحركهما داخل الرحم مما تسبب لها في تغيرات وأزمات نفسية قاومتها بثبات. ونظرًا لصغر سنها وضعف حالتها الصحية كانت تدخل أحيانًا في نوبات إغماء؛ ولكن رغم ذلك فقد ازدادت عزيمتها ـ والحمد لله ـ مع اقتراب موعد الولادة، وإن كانت تنتابها بعض مشاعر الخوف. وتعرضت لصعوبات كثيرة بسبب عدم انتباه الأطباء إلى حالتها وحالة الوضع الذي كان عليه التوأم، ودخلت في حالة إغماء. وما أن أفاقت حتى حمدت الله سبحانه وتعالى، ولكنها أحست بكثير من القلق والخوف حين علمت أنهما ملتصقتان.

انشغلنا منذ لحظة الولادة بكيفية التغلب على هذه المعضلة، وأصبحت مسألة علاجهما شغلنا الشاغل، فهذه النعمة التي أنعم الله بها علينا لا بد من صيانتها ومحاولة علاجها لتحيا حياة سليمة، وبدأنا نبحث عن شخص يمكن أن يساعدنا بتحمل تكاليف عملية فصلهما؛ خاصة بعد أن علمنا أن مثل هذه العمليات لا تُجرى في المغرب، وأنها من العمليات المعقدة.. ونتيجة لذلك وجهنا نداء إلى كل أهل الخير عبر إحدى القنوات المغربية، وانتشر الخبر وطرق آذان أصحاب كل الضمائر الحية. وما أن وصل الأمر إلى هذه المملكة الطاهرة حتى عُرضت علينا المساعدة؛ فتلقيناها بفرحة شديدة لاسيما وأن الخبر كان مفاجأة كبيرة لنا، ولم يكن يخطر على بالنا. فما كان منا إلا أن وجهنا خطابًا إلى صاحب اليد البيضاء خادم الحرمين الشريفين الذي كانت استجابته سريعة ومرحبة جعلها الله في موازين حسناته يوم القيامة، وبارك له في مساعيه الحميدة. وكانت لهذه الموافقة الكريمة أصداءٌ طيبة عند أهلنا وكل المتعاطفين معنا، وقد أثلجت صدورهم هذه الأعمال الإنسانية التي يقدمها خادم الحرمين الشريفين الأمر الذي جعلهم يتتبعون حالة التوأم حتى اليوم.

وفي مملكة الإنسانية حظينا باستقبال كبير ولله الحمد، وبوصولنا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني أُعد لنا استقبال فاق كل التوقعات، وجدنا في انتظارنا مسؤولي المستشفى والإعلاميين وفي مقدمة الجميع معالي الدكتور عبد الله الربيعة المدير التنفيذي للشؤون الصحية للحرس الوطني ورئيس الفريق الطبي والذي قدَّم لنا على الفور بعض الإيضاحات والبيانات عن حالة التوأم والفحوصات التي سنجريها في القريب العاجل، ونسبة نجاح عملية الفصل مما سرَّنا كثيرًا وغمر قلوبنا بالارتياح بعد عناء طويل وتعب من السفر. ولا يفوتنا التنويه بحسن الضيافة والكرم الفياض الذي يعد دليلاً على إنسانية الشعب السعودي وقائده الإنسان خادم الحرمين الشريفين أطال الله عمره.

وبعد الاطمئنان على حالة التوأم داخل المستشفى انتقلنا إلى متابعة الفحوصات التي أجريت لهما، وبناءً عليها ارتفعت معنوياتنا وزادت ثقتنا في نجاح عملية الفصل، وكل هذا يعود إلى الظروف الملائمة والجيدة علاوة على الخدمات المتوافرة والمتميزة وعالية الكفاءة بالمستشفى. وبعد أن دخلت عملية الفصل مرحلتها النهائية ـ وهما في غرفة العمليات ـ تعمَّق إحساسنا بالنجاح رغم أنه كان مشوبًا ببعض الخوف والإشفاق، وهذا شعور طبيعي، وتابعنا كل المراحل التي مرت بها العملية عبر الشاشة، وحرصنا على حضور المؤتمرات الطبية التي تناقش الحالة وذلك من أجل مزيد من الاطمئنان، ومع اقتراب نهايتها تنامى شعورنا بالفرح، وكانت لحظة الفصل حاسمة عاشها معنا كل المتتبعين.



في سفارة بولندا بالرياض



ابتسامة مع والدة التوأم الفلبيني

وبفضل الله سبحانه وتعالى تحقق ذلك النجاح الكبير الذي بهر الجميع وشكل إضافة مهنية وعلمية إلى النجاحات الأخرى التي حققتها المملكة العربية السعودية في ميدان الطب والجراحة، وأعطتها ثقة وشهرة أكبر في هذا المجال.. وما كان هذا ليتحقق لولا فضل الله تعالى ثم إنسانية الملك الهمام الذي منحه الله إحساسًا رقيقًا يسع الجميع ، فالشكر لله مرة أخرى، ثم لخادم الحرمين الشريفين على هذا العمل الجبار.

فهيم المصطفى والد التوأم المغربي

لم نصدق ما سمعنا

عندما علمنا بخبر توجيه الملك عبد الله بن عبد العزيز -وليّ العهد حينها- بنقل ابنتي التوأم إلى السعودية لإجراء عملية الفصل هناك؛ لم نكن نصدق ما نسمع ، فمنذ ولادة التوأم ونحن نعيش حيرة كبيرة، ولا ندري ماذا نفعل؛ حتى جاءنا الخبر عن طريق السفارة السعودية في مانيلا بأن ولي العهد السعودي الأمير عبد الله وجه بنقل التوأم وعلاجه في المملكة العربية السعودية. وبعد إكمال كل الإجراءات غادرنا الفلبين متوجهين إلى الرياض، وهناك وجدنا كل الاهتمام منذ وصولنا إلى المطار وحتى ساعة إجراء العملية التي كانت لحظاتها صعبة جداً؛ ولكن وقفة الناس معنا خفَّفت كثيراً من هذا الموقف الصعب. ونحن عاجزون عن الشكر للملك عبد الله الذي لم يكن يعرفنا عندما وجه بإجراء العملية ونقلنا إلى الرياض، ولكن الحس الإنساني الكبير الذي يمتلئ به قلبه جعله يشعر بمعاناتنا ونحن على بعد آلاف الأميال.

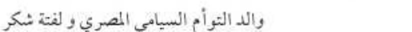
كابرينا كابراديليا مانسو والدة التوأم الفلبيني

مثال للرؤساء

ظللتُ أتردَّد على عيادة طبيب النساء كل أسبوعين حيث كنت أخضع لعملية تصوير بالموجات فوق الصوتية، اعتاد الطبيب على طمأنتي بأن كل شيء على ما يرام، وبشرني بولادة توأم. وبعد الصورة الثانية لاحظت أن الأطباء حين يتناقشون أمامي يتعمدون استخدام مصطلحات مبهمة، ثم نصحوني بالتوجه إلى مستشفى في بايدغوسيز تتوفر به أفضل التجهيزات والمعدات، وهناك علمت أن البنتين ملتصقتان ويجب عليَّ مراجعة مستشفى آخر في لودز، غمرني شعور بالقلق، ولكن كان لزامًا عليَّ التفكير سريعًا في كيفية مساعدة التوأم. وخلال الأسبوع الرابع والثلاثين أحسست أن وضعي سيئ بالفعل. وبعد أول معاينة في مستشفى لودز أخبروني بأن حياتي في خطر، وأن طبيبي السابق كان يجب عليه إدراك ذلك في الأسبوع الثاني عشر على الأقل!! وقبل إكمال الفحوصات نقلتُ مباشرة إلى غرفة العمليات حيث أُجريت لي عملية ولادة قيصرية. وفي المستشفى علمت من أحد الأصدقاء أنه اتصل بصديق له في فيلادلفيا لاستشارة أحد الاختصاصيين في فصل التوائم السيامية؛ إلا أن تكاليف العملية كانت فوق طاقتنا. حينها فكرنا في إرسال خطابات إلى مستشفيات خارجية شهيرة، فكانت أول استجابة من أحد مستشفيات لندن مشفوعة بتكاليف العملية ثم تلقينا عروضًا أخرى من زيوريخ وباريس وكانت تكاليفها عالية أيضاً.




سماح و هبة التوأم السوداني الأول


والد التوأم السيامي المصري و لفتة شكر

وأبدى الدكتور بروكورات عدم ممانعته في التوقيع على توصية بإجراء الجراحة في لندن شريطة أن يصلهم تأكيد من مستشفى كراكاوا باستحالة إجرائها هنا. ثم اتصلت بمركز الأطفال في وارسو طلبًا للمشورة، فطلبوا موافاتهم بكافة التقارير، وبعد الاطلاع عليها ودراستها أخبروني بعدم قدرتهم على إجرائها. بذل ابن أختي روبرت محاولات عبر الإنترنت، واتصل بالمملكة العربية السعودية لطلب مزيد من المعلومات عن المشكلة، وبعد فترة تلقى مكالمة من الدكتور الجمال الذي أخبره لاحقًا بإمكانية إجراء الجراحة في الرياض، فقبلت الاقتراح فورًا لأنني شعرت بأن الطفلتين ستكونان في أيد أمينة هناك، وفضلاً عن ذلك كان لدي إحساس قاطع بعدم وجود أحد هنا راغب في مساعدتنا، وعندما أزف وقت السفر كنت سعيدة لأن طفلتيَّ ستجدان أشخاصًا ذوي قلوب رحيمة.. وأخيرًا أقول يجب أن تفتخر المملكة بملكها الذي يعد مثالاً لرؤساء الدول في كل أنحاء العالم، فهو يمتلك قلبًا صادقًا إلى الدرجة التي جعلتني أعجز عن التعبير عن شكرنا واحترامنا له.. وأعتقد بأن طفلتي سوف تحصلان على الجنسية السعودية يومًا ما؛ لأن الملك السعودي منحهما الفرصة لحياة ثانية، وعليه فقد أصبحت المملكة وطنهما الثاني. وأود أيضاً إضافة كلمات أخرى عن الدكتور الربيعة وكل فريقه الطبي، فمهنية الرجل العالية وقلبه الكبير ساعدا طفلتي على النجاة والعيش بشكل طبيعي مثل أي طفل آخر في العالم.. شكرًا لكم.

المخلصة لكم طوال الحياة ويسلاوا دابروسكا

١٦ سنة بعد الفصل

لا أعرف كيف أزجي عبارات الشكر والامتنان إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد الأمين حفظه الله.. وإلى صاحب القلب الحنون الدكتور عبد الله الربيعة الذي يعجز القلم عن شكره؛ بل ويعجز قاموس مفردات الأسرة عن تزويدنا بعبارات توفيه حقه.. أشكرهم جميعًا على المساعدات الإنسانية والصحية التي قدَّموها لنا. ربما لا أستطيع الكتابة عمَّا يمُور في داخلي عن تجربتي مع الالتصاق؛ ولكن من المؤكد أن أهلي فوجئوا بالتصاقي مع توأمتي هبة فنقلونا حالاً إلى قسم جراحة الأطفال بمستشفى سوبا الجامعي بالخرطوم حيث بدأت أول محاولات فصلنا، ثم أُرسلت تقارير عن الحال إلى المملكة العربية السعودية فكانت هي الأسرع استجابة كعادتها في عون الأشقاء أفرادًا كانوا أم شعوبًا.. وبعد أن تلقينا الموافقة سافرنا إلى جدة، وتوجهنا فورًا إلى مستشفى الولادة للأطفال، وكانت كل التقارير تؤكد صعوبة الفصل وبالتالي لا بد من التضحية بإحدانا لإنقاذ الأخرى، وللوصول إلى حكم فيصل في المسألة أُرْسلت التقارير إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي والمستشفى العسكري بالرياض، وبعد فترة جاءتنا موافقة كريمة من الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله، وافق ـ طيب الله ثراه ـ على إجراء العملية في المستشفى التخصصي، ومنذ تلك اللحظة كان ارتباطنا مع معالي الدكتور الربيعة مراجعة وفحوصات وشحنة من الاطمئنان والأمل. مرَّت الأيام والسنون على فصلنا الذي كان في ٨ / ٢ / ١٩٩٢م من خلال عملية طويلة نجحت نجاحًا باهرًا أعادنا إلى ممارسة حياتنا بصورة عادية. ونقلت وكالة الأنباء الخبر، وتصدر الصفحات الأولى للصحف المحلية والأجنبية إنجازًا سعوديًّا متميِّزًا. والآن لكل واحدة منا رِجل طبيعية



قبلة من والدي التوأم الكاميروني



التوائم وجلسة فرح



وأخرى صناعية، ونحيا حياة طبيعية دون أي مساعدة خارجية، وتدرَّجنا في مراحل التعليم بمنطقة الرياض بمساعدة كريمة وطيبة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد طيب الله ثراه وولي عهده آنذاك وخادم الحرمين الشريفين الآن الملك الإنسان عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، بجانب المتابعة المتصلة من معالي الطبيب الإنسان، صاحب القلب الكبير الدكتور عبد الله الربيعة. وأنا الآن - عند كتابة هذا الانطباع - في الصف الثاني ثانوي علمي، بينما توأمتي سماح في الصف الثاني أدبي.. وللجميع مني جزيل الشكر والتقدير والامتنان.

السيامية هبة عمر الجيلي

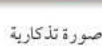
تفوق دراسي

بعد ولادتنا ملتصقتين أحس أبواي ببعض الحزن والخوف علينا، فتنقلوا بنا إلى عدة مستشفيات لإجراء عملية الفصل، وأُرسلت تقارير طبية إلى المملكة المتحدة وألمانيا والمملكة العربية السعودية، وجاء الردُّ سريعًا من مملكتنا الحبيبة، وبدأت مراحل علاجنا في المستشفى التخصصي بالرياض حيث تم فصلنا هناك. وفي بداية الأمر شعر الفريق الطبي بصعوبة الفصل، ورأوا وجوب التضحية



ليخ ڤاليسا رئيس بولندا السابق عند زيارته للتوأم البولندي




صورة تذكارية


شرح لضيوف المستشفى

بإحدانا من أجل أن تعيش الأخرى، ولكن الدكتور الربيعة رئيس الفريق والذي يعمد دائمًا إلى تغليب الجانب الإنساني أشار إلى ضرورة الاستئناس بمشورة مرجعية شرعية واعتماد الفتوى التي تصدر عنها في هذا الخصوص، وبالفعل التقى معاليه بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله الذي نصح بأن يشكل الأطباء والمختصون لجنة لدراسة الأمر ومحاولة إجراء عملية الفصل دون التضحية بواحدة على حساب الأخرى. وبعد ذلك أجريت لنا فحوصات استمرت لمدة ثلاثة أشهر، وبعدها أُجريت العملية مباشرة في الثامن من فبراير ١٩٩٢م، وتكللت بالنجاح ولله الحمد، ووجَّه أبي الشكر لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله.. وأنا بدوري أشكر الجميع على ما قدَّموه لنا من مساعدة وعون، ولا أعرف كيف أعبر عن شكري لصاحب القلب الكبير والإنسان الحنون الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الربيعة.. وأنا أعيش الآن برجل واحد طبيعية والأخرى صناعية، وأستطيع الذهاب إلى أي مكان شئت، وأدرس الآن -عند كتابة هذه الأسطر- بالصف الثاني الثانوي القسم الأدبي ومتفوقة في دراستي والحمد لله. وللجميع جزيل الشكر والعطاء.

السيامية سماح عمر الجيلي

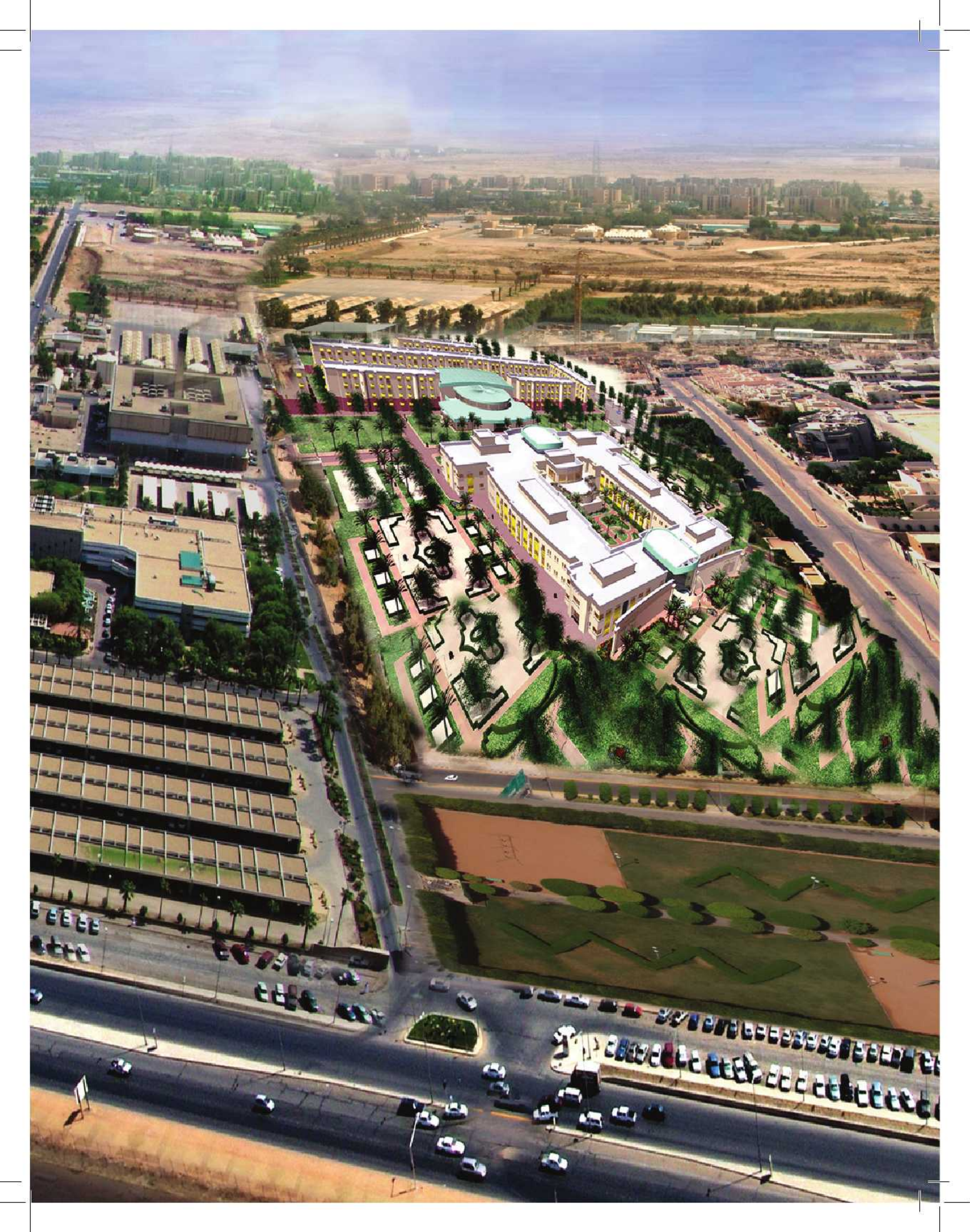


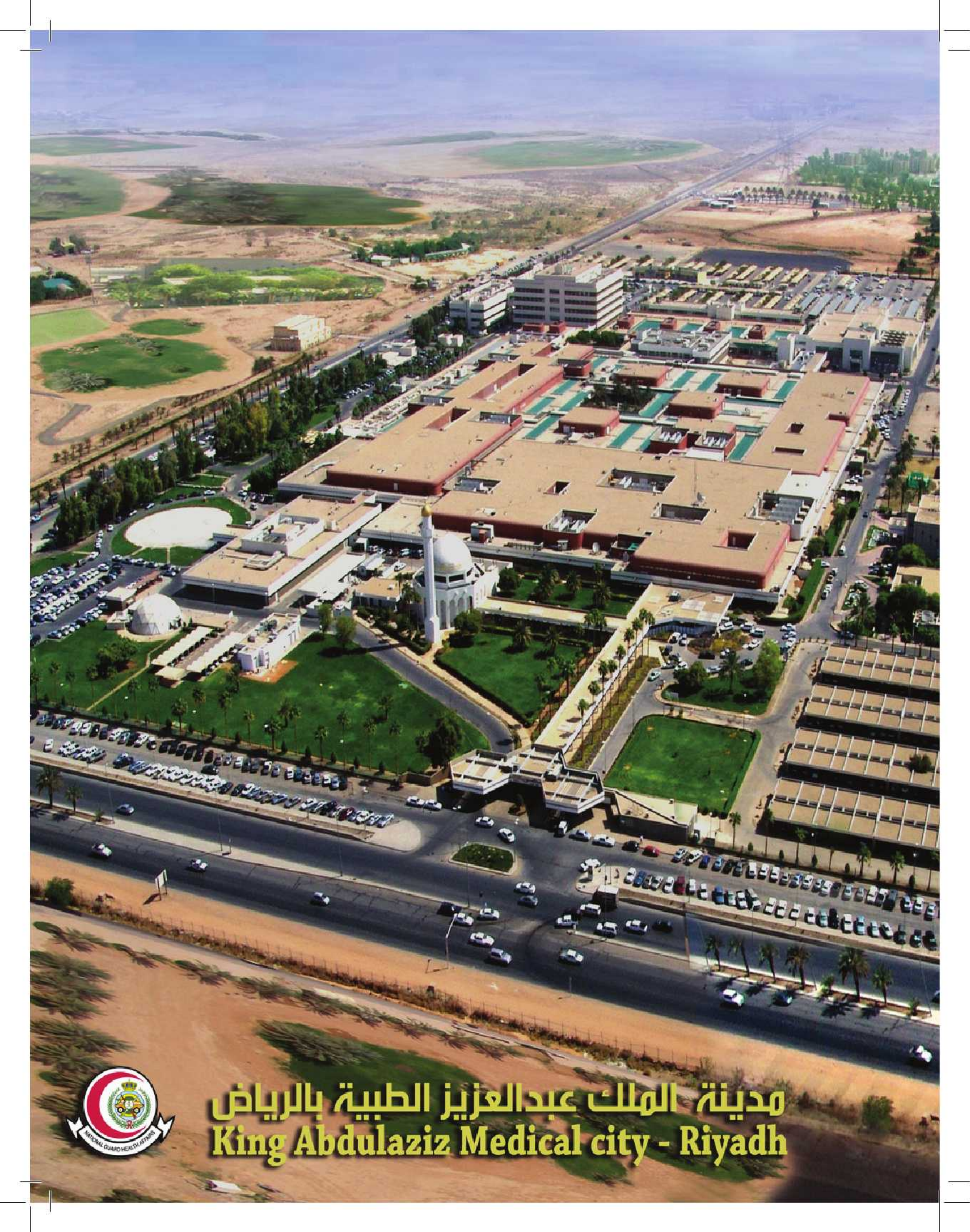
تذكار من السفير المغربي لدى المملكة



الفصل الرابع عشر

مدينة الملك عبد العزيز الطبية





NATIONAL GUARD HEALTH AFFAIRS
مدينة الملك عبدالعزيز الطبية بالرياض
King Abdulaziz Medical city - Riyadh



وضع حجر الاساس لأحد المشاريع الطبية

مدينة الملك عبد العزيز الطبية

صرح شامخ ومنارة رفيعة

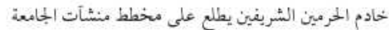
مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض صرح شامخ ومنارة علمية سامقة تقف شاهدًا ماثلاً وحياً على إنجازات مملكتنا في شتى المجالات، وتؤكد بجلاء لمحيطنا الخليجي والعربي؛ بل والعالمي تفرُّد الحرس الوطني بمنشآته الصحية الحديثة والمتطورة التي تأخذ بأحدث التجهيزات والتقنيات، وتستقطب أفضل الكفاءات والمهارات مع الإيثار والتركيز على ما هو محليٌّ منها على وجه الخصوص. وشهد الجميع بكفاءة وتميز هذه المدينة التي سمقت في آفاق العلوم والمعارف كإحدى أبلغ وأقوى الأدلة والبراهين على اهتمام ولاة أمرنا - وعلى رأسهم القائد الإنسان الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - وحرصهم على قطاعات الدولة كافة؛ وخاصة الصحي منها الذي يُعنى بالإنسان باعتباره أساس البناء والنهضة والتطور، ذلك أن تكريم قيادتنا للإنسان السعودي - وغيره من شعوب الأرض - مستمد من قواعد ديننا وخطابه وتأكيداته: ﴿**ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البرِّ والبحر وفضلناهم على كثير ممَّن خلقنا تفضيلاً**﴾(الإسراء . آية-٧٠).

وطالما أن المادة العلمية لهذا الكتاب قاصرة على ظاهرة التوائم السيامية التي احتضنتها مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وأضحت مهدًا ومركزًا لها تهفو إليه أفئدة المرضى من كل مكان، فقد كان لزامًا عليَّ - اعتمادًا على هذا التفرُّد - الحديث عن هذه المدينة الشامخة التي تعدُّ مقراً لهذه المسيرة الطويلة للتوائم السيامية، فهي مدينة طبية بقامة المملكة العربية السعودية وثقل حضارتها وإشراق سمعتها، وهي تمثل أحد الوجوه المضيئة لخدماتها الصحية التي ينتظم إيقاع خدماتها ويتسارع نحو مستقبل علمي ومهني زاهر ومتطور.. والحديث عنها يتيح للقارئ العربي إمكانية التعرف على نشأتها ومراحل تطورها، والوقوف على إمكاناتها وتجهيزاتها وما تزخر به من كفاءات ومهارات وخبرات تضاهي بها مثيلاتها في مختلف أنحاء العالم إن لم تتفوق عليها بجدارة.

النشأة والتطور:

لعلنا نعود إلى الوراء عقودًا قليلة، إلى بدايات الخدمات الطبية بالحرس الوطني والمراحل التي توصلت إليها الآن، فهذا واجبنا نحو هذه القلعة الطبية عظيمة الأداء والعطاء. فمنذ نيف و ٤٠ عامًا كان تقديم هذه الخدمات قاصرًا على عدد قليل من الأطباء العامِّين، يتيحونها لمراجعيهم في مركز صغير بمنطقة الشميسي لا يبعد كثيرًا عن مستشفى الشميسي أو مجمع الرياض الطبي، فقط ثلاثة أطباء عامِّين شكَّلوا النواة الأولى للشؤون الصحية بالحرس الوطني، ثم بدأ هذا المركز ينمو ويكبر، وتتوسع خدماته وتتنوَّع تخصصاته بزيادة عدد الأطباء وكوادر التمريض، وأسهم ذلك بدوره في اتساع دائرة شهرته، ولكن هذا التطور المحدود لم يكن مواكبًا لطموحات قادة الحرس الوطني الذين كانوا يُخطِّطون لإنشاء منظومة صحية متكاملة تخدم منسوبي الحرس الوطني وذويهم والمواطنين عمومًا، انطلقت مسيرة هذه المدينة الطبية عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) تحت مسمى مستشفى الملك فهد للحرس الوطني بسعة ٤٠٠ سرير،





خادم الحرمين الشريفين يطلع على مخطط منشآت الجامعة



جامعة الملك سعود بن عبدالعزيز للعلوم الصحية بالرياض

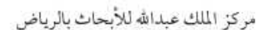
ثم شهد هذا المستشفى - مع مرور الزمن - توسعًا كبيرًا وتطورًا هائلاً في إطار حركة التنمية الشاملة التي شهدتها المملكة في كل القطاعات لاسيما القطاع الصحي. وفي إطار هذا التوسع أضيفت إلى المدينة عدة مراكز طبية وعلاجية وتأهيلية، مثل: العيادات الخارجية، القلب، زراعة الكبد، مبرة فهدة بنت العاصي بن شريم للعناية المركزة، وحدة الحروق، الإقامة طويلة الأجل، الأسنان، الكُلَى وغيرها من المراكز المتخصصة، وتحولت الخدمات الطبية من عامة إلى متخصصة، وأهَّلها هذا النمو المطَّرد إلى أن تكون مرجعية على مستوى الوطن والمنطقة. ولذلك صدر قرار بإنشاء مستشفى الملك فهد للحرس الوطني بالرياض، هذا الصرح الذي بدأ التخطيط له منذ أكثر من ٣٠ عامًا، وبالفعل خرج هذا الكيان الطبي إلى الوجود، وانطلقت دورة تشغيله قبل عقدين ونصف العقد من الزمان، وشكَّل بذلك الركيزة الأولى لهذه الدوحة الطبية السامقة، وتتابعت مراحل نموه تدريجياً؛ إذ بدأ مستشفًى عامًّا، ثم أخذ يتجه إلى التخصُّص. وكان إنشاؤه في منطقة المعيزيلة التي تبعد حوالي ١٥ كلم شرق الرياض، ورأى الجميع أنها تبعد - آنذاك - كثيراً عن المدينة.. ارتفع بناؤه في هذه المنطقة المتميِّزة بكثبانها الرملية الجاذبة والتي كان يقصدها أهل الرياض للتنزُّه والترفيه، ورغم ما تداوله عامَّة الناس حول بُعد المستشفى عن الأحياء الآهلة؛ إلا أن قيادة الحرس الوطني - باستشرافها لمستقبل العاصمة العمراني - رأت أن المنطقة ستعمر بمؤسسات الحرس الوطني وخدماتها ومنسوبيها، وستتمدَّد الأحياء نحوها، ولذلك اختاروها لتكون مركزًا للحرس الوطني، وخصَّصوا جزءًا متميزًا من مساحتها ليكون مقراً لهذا المستشفى الذي اخذ ينمو ويتوسَّع ويتحوَّل من عامٍّ إلى متخصص، وكان يركِّز نشاطه على خدمة الإصابات وحوادث السيارات التي تقع بالقرب منه على الخطوط السريعة المتجهة إلى مدن شرق المملكة العربية السعودية.

منظومة واحدة

وفي عام ١٩٩٥م رأى الحرس الوطني تجميع خدماته الطبية في منظومة واحدة هي الشؤون الصحية للحرس الوطني التي ضمَّت مستشفى الملك فهد بالرياض ومستشفى الملك خالد بجدة إضافة إلى حوالي ٦٠ مركزًا صحياً منتشرة في أنحاء المملكة حيث يوجد الحرس الوطني. وبدأت هذه المنظومة تنمو وتتطوَّر بقيادة وإشراف أول مدير تنفيذي لها معالي الدكتور فهد العبد الجبار، والتحقتُ بها نائبًا لمديرها العام التنفيذي بعد إنشائها بعامين مع استمراري في واجباتي العملية والمهنية بقسم الجراحة، ومثلت هذه الخطوة نواة العمل المزدوج بين الإدارة والجراحة، وكنت أتنقَّل بين مكتبي في الإدارة وغرفة العمليات، وشاركت معالي الدكتور العبد الجبار في وضع وتنفيذ الخطط الرامية إلى إنجاح هذه المؤسسة العامرة، وكان التركيز على مستشفى الملك فهد الذي بدأ بالفعل يتسع يومًا بعد يوم، ثم ألحق به مركز لأمراض وجراحة القلب، ومركز آخر لزراعة الأعضاء بجانب العيادات الخارجية ومركز الأسنان، وخلال سنوات قليلة اتخذ هذا المستشفى سمات مدينة صغيرة؛ مما حدا بقيادة الحرس الوطني ممثلة في رئيسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله أن يطلق عليها مسمًّى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض لتشمل مستشفى الملك فهد إضافة إلى مراكز: أمراض وجراحة القلب، أمراض وزراعة الكبد، العيادات الخارجية، الأسنان، الإقامة الطويلة، وأتاح هذا الدمج توافُر تخصصات كثيرة متنوعة حوَّلت هذه المدينة إلى مرجع طبِّي شهير. وفي موقعي الإداري عوَّلتُ على




مستشفى الملك عبدالله التخصصي للأطفال بالرياض



مركز الملك عبدالله للأبحاث بالرياض

مضاعفة جهودي من أجل تطويرها وترقية خدماتها، كما بدأت أعمل مع زملائي في المجالين الإداري والمهني على رفع سمعتها الطبية، وقد ساعدت جراحة التوائم السيامية على نشر صيتها في العالم أجمع .

مشروعات ضخمة

تسلَّمت رئاسة الشؤون الصحية بالحرس الوطني في صيف عام ٢٠٠٣م لأصبح مديرًا تنفيذيًا لها، وتنامت عمليات البناء والتطوير وتوسَّعت بشكل ملحوظ، متضمنة مشاريع ضخمة مثل جناح الجراحة المتخصص في الجراحة وإصابات المرضى، ومشروع توسعة مركز القلب بنسبة ١٢٠٪، وعملتُ كذلك على وضع لبنات المركز الوطني لزراعة الأعضاء، ومركز الأورام، ومركز أمراض السكري، علاوة على توسعة قسم الطوارئ. ولذلك تميَّزت هذه المدينة بخدمات للطوارئ والإسعاف في أكبر قسم من نوعه على مستوى المملكة، ثم بدأت تواصل تحديث نفسها، وتستكمل بنياتها من خلال مشروعات عملاقة منها ما اكتمل الآن ـ كما أشرنا ـ ومنها ما هو قيد الإنشاء، ونأمل بإذن الله أن تشكل هذه المنشآت الضخمة نقلة نوعية في كل التخصصات والخدمات الصحية التي تقدمها المدينة من حيث كفاءة الأداء وسرعته وتميُّزه، وما زالت الخطط والبرامج المستقبلية تركز على زيادة الطاقة الاستيعابية للمدينة، إذ يجري التخطيط الآن لإنشاء مستشفى متكامل للأطفال بسعة ٣٠٠ سرير، وإجمالاً فإن من المتوقع أن تصل سعة المدينة إلى ما يقارب ١٥٠٠ سرير خلال السنتين القادمتين بمشيئة الله. وأصبحت هذه المدينة ـ بالإضافة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بجدة ومستشفى الملك عبد العزيز بالأحساء ومستشفى الإمام عبد الرحمن الفيصل بالدمام، وحوالي ٦٠ مركزًا للرعاية الصحية الأولية المتطور ـ تمثل المكونات الرئيسية لمنظومة الخدمات الصحية للحرس الوطني. وعمومًا فإن هذه المشروعات تنشر الخير وتُبشِّر بصناعة مستقبل صحِّي وطبِّي يأمن فيه المواطن ـ إن شاء الله ـ من مضاعفات أمراض كثيرة أيّاً كان نوعها ومهما بلغت درجتها من التأثير.

المسيرة الأكاديمية والبحثية:

ولا شك أن هذه المدينة الطبية ـ بما تنفرد به من مزايا وخدمات ـ تحرص دائمًا على أن تكون في مستوى العصر، عصر المعلومة الحديثة والمستجدات والتقنيات الطبية المتجددة بكثافة في مراكز الأبحاث العالمية وفي المعامل والمختبرات داخل المؤسسات الأكاديمية العليا والجامعات، عصر التخصصات الدقيقة، والتدريب والتأهيل الكمِّي والنوعي، وانطلاقًا من كل ذلك فهي لم تغفل جانبين مهمَّين في مجال الرعاية الصحية، يتمثَّل أولهما في الجانب الأكاديمي الذي حظي بأهمية كبرى استُهلِّت باستحداث برامج التدريب والتطوير والدراسات العليا التخصصية لطلاب كلية الطب، وبتخصيص برامج للابتعاث الداخلي والخارجي، واستُكملت مرحلة التعليم الصحي الجامعي بإنشاء كلية التمريض، وتبعتها كلية الطب ثم برنامج الماجستير في المعلوماتية الصحية، وجُمعت هذه المنجزات والجهود الأكاديمية تحت مظلة أُطلق عليها: «أكاديمية مدينة الملك عبد العزيز للعلوم الصحية»

ولقد رأت قيادة الحرس الوطني وإدارة الشؤون الصحية ضرورة المضي قدمًا في تطوير هذه المدينة وترقية خدماتها لتصبح





وحدة غسيل الكلى



منظر جانبي للمدينة

معلمًا أكاديمياً ومرجعًا في التعليم الصحي. واستشرفت هذه الرؤية بعيدة النظر آفاق المستقبل واستقرأت متطلباته واحتياجاته وفق تخطيط علمي دقيق، ولذلك فقد توِّجت بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بإنشاء جامعة صحية متخصصة أطلق عليها: (جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية) لتكون صرحًا أكاديمياً وعلمياً ضمن منظومة الملك عبد العزيز للشؤون الصحية بالرِّياض، ولتكون الأولى من نوعها على مستوى المنطقة والعالم العربي. وضمَّت هذه الجامعة - رغم حداثتها - ١١ كلية صحية متخصصة خلال العامين الماضيين، منها: كُلِّيتان للطب بالرياض وجدة، كُلِّيات للتمريض بالرِّياض وجدة والأحساء، كُلِّيتان للعلوم الطبية التطبيقية بالرِّياض وجدة، كلية للعلوم الطبية التطبيقية بالمنطقة الشرقية، كلِّية للصَّحة العامَّة والمعلوماتية الصِّحية بالرِّياض.

تعليم إلكتروني نموذجي ومناهج حديثة

أصبحت هذه الجامعة نموذجًا للتعليم الإلكتروني وتطبق مناهج حديثة للتعليم الصحي والدراسات العليا. وستضاف إلى هذه البنية الأكاديمية والعلمية قريبًا بمشيئة الله كليتا الصيدلة والأسنان. واستدعت حداثة النشأة هذه أن تحرص إدارة الجامعة على اختيار وتطبيق أفضل المناهج والخطط الدراسية والتدريبية مستنيرة بتجارب جامعات عالمية متقدمة ومرموقة، ولذلك فقد تهيأ لها هذا التميز من خلال اعتماد أحدث برامج التعليم الطبي والصحي منهجًا لها، وترتكز هذه المناهج على استخدام أسلوب حلِّ المشكلات والتعليم الإلكتروني، كما عمدت إلى تطبيق برامج القبول لحملة الشهادة الجامعية (إعادة التأهيل) المعمول به الآن في مناهج التدريس بكلية الطب.

أما الجانب الآخر الذي أعطى أهمية مماثلة في البحث العلمي؛ فقد تمثَّل في إنشاء مركز للأبحاث الطبية تميز بأن يحمل إسم مركز الملك عبدالله العالمي للأبحاث الطبية، وذلك من منطلق الإيمان الراسخ والقناعة الكاملة بأن البحوث الطبية هي قاعدة الارتكاز بالنسبة للجهود والخطط الرامية إلى الارتقاء بالرعاية الصحية وتطويرها حتى تبلغ المستوى المنشود وعيًا وسلوكًا وخدمات.

وفي الخامس من رمضان ١٤٢٨هـ نستطيع القول إن الجامعة تستطيع الآن تأكيد وجودها وذاتيتها العلمية والأكاديمية والبحثية بعد اعتماد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - قطعة أرض شمال مدينة الملك عبد العزيز الطبية لإقامة مقرٍّ لها تربو مساحتها على أربعة ملايين متر مربع، وسيوفر هذا المقر بمشيئة الله لكل منسوبي الجامعة من طلبة وطالبات وأعضاء هيئة تدريس وموظفين الإمكانات الإدارية والعلمية المتطورة التي تهيئ إلى بيئة دراسية خصبة تساعد على مزيد من التحصيل والعطاء والإبداع في مختلف مجالات التخصصات الصحية والطبية.

مرجعية في الرعاية الصحية:

ذاع صيت مدينة الملك عبد العزيز الطبية داخل المملكة وفي الدول العربية والإسلامية ودول العالم أجمع بسبب خدماتها التخصصيَّة والتعليميَّة المتميِّزة. لذا ليس من المستغرب أن تتحوَّل هذه المدينة المتميِّزة التي بدأت بين الرمال إلى منارة عالية تعانق



مركز التدريب الطبي





مركز العيادات الخارجية

السحاب بخدماتها، وأن تصبح بيئة خصبة لتنامي وازدهار خبرة جراحة التوائم السياميَّة في المنطقة العربية والإسلامية، ولعل تاريخها وما حققته من تقدُّم وتطوُّر وإبداع - بحسب معايير ومقاييس الوقت العالمية - يُعدُّ إنجازًا باهرًا؛ بل إعجازًا حقيقياً ماثلاً للعالم؛ إذ انتقلت هذه الخدمات الطبية بالحرس الوطني خلال ٤٠ عامًا من أطباء عامِّين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة إلى منظومة طبيَّة ضخمة ومتكاملة عمَّت بخدماتها المملكة العربية السعودية، وأفاضت بها على الدول العربية والإسلامية والعالم أجمع. ولعلها الآن قد أصبحت علمًا مرفرفًا وخفَّاقًا على سارية الرعاية الصحية المرتفعة في سماء الوطن، والسَّامقة عربياً وعالمياً، وقد أهَّلها هذا الشموخ لتكون مقصدًا ومرجعية لكثير من الدول المجاورة، واعترفت بها كل المؤسسات العالمية ذات الاعتماد والاختصاص في هذا المنحى استنادًا على الدور الكبير والمقدَّر الذي ظلَّت تُقدِّمه للوطن وللعالم أجمع. ولم يكن غريباً لمدينة طبية تحوي هذه الإمكانات الضخمة، وتضم كفاءات وكوادر وطنية على قدر عال من التأهيل والخبرة؛ أن تحقق سلسلة من الإبداعات والإنجازات الطبية المتعددة في مختلف فروع الطب وعلى رأسها الخبرة السعودية العالمية في فصل التوائم السيامية.

شخصيات مرموقة في زيارة المدينة:

لا شك أن أي مؤسسة أو مدينة طبية بهذا المستوى من التطور مهنياً وأكاديمياً وعلمياً وتقنياً؛ حريٌّ بها أن تستقطب اهتمام القادة والدبلوماسيين ومشاهير الأطباء والعلماء على مستوى العالم، فقد استقبلت مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني على فترات مختلفة عددًا من رؤساء الدول والشخصيات المرموقة وبعض أعمدة السلك الدبلوماسي الذين يمثلون مختلف الدول، وأبدى جميع هؤلاء إعجابهم بما وصلت إليه هذه المدينة من تطور لافت للنظر، وأعربوا عن تقديرهم وإكبارهم لما حققته من تميُّز وإنجازات طبية يُشار إليها بالبنان، ورفعتها إلى مصاف الخبرات العلمية العالمية المؤثرة في مسيرة المعرفة الطبية والصحية. وضمت قائمة الزوار:

- الرئيس الفنزويلي شافيز.
- الملك عبد الله الثاني ملك المملكة الأردنية الهاشمية.
- مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزي السابق.
- بيتر هاري كارستنسين رئيس المجلس الاتحادي الألماني.
- عصمت عبد المجيد أمين عام الجامعة العربية سابقًا.
- وزير الصحة الأمريكي والوفد المرافق له.
- وزير الصحة اليمني.
- سفراء دول: ماليزيا، مصر، السودان، اليمن، الفلبين، أمريكا، الصين، وغيرهم من الدبلوماسيين والمسؤولين.



الفصل الخامس عشر

قصتي مع الجراحة



توديع د. الربيعة من زملائه بجامعة ألبرتا

قصتي مع الجراحة

في مكة ميلادي

في مكة المكرمة كان ميلادي.. هكذا تقول البيانات المدوَّنة في بطاقتي الشخصية، وهكذا شاء الله أن أخرج إلى الحياة في (القرية) التي أهدت البشرية النور والضياء، والعلم والحكمة، والهدى والرشاد، وعظيم المبادئ ولطيف الشمائل وسامي القيم ورفيع الأمجاد.. وبحسب السِّجل الشَّفاهي لتاريخ الأسرة؛ فقد غادر والدي في فترة مبكرة من عمره مدينة (جلاجل) التي شهدت مولده ومراتع صباه وبدايات فورة شبابه، غادر مضارب الأهل ومرابع العشيرة قاصدًا العاصمة الرياض طلبًا للعيش وبحثًا عن وضع أفضل. وبعد أن حقق قدرًا من الاستقرار في مقامه الجديد؛ آثر مصاهرة إحدى الأُسر الكريمة، وبالفعل تزوَّج والدتي ـ رحمها الله ـ وعاشا سويًّا حياة هانئة في بيت من اللَّبِن (الطين) بحارة جبرة.. وفي إحدى السنوات قرَّرا أداء فريضة الحج، وكانت أمِّي في أواخر حملها فوضعتني في نهايات شهر ذي الحجة بعد أن أكملت جميع مناسكها، وفي تلك الفترة كانت الأُسر تستدعي قابلات المدينة أو الحي إلى المنازل حين تحسُّ الأمهات بآلام المخاض واقتراب لحظة الولادة، والقابلات ـ وقتئذ ـ يفتقرن إلى الخلفية والمعرفة الطبية، وتتشكَّل خبراتُهن من خلال ممارسة المهنة في البيوت. جئت إلى الحياة في بيت صغير بمكة المكرمة، وكان لحظتها مكتظًا بالضيوف الذين اجتمعوا على مائدة غداء بدعوة كريمة من والدي. أكملت والدتي ـ عطَّر الله ثراها ـ الفترة المحدَّدة المتعارف عليها اجتماعياً آنذاك، ثم غادرتْ مع أبي إلى الرياض وهي تحمل على حجرها رضيعها ومولودها الجديد. نشأتُ وترعرعت في ذات الحارة التي سبق أن استقرَّت بها الأسرة، ثم انتقلنا إلى حارة في أواسط الرياض حيث تلقيتُ تعليمي الابتدائي في مدرسة (معن بن زائدة) بشارع الخزان.

هروب من المدرسة

تقترن دراستي في المرحلة الابتدائية بقصة طريفة، فقد ألحقني والدي بالدراسة في سنٍّ مبكرة، وكان يصطحبني إلى المدرسة، وعندما يقفل راجعًا أنسلُّ على أثره وأتبعه كظلِّه دون أن يشعر بي، ثم يُفاجأ بوجودي خلفه أسابق خطواته في اجتياز باب البيت! وبالطبع لا يمكن أن تمرُّ مواقف الهروب من المدرسة دون عقاب من الآباء، فكَّر أبي في علاج لهذا الهروب، فاهتدى إلى حلٍّ ناجع رأى فيه إمكانية تحبيب الجو الدراسي إليَّ، إذ اتصل بأحد المدرسين ممن توسَّم فيهم روح التربية والقدرة على التعامل اللطيف مع الأطفال وأوكل إليه أمر مراقبتي وترغيبي في الدراسة، وبالفعل كان الأستاذ عبد العزيز يحتضنني لحظة عبوري باب المدرسة ويداعبني ويُلاطفني ويناديني بتصغير اسمي، وببراءة الأطفال كنت أردُّ عليه وأناديه أيضاً بتصغير اسمه، أحبَّني هذا المدرس وعاملني معاملة متميزة، وحبَّب إليَّ الدراسة، وكان له الفضل ـ بعد الله ـ في التكيُّف مع بيئة المدرسة والانسجام مع زملائي. ثم انتقلتُ منها وأكملت السنتين الأخيرتين في مدرسة المحمدية بحارة دخنة. أكملت الدراسة الابتدائية وكنت من المتفوقين ولله الحمد، ثم انتقلت الأسرة إلى منزل آخر بحارة (عليشة) بجوار منزل عمِّي، وهو أول منزل (مبني من الخرسانة)



في المرحلة الإبتدائية



بطاقة الجامعة (كلية الطب)

نسكنه. والتحقت بمدرسة فلسطين، وواصلت دراسة المرحلة المتوسطة محافظًا على تفوقي بعون الله وفضله. وفي هذه المدرسة حدثت قصة طريفة ظلت راسخة في الذاكرة حيث اشتهرت بين المدرسين مع بعض زملائي بالتفوق، وذات يوم كنا مع أستاذ مادة العلوم نجري تجربة المولد الكهربائي، فأطفأ المعلم النور وطلب منَّا تشغيل المولِّد وإضاءة الغرفة، وفي أثناء الظلمة صرخ طالب بجواري صرخة عالية، فتوجَّه إليَّ المعلم وطلب مني إخباره بمصدر الصرخة، فسكتُّ ولم أخبره وفاءً لزميلي، فقرر المدرس ضربي مع زميليَّ اللَّذين يجلسان بجواري على نفس المقعد أو الأريكة مستخدمًا عصا طويلة، فنال كل واحد من زميليَّ ثلاث (جلدات) إلا أنا فقد ضاعف لي الكيل لاعتقاده ويقينه بأنني محل ثقته، ولن أكتمه شهادتي مهما كانت الظروف.. ولا زلت أذكر ذلك الموقف بوضوح.

السقوط من الدراجة بداية الطب

انتقلت بعد ذلك إلى المرحلة الثانوية وهي أكثر جدِّية والتحقت بثانوية اليمامة، وكان مدير المدرسة حينها الأستاذ الفاضل عبد الرحمن الثاقب العجاجي الذي كان تعامله راقيًا مع جميع الطلاب، فحظيت عنده بتقدير ومنزلة كبيرة لأنه كان يعامل جميع المتفوقين معاملة خاصة تحفِّزهم على مزيد من التفوق. وفي السنة الثالثة كرَّسنا جهودنا واستثمرنا أوقاتنا في الاستذكار استعدادًا لتحقيق معدلات عالية في شهادة الثانوية العامة، وأثناء الدراسة يحرص الأستاذ العجاجي على تنظيم زيارات لطلاب الصف الثالث إلى الجامعة للتعرف على أقسامها وكلياتها ونظمها الدراسية حتى يكونوا على دراية ومعرفة بالتخصصات التي يتطلعون إلى دراستها، ولم تغب زيارتنا إلى كلية الطب عن ذاكرتي؛ تلك الزيارة التي شكلت لي أهمية كبيرة في حياتي، لقد تضمن برنامجها جولة على فصولها الدراسية ومختبراتها ومختلف وحداتها، ولا أنس على الإطلاق زيارتنا إلى المشرحة حيث يمكن مشاهدة تشريح الأجساد أمامك مباشرة، لم أشعر بصدمة أو أي نوع من النفور أو التقزز كبقية زملائي؛ بل تقبَّلت المشهد وبقيتُ مشدودًا إلى عملية التشريح، ومن حينها وجدت في نفسي ميلاً إلى دراسة الطب، وازداد حبُّها في قلبي أكثر فأكثر.

وأود هنا العودة إلى الوراء قليلاً إلى حيث بدايات قصتي مع الطب، بدأت هذه القصة في فترة مبكرة تعود إلى أول عتبات المرحلة الإبتدائية، ففي ذات يوم كنت أقود دراجتي بسرعة كبيرة، فاصطدمت بشيء صلب على الأرض فاختلَّ توازني وسقطت، ونتج عن هذا السقوط إصابتي بجرح غائر في رأسي، فحملني والدي - متَّعه الله بالصحة والعافية - إلى مستشفى الشميسي الذي كان وقتها في بدايات إنشائه ولم تتطور خدماته بعد، فأسعفني الأطباء وانكبوا على رتق الجراح بطريقة بدائية ودون مخدر، وحتى يخفف والدي من حدة صراخي كان يقول لي أنت شجاع يا بني، وسأقدم لك هدية قيِّمة نظير شجاعتك هذه، وستكون طبيبًا ناجحًا في المستقبل يجري مثل هذه العمليات بطريقة أفضل.. ورغم شدة الألم إلا أن كلماته هذه ظلت راسخة في مخيِّلتي إلى يومنا هذا، ولم يكتف بذلك بل زكَّى في داخلي حبَّ الطب ودراسة الطب، وظل يُنمِّي هذا الحب حتى كبُر وتعمَّق واتسعت مساحته في نفسي، وأسهمت والدتي بدورها - رحمها الله - في هذا التشجيع والتحفيز.



مع الزملاء بكلية الطب بجامعة الملك سعود





تقديم محاضرة أثناء التخصص بكندا

إفطار داخل المشرحة

في المرحلة الثانوية تنامى حب الطب، وبلغ ذروته في نهايتها، ولذا كان قراري النهائي الذي لا تراجع فيه هو الالتحاق بكلية الطب، ووجدت تشجيعًا كبيرًا على هذا الطموح من مدير المدرسة.. وهكذا توَّجتُ رحلتي قبل الجامعة بتفوق ملحوظ في الثانوية العامة أهَّلني بجدارة إلى تحقيق أمنيتي. التحقت بالكلية وكانت هذه أولى خطواتي في المرحلة الجامعية، هذه المرحلة الجادة التي تتغير فيها السلوكيات من الصبا إلى الرجولة، وتتفتَّح فيها ذهنية الطالب، وينمو عقله ويتجه إلى النضج والتفكير المتزن والسليم.. شكلت السنتان التحضيريتان ـ الأولى والثانية ـ بالكلية نقلة كبيرة في حياتي، ففيهما تحولت الدراسة من اللغة العربية إلى الإنجليزية، وكانت لغة علمية صعبة بالنسبة إلينا، ولذا كنا نقضي ساعات طويلة بين القواميس للتعرف على المفردات والمصطلحات، وشكَّل ذلك معضلة لبعضنا جعلتهم يتردَّدون في مواصلة المشوار؛ إلا أن الطموح حرك في دواخلنا جميعًا روح المثابرة والإصرار على إكمال هذه المرحلة. وبحمد الله اجتزنا هذه السنوات الإعدادية بتفوق مشهود، ثم انتقلنا إلى مرحلة أكثر جدِّيَّة حيث بدايات التدريب على تشريح أجساد البشر وما يقترن بها من قصص طريفة.. ففي إحدى المحاضرات كنا ندرس مادة التشريح ووظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية وغيرها من المواد المتعلقة بجسد الإنسان وتركيبته، وهي ما قبل المرحلة السريرية. وأذكر من بين قصصي في المشرحة أن الجانب العملي من مادة التشريح تستغرق مدته أحيانًا أكثر من أربع أو خمس ساعات، إذ يبتدئ عملنا في الساعة الثامنة صباحًا ويستمر حتى الواحدة من بعد الظهر، وفي بعض الأحيان ندخل المشرحة دون إفطار لأننا نستيقظ في الصباح الباكر خاصة في فصل الشتاء وننتقل مباشرة إلى الكلية، ولذلك نشعر بجوع شديد أثناء انهماكنا في العمل. كنا في البداية نهدر جزءًا كبيرًا من الوقت في الذهاب إلى المطعم، ولكن حرصًا منَّا على استثمار الوقت وتحقيق أعلى معدلات الفائدة آثرنا تناول (سندويتشات) خفيفة وقوارير مياه ومشروبات غازية بين الجثث والمواد الحافظة؛ بل التقطنا صورًا تذكارية عديدة داخل المشرحة.

جمجمة تثير فزع أمي

بعد إكمال هذه المرحلة وقبل الامتحان بالتحديد كانت تلزمنا دراسة عظام جسد الإنسان، ومن أصعبها عظام الرأس، وأذكر أنها وردت إلينا ذات مرة بالشراء من خارج المملكة عن طريق البريد البحري، وكان نصيبي منها كرتوناً به مجموعة عظام حملته معي إلى المنزل دون أن يعلم بها أحد من أعضاء أسرتي، وفي إحدى الليالي الشتوية الباردة والقارصة جلست على سريري أدرس جمجمة الرأس، وعند منتصف الليل راودني النعاس وغلبني النوم؛ فتدحرجت الجمجمة بجواري على السرير، وبعد أذان الفجر جاءت والدتي ـ رحمها الله ـ لتوقظني كعادتها لأداء الصلاة بملامسة رأسي كي لا أصحو منزعجًا أو فزعًا، وحين مدت يدها لامست رأسين معًا، فانتابها خوف وهلع، وهرولت نحو مفتاح النور وأضاءت الغرفة على غير عادتها، ثم رفعت غطائي لتفاجأ بالجمجمة، فصرخت بأعلى صوتها، فاستيقظت على صراخها وطمأنتها بأن هذه الجمجمة للدراسة وأحضرت من خارج المملكة، وهي جزء من واجباتنا العملية. وبعد أن هدأ روعها عاتبتني برفق ووبختني راجية ألا أكرر ذلك مستقبلاً، وأن أستذكر







إجراء أول عملية جراحية

آخر يوم في كندا

واجباتي جلوسًا على طاولة الدراسة المخصصة، وأضع العظام عليها، وألا أحملها معي إلى مضجعي عند النوم أبدًا، فاستجبت لعتابها باتخاذ قرار لا رجعة فيه بأن أضع متطلبات الدراسة في مكانها المخصص. أكملنا هذه المرحلة بتفوق لنتحول إلى المرحلة السريرية، وتُمثل أيام الدراسة أمتع وأجمل الفترات؛ لما يتخللها من قصص طريفة ودعابات لطيفة بين الزملاء والأساتذة، إلى أن وجدنا أنفسنا وجهًا لوجه مع الامتحانات النهائية التي توَّجتها بإكمال دراسة الطب بتفوق ولله الحمد.

بعد تجاوز سنة التدريب التي تلي التخرج، وفي منتصفها كان اتخاذ القرار، ووقع عليَّ الاختيار معيدًا بالكلية، وفي المقابلة الشخصية التي تسبق التعيين التقيت رجلاً فاضلاً كان له دور كبير في توجيهي إلى التخصص في جراحة الأطفال، وهو الأستاذ الدكتور حسن كامل ـ رحمه الله ـ رئيس لجنة المقابلة وعميد كلية الطب آنذاك، وقال لي حينها إن تفوقك هو دافع اختيارنا لك للإعادة بالكلية، فسألني عن رغبتي عن المجال الذي أنوي التخصص فيه، فأخبرته بحبي الشديد للجراحة وللأطفال، فبادرني بسؤال آخر قائلاً: يا عبد الله.. لماذا لا تتخصص في جراحة الأطفال؟ ولم يكن هذا التخصص معروفًا في المملكة العربية السعودية، وربما في العالم العربي، وبالفعل لامست كلماته ميولي، ورنت كثيرًا في أذني، وانشغلت بها لحظتها، ولذلك اتخذت في المقابلة نفسها قرارًا نهائيًّا في هذا الخصوص. وبعد إكمال سنة الإعادة ابتُعثت إلى كندا بنُصح منه رحمه الله.

تخصص جراحة الأطفال في بلاد الثلوج

أعود مرة أخرى إلى مرحلة الامتياز، ففي تلك الفترة اكتملت مراسم خطوبتي على زوجتي هدى، وواكب تخرجي حفل زواجي، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن وهي تشاركني قراراتي وتتحمَّل أعباء تخصصي، وقبل الابتعاث بشهرين أو ثلاثة أطلَّ علينا ابننا خالد باكورة إنتاجنا هبة كريمة من الله جل وعلا ليُزيِّن حياتنا ويؤنسنا في غربتنا، ثم شرعنا معًا في الإعداد للسفر إلى كندا، إلى بلاد غريبة نائية لا يعرف كلانا عنها شيئًا سوى أنها بلاد الثلوج، وصلنا كندا، وزرنا ثلاثًا من مناطقها ـ البرتا وساسكاتشوا وكولمبيا البريطانية ـ بغرض التعرف عليها، فوقع اختيارنا على منطقة البرتا وأحببنا مدينة إدمنتون، ولم نكن نعلم أن البرتا من أشد مناطق كندا برودة، اكتملت إجراءات قبولي في جامعة البرتا، واستأجرت شقة في عمارة بسيطة بوسط المدينة، وأحست زوجتي من أول وهلة بوحشة الغربة لأنها ستعيش داخل بيئة غريبة بعيدة عن أهلها ومجتمعها، وفي جوٍّ لم تعتد على مثله من قبل؛ ولكنها تفوقت على مشاعر الغربة، مضحيةً بشوقها وحنينها إلى أهلها وذويها من أجل مستقبلي. وبعد الاستقرار في الشقة انخرطت مباشرة في عمل طبي شاق مقترنٍ بالدراسة، فكنت أذهب إلى المستشفى في الساعة السابعة صباحًا للعمل في تخصص الجراحة وأعود في الساعة السابعة أو الثامنة مساءً، وبعد كل ثلاثة أيام يستمر عملي في المستشفى لمدة ستة وثلاثين ساعة متواصلة. وسبَّب ذلك معاناة حقيقية لزوجتي لأنها لا تعرف أحدًا في المدينة، ولا تجد سلوى إلا مع ابنها خالد، وأحيانًا تلازم نافذة الشقة في الدور الثاني عشر ترقب عودتي. في أواخر شهر نوفمبر من تلك السنة، وبينما كنا مستسلمين للنوم تساقطت الثلوج بغزارة، وحين صحوت في الصباح واتجهت إلى المواقف المكشوفة في الأسفل وأنا في ملابسي الثقيلة استعدادًا للذهاب إلى المستشفى، لم أجد سيارتي، فقد كانت مغطاة تمامًا بالثلوج، فاجتهدت في إزالتها بيدي، ثم أدرت مفتاح تشغيل السيارة




آخر يوم في جامعة دالهاوسي بكندا



صورة حفل التخرج مع مدير الجامعة

دون جدوى، فدخلت في حيرة من أمري بسبب جهلي بمتطلبات هذا الفصل القارص، أما أهل البلد فلهم مكانس خاصة بإزالة الثلوج، ويعملون على تسخين سياراتهم بعد ربطها بالكهرباء، وأنا لا علم لي بكل ذلك.. وكفى بالتجربة الصعبة القاسية درسًا مفيدًا. ولذلك لم تكن بداية حياتنا في كندا سهلة ميسرة، فقد وجدنا أنفسنا داخل مجتمع غريب وعادات غير معهودة؛ ولكن إصرار المرء وحبه ووفاءه لوطنه جعلتنا جميعها نضاعف جهودنا لإكمال هذا المشوار العلمي في البرتا خلال خمس سنوات، كنا نعمل نهارًا ونجلس ليلاً، نقدم الامتحانات كل عام حتى أكملت الجزء الأول من الماجستير والدكتوراه، وفي نهاية هذه السنوات الخمس أكملت الجراحة ونجحت في امتحان الزمالة الكندية التي تعادل الدكتوراه بتفوق ولله الحمد. وتلت ذلك مرحلة جراحة الأطفال في البرتا على يد الدكتور فيشر وهو أستاذ قدوة له دور كبير في اختياري لجراحة الأطفال ومضاعفة اهتمامي بها، وبعد حصولي على الزمالة في البرتا كان لا بد لي من الذهاب إلى منطقة أكثر خبرة بها مستشفى للأطفال، فوقع اختياري على مدينة هاليفاكس وجامعة (دالهاوسي) ومستشفى الأطفال بها، وبعد إجراء المقابلات صدر قرار قبولي، وعملت في تلك الجامعة مع مجموعة أساتذة أجلاء؛ ولكنني تأثرتُ كثيرًا بالأستاذ الدكتور ألكمس جينس الذي كان معلِّمًا ومربياً وقدوة حسنة في جراحة الأطفال وفن الإدارة، وقد تعلمتُ منه وجنيتُ ثمارًا علمية كثيرة على يديه.

بداية مرحلة في خدمة الوطن

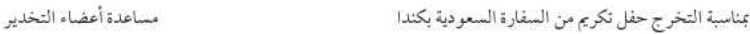
أكملتُ جراحة الأطفال بهاليفاكس في نهاية عام ١٩٨٧م وعدتُّ مع أفراد أسرتي الصغيرة-زوجتي وابني خالد وابنتي شذى التي ولدت في كندا- قافلاً إلى الرياض وأنا أحمل تخصص جراحة الأطفال، وبدأت مشواري العملي والتدريسي بجامعة الملك سعود بعد أن عُينتُ أستاذًا مساعدًا بها.. وهكذا دخلت البيئة الأكاديمية بكلية الطب والمستشفى الجامعي تعليمًا وممارسة لأرد الدَّين إلى وطني الذي أهَّلني تأهيلاً علمياً عاليًا. وبعد ثلاث سنوات شاء الله سبحانه وتعالى أن أنتقل إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي بعد حرب الخليج الثانية مساهمًا في سدِّ النقص الحاد الذي عانى منه المستشفى جراء مغادرة كوادر الأطباء الأجانب للمملكة. وشكَّل التحاقي بالمستشفى التخصصي بداية مرحلة أخرى لخدمة وطني الحبيب، مرحلة اتَّسمت بالعمل الجاد الذي حفَّزني إلى التفكير في أن أكون أكثر نفعًا لوطني من خلال تقديم خدمة أو تحقيق إنجاز أعمق أثرًا وأشمل فائدة، وأراد الله جل وعلا أن يكون هذا الإنجاز في مجال جراحة التوائم السيامية التي بدأت مع توأم سيامي عام ١٩٩٠م، ولم تكن الحالة معقدة على الإطلاق؛ بل كانت جراحتها بسيطة وسهلة. إلا أن التحول الحقيقي والتغيُّر الكبير في حياتي المهنية بدأ في أواخر عام ١٩٩١م وبداية عام ١٩٩٢م مع التوأم السيامي السوداني الذي وجَّه خادم الحرمين الشريفين بخدمته ورعايته إلى أن يتماثل للشفاء، وبالفعل اتخذ مشواري في جراحة التوائم السيامية منحى اكثر تركيزًا مع هذا التوأم الذي مثَّل لي تحدِّياً حقيقياً؛ لأن الحالة كانت في غاية التعقيد، وبقدرتنا على التعامل معه بمهنية عالية تشكلت نواة الخبرة السعودية الفعلية في هذا المضمار الإنساني الممتع، واستلزم هذا التحدي الكبير تشكيل أول فريق طبي جراحي، والتقى الفريق مرات عديدة حتى توصل خلال شهرين كاملين إلى قرار بشأن التعامل الجراحي مع هذه الحالة التي أثبت فيها نجاحًا قاطعًا وباعثًا على الفخر. ولا شك أن هذا



بمناسبة التخرج حفل تكريم من السفارة السعودية بكندا



مساعدة أعضاء التخدير



النجاح كان وقودنا ودافعنا إلى الاستمرار في مجال جراحة التوائم السيامية خدمة لهذا الوطن الغالي، ورفعة لسمعته العلمية والطبية والجراحية.. وبعد عامين ونصف استقبل المستشفى حالة أخرى صعبة ومعقدة استنفدت منّا جهودًا كبيرة واستغرقت وقتًا طويلاً كذلك أُخضعت فيه للدراسة والفحوصات الدقيقة والتي تكللت أيضاً بنجاح مُشرِّف أضيف بدوره إلى الخبرة السعودية الوليدة. ثم استقبل المستشفى بعد ذلك حالتين لتوائم طفيلية استطعنا التعامل الجراحي معها بتفوق كبير ولله الحمد.. وإلى هنا اكتمل مشواري في مستشفى الملك فيصل التخصصي لأخطو خطوات جديدة في مكان آخر.

من طريق جلاجل إلى إدارة الشؤون الصحية

في تلك الأثناء أُنشئت الشؤون الصحية بالحرس الوطني، وشرفني خادم الحرمين الشريفين ـ وليُّ العهد آنذاك ـ بالانضمام إلى هذه المنظومة التي كان على رأس هرمها الإداري والتنفيذي معالي الدكتور فهد العبد الجبار.. وبدأت علاقتي بها وأنا في رحلة خارج مدينة الرياض، حيث كنت بصحبة والدي في زيارة إلى مسقط رأسه مدينة جلاجل، ففي يوم جمعة مبارك تلقيت اتصالاً يدعوني لأتشرف بمقابلة خادم الحرمين الشريفين عقب صلاة الجمعة، فأحسستُ حينها بتشريف كبير عبر هذه الدعوة الكريمة، وبالفعل عدتُّ إلى الرياض وأدَّيتُ صلاة الجمعة معه بمسجده، ثم تشرفت بلقائه لأول مرة في مكتبه بسكنه الخاص، وكنت حينها مشدودًا ومرتبكًا إلا أنه ـ حفظه الله ـ استقبلني هاشًا باشًا بعباراته الترحيبية اللطيفة الودودة غير المتكلفة، فتبدَّدت بذلك رهبة الموقف، ثم أكرمني بالجلوس على مقعد بجواره وهو يتحدث معي ببساطته المعهودة، وكانت الجلسة أسرية خالية من السمات الرسمية والبروتوكولات، فحدَّثني حديث الوالد لابنه، ثم بشَّرني باختياري للعمل في إدارة الشؤون الصحية، فعبرتُ له يحفظه الله عن تشرّفي الكبير بهذا الاختيار، ثم طلبت موافقته على السماح لي بالاستمرار في عملي، فوافق معربًا عن رغبته هو نفسه في ذلك، مبيِّنا ـ حفظه الله ـ ضرورة الاستمرار في الممارسة بجانب العمل في الإدارة، لأن الجمعَ بينهما ممكنٌ جداً، وليس ثمة مبرِّر للفصل بينهما. كانت إجابته حكيمة، وأحسستُ وكأنه يقرأ الإدارة الحكيمة في الطب التي تجمع بين الخبرات الفنية والإدارية، وأزال بذلك خوفي من أن يتغلب العمل الإداري على الممارسة المهنية ويقضي عليه تمامًا، وهو ما كان يشغل تفكيري في تلك اللحظة. وانتهى اللقاء بهذا التكليف المشرف الذي أحاطني به حفظه الله.

كانت هذه بداية مرحلة أخرى جديدة في موقع وبناء آخر، واستلزم هذا البناء اقتران العمل المهني بالإداري، وأن أعمل في مجالي الجراحي بجانب مسؤولياتي الإدارية، وبالتالي أستطيع من خلالهما خدمة وطني ومجتمعي وأمتي.



مع الابن خالد في غرفة العمليات

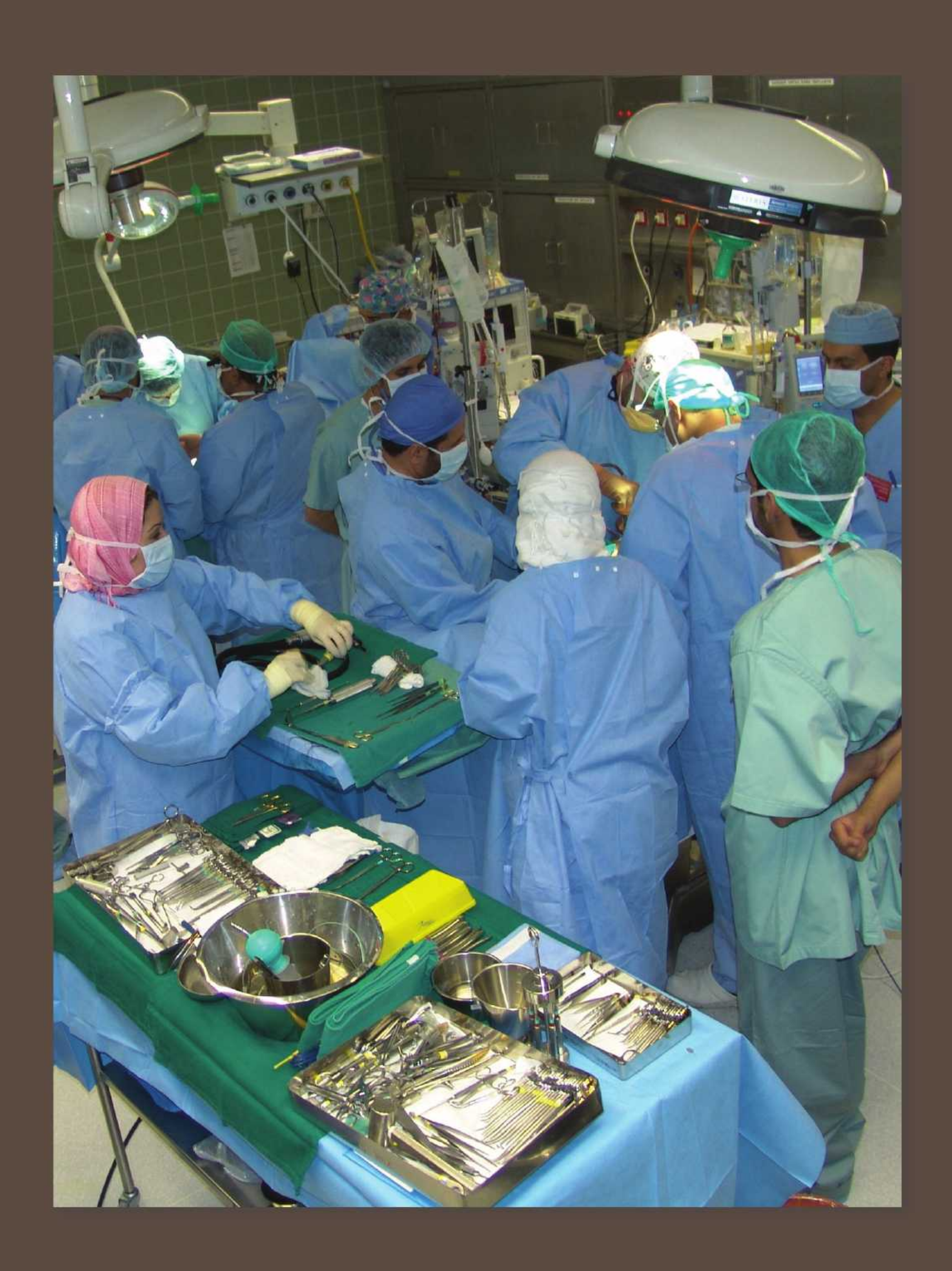
إجهاد بعد عملية التوأم السيامي

آخر يوم لي في جراحة الأطفال مع الأساتذة جليس وجاكمنتونيو على يساري ولاو على يميني من مستشفى إيزاك ولتون بكندا



الفصل السادس عشر

مواقف من غرفة العمليات



مواقف من غرفة العمليات

تُعدُّ غرفة العمليات الجراحية إحدى أهم الأماكن في أي مستشفى على امتداد العالم، فعندما تُجهَّز لإجراء عملية ما؛ فإنها تتحول إلى خلية نحل، فكل أفراد الطاقم الطبي يتحركون بجد واجتهاد، ويُسخِّرون كل طاقاتهم وإمكاناتهم العلمية والمهنية لإنقاذ حياة المريض مستمدين هممهم وعزائمهم من الله سبحانه وتعالى. ولأن هذه الغرفة ترتبط بحياة المريض؛ فإن الاهتمام بها يشكل أولوية قصوى، إذ يُراعى في تصميمها الاتساع والتعقيم والترتيب والهدوء، مع الحرص على وجود ترابط واتساق كامل بين أجزائها التي تتضمن: التخدير، التمريض، الجراحة، التخزين، الأجهزة، التعقيم، الإضاءة. ويراعى ذلك أيضاً عند الحاجة إلى إجراء عمليات المناظير والتصوير وغير ذلك، ولذا فهي مكان علمي دقيق ذو خصوصية فائقة، وبين جدرانها تتعلق قلوب من هم خارجها من ذوي المرضى يترقبون بلهفة إطلالة الطبيب؛ خاصة إذا كان مرضاهم من أصحاب الحالات الحرجة. ومع هذا كله فإن غرف العمليات لا تخلو من مواقف كثيرة؛ طريفة أحيانًا ومحيرة وحزينة أحيانًا أخرى بالنسبة للفريق الطبي. فمن أجل التغلب على طول الوقت والضغط الذي يصاحب العمليات الجراحية المعقدة؛ يعمد رئيس الفريق الجراحي إلى تخفيف الأحاسيس الضاغطة، وإلى إراحة الأعصاب المشدودة بفعل الانتباه والتركيز بإطلاق بعض أنواع الدعابة والمزاح اللطيف الذي يمكن أن يساعد في إضفاء جو مريح ومناسب لبقية زملائه، ولا مشاحة في ذلك إذا ارتخت الأعصاب وارتاحت النفوس وكست الابتسامات الوجوه وانساب العمل بصورة سلسة ومنسجمة. ومن خلال تجربتي في فصل التوائم السيامية فقد عشتُ بعض هذه المواقف الطريفة بغرفة العمليات، سأشرك القارئ فيها حتى يتواصل معي في مسيرة هذا الكتاب بعيدًا عن أي حشد لمصطلحات طبية أو تفاصيل علمية ثقيلة الوزن.

١ـ مؤشرات مقلقة أوقفت العملية

حظي التوأم الماليزي بوجود إعلامي عالمي ومحلي كثيف، وكانت العملية منقولة على شبكة الإنترنت مما ضاعف إحساسنا بحجم التحدي، وفي إثنائها حدث موقف صعب تسبب في إحراج وضغطٍ نفسي هائل، فبعد ساعة من بداية عملية الفصل؛ ظهرت مؤشرات مقلقة على أحد التوائم تمثلت في انخفاض ضغط الدم وارتفاع النبض مصحوبين بارتفاع في درجة الحرارة، وذلك رغم عدم وجود أي مضاعفات جراحية أو نزيف أو غير ذلك، فاضطر الفريق إلى وقف العملية مؤقتًا، وكان هذا على مرأى ومسمع المشاهدين والمتابعين في العالم أجمع، ونتيجة لهذا تمت تغطية الجراح بفوط معقمة، وعشنا لحظتها موقفًا صعبًا للغاية. ربما كان من السهل مراقبة المؤشرات الحيوية للتوأم والتعامل معها؛ ولكن لا علم لأحد بأن المؤشرات الحيوية لدى الفريق الجراحي كانت متذبذبة، وكنت مثل زملائي في حيرة وقلق، وازدادت نبضات قلبي، وارتفع النبض في شراييني، وتصبب العرق ليبلل ملابسنا. ورغم هذه الحالة تمالكت نفسي وسيطرت على أعصابي؛ إذ كان من الواجب عليَّ بصفتي رئيسًا للفريق أن أكون ثابت الجنان هادئًا، وألا أُظهر أيَّ نوع من القلق، وأن أطمئن الجميع، وأشدَّ من عزيمة زملائي، ولذلك تحدثت مع الإعلاميين ووالديِّ التوأم من داخل غرفة العمليات بهدوء شديد وثبات وكأن شيئًا لم يكن؛ مستهدفًا من ذلك الاستمرار في العمل ضمانًا



إجهاد وفرحة



هيفاء وسارة وهناء

لنجاح هذه العملية الحساسة. وفجأة شعرنا أن عناية الله جل وعلا تتدخَّل لإنقاذ الموقف، فبعد ساعة من التوقف والتعامل مع الحدث مهنياً وعلمياً؛ عادت الحالة للاستقرار، ولم نعرف سببًا طبياً علمياً لذلك حتى الآن، واكتملت مراحل العملية بنجاح كبير محققة إنجازًا طبياً غير مسبوق للوطن وللعالم العربي والإسلامي.. وكان فضل الله علينا عظيمًا وكرمه واسعًا.

٢ـ صاحت هيفاء: اخرجوه من غرفة العمليات

سقطت ابنتي هيفاء ذات الأعوام الثلاثة من العمر حين كانت تتابع مع أفراد أسرتي عملية فصل التوأم السيامي المصري الأول وأصيبت بكسر في رجلها اليسرى، فنقلتها زوجتي وأختها على عجل إلى المستشفى الذي كانت تُجرى فيه العملية من أجل إسعافها، لم يجرؤ أحدٌ على إخباري خوفًا من تسرُّب القلق إلى نفسي فينعكس ذلك سلبًا على مجريات العملية. وفي غرفة الطوارئ طلبت ابنتي هيفاء كما علمتُ لاحقًا حضوري لأكون بجانبها، ولما رأت تلكؤ الفريق الذي كان يتولى معالجتها صرخت: «اخرجوه من غرفة العمليات لإسعافي».. إنها براءة طفلة يافعة، ولقد نجحت عملية الفصل كما شُفيت هيفاء ولله الحمد والمنَّة.

٣ـ أم خالد شاهدت الموقف.. ابق خارج المنزل!

كانت عملية التوأم البولندي صعبة ودقيقة للغاية نظرًا لاشتراك العمود الفقري والحبل الشوكي، إضافة إلى وجود شريان كبير مشترك أيضاً بين التوأم، وشهدت غرفة العمليات حدوث موقفين، أولهما كان مقلقًا من الناحية الفنية الجراحية، وثانيهما من حيث التقاليد الاجتماعية.

أولاً: كان هناك شريان كبير مشترك بين التوأم في موقع مختف تمامًا لم تكشفه الفحوصات الطبية، وكانت العملية منقولة على الهواء ويتابعها الملايين في أنحاء العالم، واثناء قص عظمة الحوض المشتركة كان هذا الشريان موجودًا على بعد ملليمترات، ولو تعمَّق منشار العظم ٣ ٤ ملم لحدث نزيف قد يُفقد التوأم حياته؛ ولكن توفيق الله ثم خبرة الفريق الطبي كشفت موقع الشريان وتعاملت معه بدقة وعناية رغم ما واكب الحدث من قلق وضغط نفسي كبيرين.

ثانيًا: استغرقت العملية ١٨ ساعة ونصف الساعة، وشعر جميع أفراد الفريق الطبي بإعياء شديد نتيجة الإرهاق والتعب والضغط النفسي؛ لا سيما وكاميرات وسائل الإعلام تركز عدساتها على حركة الأيدي مهما كانت دقتها، وبعد اكتمال كل مراحل العملية طغى الفرح على الوجوه، وبدأ تبادل التهاني بهذا النجاح والإنجاز، وعلمت أم التوأم بذلك فلم تتمالك نفسها واقتحمت الغرفة رغم القيود ليفاجأ بها أعضاء الفريق الطبي أمامهم، نظرت إلى ابنتيها، وبعد أن تأكدت من فصلهما بسلام اتجهت ناحيتي وعانقتني رغم تراجعي السريع إلى الخلف لتفادي محاولاتها في التعبير عن شكرها بهذه الطريقة التي تعد عرفًا غريباً في المعاملات والعلاقات الاجتماعية؛ بعكس ما لدينا في المملكة والعالم الإسلامي، وبالطبع فقد حدث هذا المشهد أمام أعين ملايين المشاهدين في شتى بقاع العالم لأن النقل المباشر لحظتها كان ما يزال مستمرًا.. وبعد قليل تلقيت اتصالاً عاجلاً من شخصية أُكنُّ لها قدرًا كبيرًا من المعزَّة والاحترام، كان المتصل صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد الله بن عبد العزيز





مصور إحدى القنوات الفضائية داخل غرفة العمليات



عمل متواصل ومتابعة

الذي داعبني بمزحة خفيفة أنستني إرهاق العملية حين قال: «لقد جهَّزتُ لك غرفة وسريرًا لتنام فيها الليلة؛ لأن زوجتك أم خالد شاهدت الحدث مثل بقية المشاهدين في العالم، والأفضل لك ألا تذهب إلى منزلك»، بالفعل كانت مداعبة لطيفة من رجل فاضل جعلتني أضحك من قلبي قبل مغادرة غرفة العمليات.. لم يكن الدافع الأساسي من اتصال سموه فقط لأجل هذه المداعبة؛ وإنما لتهنئة أسرة التوأم والفريق الطبي على هذا الإنجاز الباهر، فقد اعتدنا من سموه على مثل هذه المبادرات الطيبة.

الشاهد في الحدث أن الأم دفعتها شدَّة الفرح إلى الخروج عن كل المعايير، وأنستها أنها في بيئة إسلامية لها تقاليدها، وأعادتها إلى بيئتها الاجتماعية، ولذا كانت ردَّة فعلها هذه بمثابة إعراب عفوي عن شكرها وتقديرها للفريق الطبي ممثلاً في رئيسه، وهكذا يفعلون في الغرب للتعبير عن شكرهم لمن يزجي إليهم خدمة جليلة.

٤ـ دوار أثناء العملية

«غرفة العمليات» مسمًّى يجمع بين مفردات وأحاسيس عديدة: الأمل، الرجاء، التطلع، الخوف، القلق، النجاح، الفشل.. وهي من أهم المواقع في أي مستشفى، بها تتعلق قلوب المرضى وذويهم، وترتفع داخلها درجة الإحساس بالرهبة؛ خاصة للمبتدئين من الجراحين والأطباء، وغيرهم من الراغبين في حضور العمليات من أقرباء المرضى والإعلاميين والصحفيين والمصورين، ومن ثم فهي (كبسولة) يتطلب دخولها تهيئة نفسية وصلابة في الشخصية وقدرة على التحمل تمنع الاهتزاز العاطفي وتحدُّ من التأثيرات الوجدانية والنظرات المُشفقة.. ولا شك في أن مؤشر الرهبة يرتفع إلى أعلى مستوياته كلما ازدادت المواقف صعوبة؛ لاسيما تلك التي تحيط بجراحات التوائم السيامية؛ نظرًا لضخامة العمليات وحجم الجراح والدماء ومنظر أعضاء الجسد خارج الجسد.

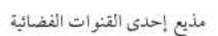
وقد شهدت غرفة العمليات موقفين لا يمكن نسيانهما أو محوهما من الذاكرة:

ـ أولهما: كان مصور إحدى القنوات التلفزيونية يتابع بكاميرته مراحل إحدى العمليات، وفجأة بدأ يتمايل ونحن في مرحلة حاسمة من الجراحة وأوشك على السقوط مغشيًا عليه، فلاحظ أحد الزملاء ذلك فهرع إليه وأسنده قبل أن يقع ويرتطم بأرضية الغرفة، فأنقذته عناية الله من إصابة كان يمكن أن تكون لها مضاعفات خطرة، ونُقل فورًا إلى غرفة الإفاقة، فزرته واطمأننت على حالته ووجهتُ بنقله إلى غرفة الطوارئ حيث مكث بضعة ساعات حتى استقرت حالته ثم غادرها بسلام والحمد لله. ورغم أن هذا الموقف أحدث نوعًا من الإرباك وتشتيت الانتباه للفريق الطبي؛ إلا أن المرحلة النهائية من العملية تكللت بنجاح تام بفضل الله وتوفيقه.

ـ ثانيهما: تشجيعًا للكوادر الجديدة، واستهدافًا لإكسابها خبرات عملية؛ أشركنا ذات مرة ممرضة حديثة التخرج في إحدى جراحات فصل توأم سيامي، وكانت مستعدة ومستوفية لكل متطلبات المشاركة بغرفة العمليات من تعقيم وزي وخلافه، وفجأة لاحظتُ أن جسدها بدأ يفقد الاتزان، واتسعت عيناها وارتفعتا إلى أعلى، فأومأتُ إلى إحدى زميلاتها التي سارعت إليها وساعدتها في الجلوس على مقعد قريب، ثمَّ نُقلت إلى سرير لتستلقي عليه إلى أن يزول الدوار والصدمة التي باغتتها أثناء وجودها مع الطاقم الطبي، وستر الله أن لحقتها زميلتها قبل أن تسقط وتصاب بأذى.. وبالطبع لم يؤثر ذلك على سير العملية سوى التوقف لعدة دقائق، وعادت زميلتنا إلى عملها من جديد حتى اكتملت مراحل العملية بنجاح والحمد لله.



المصور الطبي أثناء عملية فصل التوأم



مذيع إحدى القنوات الفضائية

وفي عملية أخرى أصيب المصور الطبي المختص بتصوير عمليات فصل التوائم السيامية بضيق مفاجئ في التنفس ثم اتبعه بإغماءة فوقع فجأة بيننا نتيجة الإرهاق الشديد، وتم بعدها نقله مباشرة إلى قسم الطوارئ حيث استعاد عافيته من جديد ومالبثنا أن وجدناه يلتقط لنا الصورة الجماعية للفريق الطبي بعد انتهاء العملية.

٥ـ بين الملعب وغرفة العمليات

سبقت إحدى عمليات فصل التوائم السيامية مباراة في كرة القدم، ويبدو أنها كانت مهمة؛ لأن المذيع الذي جاء لمتابعة العملية حيَّة على الهواء كان مشاركًا في تغطية المباراة، ولذلك فقد كانت مجرياتها وأحداثها مسيطرة على ذهنه ولم تفارقه حتى داخل غرفة العمليات، وكان مرتبكًا ومشدودًا إلى جو المباراة، فاقترب مني وأنا مستغرق في فصل الأمعاء بعد نجاح سابقتها مرحلة فصل الكبد، فطرح عليَّ سؤالاً على الهواء مباشرة: «بعد انتهاء الشوط الأول؛ كيف يكون الوضع في الشوط الثاني»؟ ضحكتُ؛ ولكن أسعفني (كمام الجراحة) الذي حجب هذه الضحكة عن المذيع السائل والمشاهدين، ومع ذلك أجبته بأننا في مرحلة فصل الأمعاء، وقصدتُ من ذلك فصل الأمعاء بطريقة غير محرجة!!! ولم أشأ الإجابة على طريقة السؤال المطروح بأننا سندخل بعض اللاعبين المهاجمين من (دكة الاحتياطي)!! وبعد نهاية اللقاء ومغادرة المذيع أحاط بيَّ الزملاء يرَوِّحون عن أنفسهم بشيء من الدعابة ويسألونني عن أخبار خطة المباراة التي لعبتها في فصل التوائم: هل كانت دفاعية أم هجومية؟ ومن سجل الهدف؟ وغير ذلك من المداعبات اللطيفة التي تحدث عادة بين الجراحين لتخفيف التوتُّرات التي قد تصاحب بعض أعضاء الفريق الطبي في العمليات الجراحية الحرجة.

٦ـ علمت زوجته على الهواء

تعوَّدنا على التقاط صورة جماعية للفريق الطبي في نهاية كل عملية لفصل توأم سيامي بهدف الذكرى وتوثيقًا للنجاح في مثل هذه الجراحات المعقَّدة التي تشارك فيها مجموعة من مختلف أطياف الأقسام الطبية المعنية، وبعد إحدى العمليات أحدثت الصورة أثرًا معاكسًا، وأقصد تداعيات أُسرية لم نحسب حسابها..!! فبينما كنا نستعد ونتهيأ للصورة جاءت إحدى الممرضات الأجنبيات واتخذت بصورة عفوية موقعًا ملاصقًا لأحد الزملاء، وعلى سبيل الترويح أيضاً بدأ الزملاء يداعبونه مهدِّدين بإخبار زوجته بعد تزويدها بالصورة، واتهموه بأنه هو الذي اختار لها هذا الموقع ودعاها للوقوف بجانبه.. استمرت هذه الدعابة والجميع يجهلون أن كل قفشاتهم وحيثيات هذا الموقف بكاملها كانت تبث على الهواء عبر شاشة التلفاز، ولم يخبرهم المذيع بأن المشهد يُنقل حياً..!! ولسوء حظ الرجل فقد شاهدت زوجته كل التفاصيل وسمعت كل الاتهامات، وصدَّقتها، ولم تقتنع بأن الأمر كان مجرد دعابة للتسلية والترويح بعد جهد مضنٍ وعملية شاقة.. ولا أعلم حتى اليوم ما نوع العقاب الذي وقع عليه في البيت!!! وهو آثر الصمت ولم يبح على الإطلاق بما ناله من عقاب!!



تبقت خمس دقائق على نهاية العملية



الفريق الطبي



الفصل السابع عشر

طرائف من حياة السياميين



التوأم بنكر

طرائف من حياة السياميين

لا تخلو حياة التوائم السيامية من الطرائف رغم صعوبتها وغرابتها والتحدي الذي يلازم أصحابها مع المجتمع، فعلى مر التاريخ كانت هناك طرائف ومواقف لطيفة تخلَّلت مسيرة حياتهم، ووجدنا فيها ما يستحق التسجيل والنشر لإشراك القارئ في متعتها. وسأستعرض هنا بعضًا منها.

• التوأم السيامي بنكر (١٨١١م)، وُلد هذا التوأم في سيام، وعاش لمد ٦٣ سنة قضى معظمها في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن نُقلا إليها بواسطة أحد البحارة العسكريين الأمريكيين كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وكانت حياتهما غنية بالطرائف نقتطف منها:

ـ عندما بلغا سن الرشد نشأ بينهما خلاف عنيف تحوَّل إلى قضية استدعت أحدهما إلى رفع شكوى في المحكمة ضد أخيه التوأم لأنه يتعاطى مشروبات روحية وهو لا يرغب في ذلك؛ بل يزعجه إلى أقصى الحدود. وتضمنت حيثيات شكوته أن أخاه يشرب الخمر بينما هو الذي يسكر ويتأثر عقلياً دون أخيه!! وبالطبع كان إصدار حكم لصالحه في مجتمع يبيح تعاطي المشروبات؛ مسألة صعبة وغير ممكنة، ولذلك اكتفت المحكمة بنصح أخيه وحثه على التوازن في تناول المسكرات.

ـ في أواخر العشرينيات من عمرهما وبداية الثلاثينيات قررا الزواج؛ ومن الطريف أنهما ألحقا هذا القرار بآخر هو أن يستقل كل منهما في منزل منفصل مع زوجته لتكون لهما خصوصيتهما!! فكيف يتسنى لهما ذلك وجسداهما ملتصقان؟ لذلك اختلفا، وبعد نقاش طويل وحوار وتداول في الكيفية؛ استقر رأيهما على تقسيم أيام الأسبوع بينهما، ثلاثة أيام في منزل أحدهما والثلاثة الأخرى في منزل الآخر؛ بينما يخصص اليوم السابع للنزهة خارج المنزل أو للتسوق أو الرياضة أو زيارات الأقرباء والأصدقاء وما إلى ذلك! ألا ترون معي أنه قرار مناسب ويجعلهما يتجاوزان مشكلتهما ويعيشان دون خلافات؟

• التوأم الإيطالي توسي (١٨٧٧م)، وهو توأم غريب حقًّا!! رأسان في جسد واحد وطرفان سفليان فقط (أي رجل لكل واحد منهما)، وجهاز تناسلي ذكري واحد. استغلت الأسرة وضعهما السيامي هذا باستخدامهما في العروض لكسب المال. ثم أُرسلا إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانا يتقاضيان أجرًا من كل راغب في مشاهدتهما أو التقاط صور معهما، ولذلك تمكنت أسرتهما من تحقيق قدر عال من الثراء. ولكن عندما بلغا من العمر ٢٢ عامًا رفضا هذه العروض وامتنعا عن تقديمها، واستهجنا لجوء الأسرة إلى استغلالهما بهذه الصورة الممعنة في الإذلال، واعتبرا ذلك إهانة بالغة لآدميتهما، ولهذا عادا إلى وطنهما إيطاليا، وسكنا في منزل يحوطه سور طويل وعال جداً يحميهما من مضايقات الفضوليين. وعندما بلغا ٢٧ سنة من العمر قررا الزواج من امرأتين رغم أنهما يملكان جهازًا تناسلياً ذكرياً واحدًا، وتحقق لهما ذلك بالفعل وأكملا مراسم زواجهما بعيدًا عن أعين الناس!! ونتيجة لذلك برزت إشكاليات عدة، وبدأت الاستفهامات تدور في أذهان القضاة والقانونيين ورجال الدين حول:



التوأم الماليزي يلعبان بالكرة



التوأم البولندي في سعادة

أ ـ كيف تُعرف الأبوة؟ أو إلى من ينتسب الأبناء؟

ب ـ كيف يُقسَّم الإرث عند الوفاة؟

ج ـ من يتحكم في العلاقة الزوجية؟

إلى غير ذلك من الأسئلة، ولكن التوأم لم يأبها بكل ذلك، وواصلا حياتهما في ذات الدرجة من الغموض التي اختاراها بالنأي بأنفسهما عن المجتمع، ولا أحد يعلم ما حدث لهما بعد ذلك!

• التوأم السيامي الماليزي الذي فُصل هنا بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض عام ٢٠٠٢م، أحاطت به أيضًا قصتان طريفتان:

الأولى: عندما قرر الفريق الطبي فصل التوأم؛ شرحتُ للتوأم ووالديه تفاصيل مراحل العملية وكيفيتها، ولدهشتي سألني أحدهما ببراءة الأطفال: «أريد رؤية السكين التي سوف تستخدمها لفصلي عن أخي»! فطمأنته بأننا نستخدم مُخدرًا ومشرطًا صغيراً جداً ولا يمكن له أن يحسَّ بأي ألم، فابتسم وقال: «هل أنت متأكد من أنني لن أحس بألم؟» فأجبته: نعم إن شاء الله تعالى.

الثانية: بعد أسابيع من نجاح العملية الجراحية ـ وبينما نحن نواصل عمليات تأهيل التوأم ـ طلب أحدهما ألا يكون قريبًا من أخيه!! وكان هذا الطلب غريبًا، فسألناه: لماذا؟ أجاب ببراءة: أخاف أن نلتصق مرة أخرى!!.



عراك بالأيدي والأسنان بين عبدالله وعبدالرحمن


التوأم الماليزي يلعبان بالكرة


التوأم البولندي في سعادة

أ ـ كيف تُعرف الأبوة؟ أو إلى من ينتسب الأبناء؟

ب ـ كيف يُقسَّم الإرث عند الوفاة؟

ج ـ من يتحكم في العلاقة الزوجية؟

إلى غير ذلك من الأسئلة، ولكن التوأم لم يأبها بكل ذلك، وواصلا حياتهما في ذات الدرجة من الغموض التي اختاراها بالنأي بأنفسهما عن المجتمع ، ولا أحد يعلم ما حدث لهما بعد ذلك!

• التوأم السيامي الماليزي الذي فُصل هنا بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض عام ٢٠٠٢م، أحاطت به أيضًا قصتان طريفتان:

الأولى: عندما قرر الفريق الطبي فصل التوأم؛ شرحتُ للتوأم ووالديه تفاصيل مراحل العملية وكيفيتها، ولدهشتي سألني أحدهما ببراءة الأطفال: «أريد رؤية السكين التي سوف تستخدمها لفصلي عن أخي»! فطمأنته بأننا نستخدم مُخدرًا ومشرطًا صغيراً جداً ولا يمكن له أن يحسَّ بأي ألم، فابتسم وقال: «هل أنت متأكد من أنني لن أحس بألم؟» فأجبته: نعم إن شاء الله تعالى.

الثانية: بعد أسابيع من نجاح العملية الجراحية ـ وبينما نحن نواصل عمليات تأهيل التوأم ـ طلب أحدهما ألا يكون قريبًا من أخيه!! وكان هذا الطلب غريبًا، فسألناه: لماذا؟ أجاب ببراءة: أخاف أن نلتصق مرة أخرى!!.


عراك بالأيدي والأسنان بين عبدالله وعبدالرحمن



التوأم العراقي فاطمة والزهراء مع أخيهما



مداعبة بين التوأم المصري تاليا وتالين

التوأم الماليزي بالزي السعودي



الفصل الثامن عشر

التوائم السيامية في عيون الشعر

يا رائد الطب

هذه القصيدة مهداة إلى الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الربيعة.

شغل الجزيرة سهلها وذراها ... بل صار فيها ماءها وهواها

وحوى العلوم جميعها في رأسه ... حتى مضى بعلومه تيّاها

أطبيبنا يا ابن الربيعة هل ترى؟ ... تلد البسيطة مثلكم وكفاها

يارائد الطب الحديث تحية ... ملء الجراح بما بذلت شفاها

من كل طفل قد ضمدت جراحه ... من كل أم قد أزحت عناها

من كل شيخ أو أب أشفقته ... و أعدت في عينيه نور ضياها

ماذا أقول وكل قولي لا يفي ... بمقامكم حتى سموت سماها

لنراك في هذه البلاد هلالها ... وعلى الجزيرة قد غدوت لواها

يكفي العلوم بأن رفعت منارها ... يكفي النفوس طبيبها ودواها

يكفيك من شرف القلوب منازلاً ... حتى بلغت من القلوب علاها

أطبيبنا لك قد كتبت قصيدتي ... فتميزت عما كتبت سواها

ونقشت إسمك في كتابي معلماً ... ليدل جيلاً للهدى إن تاها

وتكون تاريخاً يشار له غداً ... فحضارة الأجيال في عُظماها

فلك التحية ما حييت بأرضنا ... ولك التحية لو برحت رباها

شعر: عبدالجبار عبد الواحد الواصلي

غرسكم العلمي

كلنا ندرك أن حكومتنا الرشيدة تجني منذ عقود ثمار ما بذلته وتبذله في سبيل رفعتنا بين الأمم بما نناله من تحصيل علمي وفكري وأدبي وغير ذلك مما نفرض به مكانتنا في العالم المتحضر. وبما أن المجال الطبي يعد ثمرة من ثمار غرس حكومتنا، فها نحن نرى المستشفيات تعج بأطباء سعوديين يعملون في مختلف التخصصات الطبية. واللافت للنظر في الآونة الأخيرة هو تميز أطبائنا في جراحة الأطفال وفصل التوائم على غيرهم من أطباء الجراحة في العالم. فقد قاد الدكتور عبدالله ابن عبدالعزيز الربيعة المولود عام ١٣٧٤هـ بمدينة الرياض فريقاً في هذا المجال؛ حيث بلغ عدد التوائم التي فصلها ثمانية توائم، جيء بها من مختلف أنحاء العالم.
وكان آخرها فصل التوأم السيامي الفلبيني، وذلك يوم الخميس ...الخ

يا أميرًا حقق الله مناه ... برضى الشعب وتوفيق الإله

أنت للعهد وليًّا باذلاً ... في شفاء الناس جهدًا لا يضاه

غرسكم أثمر يا سيدنا ... فانظروه لافتًا للانتباه

منه من تفري المتاهات خطاه ... مثل نجم يعتلي أوج سماه

عربي مسلم مسترشد ... بهدى الإسلام في كل اتجاه

فاجتلته أعين ذات رؤى ... تعشق النور وتمشي في سناه

إنه الحاذق في صنعته ... حائز في علمه لـ (الدكتوراه)

في مجال قلَّ مَن يحرزه ... ويكون مبدعًا في مبتغاه

ماهر في فصل كل توأم ... عالمي جلَّ قدرًا مستواه

(الربيعة) الذي تأتي له ... فرق التوأم لا تبغي سواه

ذاع صيتًا في الجراحات اسمه ... واعتماد الرأي فيها ما يراه

من بلادي.. وبلادي منبت ... لذوي الفكر وهم أصحاب جاه

هم أطباء وتجَّار وهم ... أهل أقلام وسيف وقضاه

شعر الدكتور: أحمد عبدالله الدامغ

فخر الوطن

هو حدث أخذنا إلى العالمية ونحن في مملكة الإنسانية، وتحت قيادة ملك عظيم أراد أن يعيد مجد التاريخ العربي عبر بوابة الطب وفي عمل الخير، تقدم واثقاً من أبنائه وبذل كل ما في وسعه لتحقيق الإنجازات الواحد تلو الآخر، ،وكان للأطباء السعوديين نجاح متميز في ذلك، كان أقربها إلى قلوبنا جميعاً هو دعمك اللامحدود يا ملك الإنسانية لعمليات فصل التوائم السياميين أيدك الله أيها الملك وجعل من أبنائك مفخرة لوطنك.

وطني لفخرك كم وفيك رجال	أفعالهم إشراقة وعطاءُ
شرف لعزك أن ينادى عاليا	في العالمين فهم العظماءُ
زرعوا بذور الخير في أفق العلا	في طبهم في علمهم علماءُ
بذلوا لأجلك كل شيء يُقتدى	رفعوك فوق رؤوسهم نبلاءُ
أضحوا صقوراً في سماء الجزيرة	للعرْب هم إطلالة وضياءُ
الطب أصبح في بلادي ملتقى	وريادة آفاقها غراءُ
فصل التوائم ذلك الحدث الذي	أبكى الشعوب فكلهم سعداءُ
قد سطر التاريخ أن بلادنا	محبوبة منصورة شماءُ
أبناءنا نحن منا نخبة	في الطب في الخلق الكريم صفاءُ
ها نحن فوق سماء غرب نجمة	وضاءة لبلادنا حسناءُ
ابن الربيعة والفريق وفخرنا	في كل يوم لبنة وبناءُ
أبناءنا في الطب نلتم سمعة	أمجادها خفاقة علياءُ
إني لأفخر والجميع مهلل	أنتم منار مشرق لألاءُ
فسترتقون المجد أعلى ذروة	وبكفكم ما يرتدي الوجهاءُ
سنعيد مجد جدودنا قدواتنا	ما خاب قوم أصلهم علماءُ
يا صحوة في الطب أنت بداية	الداء يُمرِضُ والدواء شفاءُ
لا بد من رجل ينير طريقنا	ما ساد قوم فيهم جهلاء
من كان يدعم كل علم صانعاً	مجد البلاد وللفقير سخاء
من كان يسري الخير في أعراقه	وعطاؤه لا يعتريه رياءُ
من كان خلف نجاحنا ورقينا	ولشعبه يوم الفداء فداءُ
هو ذلك الملك الحليم بطبعه	هو كوكب أضواؤه بشراءُ
هو ذلك الملك الجليل سماحة	أيامه موفورة ورخاءُ
يا قائد الخيرات أنت منارنا	أنت الرؤوف بنا وأنت عطاءُ

ها أنت ترحم من أصيب بعاهة ... يحدوك في حب الإله رجاءُ
أنت العطوف على التوائم دائمًا ... للمبصرين وللضرير ضياءُ
أنت الذي أعطاك ربك حنكة ... فحكمت عدلاً هكذا الحكماءُ
للخارجين عن المسار وعدتهم ... أفعالهم في غيهم غوغاء
إرهابهم كهشيم نار في العرا ... سلكوا الضلال لأنهم بلهاءُ
أنت المهند نحن شعبك في الوغى ... حرب على أعدائنا وبلاءُ
أكرم به فمليكنا عزٌّ لنا ... صحراؤنا في ظلّه غناءُ
آل السعود سليل عرق شامخ ... أفعالهم إبراقة وسماءُ

شعر: د. سالم المالك

شكر وعرفان لملك الإنسانية

بمناسبة رجوع صفاء ومروة إلى وطنهما سلطنة عمان

إلقاء: أميمة بنت سعيد بن ناصر الجرداني

يا إلهي لك شكري ... دونما عدٌّ وحصر
أنت توليتنا جميلاً ... أنت تهدي أنت تبري
كم وكم بدلت عسرًا ... فمضى عنا بيسر
هذه مروة تبدو ... وصفا في حال خير
في ابتسام وسرور ... وشفاء بعد ضر
بعد أن منت عليها ... يد إحسان وبر
يد عبد الله لما ... بادرت في خير أمر
دأبها الجود دوامًا ... فحكاها كل بحر
أيها العاهل منا ... كل تقدير بفخر
وسلام من عمان ... لك مثل البدر يسري

يلهج لهم بالشكر (تاليا وتالين)

الله يعز المملكة للمسلمين	ويرفع مقام ملوكها ويحماها
الدولة اللي حكمها الشرع والدين	ومن صكته سود الليالي نصاها
يشهد لها الاقصين من قبل الادنين	في كل بقعة ناس تشكر عطاها
إنجازها وافي بكل الميادين	في ظل من لا قصروا في بناها
يلهج لهم بالشكر (تاليا وتالين)	حكامنا ما فيه شك بوفاها
ولا قصرت يمنا مغيث القليلين	فزعة من حباله قصير مداها
عبد الله اللي مد من دون تقنين	زيزومنا اللي فيه دوم انتباهَى
ما قصده الامداح نسل الكريمين	لكن من المعبود يطلب جزاها
يجزاه مولى الناس عدل الموازين	في جنة الفردوس يسكن ثراها
واذكر بقولي ماسح الجرح باللين	اللي عرف وين الجروح ودواها
ذاك الربيعة كوّن المجد تكوين	جهوده عسى ربي يسدد خطاها
واللي معه لهم التحيات وافين	ومن يزرع الحسنى بالأخرى جناها
حنا فرحنا بفعلكم با الميامين	ونفوسنا تشكر وتُظهر سناها
بلادنا مفتوحة لكل عانين	ولا نعترف باللي يقوله عداها
في ظل حكام على الطيب ضارين	نطلب من الخلاق يبقى رخاها
وختام قولي عند نبت الرياحين	صلوا على خير المخاليق طاها

شعر: سلامة بن عواد الجضيعي العنزي

سيد المشرط

لأننا نؤمن هنا في مدارات بأن ابناء الوطن المبدعين لهم حق علينا ولأنها قصيدة تبتعد عن مدح الذات... وبعد انجازات معالي الدكتور الربيعة المتتالية في عمليات فصل التوائم ننشر مشاعر أبناء الوطن وهم يرون العالم كله يصفق لأحد اخوانهم.

إلنا الفخر بالمستشار الربيعة اللي رفع رأس السعودي صنيعه

جراح ماهر واعتلى كل قمة ودكتور فاهم والمعاني رفيعه

يا سيد المشرط كسبت التحدي وجعلت اسم المملكة فالطليعه

شرفت أبوك وجدك وجد جدك وشرفت شعب المملكة فالوسيعه

مشرطك يفخر لامسكته بيمناك يفرح بأبو عبد العزيز ويطيعه

اللي تعلى قمة المجد مره تصير له عادة وتصبح طبيعه

يدين لك بالفضل طفل سيامي خرج على الدنيا بصورة فظيعه

وحط الله أسباب الشفا في يدينك والله ليا أراد الأمر يستطيعه

عز الله أنك تستحق القصيده لو قصرت في مدح نفس شجيعه

رفعت راسك والثنا تستحقّه بإنجازك اللي كل الأرجاء تذيعه

حزت المراجل بالشهادة وفعلك والمرجلة ماجت لنفس وضيعه

ويحق لك يا لمملكة لو فخرّتي بابن الوطن عبد الله بن الربيعة

شعر: محمد نجر العتيبي

بأمر نائب فهدنا

هذه القصيدة بمناسبة نجاح العملية التي أجريت للفتاتين السياميتين، في مدينة الملك عبدالعزيز الطبية للحرس والوطني، ذلك الصرح الطبي الشامخ على نفقة سمو سيدي ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله ، ولا يفوتني أن أشيد بالجهود التي قام بها الفريق الطبي وعلى رأسهم الدكتور عبدالله الربيعة .

في نهار السبت أشهد يا زمان لثامن شهور السنة قصة بديعه

شفتها بالعين في نفس المكان شفت أنا الإنجاز في همه رفيعه

بأمر نائب فهدنا شوف العيان تاليه وتالين وعبد الله الربيعه

في مدينة طب تشعرك بأمان ترتفع هقواك لو كانت وضيعه

يدري انك يالربيعة بك حنان ويدري انك تمتلك كاس الطليعه

تاليه يا سيدي تشعر بأمان تفتخر في فعلكم لو هي رضيعه

واختها تالين تلهج بامتنان لعطفكم يا سيدي تشكر صنيعه

مكرمه من سيدي طلق اليمان ابو متعب للوطن طبيه طبيعه

كلمة تنقال في سر وبيان في سلايل شيخ منهجه الشريعه

أبومتعب ما خسر فيه الرهان يوم جاب السياميتين بسريعه

يا عسى من ورثه يسكن جنان بعالي الفردوس في دار رفيعه

وفي نهار السبت أشهد يا زمان لثامن شهور السنة قصه بديعه

شعر: بدرية العطا الله السعيد الرياض

الدكتور عبدالله الربيعة

إلى الدكتور عبدالله الربيعة وإنجازاته الطبية المتلاحقة.

إيــه أفتخـر بـك شـاهـد ورمـز للـدار	واسـمـك يـزيـد الـدار عـز وطليعـه
إيـه أفتخـر بكل حـر مـن بـين الأحـرار	وبـإنجـازك اللـي هـز كل الوسيعـه
فعلك نقشته بالذهـب بـأرض محار	حتى احتويت مـن التميـز بديعـه
تـدعـي لـك قلـوب بـهـا جرحـها ثار	يـوم الـولي نـزل عليهـا فجيعـه
سخّـر لـك المولى مـن العلم واختـار	يـدك الكريمـة شـافيـة للوجيعـه
لحظة تقدّم من على الأرض بأعذار	لمعالجة ذيـك النفـوس الرضيعـه
وإن العمـل يـأخذ مـن الجيـب دولار	وإن العمل مـن فـوق مـا تستطيعه
وباسم الوطن نـادى لهم واف الأشبار	وطّمـن قلـوب ضـايقـة بـالوسيعـه
هـذاك أبـو متعب ليا قـال مـا احتـار	لـه أخضعت كل النواخذ مطيعـة
وتبـاشـروا في وقفتـه عبـر الأخبـار	وكـل تسـابـق للخيـر بالمذيعـة
وكلّف سعادتكم على خوض الأغمار	وجت الإجابـة مـن طرفكم سريعة
وأفـرحتـو قلـوب بهـا واهـج النـار	متحيـرة بـين الرجـا والقطيعـة
ندعي لك التوفيق مـن وال الأقـدار	ويـزيـدكـم بالعلـم فـوز وطليعـة
وإيــه أفتخـر بـك شـاهـد ورمـز للـدار	يـا بـن الوطـن دكتـور نجل الربيعة

شعر الدكتور: مرتضى الخمعلي



شكر خاص


السعودية مملكة الإنسانية
Saudi Arabia Kingdom of Humanity

شكر خاص

كم يمتلئ قلب الإنسان بالفرح وتغمر حناياه مشاعر السعادة كإشعاع لطيف من الضياء حين يرى نجاحًا وإنجازًا وتطورًا يتحقق في المملكة العربية السعودية أو العالم العربي أو الإسلامي، ويُسَجَّل بأحرف من نور في لوحة الإبداع العالمية التي تُوثِّق عطاءات الشعوب.

الفخر جبِلّة إنسانية، واعتمادًا على هذه البدهية يحقُّ لنا أن نباهي ونفاخر بما نُنجز، فما الأوطان إلا صناعة بنيها، فإن تميزوا تميَّزت بلدانهم، وبنت لها اسمًا في سجلات الإبداع والابتكار العلمي والمعرفي، وإن تخلَّفوا نقلوها إلى دائرة الظلام حتى تضحى نسيًا منسيًا. ولكن نحمد الله كثيرًا في مملكتنا التي حرصت قيادتها على رعاية العلم والعلماء، وهيأت لهم تربة خصبة وبيئات غنية تنامت فيها قيم العمل وارتفع مؤشر الأداء، وتزايدت معدلات العطاء، وتعدَّدت وتنوَّعت ساحات الإبداع حتى صعدت المملكة عتبات التطور بثقة وثبات، وتبوأت موقعًا رفيعًا في القمة بجانب دول العالم المتقدم. ولا مشاحة في أن أعبِّر عن اعتزازي بأي نجاح يتحقق في بلادي وأفاخر به، فالنجاح لا يُنسب إلى صاحبه، فردًا كان أو فئة أو مجموعة أو مؤسسة؛ بل إلى الوطن والشعب السعودي والأمة الإسلامية قاطبة. وكم نحن بحاجة إلى دعم ومؤازرة بعضنا بعضًا، وإلى شحذ الهمم وتركيز الجهود وتوسيع آفاق التعاون ومجالاته على المستوى العربي والإسلامي من أجل إنشاء مراكز مرجعية تميِّزنا وتؤهلنا إلى موقع الريادة العالمية؛ بدلاً من التنافس غير المرشَّد، أو المغلف بدوافع وإملاءات ذاتية، لأن مثل هذا التنافس غالبًا ما يتسبب في إهدار الجهود وتشتيت الخبرات وإضعاف مؤشرات النجاح.

هذه مقدمة اكتست ملمحًا فلسفيًّا، وحاولت إلباسها حُلَّة الآمال والأماني رغم أنها حقيقة تُعبِّر تعبيرًا صادقًا عمَّا يمور في داخلي من مشاعر حب وغيرة متأججة على وطني وأمتي، وأطمح بالفعل إلى أن نستفيد منها لغدنا ومستقبلنا لتنبني على إنجازنا إنجازات وإنجازات، وتلحق بنجاحنا نجاحات ونجاحات إن شاء الله تعالى.

وأرى لزامًا عليَّ التأكيد هنا على أن هذا الإنجاز والنجاح الذي حققناه في مجال جراحة التوائم السيامية ما كان ليخرج إلى النور، ويكتسب هذه الشهرة لولا توفيق الله جل وعلا، ثم جهود ومثابرة وطموحات وعزائم زملاء وزميلات ضحوا بوقتهم، وأخلصوا في مهماتهم، وسخَّروا لها عصارة فكرهم وخلاصة علمهم بقدر كبير من الإخلاص والتفاني ونكران الذات، ولا غرو أن يُؤْثِر العالم أو العارف وطنه وأمته بما يملك من معلومة ومهارة وخبرة. وأعني هنا الزملاء والزميلات وجميع من كان لهم - أو لهن - فضلُ مشاركتي وملازمتي باستمرار في هذا المضمار منذ بداياته في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض، ثم واصلوا المشوار معي في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني إلى يومنا هذا، مجموعة متجانسة ومتسقة تعمل بروح الفريق وتتحرك بهمة وفعالية كخلية نحل، لا يركنون إلى تكاسل ولا يعمدون إلى تخاذل مهما كانت المهمة صعبة وشاقة وحساسة، وبهذه العزائم الصادقة والصبر الدؤوب استطاعوا أن يشكلوا أنموذجًا في الأداء الجماعي، ويبرهنوا للعالم أن النجاح لا يُبنى بدوافع انفرادية، ولا تصنعه تطلعات ذاتية محضة؛ بل تحكُمه روح التعاون والتكاتف والشمولية والشفافية التي تُشكِّل مجتمعة أدوات بناء وركيزة عطاء.



الفريق الطبي لعملية التوأم السوداني (سماح وهبة)



الفريق الطبي لعملية التوأم السعودي (حسن وحسين)

ولعل أقسى ما يمكن أن يفتَّ في العزائم، ويُثبِّط الهمم أن تنمو بين زملاء العمل الواحد وتضطَّرم في قلوبهم مشاعر الكراهية والحسد، كما أن الجحود والقدح في عطاءات الآخرين أو نكرانها لا تعدو أن تكون جميعها معاول هدم تعطِّل مسيرة الإنجاز وتضرُّ بالأوطان.

لا تسعفني الكلمات، ولا يتكرَّم قاموس المفردات ليزودني بقطرات من معينه الدافق كي أُعبِّر لأعضاء هذا الفريق عن مدى شكري وامتناني لجهودهم وتضحياتهم في هذا الميدان العلمي، ولا أملك إلا أن أقول.. لله درُّكم من فريق يفخر به الوطن وتفاخر به الأمة، فريق يقف مرفوع الهامات، مشرئب الأعناق، مشرق الوجوه ليرسل قبسًا أو إشعاعات من ضيائه لإنارة هذا الدَّرب للمعاصرين واللاحقين من زملاء المهنة؛ جراحين كانوا أو أطباء أو ممرضين أو فنيين - رجالاً ونساءً - أو طلابًا. وكم كنت أتوق إلى ذكرهم بأسمائهم كاملة في هذه (التجربة الورقية) - وأعني كتابي هذا - توثيقًا للتاريخ، وتسجيلاً لعطاء إنساني متميز؛ غير أن خوفي وخشيتي من نسيان أحدهم عن غير قصد؛ أعاق هذه الرغبة، ولكنهم - وإن حُجبت أسماؤهم هنا - باقون جميعًا في حدقات العيون، ومعزتهم منقوشة في سويداء القلب، ولن أنسى جهودهم وتفانيهم مهما طال بنا الزمان، أو تقلَّبت صروفه، أو تبدَّلت بيئاته ومناخاته... فلهم مني جميعًا الشكر والثناء والعرفان. ولا يسعني إلا أن أُخلص الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يُلزمهم دائمًا وأبدًا جانب التوفيق، ويُثبت خطوهم في مسارات النجاح.. فبجهدهم وبذلهم تُقطف الثمرات، وتعلو وتسمو نجاحات مملكتنا لترتسم غرة بيضاء ناصعة في جبين المعارف والعلوم محلياً وإقليمياً وعربياً وعالمياً.

وأقرنُ هنا الشكرَ بالشكر والثناء بالثناء لهم جميعًا، ولكل من شدَّ من أزرهم، وساهم في رفع درجات تفانيهم وإسهاماتهم، وساعدهم في أن يبرهنوا للعالم بالدليل العلمي القاطع، وبالجهد والأداء المهني الساطع أن أمة الإسلام مكتنزة بالكفاءات والخبرات، وأن أبناءها وبناتها أهل محبة وتسامح وعطاء، ولا يقبضون أيديهم عن مساعدة محتاج أو متضرِّر، ولا يشيحون بوجوههم عن مريض فقير أو منقطع سبيل، أو كان على ذمَّة غير ذمَّتهم، أو مذهب مغاير لمذهبهم.. ولكل هؤلاء الزملاء الأحباب أقول مؤكدًا: لقد رسمتم بأناملكم الدقيقة الماهرة شعارًا شفيفًا مُشعًّا تنداح دائرته وتتسع كهالة دائرية شفافة تُطوِّق القمر حين يكون بدرًا، إنه شعار الإنسانية الذي احتضنته وجسَّدته: (مملكة الخير، مملكة العطاء، مملكة الوفاء، مملكة المحبة، مملكة الإنسانية).



الفريق الطبي لعملية التوأم السوداني (نجلاء ونسيبة)



الفريق الطبي لعملية التوأم الماليزي (أحمد ومحمد)





الفريق الطبي لعملية التوأم المصري (تاليا وتالين)

الفريق الطبي لعملية التوأم الفليبيني (آن وماي)



الفريق الطبي لعملية التوأم البولندي (داريا وأولغا)



الفريق الطبي لعملية التوأم المصري (آلاء وولاء)



الفريق الطبي لعملية التوأم المغربي (إلهام وحفصة)



الفريق الطبي لعملية التوأم العراقي (فاطمة والزهراء)



الفريق الطبي لعملية التوأم الكاميروني (شوفوبو وفنبوم)



الفريق الطبي لعملية التوأم السعودي (عبدالله وعبدالرحمن)



الفريق الطبي لعملية التوأم الطفيلي السعودي(ابتهال)



الفريق الطبي لعملية التوأم العماني (صفا ومروة)



الفريق الطبي لعملية التوأم المغربي الثاني (الصفا و المروة)



الفريق الطبي لعملية التوأم العراقي الثاني (إياد وزياد)

شكر و عرفان

بمجهود المخلصين من الزملاء الذين شاركوا بوقتهم وعطائهم على مدى سنتين لإخراج هذا الكتاب بصورته النهائية أتوجه لهم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان وهم:

- عبدالعزيز محمد العواد
- إبراهيم الصافي محمد
- حمد منصور المساعد
- محمد محمود التوبة
- فريد صالح بهنس
- عمرو الشربيني طلحة
- شمس الدين آدم بشارة
- محمد إبراهيم الإمام



الخاتمة

وصَّلنا ـ بحمد الله وتوفيقه ـ إلى الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب الذي استهدفنا منه توثيق إنجازات وطنٍ يجري حبُّه في دمائنا، وأمَّة ننتمي إليها ونغارُ عليها ونتطلَّع إلى أن تلامس الثريا رفعة ومكانة وعزًّا ومجدًا، وذلك في وقت نحسُّ فيه بحاجة ملحَّة إلى بيان حجم إمكاناتنا وقدراتنا ومقوماتنا العلمية والحضارية للعالم أجمع، ونكشف له مدى حرصنا على الإسهام في مسيرة التطور وصناعة السلم والأمن العالميين، ونُطلعه على عزمنا وإصرارنا على إبراز الوجه المشرق لعقيدتنا وتبرئتها من كل ما سيق في حقها من بهتان وافتئات وقول زور، وما دُمغت به من وحشية وهمجية وفظاظة، ونُبرز له كذلك قدرتنا على الدفاع عن أمة الإسلام بالعمل الجاد المتواصل، والإنجاز العلمي المدروس، وبالمواقف الإنسانية وبقيم التوادد والتراحم والتسامح التي تعد من مكونات الشخصية المسلمة، بكل ذلك نستطيع إقناعه بدورنا في صناعة الحضارة، وبإدبارنا وإدارة ظهورنا للشعارات الزائفة والأقوال البراقة والنقاشات الفارغة والحوارات الطنَّانة الجارحة التي يتعالى ضجيجُها وصخبُها ولا تخرج بثمرة أو إضافة نافعة. لو فعلنا ذلك؛ لتحدثت أعمالُنا عنَّا، ولأضاءت شعلة إنجازاتنا وعمَّ ضياؤها الكون، ولنُقشت المواقف والشواهد في أذهان الشعوب والأجيال وبقيت محفورة فيها أزمانًا وقرونًا عديدة، وبالتالي يمكن أن نستعيد أمجادنا وفترات زهونا وازدهارنا التي حزنا بها قصب السبق على العالم وبهرْناه وسُدْناهُ ثقافة وعلمًا وقيمًا، وأن ننشر رسالة شعارها السلم والسلام، والأمن والأمان، والحب والإخاء، ونهدم في الوقت نفسه حواجز الحقد والحسد والكراهية، وننبذ النظرة القاصرة والفكرة الضحلة التي مآلها دائمًا الإخفاق والفشل والتخلف عن مسيرة التطور والتحديث.

ويقينًا؛ فإن ما تضمَّنه هذا الكتاب لا يعدو أن يكون جهدًا متواضعًا، ومحاولة محدودة لإبراز إنجازات فريق عمل مثابر تحلَّى بمبادئ الإسلام السمحة، وميَّزته خاصيَّة العمل الجماعي، وميَّزته روح التفاني والعطاء المتجانس والمتكامل داخل المجموعة الواحدة، واستحكمت فيه إنسانيته ومشاعره الوطنية الغيورة، وحفَّزته رغبته في الإنجاز والإبداع إلى أن يضع لبنة فوق لبنة من أجل بناء هذه الخبرة التي يفخر بها الوطن ويفاخر بها المواطن. ولعل هذه المبادئ النبيلة تكون مرتكز انطلاق وباعثًا ودافعًا لتحقيق ملايين الأعمال والإنجازات المماثلة في مملكتنا الحبيبة والعالم العربي والإسلامي إن شاء الله تعالى.

آمالُنا وطموحاتُنا معقودة على أبناء وبنات مملكة الخير الراغبين في الصعود إلى المعالي، ورجاؤنا في أن يستمر العطاء ويتدافع إلى أعلى كموج النهر الذي يقذف الخصب إلى التربة المستزرعة، رجاؤنا من حملة مشاعل المعرفة لبناء مستقبلنا ألا تتوقف قافلة (التوائم السيامية) عند شخص أو شخصين أو حتى فريق واحد، وأن تتصدى أجيالنا للمشاركة في رفع بيارق هذه الجراحات من أجل أن يتتابع إيقاع المسيرة وتبقى شامخة راسخة، ومثلاً حياً لقوافل قادمة أكثر إبداعًا وسمواً ورفعة، وإبرازًا لسمعة هذا الوطن الغالي في المحافل العلمية الدولية، وتفعيلاً لإسهاماته في خدمة البشرية.

وقبل أن أُعيد غطاء قلمي إلى موقعه وأُحكم قفله؛ أود الاعتراف صادقًا بأن ما أوردته في طيَّات هذه التجربة ما هو إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر؛ ذلك أن مسيرة العطاء في وطننا هذا لن ينضب معينها بإذن الله، ولن يغور ماؤها ما دامت تُربته خصبة وغنية بكفاءات ومهارات قادرة على العطاء تحت ظل الرعاية والعناية المستمرة من قيادتنا الحكيمة.

وأخيرًا.. إن شاب عملي هذا تقصير أو ضعف؛ فلا أملك إلا أن ألتمس العذر من القارئ الكريم، وإنما هذا جَهْدُ المُقِل.. والله أسأل أن يجعل ما قدَّمتُه خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به أبناء الإسلام، فهو سبحانه وتعالى أهلٌ لذلك والقادر عليه وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

قـائـمـــة المــراجـــع

المصادر العربية

١ – الأصبهاني، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ المجلد التاسع ـ دار الكتاب العربي، دار الريان للتراث/ الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، مصر الجديدة ـ الإسكندرية/ ص ١٢٧، ١٢٨

٢ – الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء ـ مؤسسة الرسالة/ بيروت ـ الطبعات من ١ إلى ٦/ ١٤٠١هـ إلى ١٤٠٩هـ/ ص ٩٠

٣ – ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن، مقالات الأدباء ومناظرات النجباء ـ الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ص ١٢٢، ١٢٩

٤ – الجوزية، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.. ترتيب وتبويب صالح الشامي/ المكتب الإسلامي.

٥ – البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة ـ ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني وتصحيح الشيخ صفوة السقا/ مؤسسة الرسالة.

٦ – التستري، محمد تقي ـ قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ المطبعة الحيدرية.

٧ – الحمد، علي بن عبد الله ـ أحكام التوائم الملتصقة في الفقه الإسلامي ـ (رسالة ماجستير بإشراف د. خالد بن زيد الوذيناني).

٨ – النجار، الدكتور عامر ـ في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية/ دار الصحوة للنشر والتوزيع.

٩ – الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس ـ الجراحة (المقالة الثلاثون من الموسوعة الطبية التصريف لمن عجز عن التأليف ـ تحقيق وتعليق: د. عبد العزيز الناصر، د. علي التويجري/ مطابع الفرزدق التجارية/ الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م/ ص ٧٢.

١٠ – الطنطاوي، الشيخ علي ـ فصول في الثقافة والأدب/دار المنارة ـ جدة/٢٠٠٧ ص ٤٢

١١ – الطهطاوي، د. محمد ـ الدعوة إلى الإسلام

١٢ – النجار، زغلول راغب محمد ـ الذين هدى الله

١٣ – زقرزق، د. محمود حمدي ـ الإسلام والغرب/ مكتبة الشروق الدولية/ الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م الصفحات: ١٧٩ ـ ١٩١، ١٩٣ ـ ١٩٥

١٤ – عبد الصمد، محمد كامل ـ الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء (الجزء الثاني)/ الدار المصرية اللبنانية/ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

١٥ – مجلة المختار الإسلامي ـ العدد رقم ٤١/ رجب ١٤٠٦هـ

المصادر الأجنبية

1- Conjoined Twins, British Journal of Surgery 1996, 83, 1028 – 1030.

2- Dicphalus Conjoined Twins: a historical review with emphasis on viability, Jan Bodeson – London/England – Pediatr Surg 2001 Sep, 36(9): 1435 – 44. (Entrez- PubMed)

3- Experience in the management of Conjoined Twins, L. Spitz and E. M. Kiely. British Journal of Surgery 2002,89,1188 – 1192. (www.bis.co.uk)

4- Conjoined twins separated after long legal battle – Clare Dyer (bmj.com)

5- Surgical Separation of Conjoined Twins:Jodie and Mary by Kathleen Minutaglio (http://www.molloy.edu/academic/philosphy/SOPHIA/ethics/bioforum/twins.htm)

6- A social History of Conjoined Twins, (http:// zygote.Swarthmore.edu/cleave4b.html).

7- Conjoined Twins: Definition and Much More From Answers.com (http://www.answers.com/topic/conjoned-twins)

Freak Animals. (File://D:\Flea Circuses!.htm)



الأوسمة:

- وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة ٢٠٠٣م
- وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى ٢٠٠٢م
- وسام الاستحقاق العسكري الطبي من الجيش الأمريكي ٢٠٠٢م
- وسام استحقاق لجمهورية بولندا من الدرجة الأولى (درجة قائد) ٢٠٠٥م

الجوائز:

- جائزة التميز الجراحي على مستوى المملكة العربية السعودية ٢٠٠٦م
- جائزة فلكس العالمية من صحيفة بولندا اليومية (جازيت ويبروكزا) ٢٠٠٥م
- جائزة الإنجاز من جمعية الأطفال البولنديين ٢٠٠٥م
- جائزة الإنجاز من السفارة البولندية بالرياض ـ المملكة العربية السعودية ٢٠٠٥م
- جائزة افضل خريج (سابقاً) جامعة الملك سعود بالرياض ٢٠٠٤م
- جائزة الإنجاز من السفارة المصرية بالرياض ـ المملكة العربية السعودية ٢٠٠٤م
- جائزة الإنجاز من السفارة الفلبينية بالرياض ـ المملكة العربية السعودية ٢٠٠٤م
- جائزة الإنجاز من السفارة الماليزية بالرياض ـ المملكة العربية السعودية ٢٠٠٢م
- الترتيب الأول في درجة بكالوريوس الطب والجراحة ـ جامعة الملك سعود بالرياض ١٩٧٩م
- درجة التميز خلال فترة التدريب كطبيب امتياز ـ جامعة الملك سعود بالرياض ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠م
- جائزة أفضل بحث بجامعة البرتا بكندا ١٩٨٥م
- أفضل رئيس مقيم في التدريس في الجراحة بجامعة البرتا بكندا ١٩٨٦م
- جائزة السنة لأفضل أستاذ بكلية الطب بجامعة الملك سعود بالرياض ١٩٨٩م

البحوث والمؤلفات:

- أكثر من ٥٠ ورقة عمل قُدّمت في ندوات وورش عمل وحلقات نقاش طبية.
- تأليف والمشاركة في تأليف وكتابة أكثر من ٥٥ ورقة عمل وبحوث في مجلات علمية محكمة وكتاب.

هذا الكتاب

في هذا الكتاب يفتح الدكتور عبدالله الربيعة الباب
ويدخلك معه عالم التوائم السيامية، هذا العالم المجهول،
المليء بالغرائب والعجائب.

يحدثك الدكتور الربيعة، بأسلوب سهل سلس، عن
معاناة الوالدين قبل الإنجاب وبعده، ومعاناة التوائم،
ويحدثك عن الجهد الجبار الذي يبذله الفريق، وعن
النتائج الباهرة التي تحققت بفضل الله ثم بمهارة الجراحين
العاملين تحت قيادة المايسترو الموهوب.

هذه ملحمة نجاح عظيمة، تستحق أن تُسجل،
وتستحق أن تُقرأ، ملحمة نجاح للوطن، وللأمة،
ملحمة نجاح يجب أن يفخر بها كل مواطن.

غازي القصيبي

غازي بن عبدالرحمن القصيبي